

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الكهف

مقصودها^٢ وصف الكتاب بأنه قيم ، لكونه زاجرا عن الشريك الذي هو خلاف ما قلم عليه [الدليل -^١] في "سبحن" من أنه لا وكيل دونه ، ولا إله إلا هو ، وقاصًا بالحق أخبار قوم قد فضلوا في أزمانهم ه وفق ما وقع الخبر به في "سبحن" من أنه يفضل من يشاء ، ويفعل ما يشاء ، وأدل ما فيها على هذا المقصد قصة أهل الكهف لأن خبرهم أخفى ما فيها من القصص مع أن سبب فراقهم لقومهم الشرك ، وكان

(١) زيد قبله في ظ : «بسم الله الرحمن الرحيم يسريا كريم، قال سيدنا ومولانا الشيخ الإمام العالم العامل العلامة الخبر البحر الفهامة المحقق المدقق الرحلة الحافظ الأواحد الأمة برهان الدين لسان المتكلمين حجة المناظرين أبو الحسن إبراهيم البقاعي الشافعي لطف الله تعالى به في الدارين وحشره في زمرة المصطفى جد الحسن والحسين ، ونفعنا بعلومه آمين» ؛ وأما نسخة م فتنتقطع من هنا إلى نهاية سورة النمل (٢) الثامنة عشرة من سور القرآن ، وهي مكية كلها في المشهور ، وهي مائة وإحدى عشرة آية عند البصريين ، ومائة وعشرة عند الكوفيين ، ومائة وست عند الشاميين ، ومائة وخمسة عند الحجازيين - كما في روح المعاني ٣/٥ (٣) زيد في الأصل : بما ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فخذناها (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : بالذي (ه) زيد من ظ و مد .

أمرهم موجبا - بعد طول رقادم - للتوحيد وإبطال الشرك ﴿بسم الله﴾
الذى لا كفوء له ولا شريك ﴿الرحمن﴾ الذى أقام عباده على أوضح
الطرق بقيم الكتاب ﴿الرحيم﴾ بتفضيل من اختصه بالصواب .

لما ختمت تلك بأمر الرسول صلى الله عليه و على آله و سلم بالحمد
عن التنزه عن صفات النقص لكونه أعلم الخلق بذلك، بدئت هذه
بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التى منها البراءة عن
كل نقص، منبها بذلك على وجوب حمده بما شرع من الدين على هذا^٢
الوجه الأحكم بهذا الكتاب^٣ القيم الذى خضعت لجلاله العلماء الأقدمون،
و عجز عن معارضته الأولون و الآخرون، الذى هو الدليل على ما ختمت
١٠ به تلك من العظمة و الكمال، و التنزه و الجلال، فقال^٤ ملقنا لعباده
حمده، معلما لهم كيف يثنون عليه، مفقها لهم فى اختلاف العبارات
باختلاف المقامات^٥: ﴿الحمد﴾ أى الإحاطة / بصفات الكمال ﴿لله﴾
أى المستحق لذلك لذاته .

/ ٣٤٨

و لما أخبر باستحقاقه ذلك لذاته، أخبر بأنه يستحقه أيضا لصفاته
١٥ و أفعاله، فقال تعالى: ﴿الذى﴾^٦ و لما كان المراد وصف جملة الكتاب

(١) من مد . وفى الأصل و ظ : اختص (٢) سقط من مد (٣) من مد ، وفى
الأصل و ظ : لاحكم (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ : الدين (٥) من ظ و مد ،
و فى الأصل : بجلالة (٦-٧) سقط ما بين الرقین من ظ (٧) العبارة من هنا إلى
« دون التنزيل قال » متأخرة فى الأصل و ظ عن « سورة البقرة قال »
و الترتيب من مد .

بالإنجاز^١ من غير نظر إلى التفريق والتدرج ، عبر^٢ بالإنزال دون التزليل فقال :
 ﴿ انزل ﴾ و عدل عن الخطاب بأن يقول : عليك ، كما يقول : فلعلك باخع
 نفسك ، كما في ذلك من الوصف بالعبودية والإضافة إليه سبحانه من الإعلام
 بتشريفه صلى الله عليه وعلى آله وسلم والتنبية على علة^٣ تخصيصه بالإنزال
 عليه كما تقدم في سورة البقرة ، فقال - مقدما له على المنزل لأن المراد هـ
 الدلالة على صحة رسالته بما لا يحتاج فيه قرish إلى سؤال اليهود ولا
 غيرهم من تخصيصه بما لا يقدر عليه غيره - : ﴿ على عبده ﴾ وإشارة
 إلى أنه الذي أسرى به إلى حضرات مجده ليريه من آياته ﴿ الكتب ﴾
 الجامع لمعانى الكتب المشار إليه في آخر التي قبلها بما أشير إليه من
 العظمة كما آتى موسى التوراة الآمرة بالعدل في الأحكام ، و داود الزبور ١٠
 الحادى إلى الزهد والإحسان ، على ما أشير إليه في^٦ " سجن " .

ولما كان الجامع لا يخلو من عوج أو قابلية له إلا أن كان من علام
 الغيوب . نفي القابلية والإمكان دلالة على أنه من عنده لينفى [العوج -^٧]
 بطريق الأولى فقال تعالى : ﴿ ولم ﴾^٨ أى والحال^٩ [أنه لم -^{١٠}]
 ﴿ يجعل له ﴾ ولم يقل : فيه ﴿ عوجا ﴾^{١١} أى شيئا من عوج ،^{١٢} أى ١٥
 بل هو مستقيم في جميع معانيه من غير اختلاف أصلا ، هادى إلى كل

- (١) زيد في الأصل وظ : فلم يكن ، ولم تكن الزيادة في مد لحذفها .
- (٢) من مد ، وفي الأصل وظ : عليه (٣) سقط من ظ (٤) في مد : لا تحتاج .
- (٥) من ظ ، وفي الأصل و مد : على (٦) من مد ، وفي الأصل وظ : من .
- (٧) زيد من مد (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ (٩) العبارة من هنا إلى
 " الأعيان " ساقطة من ظ .

صواب ، لأن العوج - بالكسر : فقد الاستقامة في المعاني ، وبالفتح
 في ' الأعيان ؛ وأتبعه ' حالا أخرى له بقوله تعالى : (فيما) تصريحا
 باللازم ' تأكيدا له ' ، ومقيدا أنه مهيم على ما قبله من الكتب
 ' مقيم لغيره ' ، وقد مضى في الفاتحة ثم في الأنعام عن الإمام سعد الدين
 هـ التفازاني الشافعي رحمه الله أن كل سورة افتتحت [بالحمد - ']
 فللاشارة إلى نعمة من أمهات النعم التي هي ' إيجاد وإبقاء أولا ، وإيجاد
 وإبقاء ثانيا ، وأنه أشير في الفاتحة لكونها أم الكتاب ' إلى الأربع ،
 وفي الأنعام إلى الإيجاد الأول ' وهو ظاهر ، وفي هذه السورة إلى الإبقاء
 الأول ' ، فان نظام العالم وبقاء النوع الإنساني يكون بالنبي و الكتاب -
 ١٠ انتهى . ويؤيده أنه في هذه السورة ذكر أنه انتظم بأهل الكهف
 أمر من اطلع عليهم من أهل زمانهم ثم بالخضر عليه السلام كثير من
 الاحوال ، ثم بذى القرنين أمر جميع أهل الأرض بما يسر له من
 الأسباب التي منها السد الذي بيننا وبين ياجوج وماجوج الذين يكون
 بهم - إذا أخرجهم الله تعالى - فساد الأرض كلها ، ثم ذكر في التي تليها
 ١٥ من أهل وده واصطفائه من اتبعهم لنظام العالم بما وفقهم له من طاعته ،
 وبصرهم به من معرفته ، واستمر كذلك في أكثر السور حتى ذكر السورة التي
 أشار فيها إلى الإيجاد الثاني ، و اتبعها بالتي أشار فيها إلى الإبقاء الثاني . ولما
 كان إبقاء الأول يقتضى مهلة لبلوغ حد التكليف ^٥ [وإجراء القلم - ']

(١) من مد ، وفي الأصل : من (٢-٢) في ظ : بصلة (٣-٣) سقط ما بين
 الرقيين من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد في مد : من (٦) من ظ و مد ،
 وفي الأصل : القرآن (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : التمييز .

ثم مهلة أخرى يكون فيها العمل و الاستعداد لما لأجله كان هذا^١ الوجود
من العرض على الرحمن ، للجزاء بالإساءة أو^٢ الإحسان ، ومهلة أخرى يجمع
فيها السابق من الخلائق إلى ورود مشرع الموت لانتظار اللاحق ، إلى بلوغ
ما ضرب سبحانه من الآجال ، لأزمان الإمهال ، و قيام الناس أجمعين ،
لرب العالمين ، و هو البرزخ و كان ما قبل التكليف شيئا بالعدم إلا في هـ
تعلم / الكتاب و التوحيد و الاجتماع على أهل الدين ، و الوفاء بما قدموا
فيه بالهدى [من الأحكام - ٢] ، و دبروا عليه من الحلال و المحرام ، أشير إليه
بما بين الفاتحة و الأنعام التي هي سورة الإيجاد الأول من السور الأربع ،
و كأنه سن^٣ الاحتلام كان أول الإيجاد من الإعدام ، و أشير إلى بقية العصر
- و هو زمان التكليف - بما بين الأنعام و هذه السورة من السور التي ذكر ١٠
فيها مصارع الأولين و أخبار الماضين تحذيرا من مثل أحوالهم ، لمن نجح
على منوالهم ،^٤ و ختمت بالتحديد مقترنا بالتوحيد [إشارة - ١] إلى أنه يجب
الاجتهاد في أن يختم الأجل في أعلى ما يكون من خصال [الدين - ١] .
و أشير إلى مهلة البرزخ بما بين هذه و سورة الإيجاد الثاني من السور
التي ذكر في غالبها مثل ذلك ، و أكثر فيها [كلها من - ٢] ذكر الموت ١٥
و ما بعده من البرزخ الذي يكون لانقطاع [العلائق - ٢] باجتماع
الخلائق ، لأجل التخلي في رد العظمة ، والكشف البليغ عن قوذ الكلمة ،
(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : هنا (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : و . .
(٢) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : بين (٥) العبارة من هنا
إلى هـ من خصال الدين ، عاقلة من ظ (٦) زيد من مد ،

و التحلى بالحكم باستقرار الفريقين فى دار النعيم أو غار الجحيم، وأكثر
فيما بين هذه وبين سبأ من أمر البعث كثرة ليست فيما مضى حتى صبو
بعضها به، و بناها عليه كسورتي الإنبياء "أقرب للناس حسابهم" والحج
"ان زلزلة الساعة شئ عظيم" ولما [لم - ٢] يكن بين البعث وما
بعده مهلة شئ من ذلك، عقب سورة الإيجاد الثانى بسورة الإبقاء الثانى
من غير فاصل ولا حاجز ولا حائل - والله أعلم .

ولما وصف الكتاب بما له من العظمة فى جميع ما مضى من أوصافه
من الحكمة والإحكام، و التفصيل والبيان، و الحقيقة، والإخراج من
الظلمات إلى النور، و الجمع لكل معنى و التبيان لكل شئ، أتبعه ذكر
١٠ فائدته * مقدماتها ما هو الأهم من درء المفسدة بالإندار، لأنه مقامه كما هو
ظاهر من "سبعين" فقال: (لينذر) أو قصره على المفعول الأول ليعم
كل من يصح قبوله الإندار ولو تقديراً، و ليفيد أن الغرض بيان المنذر
به لا المنذر (باسا شديداً) كائناً (من لدنه) أى أغرب ما عنده
من الخوارق بما فى هذا الكتاب من الإعجاز * لمن خالف أمره من
١٥ عذاب الدنيا والآخرة كوقعة بدر وغيرها * المفيد لإدخال الإسلام

(١) من ظ و مد . وفى الأصل : دار (٢) من ظ و مد و القرآن الكريم ،
وفى الأصل : أى (٣) يريد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : من .
(٥-٥) يسقط ما بين الرقيين من ظ (٦) العاوة من هنا إلى «لا المنذر» ماقطة من
ظ (٧) فى مد : عن (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : لوقعة (٩) العبارة من هنا
إلى « من الضعف » ماقطة من ظ (١٠) من مد ، وفى الأصل : من سلام :
عليهم

عليهم و هم كارهون ، بعد ما كانوا فيه من القوة و هو من الضعف
 (و يبشر المؤمنين) أي الراسخين في هذا الوصف (الذين يعملون الصلوات)
 و هو ما أمر به خالصا [له - ١] ، و ذلك من أسنان مفتاح الإيمان
 (ان لهم) أي من حيث هم عاملون (اجرا حسنا) و هو النعيم ،
 حال كونهم (ما كتبت فيه ابدالا) بلا انقطاع أصلا ، فان الابد زمان
 لا آخر له ، فجمعت هاتان العلتان جميع معاني الكتاب فانه لا يكون
 كذلك إلا وقد جمع أيضا جميع شرائع الدين و أمر المعاش
 [و أمر المعاد - ٢] و ما يعينهم فعله أو تركه أو اعتقاده ، و ما يتبع ذلك ،
 و ذلك هو القيم ، أي المستقيم في نفسه ، المقيم لغيره .

ولما كان الغالب على الإنسيان المخالفة للاوامر ، لما جبل عليه من
 النقص ، كان الانذار فأم أعاده " لذلك و " لان المقام له كما مضى ،
 ذاكرا فيه بعض المتعلق " المحذوف من الآية التي قبلها ، تبكيها لليهود
 المضلين لهؤلاء العرب و لمن قال بمقاتلهم فقال تعالى : (و ينذر)

(١) في ظ : هي (٢) زيد من مد (٣) العبارة من هنا إلى « مفتاح الإيمان » ساقطة
 من ظ (٤) سقط من مد (٥ - ٥) ما بين الرقيين متقدم في مد على « و يبشر
 المؤمنين » (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : الكتب (٧) زيد من ظ و مد .
 (٨ - ٨) سقط ما بين الرقيين من مد (٩) من ظ و مد ، وفي الأصل : ما .
 (١٠) من ظ و مد ، وفي الأصل : غسل (١١ - ١١) من ظ و مد ، وفي الأصل :
 لا نذارهم و أعاده (١٢ - ١٢) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد ، و تستمر
 سقطة ظ إلى « كما مضى » (١٣) زيد في الأصل : من ، و لم تكن الزيادة في
 ظ و مد فحذفناها .

واختصر هنا على المفعول الاول ليذهب الفكر في الثاني - الذي عبر عما
 يحتمل تقديره [ب - ٢] فيما مضى به دلالة - كل مذهب فيكون أهول
 (الذين قالوا اتخذ الله) أي تكلف ذو العظمة التي لا تضاهي كما
 يتكلف غيره أن أخذ (ولداه) وهم بعض اليهود / والنصارى / ٣٥٠
 هـ والعرب قال الاصمعياني : وعادة القرآن [مجازية - ٢] بأنه إذا ذكر
 قصة كلية صطف عليها بعض جزئياتها تنبها على كون ذلك البعض
 أعظم جزئيات ذلك الكل ، ولم أجعل الآية من الاحبال لنقص المعنى ،
 ثم امتأنت معللا في جواب من كأنه قال : ما لهم خصوا بهذا الوعيد
 الشديد ؟ فقال تعالى : (ما لهم به) أي القول (من علم) أصلا
 ١٠ لانه بما لا يمكن أن يطلق العلم به لانه لا وجود له ولا يمكن وجوده ؛
 ثم قرر هذا المعنى وأكد بقوله تعالى : (ولا لا بألتهم) الذين هم
 مغفلون بتقليد في الدين حتى في هذا الذي لا يتخيله عاقل ، ولو
 أخطأوا في تصرف ديني لم يقعوم فيه ، تنبها على أنه لا يحل لأحد
 أن يقول على الله تعالى ما لا علم له به ، ولا سيما في أصول الدين ؛
 ١٥ ثم مول أمر ذلك بقوله تعالى : (كبرت) أي مقاتلتهم هذه (كلمة)
 (١) العبارة من هنا إلى « فيكون أهول » ساقطة من ظ (٢) من مد ، وفي
 الأصل : ليذكر (٣) زيد من مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقيين من ظ .
 (٥) العبارة من هنا إلى « لنقص المعنى » ساقطة من ظ (٦) من مد ، وفي الأصل
 وظ : جوابه (٧) العبارة من هنا إلى « وأكد بقوله تعالى » ساقطة من ظ .
 (٨) من مد ، وفي الأصل : لم .

أى ما أكبرها من كلمة ١ 'وصور فظاعة اجترائهم على النطق بها بقوله تعالى: ﴿ تخرج من افواههم ﴾ ٢ أى لم يكفهم خطورها في نفوسهم ، وتردها في صدورهم ، حتى تلفظوا بها ، ٣ وكان تلفظهم بها على وجه التكرير - بما أشار إليه التعبير بالمضارع ٤ ؛ ثم بين ٥ ما أفهمه ٦ الكلام من أنه كما أنهم لا علم لهم بذلك لا علم لأحد به أصلا ، لأنه لا وجود له فقال ه تعالى: ﴿ ان ﴾ [أى ما - ٨] ﴿ يقولون الا كذبا ﴾ ٩ أى قولا لا حقيقة له بوجه من الوجوه .

وقال ابن الزبير في برهانه : من الثابت المشهور أن قريشا بعثوا إلى يهود بالمدينة يسألونهم في أمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فأجابت يهود بسؤاله عن ثلاثة أشياء ، [قالوا - ١٠] : فان أجابكم ١١ فهو نبي ، وإن عجز فالرجل متقول ١٢ فروا فيه رأيكم ، وهى الروح ، وقتية ذهبوا ١٣ في الدهر الأول وهم أهل الكهف ، وعن ١٤ رجل طواف ١٥ [بلغ - ١٦] مشارق الأرض ومغاربها ، فأرسل الله عليه جواب ما سأله ، وبعضه في سورة الإسراء " ويسئلونك عن الروح " - الآية ، واستفتح سبحانه وتعالى سورة الكهف بحمده ، وذكر نعمة الكتاب ١٥

(١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « الكلام من » ساقطة من ظ (٣) من مد ، وفي الأصل : الهم (٤) زيد من مد (ه) زيد من ظ ومد . (٦) من ظ ومد ، وفي الأصل : جاء بذلك (٧) من ظ ومد ، وفي الأصل : متبول (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ومد ، وفي الأصل : من (١٠) من ظ ومد ، وفي الأصل : طاف (١١) زيد في ظ : قل الروح من امر ربي .

وما أنزل بقریش و کفار العرب من البأس يوم بدر و عام الفتح ،
 و بشارة المؤمنین [بذلك - ١] و ما منحهم الله تعالى من النعم الدائم ،
 و إنذار القائلین بالولد من النصاری و عظیم مرتکبهم و شناعة قولهم
 ” ان یقولون الا کذبا “ و تسلیة نبی الله صلی الله علیه و علی آله و سلم
 ٥ فی أمر جمیعهم ” فلعلک باخع نفسك “ - الآیة ، و التهمت الآیة أعظم
 التحام ، و أحسن التام ، إلی ذکر ما سأل عنه الکفار من أمر الفتية
 ” ام حسبت ان اصحب الکهف و الرقیم كانوا من ایتنا عجبا “ ثم بسطت
 الآیة قصتهم ، و أوضحت أمرهم ، و استوفت خبرهم ؛ ثم ذکر سبحانه
 أمر ذی القرنین و طوافه و انتهاء أمره ، فقال تعالى ” و یسئلونک عن
 ١٠ ذی القرنین “ - الآیات ، و قد فصلت بین القصتین بمواعظ و آیات مستجدة
 علی أتم ارتباط ، و أجل اتساق ٢ ، و من جملتها قصة الرجلین و جنتی
 أحدهما و حسن الجنتین و ما بینهما و کفر صاحبهما و اغتراره ، و هما
 من بنی اسرائیل ، و لهما قصة ، و قد أفصحت هذه الآیة منها ٣ باغترار
 أحدهما بما لديه و ركونه إلی توهم البقاء ، و تعویل صاحبه علی ما عند ربه
 ١٥ و رجوعه إلیه و انتهاء أمره - بعد المحاورة الواقعة فی الآیات بینهما ٤ - إلی إزالة
 ما تخیل المفتون بقاءه ، و رجوع ذلك کأن لم یکن ، و لم یبق یده / إلا الندم ،
 ٢٥١ / ولا صح له من جنته بعد عظیم تلك البهجة سوى التلاشی و العدم ، و هذه
 حال من رکن [إلی ما - ١] سوى المالك ، و من کل شیء إلا وجهه سبحانه
 و تعالى فان و هالك ” انما الحیوة الدنیا لعب و لهو “ ، ” ففرؤا إلی الله “

(١) زید من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فی الأصل : انتشاق (٣) من ظ
 و مد ، و فی الأصل : منها (٤) من ظ و مد ، و فی الأصل : إلی (٥) من ظ
 و مد ، و فی الأصل : بینها .

ثم أعقب ذلك بضرب مثل الحياة الدنيا لمن اعتبر واستبصر، وعقب تلك الآيات بقصة موسى والخضر عليهما [السلام - ١] إلى تمامها، وفي كل ذلك من تأديب بني إسرائيل وتقريعهم وتوبيخ مرتكبهم في توقفهم عن الإيمان وتعنيفهم في توهمهم عند فتوهم لكفار قريش بسؤاله عليه السلام عن القصص [الثلاث - ١] أن^٢ قد حازوا العلم^٣ ه وانفردوا بالوقوف على ما [لا - ٤] يعلمه غيرهم، فجاء جواب قريش بما يرغم الجميع ويقطع دابرهم، وفي ذكر قصة موسى والخضر إشارة لهم لو عقلوا، وتحريك لمن سبقت له منهم السعادة، وتنبية لكل موفق في تسليم الإحاطة لمن هو العليم الخبير، وبعد تقريعهم وتوبيخهم بما أشير إليه عاد الكلام إلى بقية سؤالهم فقال تعالى "ويستلونك عن ١٠ ذى القرنين" - إلى آخر القصة، وليس بسط هذه القصص من مقصودنا وقد حصل، ولم يبق إلا السؤال عن وجه انفصال جوابهم ووقوعه في السورتين مع أن السؤال واحد، وهذا ليس من شرطنا فلنسأله بحول الله إلى موضعه إن^٤ قدر به - انتهى . وقد تقدم في سورة الإسراء من الجواب [عن هذا أن - ١] الروح ضمت إليها، لأنها من ١٥ سر الملكوت كالإسراء، وبقى أنه لما أجمل سبحانه أمرها لما ذكر من عظيم السر، وعيب عليهم اشتغالهم بالسؤال وترك ما هو من عالمها، وهو أعظم منها ومن كل ما برز إلى الوجود من ذلك العالم من الروح (١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، وفي الأصل : انه (٣) من ظ و مد، وفي الأصل : لعلم (٤) زيد من مد .

المعنى الذى به صلاح الوجود كله ، وهو القرآن العظيم ، و 'عظم أمره' بما ذكر فى الإسراء إلى أن اقتضى [الحال - ٢] فى إنهاء عظمته أن يدل على إصلاح الوجود به بما حرره وفصله وقرره من أمر السؤلين الباقيين اللذين هما من ظاهر الملك فيما ضم إليهما بما تم به الأمر ،
 ٥ و اتضح به [ماله - ٢] من جليل القدر ، كان الأكل فى ذلك أن يكون ما انتظم به ذلك سورة على حديثها ، ولما كان أمر أهل الكهف من حفظ الروح فى الجسد على ما لم يعهد مثله ثم إفاضتها ، قدم الجواب عن ٣ السؤال عنهم ليلى أمر الروح ، وختم بذى القرنين لإحاطة أمره بما ٤ طاف من الأرض ، ولما جعل من السد علما على انقضاء شأن هذه ١٠ الدار و ختام أمرها ، و طى ما برز من نشرها - والله سبحانه و تعالى أعلم .

ولما كان صلى الله عليه و على آله و سلم شديد الحرص على إيمانهم شفقة عليهم و غيره على المقام الإلهى الذى ملأ قلبه تعظيما له ، خفض عليه سبحانه بقوله تعالى : ﴿ فلعلك باخع ﴾ أى قسب عن ١٥ قولهم هذا ، المبين جدا لما تريد ٥ لهم ، الموجب لإعراضهم عنك أنك تشفق أنت و من يراك على تلك الحالة من أتباعك من أن تكون ١ قاتلا ﴿ نفسك ﴾ من شدة الغم ٧ و الوجد ، وأشار إلى شدة فقرتهم و سرعة مفارقتهم و عظيم مباعدهم بقوله تعالى ٢ : ﴿ على آثارهم ﴾ أى حين تولوا

(١-١) من مد ، وفى الأصل و ظ : عظيم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : لمن (٤) فى مد : ما (٥) من ظ ، وفى الأصل و مد : يزيد . (٦) زيد فى ظ : باخعاى (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ .

عن إجابتك 'فكانوا كمن قوضوا خيامهم وأذهبوا أعلامهم'
(ان لم يؤمنوا) .

'ولما صور بعدهم ، صور قرب ما دعاهم إليه ويسر تناوله بقوله

تعالى : ﴿ بهذا الحديث ﴾ أى القيم المتجدد تنزيهه على حسب التدرج

﴿ اسفاه ﴾ منك على ذلك ، و الأسف : أشد الحزن 'و الغضب' ثم بين ٥

علة إرشاده / إلى الإعراض عنهم بغير 'ما يقدر عليه من' التبليغ 'للبشارة ٢٥٢/

والنذارة' بأنهم لم يخرجوا عن مراده سبحانه ، 'و أن الإيمان لا يقدر على

إدخاله قلوبهم غيره' فقال تعالى : ﴿ انا ﴾ أى 'لا نفعل ذلك لانا ﴾ جعلنا

'بما لنا من العظمة' ﴿ ما على الارض ﴾ من 'المواليد الثلاثة' : الحيوان

و المعدن و النبات ﴿ زينة لها ﴾ بأن حسناته^٢ فى العيون ، و أبهجنا به ١٠

النفوس ، 'و لو لا مضرة الحيوانات المؤذية من الحشرات و غيرها كانت

الزينة بها ظاهرة ، و الظاهر أنه لو أطاع الناس كلهم لذهبت مضرتها

فبدت زيتها ، كما يكون على زمن عيسى عليه السلام حيث تصير

لعبا للولدان .

و لما أخبر بتزيينها ، أخبر بعلته فقال تعالى : ﴿ لنبلوهم ﴾ أى نعاملهم ١٥

معاملة المختبر الذى يسأل لطفاء الأمر عليه بقوله تعالى : ﴿ ايهم احسن عملا ﴾

'أى باخلاص الخدمة لربه' ، فيصير ما كنا نعلمه منهم ظاهرا بالفعل

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى

الأصل : حسنا (٤) من مد ، و فى الأصل : خلف (٥) العبارة من « الذى يسأل »

إلى هنا ساقطة من ظ .

تقام به عليهم الحجة على ما يتعارفونه بينهم بأن من أظهر موافقة الأمر^١ فيما نال من الزينة حاز المثوبة، ومن اجتراً على مخالفة الأمر بما آتيناها منها^٢ فعمل على أنها للتنعم بها فقط^٣ استحق العقوبة . ولما كان دعاء الزينة إلى حقيقة الحياة الدنيا من اللهو واللعب ظاهراً لموافقته لما هـ [طبع - ٢] عليه النفوس من الهوى لم يحتاج إلى التنبيه^٤ عليه أكثر من لفظ الزينة .

و لما كان دعاءها إلى الزهد فيها والإعراض عنها جملة والاستدلال بها على تمام علم صانعها وشمول قدرته على إعادة الخلائق كما ابتدأهم وغير ذلك خفياً، لكونه مستوراً عن العقول بهوى النفوس^٥، نبه عليه ١٠ بقوله تعالى: ﴿و انا لجاعلون﴾ أى بما لنا من العظمة^٦ ثابت لنا هذا الوصف دائماً^٧ ﴿ما عليها﴾ من جميع تلك الزينة لا يصعب علينا شيء منه^٨ ﴿صعيداً﴾ أى تراباً بأن نهلك تلك الزينة بازالة اخضرارها فيزول المانع من استيلاء التراب عليها ثم نسلط عليها الشمس والرياح فيردها بذلك إلى أصلها تراباً ﴿جرزاً﴾ أى يابساً لا ينبت شيئاً بطبعه، وكذا نفعل ١٥ بمن سبب تسليط البلاء عليه من الحيوان آدمياً كان أو غيره سواء^٩ .

و لما كان من المشاهد إعادة النبات بأذن الله تعالى بازال الماء عليه إلى الصورة النباتية التى هى الدليل على إحياء الموتى مرة بعد مرة ما دامت

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: لامر (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ .

(٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: التعنية (هـ) في

مد: النفس .

الأرض موجودة على هذه الصورة ، طوى ذكر ذلك سترا لهذا البرهان
المنير عن الأغنياء^١ المشغولين بالظواهر ، علما منه سبحانه بظهوره
لأولى البصائر .

ولما كان هذا من العجائب [التى تضائل عندها العجائب -^٢] ،

و الغرائب التى تخضع لديها الغرائب ، وإن صارت مألوفة بكثرة التكرار ، هـ

و التجلى على الأبصار ، هذا إلى^٣ ما له من الآيات التى تزيد على العد ،

ولا يحصر بحد ، من خلق السماوات والأرض ، و اختلاف الليل والنهار ،

و تسخير الشمس والقمر و الكواكب - و غير ذلك ، حقر آية أصحاب^٤

الكهف - و إن كانت من أعجب العجب - لاضمحلالها فى جنب ذلك ،

لأن الشئ إذا كان كذلك كثر ألفه فلم يعد عجبا ، فبه على ذلك بقوله ١٠

١٠ - تعالى عطفًا على ما تقديره^٥ : أعلمت أن هذا وغيره من عجائب قدرتنا ؟ :

(أم حسب) على ما لك من العقل الرزين و الرأى الرصين^٦ ،

(إن اصحب الكهف) أى الغار الواسع المنقور فى الجبل كالبيت (و الرقيم^٧)

أى القرية أو الجبل (كانوا) هم فقط (من آيتنا عجبا) على ما لزم

من تهويل السائلين من الكفرة من اليهود و العرب^٨ ، / و الواقع أنهم ١٥ / ٢٥٣

- و إن كانوا من العجائب - ليسوا بعجب بالنسبة إلى كثرة آياتنا ، و بالنسبة

إلى هذا العجب [النبأى -^٩] الذى أعرضتم^{١٠} عنه بألفكم^{١١} له من كثرة

تكرره فيكم ، فانه سبحانه أخرج نبات الأرض على تباين

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاغنياء (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط

من ظ (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل :

أعرضتهم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالفكر .

أجناسه ، و اختلاف ألوانه و أنواعه ، و تضاد طبائعه ، من مادة واحدة ،
يهتز^١ بالينبوع ، يبهج الناظرين و يروق المتأملين ، ثم يوقفه ثم يرده
بالبس و التفرق إلى التراب فيختلط به حتى لا يميزه عن بقية التراب ،
ثم يرسل الماء فيختلط بالتراب فيجمعه فيخرج أخضر يانعا يهتز بالنو على
ه أحسن ما كان ، و هكذا كل سنة ، فهذا بلا شك أعجب حالا من
حفظت أجسامهم مدة [عن التغير - ٢] ثم ردت أرواحهم فيها ،
و قد كان في سالف الدهر يعمر بعض [الناس - ٢] أكثر [من مقدار - ٢]
ما لبثوا ، و هذا الكهف - قيل : هو [في جبال - ٢] بمدينة طرسوس و هو
المشهور ، و قال أبو حيان^٢ : قيل : هو في الروم ، و قيل : في الشام ،
١٠ و قيل : في الأندلس^٤ ، قال : في جهة غرناطة بقرب قرية [تسمى - ٥] لوشة
كهف فيه موتى^٦ و معهم كلب [رمة ، و أكثرهم - ٧] قد انجرد لحمه ، و بعضهم
متماسك^٨ و قد مضت القرون [السالفة - ٩] و لم نجد من عرف شأنهم ، و يزعم
ناس أنهم أصحاب الكهف ، و نقل عن ابن عطية قال : دخلت إليهم سنة
أربع و خمسمائة فرأيتهم بهذه الحالة و^٩ عليهم مسجد و قريب منهم^{١٠} بناء
١٥ روى يسمى الرقيم ، [و هو - ٧] في فلاة من الأرض ، و بأعلى حضرة غرناطة
ما يلي القبة آثار مدينة قديمة يقال لها مدينة دقيوس ، و نقل أبو حيان

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : مهتز (٢) زيد من ظ و مد (٣) في البحر
المحيط ١٠١/٦ و ١٠٢ (٤) زيدت الواو بعده في الأصل ، و لم تكن في ظ و مد
لحذفها (٥) زيد من البحر (٦) من ظ و مد و البحر ، وفي الأصل : سوى .
(٧) زيد من ظ و مد و البحر (٨) من مد و البحر ، وفي الأصل و ظ : متماسكا .
(٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و مد و البحر ، وفي الأصل : منه .

عن أبيه أنه ' حين كان ' بالآندلس كان الناس يزورون هذا الكهف
و يذكرون أنهم يغلطون^٢ في عدتهم^٣ إذا عدوهم و أن معهم كلبا . قال :
و أما ما ذكرت^٤ من مدينة دقيوس التي بقلي^٥ غرناطة ، فقد مررت
عليها مرارا لا تحصى ، قال : و يرجح كون^٦ أصحاب الكهف
بالآندلس - انتهى ملخصا . قلت : و فيه نظر ، و الذي يرجح المشهور ه
ما نقل البغوى^٧ [وغيره - ^٨] عن سعيد بن جببر عن ابن عباس
رضى الله عنهما قال : غزونا مع معاوية ببحر الروم^٩ ففررنا بالكهف
[الذي فيه أصحاب الكهف - ^{١٠}] فان معاوية لم يصل إلى بلاد الآندلس
- و الله أعلم .

ولما صغر أمرهم بالنسبة إلى جليل آياته و عظيم بيناته و غريب
مصنوعاته ، لخص قصتهم التي عدوها عجبا و تركوا الاستبصار على
وحدانية الواحد القهار بما هو العجب العجيب . و النبأ الغريب ، فقال
تعالى : ﴿ اذ اوى ﴾ أى كانوا على هذه الصفة حين أووا ، ولكنه
أبرز الضمير لبيان أنهم شأن ليسوا بكثيرى العدد فليست [لهم - ^{١١}]
أسنان استفادوا بها من التجارب و التعلم ما اهدوا إليه من الدين و الدنيا ، ١٥

(١-١) من مد ، و في الأصل و ظ : كان حين (٢) من مد و البحر ، و في الأصل
و ظ : يغلطوا (٣) من البحر ، و في الأصل و مد : عددهم ، و في ظ : عدهم .
(٤) من البحر ، و في النسخ : ذكر (٥) من ظ و مد و البحر ، و في الأصل :
بمدينة (٦) من البحر ، و في النسخ : ان (٧) في معالم التنزيل - راجع هامش
الباب ١٦٧/٤ (٨) زيد من ظ و مد (٩) زيد في الأصل : قال ، ولم تكن الزيادة
في ظ و مد و المعالم لحذفها (١٠) زيد من ظ و مد و المعالم .

ولا كثرة حفظوا بها ممن يؤذيهـم أبقاظا ورقودا فقال تعالى :
 ﴿ الفتية ﴾ وهم أصحاب الكهف المسئول عنهم ، والشبان أقبل للحق
 وأهدى للسيل من الشيوخ ﴿ الى الكهف ﴾ المقارب لقريتهم
 'المشهور ببلدتهم' فرارا بدينهم كما أويت^١ أنت والصديق إلى غار ثور
 ه فرارا بدينكما^٢ ﴿ فقالوا ﴾ عقب^٣ استقرارهم فيه : ﴿ ربنا اتنا ﴾ ولما
 كانت الموجودات - كما مضى عن الحرائى فى آل عمران - على ثلاث
 رتب : حكيات جارية على قوانين العادات ، وعنديات خارقة للطردات ،
 ولنديات مستغرقة^٤ فى الامور الخارقات ، طلبوا أعلاها فقالوا :
 ﴿ من لدنك ﴾ أى من^٥ مستبطن الامور التى عندك ومستغربها
 ١٠ / ٣٥٤ ﴿ رحمة ﴾ أى إكراما تكرمنا به كما يفعل / الراحم بالمرحوم^٦
 ﴿ وهين لنا ﴾ أى جميعا لا تخيب منا أحدا^٧ ﴿ من امرنا رشدا ﴾
 'أى وجهنا ترشدنا فيه إلى الخلاص فى الدارين' ، لاجرم صارت قصتهم
 على حسب ما أجابهم ربهم 'بديعة الشأن' فردة فى الزمان ، يتحدث
 بها فى سائر البلدان ، فى كل حين وأوان .
 ١٥ ولما أجابهم سبحانه ، عبر عن ذلك بقوله تعالى : ﴿ فضربنا ﴾ أى
 عقب هذا القول وبسيه ﴿ على أذانهم ﴾ أى سدودناها وأمسكناها عن

(١ - ١) سقط ما بين الرفين من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل ومد : تاوى .
 (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : بدينك (٤) فى الأصل يياض ملأناه من ظ
 ومد (٥) من مد ، وفى الأصل وظ : مستعربة (٦) سقط من مد (٧-٧) من
 ظ ومد ، وفى الأصل : يدفعه الناقى .

السمع ، وكان أصله ؛ ضربنا عليها حجبا بنوم ثقيل 'لا تزعج منه الأصوات ، لأن من كان مستيقظا أو نائما نوما خفيفا وسمعه صحيح سمع الأصوات ' (في الكهف) أى المعهود ' .

أو لما كانت مدة لبثهم نكرة بما كان لأهل ذلك الزمان من الشرك ، عبر بما يدل على النكرة فقال تعالى : (سنين) : ' ولما كان ربما ظن ه أنه ' ذكر السنين للبالغة لأجل بعد هذا النوم عن ' العادة ، حقق الأمر بأن قال مبدلا منها معرfa لأن ' المراد بجمع القلة هنا الكثرة : (عددا) ' أى ' متكاثرة ؛ قال الزجاج ' كل ' شئ ' مما ' يعد إذا ذكر فيه العدد ووصف أريد كثرته لأنه إذا قل فهم مقدار عدده بدون التقدير فلم يحتاج إلى أن يعد . (ثم بعثنهم) أى ' نهناهم من ' ذلك النوم ١٠ (لنعلم) علما مشاهدا ' لغيرنا كما كنا نعلم غيبا ' ما جهله من يسأل فيقول : (أى الحزين) هم أو من عثر عليهم من أهل زمانهم (احصى) ' أى حسب وضبط ' (لما) ' أى لأجل [' علم - '] ما

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « هنا الكثرة » ساقطة من ظ (٣) فى مد : ان (٤) فى مد : على (٥) سقط من ظ (٦) العبارة من هنا إلى « إلى أن يعد » ساقطة من ظ (٧) وذكر قوله أيضا فى الكشف ١/٦٤ ه مختصرا . (٨-٨) من مد . وفى الأصل : منها (٩) من ظ ومد ، وفى الأصل : بعد . (١٠) من مد ، وفى الأصل وظ : [شاعدا (١١)] العبارة من هنا إلى « علم ما » ساقطة من ظ (١٢) زيد من مد .

﴿البشوا امداع﴾ أى وقع إحصاءه لمدة^١ لبثهم [فانهم هم أحصوا لبثهم-^٢]
 فقالوا: لبثنا يوما أو بعض يوم، ثم تبرأوا من [علم-^٣] ذلك [و ردوه
 إلى عالمه و أهل البلد، أحصوا ذلك بضرب النقد الذى وجد معهم
 أو غير ذلك -^٤] من القرائن التى دلتهم عليه، و لكنهم و إن صادق
 قولهم ما فى نفس الأمر أو^٥ قريبا منه فعلى سبيل الظن و التقريب،
 لا القطع و التحديد، بقوله تعالى ” قل الله اعلم بما لبثوا “^٦ فاذا علم
 - مجهول كل من الحزبين بأمرهم - [أن -^٧] الله هو المختص بعلم ذلك،
 علم أنه المحيط بصفات الكمال، و أنه لم يتخذ ولدا، و لا له شريك فى
 الملك، و أنه أكبر من كل ما يقع فى الوهم.

١٠. و لما كان الكلام على اختلاف وقع فى مدتهم، و^٨ كان الحزبان
 معاهم و من خالفهم متقاربين فى الجهل باحصائه على سبيل القطع،
 و كان اليهود^٩ الذين أمروا قريشا بالسؤال عن أمرهم تشكيكا فى
 الدين لا يعلمون أمرهم على الحقيقة، نه على ذلك بقوله - جوابا لمن
 كأنه قال: أيهما أحصاه؟ - ﴿ نحن ﴾ أو يقال: [و -^{١٠}] لما أخبر الله^{١١}
 ١٥ سبحانه عن مسألة قريش الثانية. و هى قصة أهل الكهف، مجملا لها
 بعض الإجمال بعد إجمال الجواب عن المسألة الأولى، و هى الروح،

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: مدة (٢) زيد من ظ و مد (٣) من مد، وفى
 الأصل و ظ « و » (٤) العبارة من هنا إلى « فى مدتهم » ساقطة من ظ.
 (٥) زيد من مد (٦) زيد فى ظ: لما (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل ولم
 تكن فى ظ و مد فحذفناها (٨) سقط من ظ و مد.

كان السامع جديرا بأن تستشرف نفسه إلى بيان أكثر من ذلك فيضيق^١
صدره خشية الاقتصار على ما وقع من ذلك من الأخبار ، فقال جوابا
لمن كأنه قال : أسأل الإيضاح^٢ وبيان الحق من خلاف الحزين^٣ :
نحن ﴿ نقص ﴾^٤ أى نخبر إخبارا تابعا لآثارهم قدما قدما^٥ ﴿ عليك ﴾
على وجه التفصيل ﴿ بنام بالحق ﴾^٦ أى خبرهم العظيم^٧ [وليس أحد غيرنا
يقصه إلا -^٨] قصا ملتبسا يياطل : زيادة أو نقص ، فكأنه قيل : ما
كان نأهم ؟ فقال تعالى : ﴿ انهم قتيه ﴾ أى شبان ﴿ امنوا برهم ﴾^٩
المحسن إليهم الناظر في مصالحهم الذى تفرد بخلقهم ورزقهم ، وهدهم
بما وهب لهم فى أصل الفطرة من العقول الجيدة النافعة^{١٠} .

ولما^١ دل على الإحسان باسم الرب ، وكان فى فعله معهم من ١٠
باهر القدرة ما لا يخفى ، التفت إلى مقام العظمة فقال تعالى عاطفا على
ما تقديره : فاهدوا / بإيمانهم^٢ : ﴿ وزدناهم ﴾ بعد أن آمنوا ﴿ هدى قية ﴾
بما قذفنا فى قلوبهم من المعارف ، وشرحنا لهم صدورهم من المواهب
التي حملتهم على ارتكاب المعاطب ، والزهد فى الدنيا والانتقطاع إليه
﴿ وربطنا ﴾^٣ بما لنا من العظمة^٤ ﴿ على قلوبهم ﴾^٥ أى قويتها^٦ ، ١٥
فصار ما فيها من القوى مجتمعا غير مبدد ، فكانت حالهم فى الجلوة كحالهم

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : فيشق (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ .

(٣) زيد من ظ و مد (٤) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد

لخذفناها (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : السامعة (٦) زيد فى الأصل : كان ،

ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لخذفناها .

في الخلوة ﴿ اذ قاموا ﴾ 'الله تعالى حق القيام' في ذلك [الجليل - ٢]
 الكافرين بين يدي طاعتهم دقيانوس ﴿ فقالوا ﴾ مخالفين لهم : ﴿ ربنا ﴾ الذي
 يستحق أن تفرده بالعبادة لتفرده بتدبيرنا ، هو ﴿ رب السموت والارض ﴾
 أى 'موجدهما و' مديبرهما ﴿ لن ندعوا من دونه الها ﴾ بعد أن ثبت
 ه عجز كل من سواه ، والله ا ﴿ لقد قلنا اذا ﴾ [أى - ٢] إذا دعونا
 من دونه غيره ﴿ شططاه ﴾ أى قولاً ذا بعد مفرط^٢ عن الحق جداً ؛
 ثم شرعوا يستدلون على كونه شططاً بأنه لا دليل عليه ، ويجوز أن
 يكونوا لما قالوا ذلك عرض لهم الشيطان بشبهة التقليد فقالوا مجيبين
 عنها : ﴿ آهولاء ﴾ 'و أن يكونوا' قالوا ذلك للملك إنقاذاً له من شرك
 ١٠ الجهل ، وبين المشار إليهم بقولهم : ﴿ قومنا ﴾ أى^٣ وإن كانوا أسن
 منا 'وأقوى' وأجل في 'الدنيا' ﴿ اتخذوا ﴾ 'أى مخالفين مع منهاج
 العقل داعى الفطرة الاولى' ﴿ من دونه الهة ﴾ 'أشركوهم [معه - ٢]'
 لشبهة وإهية استغواهم بها الشيطان : ثم استأنفوا على طريق التخصيص
 ما ينه على أنهم من حين عبادتهم^٤ إلى الآن لم يأتوا على ذلك بدليل ،
 ١٥ فقالوا 'منبهين على فساد التقليد فى أصول الدين وأنه لا مقنع فيه بدون
 القطع' : ﴿ لولا ﴾ أى هلا ﴿ ياتون ﴾ الآن .

- (١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ .
 (٤) من مد ، وفي الأصل وظ : حسدا (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : عن .
 (٦) العبارة من هنا إلى « إليهم بقولهم » ساقطة من ظ (٧) زيد فى مد : لما .
 (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : من (٩) زيدت الواو فى ظ .

' و لما كانوا بعبادتهم لهم قد أحلوا محل العلماء ، قال تعالى :
 ﴿ عليهم ﴾ ' أى على عبادتهم إياهم ، و حققوا ما أرادوا من الاستعلاء
 بقولهم : ﴿ بسطن ﴾ أى دليل قاهر ' ﴿ بين ' ﴾ مثل ما نأتى نحن
 على تفرد معبودنا بالادلة الظاهرة ، و البراهين الباهرة ، فان مثل هذا الامر
 لا يقنع [فيه - ٢] بدون ذلك ، و قد جمعنا الادلة كلها فى ' الاستدلال ه
 على تفرد الله باستحقاقه للعبادة بأنه ' تفرد بخلق الوجود ، فسبب عن
 عجزهم عن دليل أنهم أظلم الظالمين لاقتعالهم الكذب عن ملك الملوك
 و مالك الملك ، فلذلك قالوا : ﴿ فمن اظلم عن اقترى ﴾ أى تعد
 ﴿ على الله ﴾ ' أى الملك الاعظم ' ﴿ كذبا ' ﴾ ' فالآية دالة على فساد
 التقليد فى الوجدانية ' .

١٠

و لما استدلوا على معتقدهم ، و علوا سفه من خالفهم ، و هم قوم
 لا يدان لهم بمقاومتهم ، لكثرتهم و قلتهم ' ، تسبب عن ذلك هجرتهم
 ليسلم لهم دينهم ، ' فقال تعالى شارحا لما بقى من أمرهم ، عاطفا على ما
 تقدیره : ' و قالوا ' أو من شاء الله منهم ' حين خلصوا من قومهم نجيا :
 لا ترجعوا إلى قومكم أبدا ما داموا على ما هم عليه ، هذا إن كان المراد ١٥
 قيامهم [بين يدي دقيانوس ، و إن كان المراد من القيام - ٩] الانبعاث
 بالعزم الصادق لم يحتج إلى هذا التقدير : ﴿ واذ ﴾ ' أى حين ' ﴿ اعزلتهم ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و مد .

(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لانه .

(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لقلتهم (٧-٧) فى ظ : فقالوا (٨) العبارة من

هنا إلى « إلى هذا التقدير » ساقطة من ظ (٩) زيد من مد .

أى قومكم ﴿ وما ﴾ أى واعتزلتم ما ﴿ يعبدون الا الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال^١، وهذا دليل على أنهم^٢ كانوا يشركون، و يجوز أن يكونوا سموا الانقياد كرها لمشيتته والخضوع بزعمهم لاقضيته عبادة ﴿ فاوآ ﴾ أى بسبب هذا الاعتزال^٣، وهذا دليل^٤ العامل فى "اذ"^٥ ﴿ الى الكهف ﴾ أى الغار الذى فى الجبل ﴿ ينشر ﴾^٦ أى يحيى ويعث^٧ ﴿ لكم ربكم ﴾^٨ الذى لم يزل يحسن إليكم ﴿ من رحمته ﴾ ما يكفيكم به المهم من أمركم ﴿ ويهيب لكم من أمركم ﴾^٩ الذى / من شأنه أن يهيمكم ﴿ مرقباً ﴾^{١٠} ترتفقون به^{١١}، وهو بكسر الميم وفتح الفاء فى قراءة الجماعة، و بفتحها وكسر الفاء للنافع و ابن عامر^{١٢}، وهذا الجزم من آثار الربط على قلوبهم بما علموا من قدرته على كل شيء، وحايته من لاذبه ولجأ إليه و عبده و توكل عليه، ففعلوا ذلك ففعل^{١٣} الله ما رجوه^{١٤} فيه، فجعل لهم أحسن مرفق بأن أنامهم ثم أقامهم بعد [مضى -^{١٥}] قرون و مرور دهور^{١٦}، و هدى بهم ذلك^{١٧} الجبل الذى أقامهم فيه ﴿ وترى ﴾ لو رأيت كهفهم ﴿ الشمس اذا طلعت ﴾ .

/ ٣٥٦

١٥ و لما كان حالهم خفياً، وكذا حال انتقال الشمس عند من لم يراقبه،

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) فى ظ : انما (٣) فى ظ : هو (٤) من ظ ومد، وفى الأصل : اذا (٥) زيد فى الأصل : اى، و لم تكن الزيادة فى ظ ومد لحذفناها (٦) سقط من مد (٧) من ظ ومد، وفى الأصل : بفعل (٨) من ظ ومد، وفى الأصل : رجوا (٩) زيد من ظ ومد (١٠) زيد فى الأصل : دهم، و لم تكن الزيادة فى ظ ومد لحذفناها (١١) سقط من ظ .

أدغم تاء التفاعل نافع و ابن كثير و أبو عمرو ، و أسقطها عاصم و حمزة
و الكسائي ، فقال تعالى : ﴿ تزور ﴾ أى تمايل ^٢ و تتحرف ، و لعل
قراءة ابن عامر و يعقوب تزور بوزن تحمر ناظرة إلى الحال عند ^٣ نهاية
الميل ﴿ عن كهفهم ﴾ ^٤ بتقلص شاعها ^٥ بارتفاعها ^٦ إلى أن تزول
﴿ ذات اليمين ﴾ إذا كنت ^٧ مستقبلا القبلة و أنت متوجه إليه ^٨ أو مستقبلا
الشمس ^٩ فيصيبهم ^{١٠} من حرها ما يمنع عنهم التعفن و يمنع سقف الكهف
شدة الحرارة المفسدة ^{١١} في بقية النهار ﴿ و اذا غرت ﴾ ^{١٢} أى أخذت في الميل
إلى الغروب ﴿ تقرضهم ﴾ أى تعدل في مسيرها عنهم ﴿ ذات الشمال ﴾
كذلك ^{١٣} ، لئلا يضرهم ^{١٤} شدة الحرارة ، و يصيبهم من منافعها ^{١٥} مثل ما
كان عند الطلوع ، فلا يزال كهفهم رطبا ، و يأتيه من الهواء الطيب ^{١٦}
و اللصيم الملائم ما يصونهم عن التعفن و الفساد . فتنحرر بذلك ^{١٧} أن
باب الغار مقابل لبنات نعش ، و أن الجبل الذى هم فيه شمالى مكة المشرقة ،
^{١٨} و يجوز أن يكون المراد يمين من يخرج من الكهف و شماله ، فلا يلزم
ذلك ، [و - ^{١٩}] قال الأصمهانى : قيل : إن [باب - ^{٢٠}] ذلك كان مفتوحا

(١) العبارة من « و لما كان » إلى هنا ساقطة من ظ (٢) العبارة من هنا إلى
« نهاية الميل » ساقطة من ظ (٣) من مد ، و فى الأصل : عنه (٤-٥) من ظ ،
و فى الأصل و مد : تقلص بشاعها (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) من ظ
و مد ، و فى الأصل : كانت (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فتصيبهم (٨) من
ظ و مد ، و فى الأصل : المفيدة (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : لذلك (١٠) فى
ظ : لئلا تضرهم (١١) فى ظ و مد : نافعها (١٢) فى مد : ذلك (١٣) العبارة من
هنا إلى « على شأله » ساقطة من ظ (١٤) زيد من مد .

إلى جانب الشمال إذا طلعت الشمس عن يمين الكهف ، وإذا غربت كانت على شماله .

ومادة 'قرض' - وليس لها إلا هذا التركيب - تدور على القطع ، ويلزمه 'الميل عن الشيء و العدول و الازورار عنه ، قرضت الشيء - بالفتح - أقرضه - بالكسر : قطعته بالمقراض أو بغيره - لأنك إذا وصلت إليه ' فقد حاذيته ' فإذا قطعته تجاوزته فأنحرفت عنه ، و القرض : قول الشعر خاصة - لأنه لا شيء من الكلام يشبهه فهو مقطوع منه مائل عنه ' بما خص به من الميزان ، 'و هل مررت بمكان كذا ؟ فتقول : قرضته ذات اليمين ليلا ، أى كان عن يميني ، و القرض : ما تعطيه من المال . لتقصّاه - لأنك قطعته من مالك ، و القرض - بالكسر : لغة فيه عن الكسائي ، و القرض : ما سلفت من إحسان أو إساءة - على ' التشبيه ، و التقريض : المدح و الذم - لأنه يميز الكلام فيه تمييزا ظاهرا ، و هما يتقارضان كذا - كأن كلا منهما مقرض لصاحبه و موف له على ما أقرضه ، و المقارضة : المضاربة - لأن صاحب المال قطع من ماله ، و العامل ١٥ قطع من عمله حصة لهذا المال ، و ' قرض فلان الرباط - إذا مات ، (١) من ظ و مد ، و في الأصل : يلزم (٢-٢) من ظ و مد ، و في الأصل : فقاد حاديته (٣) سقط من ظ (٤) و قبله في التاج : قال الجوهري : و يقول الرجل لصاحبه (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : عن (٦) في ظ : المتكلم (٧) من مد ، و في الأصل و ظ : أقرضه (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : قصة (٩) زيد في الأصل : قد ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها .

لأنه إذا انقطعت حياته انقطع كل رباط له في الدنيا، وجاء فلان
وقد قرض رباطه - إذا جاء مجهودا قد أشرف على الموت - كأنه أطلق
عليه ذلك للمقاربة ، و المقارضة : المشائمة - ' لقطعها القرض ' وما بين
المشتامين^٢ ، و الاقتراض : الاغتيال - من ذلك ومن القرض أيضا ،
لأن من اغتاب اغتیب ، و قرض - بالكسر - إذا زال من شيء إلى ه
شيء - لأنه بوصل الثاني / قطع الأول ، و قرض - إذا مات ، و المقارض :
الزرع القليل - إما للإزالة على الضد من الكثير ، أو تشبيه بمواضع
الاستقاء^٣ في البئر القليلة الماء ، فان المقارض [أيضا - '] المواضع التي
يحتاج المستقى إلى أن يقرض منها الماء ، أي يبيع ، أي يدخل الدلو في
البئر فيملأها لقلة الماء - لأنها مواضع قطع الماء برفعه^٤ عن البئر ، ١٠
و المقارض أيضا : الجرار الكبار - كأنها لكبرها وقطعها كثيرا من
الماء هي التي قطعت دون الصغار ، وما عليه قراض ، أي ما يقرض عنه
العيون فيستره^٥ لتعدل عنه العيون - لعدم نفوذها إلى جلده ، و القرض
في السير^٦ هو أن تعدل عن الشيء في مسيرك ، فإذا عدلت عنه فقد^٧
قرضته ، و المصدر القرض و أصله من القطع ، و ابن مقرض - كمنبر : ١٥
عوية تقتل الحمام - كأنها سميت لقطعها حياة الحمام ، و قرض البعير جرفته :
(١-١) من ظ و مد ، و في الأصل : لتقطعها القرض (٢) من ظ و مد ، و في
الأصل : المشتامين (٣) في مد : الاستقاء (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ
و مد ، و في الأصل : برفنها (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : فيسره (٧) زيدت
انواو في الأصل ، و لم تكن في ظ و مد فحذفناها (٨) في مد : عند.

مضغها فهي^١ قريض - لتقطيعها بالمضغ و لقطعها من^٢ بطنه بردها إلى
حنكه للمضغ^٣ .

ولما بين تعالى أنه حفظهم من حر الشمس ، بين أنه أنعشهم بروح
المواء ، وألطفهم بسعة الموضع في فضاء الغار فقال : ﴿ وهم في فجوة منه^٤ ﴾
هـ أى فى وسط الكهف ومتسع . ولما شرح هذا الامر الغريب ، والنبأ
العجيب ، وصل به نتيجة فقال تعالى : ﴿ ذلك ﴾ أى المذكور العظيم
من هدايتهم ، وما دبروا لأنفسهم ، وما دبر لهم من هذا الغار المستقل^٥
للنسيم الطيب المصون عن كل مؤذ ، وما حقق به رجاءهم مما^٦ لا يقدر
عليه سواه ﴿ من أينت الله^٧ ﴾ أى الملك الأعلى المحيط بكل شئ . علما
١٠ . وقدرته^٨ ، وإن كان إذا قيس إلى هذا القرآن القيم^٩ وغيره مما خصت
به هذه الامة كان يسيرا .

ولما كان انفرادهم بالهدى عن أهل ذلك القرن كلهم عجا ، وصل
به ما إذا تؤمل زال عجه فقال تعالى : ﴿ من يهد^{١٠} ﴾ ولو أبسر هداية -
بما دل عليه حذف الياء فى الرسم^{١١} ﴿ الله^{١٢} ﴾ [أى الذى له الأمر كله^{١٣}
١٥ بخلق الهداية فى قلبه للنظر فى آياته التى لا تعد والانتفاع بها ﴿ فهو ﴾

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : فهو (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : بمن .

(٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : بالمضغ (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل :

المستقل (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : من (٦-٦) سقط ما بين الرقین من

ظ (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : العظيم (٨) فى الأصل فقط : يهدى (٩) وقع

فى الأصل وظ بعد « من يهد » والترتيب من مد ،

خاصة (المهتدج) في أى زمان كان ، فلن تجد له مضلا مغويا
 (ومن يضل) ' إضللا ظاهريا بما دل عليه الإظهار - ٢] بأعمائه عن
 طريق الهدى ، فهو لا غيره الضال (فلن تجد له) أصلا من دونه ،
 لأجل أن الله الذى له الأمر كله ولا أمر لأحد معه أضله (وليا مرشداً)
 فتجده يرى الآيات بعينه ، ويسمعا بأذنه . ويحسها بجميع حواسه ،
 ولا يعلم أنها آيات فضلا عن أن يتدبرها ويتفحص بها ، فالآية من
 الاحتباك : ذكر الاهتداء أولا دليلا على حذف الضلال ثانيا ، والمرشد
 ثانيا دليلا على حذف المضل أولا .

ولما نبه سبحانه هذا التنبيه تسلياً للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم
 وتثبيتاً أن يخضع نفسه ، عطف على ما مضى بقية أمرهم [فقال - ٢] : ١٠
 (وتحسبهم ايقاظاً) لافتتاح أعينهم للهواء ليكون أيقظ لها ، ولكثرة
 حركاتهم (وهم رقودى) وقلبيهم (بعظمتنا ٢ في حال نومهم تقلباً كثيراً
 بحسب ما ينفعهم كما يكون النائم (ذات) ٣ أى في الجهة التى هى
 صاحبة (اليمين) منهم (وذات الشمال ٤) لينال روح النسيم جميع
 أبدانهم ولا يتأثر ما يلى الأرض منها بطول المكث (وكلهم باسط) ١٥
 ٤ وأعمل اسم الفاعل هذا ، لأنه ليس بمعنى الماضى بل هو حكاية حال
 ماضية فقال : (ذراعيه بالوصيد ٥) أى يباب الكهف ٥ وفائه ٥
 كما هى عادة الكلاب ، وذكر هذا الكلب على [طول - ٣] الآباد

(١) العبارة من هنا إلى « طريق الهدى » - ساقطة من ظ (٢) زيد من ظ و مد .

(٣) سقط من ظ (٤ - ٥) سقط ما بين الرقنين من ظ .

بجمليل هذا الرقاد^١ من بركة صحبة الأجماد^٢.

/ ٣٥١

ولما / كان هذا مشوقاً^٣ إلى رؤيتهم ، وصل به ما يكف عنه بقوله تعالى : ﴿ لو اطلعت عليهم ﴾ وهم على تلك الحال ﴿ لو ليت منهم فرارا ﴾ أى ' حال وقوع بصرك عليهم ﴾ و ملئت ' فى أقل وقت بأيسر أمر^٤ ﴿ منهم رعباء ﴾ لما ألبسهم الله من الهية ، وجعل لهم من الجلالة ، تدبيراً منه لما أراد منهم ﴿ وكذلك ﴾ [أى - '] ' فعلنا بهم^٥ هذا من آياتنا ' من النوم وغيره ' ، ومثل ما فعلناه بهم ﴿ بعثنهم ﴾ ' بما لنا من العظمة ' ﴿ ليتساءلوا ﴾ ' وأظهر بالافتعال إشارة إلى أنه فى غاية الظهور . ولما كان المراد تساؤلاً عن أخبار لا تعدوهم قال ١٠ تعالى : ﴿ بينهم ﴾ أى ' عن أحوالهم فى نومهم ويقظتهم ' فيزدادوا إيماناً ، وثباتاً وإيقاناً ، بما ينكشف لهم من الأمور العجيبة ، والأحوال الغريبة ' فيعلم^٦ أنه لا علم لأحد غيرنا ، ولا قدرة لأحد سوانا ، وأن قدرتنا تامة ، وعلمنا شامل ، فليعلم ذلك من أنكر قدرتنا على البعث وسأل اليهود البعداء البغضاء عن نبيه ' الحبيب الذى أنامهم بالآيات ، ١٥ وأراهم اليئات ، فان كانوا يستنحسون اليهود فليستلوم عما قصصنا^٧ (١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : الاخبار (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : مشوة (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ و مد (٦) العبارة من هنا إلى « ومثل ما » متكررة فى الأصل فقط (٧) زيد فى العبارة المتكررة من الأصل : من (٨) من ظ ، وفى الأصل و مد : ويعلم (٩) زيد فى ظ : العرب - كذا (١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل : قصصناهم .

من هذه القصة ، فان اعترفوا [به - ١] لزمهم جميعا^٢ الإيمان و الرجوع
عن النفي و العدوان ، وإن لم يؤمنوا علم قطعا أنه لا يؤمن إلا من أردنا
هدايته بالآيات البينات كأهل الكهف و غيرهم ، لا بانزال الآيات
المقترحات .

ولما كان المقام مقتضيا لأن يقال : ما كان تساؤلهم ؟ أجيب بقوله ه
تعالى : ﴿ قال قائل منهم ﴾^٢ مستفهما من إخوانه^٢ : ﴿ كم لبثتم ﴾^٣
فأثمين^٢ في هذا الكهف^٢ من ليلة أو يوم ، وهذا يدل على أن هذا
القائل استشعر طول لبثهم بما رأى من هيئتهم أو لغير ذلك من الإشارات ؛
ثم وصل [به في - ١] ذلك الأسلوب أيضا بقوله تعالى : ﴿ قالوا لبثنا يوما ﴾^٤
و دل على أن هذا الجواب مبني على الظن بقوله دالا حيث أقرم عليه ١٠
سبحانه على جواز الاجتهاد و القول بالظن المخطئ ، وأنه لا يسمى كذبا
وإن كان مخالفا للواقع^٢ ﴿ او بعض يوم ﴾^٣ كما تظنون أتم عند قيامكم
من القبور إن لبثتم إلا قليلا ، لأنه لا فرق بين صديق و زنديق في
الجهل بما غيبه الله تعالى ، فكأنه قيل : على أي شيء استقر أمرهم في
ذلك ؟ فأجيب بأنهم ردوا الأمر إلى الله بقوله^٤ : ﴿ قالوا ﴾ أي قال ١٥
بعضهم^٢ إنكارا على أنفسهم^٢ و وافق الباقون بما عندهم [من - ١]
التحاب في الله و التوافق [فيه - ١] فهم في الحقيقة إخوان الصفا^٥

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : بذلك (٣-٢) سقط
ما بين الرقيين من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « من الإشارات » ساقطة من ظ .
(٥) سقط من مد (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : تعالى (٧) من ظ و مد ،
وفي الأصل : الضعفاء .

وخلان الآلفة والوفا (ربكم) المحسن إليكم (اعلم) 'أى من
كل أحد' (بما لبثتم فابعثوا) 'أى فتسبب عن إسناد العلم إلى الله تعالى
أن يقال : اتركوا الخوض' فى هذا واشتغلوا بما ينفعكم بأن تبعثوا
(احدكم بورقكم) 'أى فضتكم' (هذه) 'التي جمعتموها لمثل هذا'
٥ (الى المدينة) 'التي خرجتم منها وهى طرسوس' 'ليأتينا بطعام فانا
جياع' (فليظروا بها) 'أى أى أهلها' (ازكى) 'أى أطهر' وأطيب'
(طعاما فلياتكم) 'ذلك الأحاد' (برزق منه) 'لأكل' (وليتلطف)
فى التخنى بأمره حتى لا يتفطنوا له (ولا يشعرن) 'أى' هذا
المبعوث منكم فى هذا الأمر (بكم احداه) 'أن فطنوا [له - °]
١٠ قبضوا عليه ، وإن المعنى : لا يقولن ولا يفعلن ما يؤدى من غير قصد
منه إلى الشعور بكم فيكون قد أشعر بما كان منه من السبب ، وفى قصتهم
دليل على أن حمل المسافر ما يصلحه من المنفعة رأى المتوكلين لا المتأكلين
المتكئين على الإنفاقات على ما فى أوعية' القوم من النفقات ، وفيها صحة
الوكالة؛ ومادة 'ورق' بجميع تراكيها الخمسة عشر / قد تقدم فى سورة
١٥ سبحان وغيرها أنها [تدور - ^] على الجمع ، فالورق مثله وككتف

/ ٢٥٩

(١-٢) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : الخواض.
(٣) وكان اسمها يوم خرجوا منها أفسوس - كما فى روح المعانى ٢٦/٥ (٤) سقط
من ظ (٥) زيد من ظ (٦) العبارة من هنا إلى « صحة الوكالة » ساقطة من
ظ (٧) من مد ، وفى الأصل : اوطية (٨) زيد من ظ ومد (٩) العبارة من
هذا إلى « أول الجمع » ساقطة من مد .

و جبل : الدرامم المضروبة - تشبيها بالورق في الشكل و في الجمال ،
و بها جمع حال الإنسان ، 'و حالها مقتضى للجمع' ، و الوراق : الكثير
الدرامم و هو أيضا موزق الكتب ، و حرفته الوراقة ، و ما زلت منك
موارقا ، أى قريبا مدانيا - أى كالذى يساجلك في قطاف الورق من
شجرة واحدة فهو يأخذ من ناحية و أنت من أخرى ، و المدانة : أول الجمع ه
و الورق - محركة : جمال الدنيا و بهجتها - لأنها تجمع ألوانا و أنواعا ،
و لعل منه الورقة ، قال [فى - ٢] مختصر العين : إنها سواد فى غبرة .
و حامة ورقاء - أى منه ، و فى القاموس : و الأورق من الإبل : ما فى
لونه يياض إلى سواد ، و رأى رجل الغول على جبل أورق فقال : جاء ٢
بأم الريق على أريق ، [أى - ٤] بالداهية العظيمة ، صغر الأورق ١٠
كسويد فى أسود ، و الأصل وريق فقلت واه همزة ، و الأورق أيضا :
الرماد و عام 'لا مطر' فيه ، و اللبن ثلثاه ماء - كل ذلك جامع للونين
فأكثر ، و الورق 'محركة أيضا' من الكتاب و الشجر ٧ معروف - لأنك
لا [تكاد - ٢] تجد واحدة منه على لون واحد ، و لأنه يجمع الواحدة
منه إلى الأخرى و يجمع معنى [ما - ٨] يحمله ، قال فى مختصر العين : ١٥
و الورق : آدم [رقاق - ٢] منه ورق المصحف ، و الورق أيضا : الخط -
(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى القاموس :
جاءنا (٤) زيد من ظ و مد و القاموس (ه - ه) من ظ و مد و القاموس ،
و فى الأصل : امطر (٦-٦) فى ظ : أيضا محركة (٧) زيد بعده فى الأصل : أيضا ،
و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) زيد من مد .

لأنه لما كانت الإبل تعلقه كان كأنه هو الورق لا غيره ، و الورق :
الحى من كل حيوان - لأن الحياة هى الجمال ، وبها جماع الأمور ، ولأن
الورق دليل على حياة الحى من الشجر ، فهو من إطلاق اسم الدال
على المدلول ، و الورق أيضا : ما استدار من الدم على الأرض ، أو ما
سقط من الجراحة - لأن الاستدارة أجمع الأشكال ، وهو تشبيه
بورق الشجر فى الشكل ، و الورق : المال من إبل و دراهم وغيرها -
لأن جماع حياة الإنسان و كمالها بذلك كما أن كمال حياة الشجر بالورق ،
ولرعى المال من الحيوان الورق ، و الورق : حسن القوم و جاهلهم -
من ذلك ، لأنه يجمع أمرهم و يجمع إليهم غيرهم ، و الورق [من
١٠ القوم - ٤] : * أحداثهم أو الضعاف * من القتبان - تشبيه بالورق لأنه
لا يقيم [غالبا - ٦] أكثر من عام ، ولأنه ضعيف فى نفسه ، و ضعيف
النفع بالنسبة إلى الثمر ، و الورقة - بهاء : الخسيس ، و الكريم ، ضد -
للنظر تارة إلى كونه نافعا ، و لرعى و دالا على الحياة ، و إلى كونه
غير مقصود بالذات أخرى ، و " رجل ورق و امرأة ورقة : خسيان
١٥ أى لا تمر لهما ، و من ذلك أورق الصائد - إذا رمى فأخطأ أى لم يقع

- (١) من ظ و مد ، وفى الأصل : ورق (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : اجم .
(٣) من ظ و مد ، وفى الأصل « و » (٤) زيد من ظ و مد و القاموس .
(٥-٥) من ظ و مد و القاموس ، وفى الأصل : احوالهم و الورق (٦) زيد من
ظ و مد (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : الشجر (٨) من ظ و مد و القاموس ،
وفى الأصل : الخسيس (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : النظير (١٠) تكرر فى
الأصل فقط (١١) فى مد : او .

على غير الورق، أى لم تحصل له ثمرة، بل وقع على شجرة غير مثمرة،
وكذا أورد القوم: 'أخفقوا في حاجتهم، أى رجعوا بلا ثمرة، ومن
ذلك أيضا أوردوا: كثر^٢ ما لهم و دراهمهم - ضد، هذا بالنظر إلى أن في
الورق جمال الشجر وحياته، و التجارة مؤودة للمال كمجلبة أى مكثرة؛
و منه قول القزاز في ديوانه: هذا رجل مؤرق له دراهم^٤، و المؤرق: الذى ه
لا شيء له - ضد، أو أنه تارة يكون للإيجاب و الصيرورة نحو أعْدَ البعير،
و تارة للسلب نحو أشكيت^٥، و الوراق - ككتاب: وقت خروج [الورق -^٦
من الشجر، و شجرة وريقة و ورقة^٧: كثيرة الورق، و الوراق^٨: الشجرة الخضراء
الورق الحسنة^٩، و الوراق - كسحاب: خضرة الأرض من الحشيش،
وليس من الورق في شيء، و ذلك أن تلك الخضرة لا تخلو^{١٠} عن لون
آخر، و الرقة - كعدة: أول نبات النصى و الصليان و هما نباتان أفضل
مراعى الإبل، لأنها سبب لجمع المال للرعى، و الرقة: الأرض / التى
يصيبها المطر فى الصفرية^{١١} - أى^{١٢} أول الخريف - أو فى القيط فتبت

٣٦٠ /

(١) زيد فى الأصل: أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ
و مد، و فى الأصل: لا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: كثرت (٤) من ظ
و مد، و فى الأصل: بدراهم (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: شكيت (٦) زيد
من ظ و مد (٧) من ظ و مد و القاموس، و فى الأصل: و رقيه (٨) من ظ
و مد و القاموس، و فى الأصل: الوراق (٩-٩) من ظ و مد و القاموس،
و فى الأصل: الوراق الحسنة - كذا (١٠) زيد فى مد: لايها سبب بجمع المال
للرعى و الرقة الأرض عن لون آخر - كذا (١١) من ظ و مد و القاموس،
و فى الأصل: الصفرية (١٢) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ
و مد فحذفناها.

فكون خضراء - كأن ذلك النبات يكون أقل خضرة من نبات الربيع ،
 ويكون اختلاطه لغيره من الألوان أكثر مما في الربيع ، وفي القوس
 ورقة - بالفتح : عيب ، 'و الورقاء' : الذئبة^١ - من أجل أن الورق الخالي
 عن الثمر تقل الرغبة في شجره وهو دون الثمر ، ولأن الورق محتلط
 ه اللون ، والاختلاط في كل شيء عيب بالنسبة إلى الخالص ، وتورقت
 الناقة : أكلت الورق . وقار الرجل يقور : مشى على أطراف قدميه
 ثلاثا يسمع صوتها - لأن فاعل ذلك جدير بالوصول إلى ما أراد مما
 يجمع شمله ، ومنه قار^٢ الصيد : ختله^٣ - لأن أهل الخداع أولى بالظفر ،
 ألا ترى الأسود تصاد به^٤ ، ولو غولبت عز أخذها ، وقار الشيء : قطعه
 ١٠ من وسطه خرقا مستديرا كقوره - لأن الثوب يصير بذلك الخرق
 يجمع [ما يراد -^٥] منه ، والاستدارة أجمع الأشكال كما سلف ،
 والقوارة - كثامة : ما قور من الثوب وغيره ، أو ينخص^٦ بالآديم ،
 وما قطعت من جوانب الشيء ، والشيء الذي قطع^٧ من جوانبه -
 ضد ، وهو من تسميه [موضع -^٨] الشيء باسمه ، والقارة : الجبل^٩
 ١٥ الصغير الصلب المنقطع عن الجبال - لشدة اجتماع أجزائه بالصلابة

(١-١) من ظ ومد والقاموس ، وفي الأصل : الورقة الدينية (٢-٢) من
 ظ ومد والقاموس ، وفي الأصل : المصيد خلته (٣) سقط من ظ (٤) زيد
 من ظ ومد (٥) من ظ ومد ، وفي الأصل : جم (٦) من ظ ومد والقاموس ،
 وفي الأصل : تحصى (٧) من ظ ومد والقاموس ، وفي الأصل : قطعت .
 (٨) في القاموس : الجبل .

واجتماعه في نفسه بانقطاعه عن غيره مما لو خالطه لفرقه ، ولم يعرف حده على ما هو ، والقارة^١ : الصخرة العظيمة ، والارض ذات الحجارة السود - لاجتماعها في نفسها بتمييزها عن غيرها [بتلك الحجارة -^٢] ، ودار قوراء : واسعة - تشيها بقوارة الثواب ، ولأنها كلما^٣ اتسعت كانت أجمع ، والقار : الإبل أو القطيع الضخم منها ، والاقورار : تشنج الجلد^٥ وانحناء الصلب هزالا وكبرا - لأن كلا من التشنج والانحناء اجتماع ، والاقورار^٥ : الضمر - لأن الضامر اجتمعت أجزاؤه ، والاقورار : السمن - ضد ، لأن السمين جمع اللحم والشحم ، والاقورار : ذهاب نبات الأرض - لأنها تصير بذلك قوراء فتصير^٦ أجدر بأن تسع الجوع ، ويمكن أن يكون الاقورار كله من السلب إلا ما للسمن ، والقور : ١٠ القطن الحديث أو ما زرع من عامه - [لأنه -^٢] يلبس فيجمع^٧ البدن ، ولقيت منه الاقورين - بكسر الراء ، والاقوريات أى الدواهي القاطمة - تشيها بما قور من الثوب ، فهي^٨ للسلب ، والقور - محركة : العين^٩ - لأن محلها يشبه القوارة ، والمقور^{١٠} - كعظم : المطلق بالقطران - لاجتماع أجزائه بذلك ، واقتار : احتاج ، أى صار أهلا لأن يجمع ، ١٥

(١) زيد في ظ : هو (٢) زيد من ظ و مد (٣) تكرر في مد (٤) من ظ و مد والقاموس ، وفي الأصل « و » (٥) في مد : الاقوار (٦) من مد ، وفي الأصل و ظ : فيصير (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : فيجتمع (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : فهو (٩) في مد : الفنى ، وفي القاموس : العور (١٠) من ظ و مد والقاموس ، وفي الأصل : للقورة .

و تقور الليل^١: تهور، أى مضى، من القطع، و تقورت الحية: تثنت
أى تجمعت، و القار: شجر مر - كأنه الذى تطلّى به السفن، و هذا أثير
من هذا: أشد مرارة^٢ - لأن المرارة تجمع اللهوات عند الذوق، و القارة
قيلة - لأن^٣ ابن السداخ^٤ أراد أن يفرقهم^٥ فقال شاعرهم:

دعونا قارة لا تدعرونا^٦ فنجفل مثل لجفال الظليم
فسموا القارة بهذا^٧ و كانوا رماة، و فى المثل: قد أنصف القارة
من راماهما .

و الرقوة: فوق الدعص^٨ من الرمل، و يقال رقو، بلاهاء - كأنه
لجمعه^٩ الكثير من الرمل، أو لجمعه من يطلب الإشراف على الأماكن
البعيدة بالعلو عليه لترويح النفس - والله الموفق .

و لما نهوا رسولهم عن الإشعار بهم عللوا ذلك فقالوا: (أنهم)
أى أهل المدينة (ان يظهروا)^{١٠} أى يطلعوا عالين^{١١} (عليكم يرجوكم)
أى يقتلوكم^{١٢} أخبث قتلة^{١٣} إن استمسكتم بدينكم (أو يعيدوكم) قهرا^{١٤}

(١) زيد فى الأصل: أى، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد و القاموس فخذناها .
(٢) زبدت الواو فى ظ و مد (٣-٢) من مد و تاج العروس، و فى الأصل
وظ: من السداخ (٤) فى بنى كنانة و قریش - كما صرح فى التاج، و فى الأصل:
يقرهم، والتصحيح من ظ و مد و التاج (٥) من التاج، و فى النسخ: لا تجفلونا،
و فى اللسان و المستقصى ١٨٩/٢، لا تنفرونا (٦) تكرر فى مد (٧-٧) من مد
و القاموس، و فى الأصل: فريق الدعص، و فى ظ: فريق الدعص (٨) من
مد، و فى الأصل وظ: يجمعه (٩-٩) سقط ما بين الرقين من ظ (١٠-١٠) من
مد، و فى الأصل: خبث قتله، و ما بين الرقين ساقط من ظ (١١) سقط
من ظ .

(في ملتهم) إن كنتم لهم (ولن تفلحوا إذا) أى إذا عدتم فيها 'مطمئين بها ، لأنكم وإن / أكرهتم ربما استدرجكم الشيطان بذلك إلى الإجابة حقيقة ' / ٣٦١ ؛
 (ابداه) [أى - ٢] فبعثوا أحدهم فنظر الأذى و تطف في الأمر ، فاسترابوا منه لأنهم أنكروا ورقة لكونها من ضرب ملك لا يعرفونه فجهدوا^٢
 به فلم يشعر بهم أحدهم من المخالفين ، وإنما أشعر بهم الملك لما رآه موافقا ه لهم في الدين لأنه لم يقع النهى عنه (وكذلك) أى فعلنا^٣ بهم ذلك الأمر العظيم من الربط على قلوبهم ، والستر لأخبارهم والحماية من الظالمين والحفظ لأجسامهم^٤ على مر الزمان ، وتعاقب الحداث ، ومثل ما فعلنا بهم ذلك (اعثرنا) أى أظهرنا 'إظهارا اضطراريا ' ، أهل البلد^٥ وأطلعناهم ، وأصله أن الغافل عن الشيء ينظر إليه إذا عثر به نظر ١٠ إليه فيعرفه^٦ ، فكان العثار سببا لعله به فأطلق اسم السبب على المسبب (عليهم ليعلموا) أى أهل البلد بعد أن كان حصل لبعضهم شك في حشر [الأجساد - ٢] لأن اعتقاد اليهود والنصارى أن البعث إنما هو للروح فقط^٧ (إن وعد الله) الذى له صفات الكمال بالبعث للروح والجسد معا^٨
 (١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) من مد ، وفى الأصل : بفعلوا (٤) فى ظ : ولم ؛ والعبارة فيه من « فاسترابوا » إلى ما قبل هذه الكلمة ساقطة (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : احد (٦) من مد ، وفى الأصل و ظ : به (٧) زيد بعده فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها . (٨) وقد طرأ الانطباس على نسخة مد من هنا إلى ما سنبه عليه (٩) العبارة من هنا إلى « المسبب » ساقطة من ظ (١٠) والعبارة يتورها بعض النصوص .

(حق) لأن قيامهم بعد نومهم نيفا وثلاثمائة سنة مع خرق العادة بحفظ أبدانهم عن الفناء من غير أكل ولا شرب مثل قيام من مات بحسبه الذي كان سواء على أن مطلق النوم دال على ذلك كما قال بعض العارفين : عليك باليقظة بعد النوم علم بالبعث بعد الموت ، و البرزخ واحد ه غير أن للروح^١ بالجسم في النوم تعلقا لا يكون بالموت ، وتستيقظ على ما نمت عليه كذلك تبعث على ما مت عليه .

ولما كان من الحق ما قد بداخله شك قال تعالى : (وان) أى وليعلموا أن (الساعة لا ريب فيها)^٢ مبينا أنها ليست موضع شك^٣ أصلا لما قام عليها من أدلة العقل ، المؤيد في كل عصر بقواطع النقل ، ١٠ و من طالع تفسير " الزيتون " من كتابي هذا حصل له هذا ذوقا^٤ : ثم بين أن هذا الإعتار أتاها بعلم نافع حال تجاذب و تنازع فقال : (اذ) أى ليعلموا ذلك ،^٥ و أعثرنا حين^٦ (يتنازعون) أى أهل المدينة .

ولما كان التنازع في الغالب إنما يكون بين الأجانب ، وكان تنازع هؤلاء مقصورا عليهم كان الأهم بيان محله فقدمه فقال تعالى : ١٥ (بينهم امرهم) أى أمر أنفسهم في الحشر فقائل يقول : تحشر الأرواح مجردة ، و قائل يقول : بأجسادها ، أو أمر الفتية فقائل يقول : ناس^٧ صالحون ، و^٨ ناس يقولون^٩ : لا ندري من أمرهم غير أن الله تعالى

(١) من ظ ، وفي الأصل : الروح (٢) في ظ : ريب (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤-٤) في ظ : اذ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، وفي الأصل : الناس (٧-٧) من ظ ، وفي الأصل : قائل يقول .

أراد هدايتنا^١ بهم ﴿ فقالوا ﴾ أى قسب عن هذا الإثثار أو التنازع
 أن قال أكثرهم : ﴿ ابنوا عليهم ﴾ على كل حال ﴿ بينانا^٢ ﴾ يحفظهم ،
 و تركوا التنازع فيهم ؛ ثم عللوا ذلك بقولهم : ﴿ ربهم ﴾^٣ أى المحسن
 إليهم بهدايتهم وحفظهم وهداية الناس بهم^٤ ﴿ اعلم بهم^٥ ﴾ أن كانوا
 صالحين أو لا ، و أما أتم فلا طريق لكم إلى علم ذلك ؛ ثم استأنف على
 طريق الجواب لمن كأنه قال : ما ذا فعلوا ؟ فقال : ﴿ قال الذين غلبوا على^٦ ﴾
^٢ أى وقع أن كانوا غالبين على^٧ ﴿ امرهم ﴾ أى ظهوروا [عليه -^٨]
 و عللوا أنهم ناس صالحون^٩ فروا بدينهم من الكفار^{١٠} و ضعت من
 بنازعه^{١١} و يجوز - وهو أحسن - أن يكون الضمير لأهل البلد
 أو للغالبين أنفسهم ، إشارة إلى أن الرؤساء منهم و أهل القوة كانوا
 أصلحهم [إيماء -^{١٢}] إلى أن الله تعالى أصلح بهم [أهل -^{١٣}] ذلك^{١٤}
 الزمان ﴿ لتخذن عليهم ﴾ ذلك البيان الذى / اتفقنا عليه ﴿ مسجداه ﴾
 و هذا دليل على أنهم حين ظهوروا عليهم و كلوهم أماتهم الله بعد أن
 عللوا أن لهم مدة طويلة لا يعيش مثلها أحد فى ذلك الزمان ، و قبل
 أن يستقصوا جميع أمرهم ، و فى قصتهم ترغيب فى الهجرة . ١٥

ولما ذكر تعالى تنازع أولئك الذين هدام [الله -^{١٤}] بهم ،
 ذكر^{١٥} ما يأتى من^{١٦} إفاضة من علم قريشا أن تسأل النبى صلى الله عليه و على
 آله و سلم منهم فى^{١٧} الفضول الذى ليس لهم إليه سبيل ، و لا يظفرون

(١) من ظ ، و فى الأصل : هذا تثبتا (٢ - ٣) سقط ما بين الرقيين من ظ .
 (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : صالحين (٥) من ظ ، و فى الأصل :
 بذلك (٦) من ظ ، و فى الأصل : « و » .

فيه [بدليل -^١] 'علما من أعلام النبوة' فقال تعالى: ﴿سيقولون﴾^٢ أى أهل الكتاب ومن وافقهم فى الخوض فى ذلك بعد اعترافهم بما قصص عليك من نبأهم^٣ بوعده لا خلف فيه^٤: هم ﴿ثلاثة﴾ أشخاص ﴿رابعهم كلبهم﴾^٥ ولا علم لهم بذلك^٦، ولذلك أعراه عن الوار فدل إسقاطها على أنهم ليسوا بثلاثة وليس الكلب رابعا^٧ ﴿ويقولون﴾ أى وسيقولون أيضا: ﴿خمس سادسهم كلبهم﴾.

ولما تغير قولهم حسن جدا قوله تعالى: ﴿رجما بالغيب﴾^٨ أى رميا بالامر الغائب عنهم الذى لا اطلاع لهم عليه بوجه ﴿ويقولون﴾ أيضا دليلا على أنه لا علم لهم بذلك: ﴿سبعة وثمانهم كلبهم﴾^٩ وتأخير ١٠ هذا عن الرجم - وإن كان ظنا^{١١} - مشعر بأنه حق^{١٢}، ويؤيده^{١٣} هذه الواو التى تدخل^{١٤} على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل الواو حالا عن المعرفة فى نحو "الاولها كتب معلوم" فان فائدتها^{١٥} تأكيد لصوق الصفة بالموصوف، والدلالة على أن اتصاف الموصوف بالصفة أمر ثابت مستقر، فدلّت هذه الواو على أن أهل هذا القول ١٥ قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس، ولم يرجعوا^{١٦} بالظن، وفى براءة،

(١) زيد من ظ (٢-٢) - سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) العبارة من هنا إلى « فى ذلك » ساقطة من ظ ، ومن هنا استأنفت نسخة مد (٤) سقط من ظ .
(٥) من ظ ، وفى الأصل ومد : الغالب (٦) فى ظ : منه (٧) العبارة من هنا إلى « مجردا عنها » ساقطة من ظ (٨-٨) فى مد : هذا الواو الذى يدخل .
(٩) سورة ١٥ آية ٤ (١٠) من مد ، وفى الأصل : فائدة (١١) من مد ، وفى الأصل : لم يرجعوا .

- كلام نفيس عن^١ اتباع الوصف تارة بواو وتارة مجردا عنها . فلما ظهر كالشمس أنه لا علم لهم^٢ بذلك كان كأنه قيل^٣: ما ذا يقال لهم ؟ فقيل :
- (قل ربّ) أي المحسن إلىّ باعلاى بأمرهم وغيره^٤ (اعلم بعدتهم) [أي -] التي لا زيادة فيها ولا نقص، فكان كأنه قيل : قد فهم من صيغة 'اعلم' أن^٥ من الخلق من يعلم أمرهم فقليل : (ما يعلمهم الا قليل) .
- أي^٦ من الخلق^٧ وهو مؤيد لأنهم أصحاب القول الغالب، وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما، وكان يقول : أنا من ذلك القليل^٨ . (فلا) أي فقتسب عن ذلك أن يقول لك على سبيل البت الداخلة تحت النهى عن قفو ما ليس لك به علم : لا (تمار) أي تجادل وتراجع^٩ (فيهم) أحدا ممن يتكلم بغير ما أخبرتك به (الا مرآة ظاهرا) أدلته ، وهو ١٠ ما أوجبت إليك به^{١١} ولا تفعل فعلهم من الرجم بالغيب (ولا تستفت) أي تسأل سؤال مستفيد^{١٢} (فيهم) أي أهل الكهف (منهم) أي من الذين يدعون العلم من بنى إسرائيل أو غيرهم (احدا) .
- ولما كان نهيه عن استفتائهم موجبا لقصر همته على ربه سبحانه فكان من المعلوم أنه إذا سئل عن شيء ، الفتت نفسه إلى^{١٣} تعرفه من ١٥ قبله ، فربما قال لما يعلم^{١٤} من إحاطة علم الله سبحانه وكرمه لديه : سأخبركم به [غدا -] ، كما وقع من هذه القصص ، عليه الله ما يقول في كل أمر
- (١) في مد : على (٢) سقط من ظ (٣) زيد في الأصل : لهم ، ولم تكن الزيادة في ظ ومد لخذفناها (٤ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) زيد من مد .
- (٦) من ظ ومد ، وفي الأصل : ان (٧) من ظ ومد ، وفي الأصل : لا يعلم .
- (٨) زيد من ظ ومد .

مستقبل يعزم عليه بقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُنَّ لَنَآئِي﴾ أى لأجل شيء^١ من الأشياء^٢ التى يعزم عليها^٣ جليلها وحقيرها ، عزمت على فعله : عزما صادقا من غير تردد وإن كنت عند نفسك فى غاية القدرة عليه :

﴿أَنِي فَاعِلٌ ذَلِكَ﴾ أى الشيء^٤ 'وإن كان / مهما' ﴿غدا لا﴾ أى فيما يستقبل / ٣٦٣

هـ 'فى حال من الأحوال' ﴿الآ﴾ قولا كائنا معه ﴿ان يشاء﴾ 'فى المستقبل ذلك الشيء' ﴿الله﴾ أى مقرونا بمشيئة^٥ الملك الأعلى الذى لا أمر لاحد معه^٦ سبحانه تعظيما لله أن يقطع شيء دونه و' اعترافا بأنه لاحول ولا قوة إلا به ، 'ولأنه إن قيل ذلك دون استثناء فأت قبل الفعل أو عاقبه عنه عائق كان كذبا منفرا عن القائل .

١٠. ولما كان النسيان من شأن الإنسان وهو غير مؤاخذ به قال تعالى :

﴿وَإِذْ كَرِهَ﴾ أى المحسن إليك برفع المؤاخذة حال النسيان ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ الاستثناء بالاستعانة والتوكل عليه و تفويض الأمر كله إليه بأن تقول : إن شاء الله ، ونحوها فى أى وقت تذكرت ؛ وأخرج الطبرانى فى معجمه

الأوسط فى ترجمة محمد بن الحارث الجبلى - بضم الجيم وفتح الموحدة - عن

١٥ ابن عباس رضى الله عنهما أن هذا خاص برسول الله صلى الله عليه و على آله وسلم وليس^٧ لاحد منا^٨ أن يستثنى إلا بصلة اليمين . ثم عطف

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : بمشيئته .

(٤) من مد ، وفى الأصل وظ : او (هـ) العبارة من هنا الى د عن القائل : ساقطة

من ظ (٦) من مد ، وفى الأصل : عاق (٧-٧) من ظ و مد ، وفى الأصل :

لأحد ، وفى روح المعانى ٤/ ٤١ حيث ذكر هذه الرواية : لأحدنا .

على ما أفهمه الكلام و هو : فقل إذا نسيت : إني فاعل [ذلك - ١]
 غدا إن شاء الله - ونحو ذلك من التعليق بالمشيئة المؤذن بأنه لاجول ولا قوة
 إلا بالله ولا مشيئة لاحد معه [قوله - ٢] : ﴿ وقل عسى أن يهدين ربى ﴾
 أى المحسن إلى ﴿ لا قرب ﴾ أى إلى أشد قربا ﴿ من هذا ﴾ أى
 الذى عزمت على فعله و نسيت الاستثناء فيه فقضاء الله و لم يؤاخذنى ، أو ه
 فانتنى أو تعسر على لكونى لم أقرن العزم عليه بذكر الله ﴿ رشدا ﴾ أى
 من جهة الرشد بأن يوفقنى للاستثناء فيه عند العزم عليه مع كونه أجود
 أثرا و أجل عنصرا فأكون كل يوم فى ترق بالافعال الصالحة فى معارج
 القدس ، و ' اقرب ' أفعل تفضيل من قرب - بضم الراء - من الشيء ، لازم ،
 لا من المكسور الراء المتعدى نحو ' و لا تقربوا الزنى ' ، " و لا تقربوا ١٠
 مال اليتيم " - الآية ، و الأقرب من رشد الاستدلال بقصة أهل الكهف
 التى الحديث عنها على صحة نبوة النبي صلى الله عليه و على آله و سلم ، و نحو
 ذلك الاستدلال على وحدانية الصانع و قدرته على البعث و غيره بالأمور
 الكلية أو الجزئيات القرية المتكررة ، لا بهذا الأمر الجزئى النادر المتعب
 و نحو هذا من المعارف الإلهية .

١٥

- (١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد ،
 و فى الأصل « و » (٥) زيد فى مد : مع كونه أجود أثرا و أجل عنصرا .
 (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاستثناء (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل :
 القدير (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بحرف (٩) سورة ١٧ آية ٣٢ .
 (١٠) سورة ٦ آية ١٥٢ (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالامر .

ولما فرغ من هذه الترية في أثناء القصة و ختمها بالترجية في الهداية
 للآرشد، وكان علم مدة لبثهم أدق و أخفى من علم عددهم، شرع في
 إكمالها مبينا لهذا الاخفى، عاطفا على قوله " قالوا ربكم اعلم بما لبثتم "
 أو على " فآووا إليه، الذي أرشد إلى تقديره ' قولهم " فآووا الى الكهف "
 ٥ كما مضى، المحتوم بنشر الرحمة و تهيئة المرفق بعد قوله تعالى " اذ اوى الفتية "
 المحتوم بقولهم " وهبى لنا من امرنا رشدا " فقال يانا لإجمال " سنين
 عددا " محققا لقوله تعالى " قل الله اعلم بما لبثوا "٢: ﴿ ولبثوا في كهفهم ﴾
 نياما ﴿ ثلث ﴾ [أى - ٢] مدة ثلاث ﴿ مائة سنين ﴾ شمسية بحساب
 اليهود الأمرين بهذا السؤال، و عبر بلفظ السنة إشارة إلى ذمها بما وقع
 ١٠ فيها من علو أهل الكفر، و طغيانهم بما أوجب خوف الصديقين
 و هجرتهم و إن كان وقع فيها خصب في النبات و سعة في الرزق، و ذلك
 يدل على استغراق الكفر لمدة نومهم ٣.

ولما كان المباشرون للسؤال هم العرب قال: ﴿ وازدادوا تسعا ﴾
 [أى - ٢] من السنين القمرية ٢ إذا حسب الكل بحساب القمر، لأن
 ١٥ تفاوت ما بين السنة الشمسية و القمرية عشرة أيام و إحدى
 و عشرون ساعة و خمسا / ساعة كما تقدم في النسخ من برآة ٣، فاذا
 ٣٦٤ / حسبت زياده السنى القمرية على الثلاثمائة الشمسية ٦ باعتبار نقص أيامها

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: تقريره (٢-٣) سقط ما بين الرقين من ظ.
 (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: الكهف (٥) راجع
 نظم الدرر ٨ / ٤٦١ (٦-٦) من ظ و مد، وفى الأصل: السنين الثلاثمائة
 الشمسية على القمرية.

عنها كانت تسع سنين ، و كان ^١ مدة لبثهم كانت عند اليهود أقل من ذلك أو أكثر ، فقال على طريق الجواب لسؤال ^٢ من يقول : فان قال أحد غير هذا فما يقال له ؟ : ﴿ قل الله ﴾ ^٣ أى الذى له الإحاطة الكاملة ^٤ ﴿ اعلم ﴾ منكم ﴿ بما لبثوا ﴾ ثم علل ذلك بقوله تعالى : ﴿ له ﴾ أى وحده ﴿ غيب السموات و الارض ﴾ يعلمه كله على ما هو عليه ، ه ولا ينسى شيئا من الماضى ولا يعزب عنه شيء من الحاضر ، ولا يعجز عن شيء من الآتى ، فلا ريب فيما يخبر به .

ولما كان السمع و البصر مناطى العلم ، و كان متصفا منهما بما لا يعلمه حق عليه غيره ، عجب [من ذلك - ^٥] بقوله تعالى : ﴿ ابصر به و اسمع ﴾ ولما كان القائم [بشيء - ^٦] قد يقوم غيره مقامه ^٧ إما بقهر أو شرك ، ١٠ نفى ذلك فانسد باب العلم ^٨ عن غيره إلا من جهة ^٩ فقال تعالى : ﴿ ما لهم ﴾ أى لهؤلاء السائلين و لا المسؤولين الراجين بالغيب فى أصحاب الكهف ﴿ من دونه ﴾ ^{١٠} و أعرق بقوله تعالى : ﴿ من ولى ﴾ يحيرهم منه أو يخبرهم بغير ما أخبر به ﴿ ولا يشرك ﴾ أى الله ﴿ فى حكمة احداه ﴾ فيفعل شيئا بغير أمره أو يخبر بشيء من غير طريقه . ١٥ ولما تقرر أنه لا شك فى قوله : ولا يقدر أحد أن يأتى ^{١١} بما

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : كانت (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : السؤال (٣-٢) سقط ما بين الرقین من ظ (٤) زيد من ظ و مد (ه) من ظ و مد ، وفى الأصل : مقاومة (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : القلم (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : جهة (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : يقدر .

بماثله فكيف بما ينافيه مع كونه مختصاً بتمام العلم وشمول القدرة، حين تعقيقه بقوله عطفاً على "قل الله اعلم": ﴿وازل﴾ 'أى اقرأ على وجه الملازمة' ﴿ما أوحى إليك﴾ 'وبنى الفعل للجهول لأن الخطاب مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو على القطع بأن الموحى إليه هو الله سبحانه وتعالى' ﴿من كتاب ربك﴾ الذى أحسن تربيتك في قصة أهل الكهف وغيرها، على من رغب فيه غير ملتفت إلى غيره واتبعوا ما فيه واثقين بوعده ووعيده وإثباته وحقه 'وعلى غيرهم'.

ولما كان الحامل على الكف عن إبلاغ رسالة المرسل^٢ وجدان من ينقصها أو عصى على المرسل، قال تعالى: ﴿لا مبدل لكلماته﴾ ١٠. فلا شك في وقوعها فلا عذر في التقصير في إبلاغها، 'والنسخ ليس بتبديل بهذا المعنى بل هو غاية لما كان' ﴿ولن تجد﴾ 'أى بوجه من الوجوه' ﴿من دونه﴾ 'أى أدنى منزلة من رتبته الشاء إلى آخر المنازل' ﴿ملتجداً﴾ 'أى ملجأ' و'متحيزاً' تميل إليه فيمنعك منه إن قصرت في ذلك.

١٥ ولما كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم شديد الحرص على إيمانهم كثير^٣ الأسف على توليهم عنه بكاد يبخل نفسه حسرة عليهم وكانوا يقولون [له - ٤] إذا رأوا مثل هذا الحق الذى لا يجدون له مدفعا:

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: الرسل .
(٣) تكررت في الأصل فقط (٤) زيد من ظ ومد .

لو طردت هؤلاء الفقراء و أبعدهم عنك مثل عمار و صهيب و بلال فإنه^١
يؤذينا ربح جباههم و نأف^٢ من محاسنهم جلسنا إليك و سمعنا منك
و رجونا أن تتبعك ، قال يرغبه في أتباعه مزهدا فيمن عداهم كائنا من
كان ، معلما أنه ليس فيهم ملجأ لمن خالف أمر الله و أنهم لا يريدون
إلا تبديل كلمات الله فيضلهم عن قريب و لا يجدون لهم ملتحدا : هـ
﴿ و اصبر نفسك ﴾ أى احبسها و ثبتها^٣ في تلاوته و تعيين معانيه
﴿ مع الذين يدعون ربهم ﴾ شكرا لإحسانه ، و اعترافا بامتثاله ، و كنى عن
المداومة [بما -^٤] يدل على البعث الذى كانت قصة أهل الكهف دليلا
[عليه -^٥] فقال تعالى : ﴿ بالندوة ﴾^٦ أى [التى -^٧] الانتقال فيها من
النوم إلى اليقظة كالانتقال من الموت إلى الحياة ﴿ والعشى ﴾^٨ أى ١٠
[التى -^٩] الانتقال فيها من اليقظة إلى [النوم كالانتقال من الحياة إلى -^{١٠}]
الموت ؛ ثم مدحهم بقوله تعالى معللا لدعائهم^{١١} : ﴿ يريدون ﴾ أى بذلك
﴿ وجهه ﴾ لا غير ذلك من رجاء ثواب أو خوف عقاب^{١٢} و إن كانوا^{١٣} فى
غاية الرثانة ؛ و أكد ذلك بالنهى عن ضده فقال مؤكدا للمعنى لقصر الفعل
و تضمينه فعلا آخر^{١٤} : ﴿ ولا تعد عينك ﴾^{١٥} علوا و نبوا و تجاوزا^{١٦}

٣٦٥ /

(١) تكرر فى مد (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : تائق (٣) سقط من ظ .
(٤) زيد من مد (٥) العبارة من « و كنى عن » إلى هنا ساقطة من ظ (٦) العبارة
من هنا إلى « الحياة » ساقطة من ظ (٧) العبارة من هنا إلى « الموت » ساقطة من
ظ (٨ - ٨) سقط ما بين الرقيين من ظ (٩) العبارة من هنا إلى « غاية الرثانة »
ساقطة من ظ (١٠) من مد ، وفى الأصل : كان .

(عنهم ج) ' إلى غيرهم ، أى لا تعرض عنهم ' ، حال كونك
 (تريد زينة الحياة الدنيا ج) التى قدمنا فى هذه السورة أنا زينا
 بها ' الأرض لنبلوهم بذلك ، فانهم و إن كانوا اليوم عند^٢ هؤلاء مؤخرين
 ' فهم عند ' الملك الأعلى مقدمون ' ، و ليكون عن قريب - إذا بعثنا
 ه من نريد من تعباد بالحياة من برزخ الجهل - فى ' الطبقة العليا من أهل
 العز ، و أما بعد البعث الحقيقى فلتكون لهم مواكب يهاب الدنو منها كما
 كان لأهل الكهف بعد بعثهم من هذه الرقدة بعد أن كانوا فى
 حياتهم قبلها هاربين مستخفين فى غاية الخوف و الدل ، ' و أما إن عدت
 العيان أحدا لما غفل عنه من الذكر ، و أحل به من الشكر ، فليس ذلك
 ١٠ من النهى فى شيء لأنه لم يرد [به - '] إلا الآخرة .

و لما بالغ فى أمره صلى الله عليه و على آله وسلم بمجالسة المسلمين^٩ ،
 نهاه عن الالتفات إلى الغافلين ، و^{١٠} أكد الإعراض عن الناكبين فقال
 تعالى : ﴿ و لا تطع من اغفلنا ﴾ بعظمتنا^{١١} ﴿ قلبه ﴾ أى جعلناه غافلا ،
 ' لأن ' الفعل فيه لنا لا له ' ﴿ عن ذكرنا ﴾ بتلك الزينة .

- (١ - ١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : بهما .
 (٣) من مد ، وفى الأصل وظ : عنه (٤ - ٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : فعند .
 (٥) فى ظ : مقدمين (٦) فى مد « و » (٧) العبارة من هنا إلى « إلى الغافلين »
 ساقطة من ظ (٨) زيد من مد (٩) من مد ، وفى الأصل : المجالسين .
 (١٠) فى ظ : ثم (١١) سقط من ظ .

أو لما كان التقدير: ففضل، لأن عظمتنا لا يغلبها شيء فلا يكون
إلا ما زبد، عطف على فعل المطاوعة قوله تعالى^١: ﴿واتبع هونيه﴾
بالميل إلى ما استدرجنه به منها^٢ و الأنفة من مجالسة أوليائنا الذين أكرمناهم
بالحمية منها لأن ذكر الله مطلع الأنوار، فإذا أفلت^٣ الأنوار تراكت
الظلمة فجاء الهوى فأقبل على الخلق^٤ ﴿وكان امره فرطاً﴾ أي متجاوزاً
للحد مسرفاً فيه مقدماً على الحق، فيكون الحق منبوذاً به [وراء-°] الظهر
مفرطاً فيه بالتقصير^٥ فان ربك سبحانه سينجي [أتباعك-°] على
ضعفهم منهم كما أنجي أصحاب الكهف، ويزيدك بأن يعليهم عليهم ويدفع
الجبابة في أيديهم^٦ لأنهم مقبلون على الله معرضون عما سواه، وغيرهم
مقبل على غيره معرض عنه^٧.

١٠

ولما رغبه^٨ في أوليائه، وزهده في أعدائه، ترصية بقدره^٩ بعد
[أن-°] قص الحق من قصة أهل الكهف للتعنتين، عليه ما يقول
لهم^{١٠} على وجه يعمهم و يعم غيرهم و يعم القصص و غيرها فقال^{١١} تعالى
مهدداً و متوعداً - كما نقل عن علي رضي الله عنه وكذا عن غيره^{١٢} :

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: بها (٣) من
مد، وفي الأصل: قلت (٤) العبارة من «والأنفة» إلى هنا ساقطة من ظ (٥) زيد
من ظ و مد (٦) زيد قبله في مد: عما لا يحق له (٧) في ظ و مد: يديهم .
(٨) من ظ و مد، وفي الأصل: رغب (٩) من ظ و مد، وفي الأصل:
في قدره (١٠) زيد من مد (١١) من مد، وفي الأصل و ظ: قال (١٢) زيد
في ظ: فقال .

(وقل) أى لهم^١ ولغيرهم: هذا الذى جئتكم به من هذا الوحي العربى
 العرى عن العوج، الظاهر الإعجاز، الباهر^٢ الحجج (الحق) كائننا^٣
 (من ربكم) المحسن [إليكم -^٤] فى أمر أهل الكهف [وغيرهم -^٥]
 من صبر نفسى مع المؤمنين، والإعراض عن سواهم وغير ذلك، لا
 ه ما قتلتموه فى أمرهم، ويجوز أن يكون الحق مبتدأ^٦ (فمن شاء) أى^٧
 منكم ومن غيركم^٨ (فليؤمن) بهذا الذى قصصناه فيهم وفى غيرهم^٩،
 فهو مقبول مرغوب فيه وإن كان فقيرا زرى^{١٠} الهية^{١١} ولم ينفع إلا نفسه^{١٢}
 (ومن شاء) منكم^{١٣} ومن غيركم^{١٤} (فليكفر) فهو أهل لأن^{١٥} يعرض
 عنه ولا يلتفت إليه وإن كان أغنى الناس وأحسنهم هية، وإن تعاضمت
 ١٠ هيته لما اشتد من أذاه، وأفرط من ظله، وسنشى قلوب المؤمنين
 فى الدارين^{١٦} بالانتقام منه^{١٧}، والآية^{١٨} دالة على أن كلا من الكفر والإيمان
 موقوف على المشيئة بخلق^{١٩} الله تعالى، لأن الفعل الاختيارى يمتنع حصوله
 بدون القصد إليه وذلك القصد إن كان بقصد آخر يتقدمه / لزم أن

/ ٣٦٦

- (١) زيد فى ظ: هذا كله، والعبارة من هنا إلى «الباهر الحجج» ساقطة منه .
 (٢) من مد، وفى الأصل: الباهرة (٣) زيد فى الأصل: أى، ولم تكن الزيادة
 فى ظ ومد فخذفناها (٤) زيد من ظ ومد (٥) زيد من مد (٦) العبارة من «فى
 أمر» إلى هنا ساقطة من ظ (٧-٧) فى ظ: منهم (٨-٨) سقط ما بين الرقين من
 ظ (٩) من ظ ومد، وفى الأصل: زوى (١٠) من ظ، وفى الأصل: إن لا،
 وفى مد: لا - كذا (١١) العبارة من هنا إلى «التهديد تفصيلا» ساقطة من ظ .
 (١٢) من مد، وفى الأصل: لانه (١٣) من مد، وفى الأصل: خلق .

يكون كل قصد مسبوقا بقصد آخر إلى غير النهاية وهو محال ، فوجب أن تنتهى [تلك - ^١] القصود إلى قصد يخلق الله في العبد على سبيل الضرورة يجب به الفعل ^٢ ، فالإنسان مضطر في صورة مختار ، فلا دليل للعزلة في هذه الآية .

و لما هدد السامعين بما حاصله : ليختر كل امرئ لنفسه ما يحده غدا ه عند الله تعالى ، اتبع هذا التهديد - تفصيلا لما أعد للفريقين من الوعد [والوعيد - ^٢] لفا ونشرا مشوشا - بما يليق بهذا الأسلوب المشير إلى أنه لا كفوء له من نون العظمة فقال تعالى : ﴿ انا اعتدنا ﴾ ^١ أى هيأنا بما لنا من العظمة تهية قريبة جدا ، وأحضرننا على وجه ضخم شديد تام التقدير ^٢ ﴿ للظلمين ﴾ أى لمن لم يؤمن ، ولكنه وصف إشارة إلى تعليق الحكم به ١٠ ﴿ فارا ﴾ ^٣ جعلناها معدة لهم ^٤ ﴿ احاط بهم ﴾ كلهم ^٥ ﴿ سرادقها ﴾ ^٦ أى حائطها الذى يدار حولها كما يدار الحظير حول الخيمة ^٧ من جميع الجوانب ^٨ .

و لما كان المحرور شديد الطلب للاء قال تعالى : ﴿ وان يستغيثوا ﴾ من حر النار فيطلبوا الغيث - وهو ماء المطر - والغوث باحضاره ^١ لهم ؛ ١٥ و شاكل استغاثتهم تهكما بهم فقال تعالى : ﴿ يغاثوا بماء ﴾ ليس كالماء الذى قدمنا الإشارة إلى أنا نحى به الأرض بعد صيرورتها صعيدا جرزا ،

(١) زيد من مد (٢) من مد ، وفى الأصل : الا لفعل (٣) زيد من ظ ومد .
(٤ - ٥) سقط ما بين الرقنين من ظ (٥) من مد ، وفى الأصل : باحضار .
(٦) العبارة من « والغوث » إلى هنا ساقطة من ظ .

[بل - ١] ﴿ كالمهل ﴾ و هو القطران الرقيق و ما ذاب من صفر أو حديد
 [و الزيت - ٢] أو درديّة^٢ - قاله في القاموس . و شبهه به من أجل تناهى
 الحر مع كونه ثخيناً ، و بين وجه الشبه بقوله تعالى : ﴿ يشوى الوجوه^٣ ﴾
 أى إذا قرب إلى الفم^٤ فكيف بالفم و الجوف^٥ ثم وصل بذلك ذمه
 ه فقال تعالى : ﴿ بشىء الشراب^٦ ﴾ أى هو ، فانه أسود متن غليظ حار ،
 و عطف عليه ذم النار المعدة [لهم - ٧] فقال تعالى : ﴿ و ساءت مرتفقاء ﴾
 أى منزلاً يعد للارتفاق^٧ ، فكأنه قيل : فالمن آمن ؟ فقال تعالى :
 ﴿ ان الذين آمنوا ﴾ و لما كان الإيمان هو الإذعان للأوامر ، عطف
 عليه ما يحقق ذلك فقال تعالى : ﴿ و عملوا الصلحت ﴾ ثم^٨ عظم جزاءهم
 ١٠ بقوله تعالى : ﴿ انا لانضيع ﴾^٨ أى بوجه من الوجوه لما يقتضيه عظمتنا^٩
 ﴿ اجر من احسن عملاً ﴾ مشيراً باظهار ضميرهم إلى أنهم استحقوا
 بذلك الوصف بالإحسان . فكأنه قيل : فالهم ؟ فقال^٩ مفصلاً لما أجل
 من وعدهم^٩ : ﴿ اولئك ﴾ أى العالو الرتبة ﴿ لهم جنت عدن ﴾ أى
 إقامة ، فكأنه قيل : ما لهم فيها ؟ فقيل^٩ : ﴿ تجري من تحتهم ﴾ أى^٩
 ١٥ تحت منازلهم ﴿ الانهار ﴾ فكأنه قيل : ثم ما ذا ؟ فقيل : ﴿ يحلون فيها ﴾

(١) زيد من مد (٢) زيد من انقاموس (٣) من القاموس ، وفي الأصول : درذبة
 - كذا (٤) من مد ، وفي الأصل و ظ : الفهم (٥) العبارة من هنا إلى فكأنه قيل
 متكررة في مد بعد « الذين آمنوا » (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : الارتفاق .
 (٧) سقط من مد (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ . (٩) من ظ و مد ، وفي

الأصل : قيل (١٠) زيد في ظ : من .

و بنى الفعل للجهول لأن القصد وجود التحلية ، وهى لعزتها إنما يؤتى بها من الغيب فضلا من الله تعالى .

ولما كان [الله - ٢] أعظم من كل شيء ، فكانت نعمه لا يحصى نوع منها ، قال تعالى مبعضا : ﴿ من أساور ﴾ جمع أسورة جمع سوار ، كما يلبس ذلك ملوك الدنيا من جارية الكفرة فى بعض الأقاليم كأهل فارس . ولما كان لمقصودها نظر إلى التفضيل والفعل بالاختيار على الإطلاق ، وقع الترغيب فى طاعته بما [هو - ٢] أعلى من النفضة فقال مبعضا أيضا : ﴿ من ذهب ﴾ أى ذهب هو فى غاية العظمة . ولما كان اللباس جزاء [العمل - ٢] وكان موجودا عندهم ، أسند الفعل إليهم فقال تعالى : ﴿ ويلبسون ثيابا خضرا ﴾ ثم وصفها بقوله تعالى : ﴿ من سندس ﴾ ١٠ وهو ما رقى من الديباج ﴿ واستبرق ﴾ وهو ما غلظ منه ؛ ثم استأنف الوصف عن حال جلوسهم فيها بأنّه جلوس الملوك المتمكنين من النعم فقال تعالى : ﴿ متكئين فيها ﴾ ١١ أى لأنهم / فى غاية الراحة ﴿ على الآرائك ﴾ ١٢ / ٣٦٧ أى الأسرة عليها ١٣ [الحجل - ٢] ، ثم مدح هذا فقال تعالى : ﴿ نعم الثواب ﴾ أى هو لو ١٤ لم يكن لها وصف غير ما سمعتم فكيف ولها من الأوصاف ١٥

- (١) العبارة من هنا إلى « قال تعالى مبعضا » ساقطة من ظ (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : او (٣) زيد من مد (٤) العبارة من هنا إلى « مبعضا أيضا » ساقطة من ظ (٥) العبارة من « هو فى غاية » إلى هنا ساقطة من ظ (٦ - ٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) من مد ، وفى الأصل : عليهم ، والكلمة ساقطة من ظ . (٨) سقط من مد .

ما لا يعلمه حق علمه إلا الله تعالى ١ و إلى ذلك أشار بقوله تعالى :
(وحسنت) أى الجنة كلها ، وميز ذلك بقوله تعالى : (مرتفعا) .

ولما كان إنما محط حال المشركين العاجل ، وكان قد تقدم قولهم
”او يكون لك جنة من نخيل و عنب“ - الآية ، وقوله تعالى ” انا جعلنا

ه ما على الارض زينة لها “ - الآية ، وقوله تعالى فى حق فقراء المؤمنين

الذين تقذروهم ” ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا “ - الآية ،

و استمر إلى أن ختم بأن جنات المؤمنين عظيم حسنها من جهة الارتفاق ،

عطف على قوله تعالى ” و قل الحق من ربكم “ بقوله تعالى كاشفا بضرب

المثل أن ما فيه الكفار من الارتفاق العاجل ليس أهلا لأن يفتخر به

١٠ لأنه إلى زوال : (و اضرب لهم) أى لهؤلاء الضعفاء والمتجبرين

الذين يستكبرون على المؤمنين ، و يطلبون طردهم لضعفهم و فقرهم :

(مثلا) لما آتاهم الله من زينة الحياة الدنيا ، فاعتمدوا عليه و ركنوا إليه

و لم يشكروا^٦ من آتاهم إياه عليه ، بل أداهم إلى الافتقار و التكبر

على من زوى ذلك [عنه - ٧] إكراما له و صيانة عنه (رجلين)

١٥ فكأنه قيل : فما^٨ مثلها ؟ فقيل : (جعلنا) أى بما لنا من العظمة^٩

(لاحدهما)^{١٠} و هو المجمعول مثلا لهم (جنتين)^{١١} أى بساتين يستر ما

(١ - ١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : فقر .

(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يقذروهم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل :

احوال (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل و مد : لم يشكروا (٧) زيد

من ظ و مد (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : ما (٩) العبارة من هنا إلى

» من يدخلها « ساقطة من ظ .

فيهما^١ من الاشجار من يدخلهما على أى وضع من الأوضاع كانتا . و من جملة الأوضاع أن تكون إحداهما فى السهل و الأخرى فى الجبل ، ليعد عموم عاهة لهما لأنها إما من برد أ. حر (من اعتاب)^٢ لأنها من أشجار البلاد الباردة و تصبر على الحر ،^٣ و هى فاكهة و قوت بالعنب و الزبيب و الخل و غيرها^٤ (و حففنهما)^٥ أى حطناهما بعظمتنا^٦ (بنخل)^٧ لأنها [من -^٨] أشجار البلاد الحارة ، و تصبر على البرد ، و ربما منعت عن الاعتاب بعض أسباب العاهات ،^٩ و ثمرها فاكهة بالبسر و الرطب و قوت بالتمر و الخل . فكأن النخل كالإكليل من وراء العنب ، و [هو -^{١٠}] مما يؤثره الدهاقين لأنه فى غاية البهجة و المنفعة (و جعلنا بينهما)^{١١} أى أرضى^{١٢} الجنتين (زرعاه)^{١٣} لبعث شمول الآفة للكل ، لأن زمان^{١٤} الزرع و مكانه غير زمان^{١٥} أثمار الشجر المقدم و مكانه ،^{١٦} و ذلك هو العمدة فى القوت ، فكانت الجنتان أرضا جامعة لخير الفواكه و أفضل الأقوات ، و عمارتهما متواصلة متشابهة لم يتوسطها ما يقطعها و يفصل بينها ، مع سعة الأطراف ، و تباعد الأكثاف . و حسن الهيئات و الأوصاف^{١٧} .

و لما كان الشجر قد يكون فاسدا من جهة أرضه ، نفي ذلك بقوله ١٥ تعالى ، جوابا لمن كأنه قال : ما حال أرضهما المنتج لركاه^{١٨} ثمرهما^{١٩} ؟ :

- (١) من مد ، و فى الأصل و ظ : بينهما (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ .
 (٣) زيد من ظ و مد (٤) العبارة من هنا إلى « البهجة و المنفعة » ساقطة من
 ظ (٥) زيد من مد (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : أرض (٧-٧) تكرر فى
 مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ازكا - كذا (٩) زيد فى الأصل : اوجنته ،
 و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفناها .

﴿كلنا﴾ أى كل واحدة من ﴿الجتين﴾ المذكورتين ﴿أتت اكلها﴾
 'أى ما يطلب منها و يؤكل من ثمر و حب' ، كاملا غير منسوب شيء
 منهما إلى نقص^١ ولا رداءة^٢ ، و هو معنى : ﴿و لم تظلم﴾ أى تنقص
 حسا و لامعنى كمن يضع الشيء فى غير موضعه^٣ ﴿منه شيئا لا﴾ .

و لما كان الشجر ربما أضر بدوامه قلة السقى قال تعالى : ﴿و فجرنا﴾

أى تفجيرا يناسب عظمتنا^٤ ﴿خللها نهرا لا﴾^٥ أى يمتد فيتشعب فيكون
 كالأنهار^٦ لتدوم طراوة الأرض و يستغنى عن المطر عند القحط ؛ ثم
 زاد^٧ فى ضخامة هذا الرجل فين أن له غير هاتين الجنتين [و الزرع -^٨]
 بقوله تعالى : ﴿و كان له﴾ أى صاحب الجنتين ﴿ثمرج﴾ أى مال

ثمر غير ما / [تقدم -^٩] كثير ، اذو أنواع ليكون متمكنا من العبارة ١٠ / ٣٦٨

بالأعوان و الآلات و جميع ما يريد^{١٠} ﴿فقال﴾ أى هذا الكافر
 ﴿لصاحبه﴾ أى المسلم المجمعول مثلا لفقراء المؤمنين^{١١} ﴿و هو﴾ أى
 صاحب الجنان ﴿يحاوره﴾^{١٢} أى يراجعه الكلام . [من -^{١٣}] حار
 يحور - إذا رجع . افتخارا عليه و تقييحا لحاله^{١٤} بالنسبة إليه . و المسلم

(١-١) سقط ما بين الرفعين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى

الأصل : رادة - كذا (٤) العبارة من هنا إلى « كالأنهار » ساقطة من ظ .

(٥) من مد ، و فى الأصل : بالأبصار (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : حلاوة .

(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : اراد (٨) زيد من ظ و مد (٩) العبارة من

هنا إلى « إلى الدنيا » ساقطة من ظ (١٠) زيد من مد (١١) من مد ، و فى

الأصل : له .

بجأره بالوعظ و تقييح^١ الركون إلى الدنيا : ﴿ انا اكثر منك مالا ﴾
 لما ترى من جناني و ثماري ﴿ و اعز قراءه ﴾^٢ أى ناسا يقومون معي في
 المهمات ، و ينفرون عند الضرورات^٣ ، لان ذلك لازم لكثرة المال
 ﴿ و دخل جنته ﴾ و حد لإرادة الجنس^٤ و دلالة على ما أفاده الكلام
 من أنها لا تصلها كالجنة الواحدة ، و إشارة إلى أنه لاجنة له غيرها ه
 لانه لا حظ له في الآخرة ﴿ وهو ﴾^٥ أى و الحال^٦ [أنه - °] ﴿ ظالم لنفسه ج ﴾
 بالاعتماد على ماله و الإعراض عن ربه ؛ ثم استأنف بيان ظله بقوله^٧ :
 ﴿ قال ﴾^٨ لما استولى عليه من طول أمله و شدة حرصه و تمادى غفله
 و اطراحه للنظر في العواقب بطول المهلة و سبوغ النعمة^٩ : ﴿ ما اظن ان تنيد ﴾
 أى تهلك هلاكا [ظاهرا - °] مستوليا ﴿ هذه ابداء ﴾^{١٠} ثم زاد^{١١} في ١٠
 الطغيان و البطر بقصر النظر على الحاضر فقال^{١٢} : ﴿ و ما اظن الساعة قائمة ﴾
 استلذاذا بما هو فيه و إخلاذا [إليه - °] و اعتمادا عليه .

و لما كان الإنسان مجبولا على غلبة الرجاء عليه ، فاذا حصل له من
 دواعي الغنى و طول الراحة و بلوغ المأمول^{١٣} و الاستدراج بالظفر
 بالسؤل ما يريه ، و ثبت أصوله و يقويه ، اضمحل الخوف^{١٤} فلم يزل^{١٥} ١٥
 يتضاءل حتى يتلاشى فكان عدما . فقال تعالى حاكيا عن هذا الكافر

(١) من مد ، وفي الأصل : يفح (٢-٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) العبارة
 من هنا إلى « في الآخرة » ساقطة من ظ (٤) من مد ، وفي الأصل : اعاده .
 (٥) زيد من مد (٦-٧) في ظ : قوله (٧) العبارة من هنا إلى « مستوليا » ساقطة
 من ظ (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : ازداد (٩) زيد في الأصل : تعالى ،
 و لم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (١٠) زيد من ظ و مد (١١) العبارة
 من هنا إلى « القدر مقسبا » ساقطة من ظ (١٢) من مد ، وفي الأصل : الامل .
 (١٣-١٤) من مد ، وفي الأصل : فلم .

ما أتمر له الرجاء من أمانه من سوء ما يأتي به القدر مقسما :
 ﴿ واثن رددت ﴾ [أى ردنى راد - '] ﴿ الى رنى ﴾ المحسن إلى فى
 هذه الدار ، فى الساعة على تقدير قيامها الذى يستعمل فى فرضه أداة
 الشك ﴿ لاجدن خيرا منها ﴾ أى هذه الجنة ؛ وقرأ ابن كثير وابن
 عامر^٣ بالثنية للجنيتين ﴿ منقلباه ﴾^٤ أى من جهة الانقلاب وزمانه
 ومكانه^٥ ، لأنه ما أعطانى ذلك إلا باستحقاقى^٦ ، وهو وصف لى غير
 منفك فى الدارين ، وإن لم يقولوا [نحو - '] هذا بالسنة^٧ مقالهم
 فان ألسنة أحوالهم ناطقة به ، فكأنه قيل : إن هذا لى عداد البهائم
 حيث قصر النظر على الجزئيات ، ولم يجوز أن يكون التمويل استدراجا .
 ١٠ . فما قال له الآخر؟ فقبل : ﴿ قال له صاحبه وهو ﴾ أى ؛ والحال إن
 ذلك صاحب ﴿ بحارّة ﴾ منكرا^٨ [عليه - '] : ﴿ اكفرت ﴾ .

٤ . و لما كان كفره بانكار البعث . دل عليه بقوله تعالى :
 ﴿ بالذى خلقك من تراب ﴾^٩ بخلق أصلك ﴿ ثم من نطفة ﴾ متولدة من أغذية^{١٠}
 أصلها تراب ﴿ ثم سونك ﴾ بعد^{١١} أن أولدك^{١٢} ؛ و طورك فى أطوار النشأة^{١٣}
 (١) زيد من مد (٢) العبارة من هنا إلى « للجنيتين » ساقطة من ظ (٣-٣) من
 مد ، وفى الأصل : ابن عامر و ابن كثير (٤-٤) سقط ما بين الرهين من ظ .
 (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : بالاستحقاق (٦) العبارة من هنا إلى « ناطقة به »
 ساقطة من ظ (٧-٧) من مد ، وفى الأصل . هذه السنة (٨) سقط من ظ (٩) زيد
 فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفناها (١٠) من مد ، وفى
 الأصل و ظ : غذائه (١١) من ظ و مد ، وفى الأصل : ثم .

(رجلاه) حيث نقيت إعادته لمن ابتدأ خلقهم على هذا الوجه تكذيبا للرسل و استقصارا للقدرة ، ولم تثبت^١ لها في الإعادة ما ثبت لها بملك في الابتداء ، ثم لم تجوزها^٢ بعد القطع بالنفي لإعلى سبيل الفرض بأداة الشك ، وهي^٣ من دعائم أصول الدين الذي لا يقتنع [فيه -^٤] إلا بالقطع ، ونسبته إلى العبث الذي لا يرضاه عاقل إذ^٥ جعلت غاية هذا الخلق ه البديع في هذا التطوير العظيم الموت [الذي -^٦] لو كان غاية - كما^٧ زعمت - لفوت على المطيع الثواب ، وعلى العاصي العقاب .

ولما أنكر على صاحبه ، أخبر عن اعتقاده بما^٨ يضاد اعتقاد صاحبه ، فقال "مؤكدًا لأجل إنكار صاحبه مستدركا لأجل كفرانه"^٩ : (لكننا)^{١٠} لكن أنا . ولما كان سبحانه لا شيء أظهر منه ولا شيء أبطن منه ، ١٠ أشار إلى ذلك جميعا باضماره قبل الذكر فقال تعالى^{١١} : (هو) "أى الظاهر أتم ظهور / فلا يخفى أصلا ، ويجوز أن يكون الضمير للذي^{١٢} خلقك (الله) "أى المحيط بصفات الكمال"^{١٣} (ربى) وحده ، لم يحسن إلى^{١٤} "خلقًا و رزقا أحد"^{١٥} غيره ، هذا اعتقادى فى الماضى و الحال

(١) من مد ، وفى الأصل و ظ : لم يثبت (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : لم يجوزها (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : هو (٤) زيد من ظ و مد (٥) العبارة من هنا إلى « العاصى العقاب » ساقطة من ظ (٦) من مد ، وفى الأصل : اذا . (٧) زيد من مد (٨) من مد ، وفى الأصل : لا (٩) من مد ، وفى الأصل : عما ، وفى ظ : لا (١٠-١٠) سقط ما بين الرقنين من ظ (١١) العبارة من هنا إلى « للذى خلقك » ساقطة من ظ (١٢) من مد ، وفى الأصل : الذى (١٣-١٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : و يرزقنى - كذا .

﴿ و لا أشرك بربّي ﴾ المحسن إلى في عبادتي ﴿ احداه ﴾ كما لم يشاركه
في إحسانه إلى أحد ، فان الكل خلقه و عبده ، و أني يكون العبد شريكا
للرب ! فاني لا أرى الغنى و الفقر إلا منه ، و أنت - لما اعتمدت على
مالك - كنت مشركا به^١ .

و لما كان المؤمنون على طريق الأنبياء في إرادة^٢ الخير و الإرشاد
إلى سبيل النجاة و عدم الحقد على أحد بشر^٣ أسلفه^٤ و جهل قدمه ، قال
له مصرحا بالتعليم بعد أن لوح له^٥ به فيما ذكره عن نفسه مما يجب عليه :
﴿ و لولا اذ ﴾ أي و هلا حين^٦ ﴿ دخلت جنتك قلت ﴾ ما يدل
على تفويضك الأمر فيها و في غيرها^٧ إلى الله تعالى كما تقدم الإرشاد^٨
١٠ إليه في آية " و لا تقولن لشيء " تاركا للافتخار بها ، و مستحضرا لأن
الذي وهبها قادر على سلبك إياها ليقودك^٩ ذلك إلى التوحيد و عدم
الشرك ، فلا تفرح بها و لا بغيرها مما يفتي لأنه^{١٠} لا ينبغي الفرح إلا بما
يؤمن عليه الزوال ﴿ ما شاء الله ﴾ أي الذي له الأمر كله^{١١} ، كان ،
سواء كان حاضرا أو ماضيا أو مستقبلا ، و لذلك أعراها عن الجواب^{١٢} ،
١٥ لا ما يشاؤه غيره [و لا يشاؤه -^{١٣}] هو سبحانه ؛ [ثم -^{١٤}] علل ذلك
بقوله تعالى : ﴿ لا قوة ﴾ أي لأحد^{١٥} على بستان و غيره^{١٦} ﴿ الا بالله ج ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من مد ، و في الأصل و ظ : اراء .
(٣) من ظ و مد ، و في الأصل : اشتر (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : او .
(٥) سقط من مد (٦) من ظ و مد . و في الأصل : غيره (٧) من ظ و مد ،
و في الأصل : الاشارة (٨) في ظ : ليقود (٩) من ظ و مد ، و في الأصل :
انه (١٠) زيد من مد .

[أى - ١] المتوحد بالكمال ، فلا شريك له ، وأفادت هذه الكلمة إثبات القوة لله و براءة العبد منها ، والتنبيه على أنه لا قدرة [لاحد - ١] من الخلق إلا بتقديره ، فلا يخاف من غيره ، والتنبيه على فساد قول الفلاسفة في الطوائع أن منها مؤثرة بنفسها .

ولما قدم ما يجب عليه في نفسه منبها به لصاحبه ، ثم ما يجب عليه [من - ٢] التصريح بالإرشاد في أسلوب مقرر أن الأمر كله لله ، لا شيء لاحد غيره ، أتبع قوله تعالى : ﴿ ان ترن ﴾ أى أيها المفتخر بماله على ١ ﴿ انا ﴾ ١ ولما ذكر ضمير الفصل ، ذكر مفعول " ترى " الثانى فقال ٢ : ﴿ اقل منك ﴾ ٢ وميز القليل ٣ بقوله : ﴿ مالا و ولداء ﴾ ٣ أى من جهة المال و الولد الذى هو أعز نفر الإنسان . ١٠

ولما أقر هذا المؤمن بالعجز و الافتقار ، في نظير ما أبدى الكافر من التقوى و الافتخار ، سبب عن ذلك ما جرت به ٤ العادة [فى - ١] كل جزاء ، داعيا ٥ بصورة التوقع فقال تعالى ٦ : ﴿ فسى ربى ﴾ المحسن إلى ﴿ ان يؤتين ﴾ من خزائن رزقه ﴿ خيرا من جنتك ﴾ فيحسن إلى بالغنى كما أحسن إلى بالفقر المقترن بالتوحيد ، المنتج للسعادة ﴿ ويرسل عليها ﴾ ١٥

- (١) زيد من مد (٢) العبارة من بعده إلى « مؤثرة بنفسها » ساقطة من ظ .
- (٣-٣) من مد ، وفى الأصل : بانها (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : تقدم .
- (٥) زيد من ظ و مد (٦-٦) سقط ما بين الرقين من ظ (٧) سقط من مد .
- (٨) زيد بعده فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها (٩) العبارة من « و لا أقر » إلى هنا ساقطة من ظ .

أى جتتك ﴿حسابنا﴾ أى مراى من الصواعق^١ و البرد الشديد^٢
﴿من السماء﴾ .

١ 'ولما كانت المصابحة بالمصيبة أنكى ما يكون، قال تعالى : ﴿فتصبح﴾
بعد كونها قرة للعين^٣ بما تهتز به من الأشجار و الزروع ﴿صعيدا زلقا﴾
هـ أى أرضا يزلق عليها للملاستها^٤ باستئصال نباتها، فلا ينبت فيها نبات،
ولا يثبت فيها قدم ﴿او يصبح مأوفا غورا﴾ وصف بالمصدر لأنه
أبلغ ﴿فلن تستطيع﴾ أنت ﴿له طلباه﴾ .

١ 'ولما كان من المعلوم أن هذا المؤمن المخلص بعين الرضى، كان
من المعلوم أن التقدير^٥ : فاستجيب لهذا الرجل المؤمن^٦ ،^١ أو : فحقق له
١٠ ما توقعه تخيب ظن المشرك، فعطف عليه قوله : ﴿واحبط﴾^٧ أى
أوقعت الإحاطة بالهلاك، [بنى للفعول -^٨] لأن الفكر حاصل بإحاطة
الهلاك من غير نظر إلى فاعل مخصوص، و للدلالة على سهولته ﴿بشره﴾
أى الرجل المشرك^٩. كله، فاستوصل هلاكا [ما -^{١٠}] فى السهل منه
و ما فى الجبل، و ما يصبر منه على^{١١} البرد و الحر^{١٢} و ما لا يصبر
٣٧٠ / ١٥ ﴿فاصبح / يقلب كفيه﴾ ندما، و يضرب إحداهما على الأخرى
تحسرا ﴿على ما اتفق فيها﴾ لعمارتها^{١٣} و نمتائها ﴿وهى خاوية﴾ أى

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) من ظ و مد، وفى الأصل : العين .

(٣-٣) فى ظ : أرضا ملساء (٤) العبارة من هنا إلى «على سهولته» ساقطة من ظ .

(٥) زيد من مد (٦) من ظ و مد، وفى الأصل : المشرك (٧) زيد من ظ

ومد (٨-٨) من ظ و مد، وفى الأصل : الحر و البرد (٩) فى مد : بعمارتها.

(١٦) ساقطة

ساقطة 'مع الخلو' ﴿على عروشها﴾ أى دعائمها التى كانت تحملها فسقطت على الأرض وسقطت هى فوقها ﴿ويقول﴾ تمنا لرد ما فات لحيرته وذهول عقله ودهشته: ﴿يليقى﴾ 'تمنا لاعتماده على الله من غير إشراك بالاعتقاد على الفانى' ﴿لم اشرك بربى احدا﴾ كما قال له صاحبه ، فندم حيث لم ينفعه الندم على ما فرط فى الماضى لأجل ما فاتته من الدنيا ، ه
لا حرصا على الإيمان لحصول الفوز فى العقبى ، لقصور عقله ووقوفه مع المحسوسات المشاهدات ﴿ولم تكن له فئة﴾ أى جماعة لا من نقره الذين^٢ اعتز بهم ولا من غيرهم ﴿ينصرونه﴾ مما وقع فيه^٣ ﴿من دون الله﴾ [أى بغير عون من -^٤] الملك الأعظم ﴿وما كان﴾ هو ﴿متصراة﴾
بنفسه ، بل ليس الأمر^٥ فى ذلك إلا الله وحده . ١٠

ولما أتيه هذا المثل قطعا أنه لا أمر لغير الله المرجو لنصر أوليائه بعد ذلهم ، ولإغنائهم بعد فقرهم ، ولإذلال أعدائه بعد عزهم وكبرهم -^٤ ، وإفقارهم^٦ بعد إغنائهم وجبرهم^٧ ، وأن غيره إنما هو كالحىال لاحقيقة له ، صرح بذلك فى قوله تعالى : ﴿هنالك﴾ أى فى مثل هذه الشدائد العظيمة ﴿الولاية﴾
أى النصر - على قراءة الفتح ، والسلطان - على الكسر ، [وهى قراءة حمزة ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : الذى .

(٣) زيد فى الأصل : أى يهرعون عون - كذا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد

لخدمتها (٤) زيد من ظ و مد (هـ) من ظ و مد ، وفى الأصل : كما مر .

(٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : هنا (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل :

انتقارهم (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : حصرهم .

و الكسائي، و الفتح لغيرهما، و هما بمعنى واحد، و هو المصدر كما صدر به في القاموس - [١] . ﴿ الله ﴾ [أى - ١] الذى له الكمال كله^٢ ﴿ الحق ﴾ [أى - ١] الثابت الذى لا يحول يوما ولا يزول، ولا يغفل ساعة ولا ينام،^٣ و لا ولاية لغيره بوجه - هذا على قراءة الجماعة بالجر هـ [على الوصف - ٤] و هو فى قراءة أبى عمرو و الكسائي بالرفع على الاستئناف و القطع قليلا، تنبيها على أن فرعهم^٤ فى مثل هذه الازمات^٥ إليه دون غيره برهان قاطع على أنه الحق و ما سواه باطل، و أن الفخر بالعرض الزائل من أجهل الجهل، و أن المؤمنين لا يعيهم فقرهم ولا يسوغ^٦ طردهم لأجله^٧، وأنه^٨ يوشك أن يعود فقرهم غنى و ضعفهم قوة .

١٠ و لما علم من ذلك أنه آخذ بأيدى عبيده [الابرار - ١٠] و على أيدي عصاته^٩ الاشرار، قال تعالى: ﴿ هو خير ثوابا ﴾ لمن أثابه^{١٠} ﴿ و خير عقابا ﴾ أى عاقبة عظيمة، فإن فعلا - بضمة و بضمتين - من صيغ جموع الكثرة فيفيده ذلك مبالغة و إن لم يكن جمعا^{١١}، و المعنى

-
- (١) زيد من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) العبارة من هنا إلى «و القطع قليلا» متكررة فى الأصل فقط بعد «فى القاموس» و ساقطة من ظ .
 (٤) زيد من مد و العبارة المتكررة (هـ) من ظ و مد، و فى الأصل : فروعهم .
 (٦) فى ظ بعلامة النسخة : أى الشدائد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : لا يشوع (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : لاجل (٩) من مد، و فى الأصل و ظ : انما هو (١٠) زيد من ظ و مد (١١) من مد، و فى الأصل و ظ : عصابة .
 (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل : انابه .

أنه - [أى ثوابه -^١] - لأوليائه خير ثواب وعقابه^٢ خير عقبي .
ولما أتم المثل لديانهم الخاصة [بهم التى -^٣] أبطرتهم ، فكانت
سبب إشقتهم وهم يحسبون أنها عين إسعادهم ! ضرب لدار الدنيا العامة
لجميع الناس فى^٤ قلة بقائها وسرعة فنائها ، وأن من تكبر بها^٥ كان
أخس منها فقال تعالى : ﴿ واضرب لهم^٦ ﴾ أى لهؤلاء الكفار المغترين هـ
بالعرض الفانى ، المفتخرين بكثرة الأموال والأولاد وعزة النفرة^٧
﴿ مثل الحيوة الدنيا ﴾^٨ أى التى صفتها - التى هم بها ناطقون - تدل
على^٩ أن ضدها^{١٠} الأخرى ، فى ينوعها^{١١} ونضرتها ، واختلابها^{١٢} للنفوس
ييهجتها^{١٣} ، واستيلانها على الأهواء بزهرتها ، واختداعها لذوى الشهوات
بزينتها ، ثم اضمحلالها وسرعة زوالها ، أفرح ما كانوا بها ، وأرغب ما^{١٤}
كانوا [فيها -^{١٥}] مرة بعد أخرى ، على مر الأيام و [كر -^{١٦}] الشهور ،
وتوالى الأعوام وتعاقب الدهور ، بحيث نادى على نفسها بالتحذير
منها والتنفير عنها للعاقل اللقن ،^{١٧} والكيس الفطن ، رغبة إلى الباقي الذى
(١) زيد من ظ (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : عدا (٣) من مد ، وفى الأصل :
من ، و العبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - إلى « أخس منها » ساقطة من ظ .
(٤) من مد ، وفى الأصل : فيها (٥) العبارة من هنا إلى « عزة النفرة » ساقطة
من ظ (٦) فى مد : المفخرة (٧) العبارة من هنا إلى « الأخرى » ساقطة من ظ .
(٨-٨) من مد ، وفى الأصل : صدها - كذا (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل :
تنوعها (١٠) من مد ، وفى الأصل و ظ : اختلاسها (١١) من ظ و مد ، وفى
الأصل : وبهجتها (١٢) زيد من ظ و مد (١٣) بهامش ظ : اللقن : الذى
فى غاية الفطنة .

يدوم سروره ، و يبقى نعيمه و حبوره ، و ذلك المثل ﴿ كما أنزلناه ﴾
 بعظمتنا و اقتدارنا^١ بعد / يبس الأرض و جفاف ما فيها و زواله ،
 و بقلعه^٢ كما تشاهدونه و استئصاله ، و قال : ﴿ من السماء ﴾ تنبها على
 بليغ القدرة في إمساكه في العلو و إنزاله في وقت الحاجة . على الوجه
 ٥ النافع ﴿ فاختلط ﴾ أى قعقب و تسبب عن^٣ إنزاله أنه اختلط
 ﴿ به نبات الأرض ﴾^٤ أى التراب الذى كان نباتا ارفت بطول العهد^٥
 في بطنها ، فاجتمع بالماء و النف^٦ و تكاثف ، فهبأناه بالتخمير و الصنع
 الذى لا يقدر عليه سوانا حتى أخرجناه من الأرض أخضر يهتز على ألوان
 مختلفة و مقادير متفاوتة ثم أيبسناه ﴿ فاصبح هشيما ﴾^٧ أى يابسا مكسرا
 ١٠ مفتتا ﴿ تذروه ﴾^٨ أى تثيره و تفرقه و تذهب به^٩ ﴿ الريح ﴾ حتى
 يصير عما قليل كأنه بقدرة الله تعالى لم يكن ﴿ و كان الله ﴾^{١٠} أى المختص
 بصفات الكمال ﴿ على كل شيء ﴾ من ذلك و غيره إنشاء و إفناء
 و إعادة ﴿ مقتدرا ﴾^{١١} أزلا و أبدا ، فلا تظنوا أن ما تشاهدونه من
 قدرته حادث .

١٥ و لما تبين بهذين المثلين و غيرهما أن الدنيا - التى أوردت أهلها
 [الموارد -^{١٢}] و أحلتهم أودية المعاطب - سريعة الزوال . و شبكة الارتفاع ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : قدرتنا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل :

تقلعه (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : على (٤-٥) سقط ما بين الرقین من ظ .

(٥) العبارة من هنا إلى « و تكاثف » - ساقطة من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل :

النت (٧) سقط من ظ (٨) زيد من ظ و مد .

مع كثرة الانكاد، و دوام الاكدار، من الكد^١ و التعب،
 و الخوف و النصب^٢ كالزرع سواء، تقبل أولا في غاية الضررة و البهجة،
 تزايد نضرتها و بهجتها شيئا فشيئا. ثم تأخذ في الانتقاص و الانحطاط
 إلى^٣ أن تنتهى إلى الفناء، فهي جديرة لذلك بالزهد فيها و الرغبة عنها،
 و أن لا يفتخر بها عاقل فضلا عن أن يكثر بها غيره^٤، قال تعالى : هـ
 ﴿ المال و البنون ﴾ الفانيان الفاسدان^٥ و هما أجل ما في هذه الدار
 من متاعها ﴿ زينة الحياة الدنيا ﴾ التي لو عاش الإنسان جميع أيامها
 لكان حقيقا لصيرورة ما هو فيه [منها - ٦] إلى زوال بالإعراض عنها
 والبغض^٧ لها، و أنتم تعلمون ما [في - ٦] تحصيلهما من التعب، و ما لهما
 بعد الحصول من سرعة العطب، و هما مع ذلك قد يكونان^٨ خيرا إن ١٠
 عمل فيهما بما يرضى الله، و قد يكونان^٩ شرا و يجنب الأمل^{١٠} فيهما،
 و قد يكون كل منهما سبب هلاك صاحبه و كدره، و سوء حياته و ضرره^{١١}
 ﴿ و البقيت الصالحات ﴾ و هي أعمال الخير المجردة التي يقصد بها
 وجه الله تعالى التي رغبنا فيها بقولنا " لنبلوهم احسن عملا " و ما
 بعده ﴿ خير ﴾ أى من الزينة الفانية^{١٢}. ولما كان أهم ما إلى من حصل ١٥

(١) من ظ و مد، و في الأصل : النكد (٢) العبارة من هنا إلى « إلى الفناء »
 ساقطة من ظ (٣) سقط من مد (٤-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (هـ) في ظ :
 فقال (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و في الأصل : النقص (٨) من
 ظ و مد، و في الأصل : يكون (٩-١٠) من ظ و مد، و في الأصل : سرا
 و تخيبا لامل لا - كذا.

النفاس لكفائته من يحفظها^١ له لوقت حاجته قال : ﴿ عند ربك ﴾
 أى^٢ الجليل المواهب ، العالم بالعواقب ، "و خير" من المال و البنين فى
 العاجل و الآجل ﴿ ثوابا و خير ﴾ من ذلك كله^٣ ﴿ املاه ﴾ أى من
 جهة ما يرجو فيها من الثواب و يرجو فيها من الآمل^٤ ، لأن ثوابها
 ه إلى بقاء ، و أملها كل سباعة فى تحقق و علو و ارتقاء ، و أمل^٥ المال
 و البنين يختان أحوج ما يكون إليهما .

و لما ذكر المبدأ و نبه على زواله . و ختم بأن المقصود آمنه الاختبار^٦
 للرفعة بالثواب أو الضعة^٧ بالعقاب ، و "كان الحزى و الصغار ، أعظم شيء
 رهبه النفوس الكبار ، لاسيما إذا عظم الجمع و اشتد الأمر ، فكيف
 ١٠ إذا انضم^٨ إليه الفقر^٩ ! فكيف إذا صاحبها الحبس^{١٠} ! و كان يوم
 الحشر يوما يجمع^{١١} فيه^{١٢} الخلائق . فهو بالحقيقة المشهود ، و تظهر فيه
 العظمة فهو وحده المرهوب ، عقب ذكر الجزاء ذكره ، لأنه أعظم يوم
 يظهر فيه . فقال تعالى عاطفا على "و اضرب" : ﴿ و يوم ﴾ أى و اذكر^{١٣}
 لهم يوم ﴿ تسير "الجبال" ﴾ عن وجه الأرض بعواصف القدرة كما
 ١٥ يسير^{١٤} نبات الأرض - بعد أن صار هشيما - بالرياح "فترى الجبال

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : يحفظ (٢) سقط من ظ (٣-٣) سقط ما بين
 الرقين من ظ (٤) العبارة من هنا إلى " بالعقاب " ساقطة من ظ (٥) من مد ،
 وفى الأصل : لعل (٦-٦) تكرر فى مد (٧) من مد ، وفى الأصل : الصحة - كذا .
 (٨) زيد فى ظ : لما (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : ضم (١٠) من ظ و مد ،
 وفى الأصل : الفقير (١١) فى مد : تجمع (١٢) زيد فى ظ : جميع (١٣) فى مد : ذكرهم .
 (١٤) هذه قراءة ابن كثير و أبى عمرو و ابن عامر ، و قرأ الباقر بن النون -
 راح نثر المرحان ٤/٤٠ ، (١٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : يصير .

٣٧٢ /

تحبسها جامدة وهي تمر مر السحاب“ (و ترى الارض) / بسكالها
 (بارزة لا) لا غار فيها ولا صدع ولا جبل ولا نبت ولا شجر ولا ظل
 (و) الحال أنا قد (حشرتهم) أي الخلائق بعظمتنا قبل التسيير^٢
 بتلك الصيحة، فها إلى الموقف الذي^٣ ينكشف فيه الخبآت، وتظهر
 الفضاء والمغيات، ويقع الحساب فيه على النقيض والقطيع، والنافذ^٥
 فيه بصير، فينظرون ويسمعون^٤ زلازل الجبال عند زوالها، وقعاقع
 الابنية والأشجار في هدها وتباين أوصالها، وفنائها بعد عظيم مرآها
 واضمحلالها (فلم تغادر) أي فترك^٦ بما لنا من العظمة (منهم)
 أي الأولين والآخرين (أحدا) لأنه لا ذهول ولا عجز.

و لما ذكر سبحانه حشرهم^٧، وكان من المعلوم أنه للعرض، ذكر ١٠
 كيفية ذلك العرض، فقال بانيا الفعل للفعول على طريقة كلام القادرين،
 ولأن المخوف العرض لا كونه من معين: (وعرضوا على ربك)
 أي المحسن إليك برفع أوليائك وخفض أعدائك (صفا) لاتساع
 الأرض والمسابقة إلى داره، لعرض أدل شيء وأصغره، وأطوعه
 وأحقره، يقال لهم تنبيهها على مقام العظمة: (لقد جئتمونا) أحياء سويين ١٥
 حفاة عراة غرلا (كما خلقنكم)^٨ بتلك العظمة^٩ (أول مرة) منغزلين من

(١) في مد: شجرة (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) في ظ: التي .

(٤) زيد في الأصل: فيه، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفناها (٥) العبارة من

هنا إلى "من معين" ساقطة من ظ (٦) من مد، وفي الأصل: حشرناهم .

(٧) سقط من ظ .

كل شيء كنتم نجتمعونه و تفاخرون^١ به منقادين مذعنين فقولون " هذا ما وعد الرحمن و صدق المرسلون " فيقال لكم : ﴿ بل زعمتم ﴾ أى ادعيتم جهلا بعظمتنا (ان)^٢ أى أنا^٣ ﴿ لن نجعل لكم ﴾^٤ على ما لنا من العظمة^٥ (موعداه)^٦ أى مكانا و وقتا^٧ نجتمعكم فيه هذا الجمع^٨ فنجز ما وعدناكم به على السنة الرسل^٩ (و وضع)^{١٠} بأيسر أمر^{١١} بعد العرض المستعقب للجمع^{١٢} بأذى إشارة^{١٣} (الكتب) المضبوط فيه دقائق الاعمال و جلائلها على وجهين لا يخفى على قارئ ولا غيره شيء منه (ف ترى المجرمين) لتقر عينك منهم بشهادة لا خير بعدها^{١٤} (مشفقين مما فيه) من قبائح أعمالهم ، و سبب أفعالهم و أقوالهم^{١٥} أى خائفين دائما خوفا عظيما من عقاب الحق و الفضيحة عند الخلق^{١٦} (يقولون)^{١٧} أى يحددون^{١٨} و يكررون قولهم^{١٩} : ﴿ يويلتنا ﴾ كناية عن^{٢٠} أنه لا نديم لهم إذ ذاك إلا الهلاك (ما ل هذا الكتب)^{٢١} أى أى شيء له حال كونه^{٢٢} على غير حال الكتب فى الدنيا ، و رسم لام الجر وحده إشارة إلى أنهم صاروا من قوة الرعب و شدة الكرب يقفون على بعض الكتب ، و فسروا حال الكتاب التى أفضعتهم^{٢٣} و سألوا عنها^{٢٤} بقولهم : ﴿ لا يغادر ﴾^{٢٥} أى يترك^{٢٦} [أى يقع -^{٢٧} منه غدر ، أى عدم وفاء

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تتفاخرون (٢ - ٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : على (٦) العبارة من هنا إلى « عنها بقولهم » ساقطة من ظ (٧) من مد ، و فى الأصل : قطعتهم (٨) العبارة من هنا إلى « تركها الراعى » ساقطة من ظ . (٩) زيد من مد .

[و هو من غادر الشيء : تركه - كأن كلا منهما يريد غدر الآخر ، أى عدم الوفاء به ، من الغدير - لقطعة من - ^١] الماء يتركها السيل كأنه لم يوف لها بأخذ ما معه ، وكذا الغديرة - لناقعة تركها الراعى (صغيرة) أى ^٢ من أعمالنا .

و لما هالهم إثبات ^٣ جميع الصغار ، بدأوا بها ، وصرحوا بالكبار هـ
- وإن كان إثبات الصغار يفهمها - تأكيداً لأن المقام للتهويل و تعظيم التفجع ، ^٤ وإشارة إلى أن الذى جرم إليها هو الصغار - كما قال الفضيل ابن عياض رضى الله عنه - فقالوا : (ولا كبيرة إلا احصهاج)
و لما كان الإحصاء قد لا يستلزم اطلاع صاحب الكتاب و جزاءه عليه ، نفى ذلك بقوله تعالى : (ووجدوا ما عملوا حاضراً ^٥) كتابة ^٦ و جزاء ١٥
من غير أن يظلمهم [سبحانه - ^٧] أو يظلم من عادوهم فيه (ولا يظلم ربك)
الذى رباك بخلق القرآن (احداً) منهم ولا من غيرهم فى كتاب ولا عقاب ولا ثواب ، بل يجازى الأعداء بما يستحقون ، تعذياً لهم و تنعياً لأولياته الذين عادوهم فيه للعدل بينهم : روى الإمام أحمد فى المسند ^٨ عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه سافر إلى عبد الله ١٥
ابن أنيس رضى الله عنه مسيرة شهر فاستأذن عليه قال : فخرج يظاً ثوبه فاعتنقى و اعتنقته ، قلت : حديث ^٩ بلغنى عنك أنك سمعته من

(١) زيد من مد (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : اثباته .
(٤-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) فى ظ : فقال (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : كناية (٧) زيد من ظ و مد (٨) ٣ / ٤٩٥ (٩-٩) سقط ما بين الرقيين من مد (١٠) فى المسند : حديثاً .

رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم فى القصاص . تخشيت أن تموت^١
 قبل أن أسمع ، فقال : سمعت رسول الله / صلى الله عليه و على آله و سلم
 يقول : يحشر^٢ الله عز و جل^٣ الناس^٤ - أو قال : العباد - حفاة عراة
 بهما ، قلت : و ما بهما ؟ [قال -^٥] : ليس معهم شيء ، ثم يناديهم
 بصوت يسمعه^٦ من بعد كما يسمعه^٧ من قرب : أنا الملك أنا الديان ،
 لا ينبغي لأحد [من أهل النار أن يدخل النار و له عند أحد من أهل
 الجنة حق^٨ حتى أقصه منه^٩ ، و لا ينبغي لأحد من أهل الجنة -^{١٠}]
 أن يدخل الجنة و له عند أحد من أهل النار حق حتى أقصه منه
 [حتى اللطمة -^{١١}] ، قال : قلنا : كيف و إنما [نأتى الله -^{١٢}] حفاة
 ١٠ عراة بهما ؟ قال : بالحسنات و السيئات .

و لما ذكر البعث و ختمه^{١٣} بإحسانه بالعدل المثلث لإعطاء كل أحد
 ما يستحقه ، أتبعه -^{١٤} بما له من الفضل^{١٥} - بابتداء^{١٦} الخلق الذى هو دليله ،
 فى سياق مذكر بولايته الموجبة للاقبال عليه ، و عداوة الشيطان الموجبة
 للادبار عنه ، مبين لما قابلوا به عدله فيهم و فى عدوهم من الظلم^{١٧} بفعلهم
 ١٥ كما فعل من التكبر على آدم عليه السلام بأصله ، فتكبروا على فقراء
 المؤمنين بأصلهم و أموالهم و عشائرهم ، فكان فعلهم فعله^{١٨} سواء ، فكان

(١) زيد فى المسند : أو أموت (٢-٣) سقط ما بين الرقين من المسند (٣) سقط
 من مد (٤) زيد من ظ و مد و المسند (٥-٥) ليس ما بين الرقين فى ظ و مد .
 (٦) سقط من ظ (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٨) من ظ و مد ، و فى
 الأصل : ما نبدا (٩) العبارة من هنا إلى « الناس به » - اقاطه من ظ (١٠) من
 مد ، و فى الأصل : فعل .

قدوتهم و هو عدوهم ، ولم يقتدوا بخير خلقه و هو وليهم و هم أعرف
 الناس به ، فقال تعالى عاطفا على " و اضرب " : ﴿ و اذ ﴾ أى و اذكر لهم
 إذ ﴿ قلنا ﴾ ' بما لنا من العظمة ' ﴿ للملائكة ﴾ الذين هم أطوع شئ
 لاوامرنا و إبليس فيهم ، قال ابن كثير : و ذلك أنه كان قد ترسم
 بأفعال الملائكة و تشبه بهم و تعبد و تنسك . و لهذا دخل فى خطابهم ه
 و عصى بالمخالفة ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ أيهم ٢ نعمة منا عليه ٢ يجب عليهم
 شكرنا فيها ﴿ فسجدوا ﴾ كلهم ﴿ إلا إبليس ﴾ فكأنه قيل : ما له
 لم يسجد ؟ فقيل : ﴿ كان ﴾ [أى لأنه كان - ٤] ﴿ من الجن ﴾ المخلوقين
 من نار ، و لعل النار [لما - ٥] كانت نيرة و إن كانت نورانيها مشوبة
 بكدورة و إحراق ، عد من الملائكة لاجتماع العنصرين فى مطلق النور ، ١٠
 مع ما كان غلب عليه من العبادة ، فقد روى مسلم فى صحيحه ٦ عن عائشة
 رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم :
 خلقت الملائكة من نور ، و خلق الجن - و فى رواية : إبليس - من
 مارج من نار ، و خلق آدم مما وصف لكم . ١ و فى مكائد الشيطان
 لابن أبي الدنيا عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الجن كانت قبيلة ١٥
 من الملائكة ١ .

و لما كان أكثر الجن مفسدا ، رجوعا إلى الأصل ٢ الذى هو

(١ - ١) سقط ما بين الرقعين من ظ (٢) فى ظ : ايكم (٣) زيد فى الأصل :
 عليهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٤) زيد من ظ (٥) زيد من
 ظ و مد (٦) باب فى أحاديث متفرقة - كتاب الزهد (٧) من ظ و مد ، و فى
 الأصل : الارض .

النار المحرقة لما لاصقها، المفسدة له، سبب فسقه عن كونه منهم فقال تعالى: ﴿ففسق﴾ أى خرج، يقال: فسقت الفأرة من جحرها - إذا خرجت للبيث^١ والفساد. ﴿عن امر ربه^٢﴾ أى سيده ومالكه المحسن إليه بإبداعه، وغير ذلك من اصطناعه، فى شأن أيكم، إذ تكبر عليه فطرده ربه من أجلكم، فلا تستنوا به فى الافتخار والتكبر على الضعفاء، ^٣فان من كانت^٤ خطيئته فى كبر لم يكن صلاحه مرجوا، ومن كانت خطيئته فى معصية كان صلاحه مرجوا، ثم سبب عن هذا ما هو جدير بالإنكار فقال تعالى [فى أسلوب الخطاب لأنه أدل على تناهى الغضب وأوجع فى التبكيت، والتكلم لأنه أنص على المقصود من التوحيد - ^٥]: ﴿افتخذونه﴾ أى أفسقوا باستحقاركم فطرده لأجلكم^٦ فيكون ذلك سببا لأن تتخذوه^٧ (و ذريته) شركاء لى (أولياء) لكم (من دونى) ^٨أى^٩ اتخاذا مبتدئا من غيرى^{١٠} أو من أدنى^{١١} رتبة من رتبى، ليعم اتخاذا استقلالاً وشركة، ولو كان المعنى: من دون - أى غير - اتخاذى، لأفاد الاستقلال فقط، ولو كان اتخاذا مبتدئا منه بأن

١٥ كان هو الأمر به لم يكن ممنوعا، وأنا وليسكم المفضل عليكم

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: للبيث (٢) العبارة من هنا إلى « صلاحه مرجوا » ساقطة من ظ (٣) من مد، وفى الأصل: كان (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد، إلا أنه ورد فى ظ بعد « وهم لكم » (٥-٥) فى ظ: فتتخذونه . (٦) العبارة من هنا إلى « لم يكن ممنوعا » ساقطة من ظ (٧) زيد فى مد: غيرى . (٨-٨) من مد، وفى الأصل: لادى (٩) من مد، وفى الأصل: لمن .

(وهم لكم) [ولما كان بناء فعول للبالغة ولاسيما وهو شبيه بالمفعلة
في نحو القول، أغنى عن صيغة الجمع فقال -^١]: (عدو^٢) إشارة
[إلى أنهم -^١] في شدة العداوة على قلب واحد . ولما كان هذا / الفعل
أجدر شيء بالذم ، وصل به قوله تعالى : (بئس) وكان الأصل^٣ :
لكم ، ولكنه أبرز هذا الضمير لتعليق الفعل بالوصف^٤ أو التعميم^٥ فقال ه
تعالى : (لظلمين بدلاءه) إذا استبدلوا من ليس لهم شيء من الأمر وهم
لهم^٦ عدو بمن له الأمر كله وهو لهم ولي .

ولما كان الشريك لا يستأثر بفعل أمر عظيم في المشترك فيه من
غير علم لشريكه به ، قال معللا للذم على هذا الظلم بما يدل على^٧ حقارتهم
عن هذه الرتبة ، عادلا في أسلوب التكلم^٨ إلى التجريد^٩ عن مظهر العظمة ١٠
للا يتعنت من أهل الإشراف متعنت^{١١} كما عدل في "دونى" لذلك^{١٢} :
(مآ شهدتهم) أى إبليس وذريته (خلق السموات والارض)
نوعا من أنواع الإشهاد (ولا خلق انفسهم^{١٣}) إشارة إلى أنهم مخلوقون
وأنه لا يصح في عقل عاقل أن يكون مخلوق شريكا لخالقه أصلا
(وما كنت) أي أزلا وأبدا متخدما . هكذا الأصل ولكنه أبرز ١٥
إرشادا إلى أن المضل لا يستعان به ، لأنه مع عدم نفعه^{١٤} يضر ، فقال
تعالى : (متخذ المضلين عضداه) إشارة إلى أنه لا يؤسف على فوات

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢) العبارة من هنا إلى «قلب واحد» ساقطة
من ظ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) في ظ : أما (ه) في مد : له .
(٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : عن (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : تبعه .

إسلام أحد، فإن من علم الله فيه خيرا أسمعه، و من لم يسمعه فهو مضل
ليس أهلا لنصرة الدين .

ولما أقام البرهان القاطع على بعد رتبته عن المنزلة التي أحلوم
بها من الشرك، أتبعه التعريف بأنهم مع عدم نفعهم لهم في الدنيا يتخلون^١
عنهم في الآخرة أحوج ما يكونون إليهم تخيبا لظنهم أنهم يقربونهم
إلى الله زلفى، فقال تعالى عاطفا على "اذ قلنا" عادلا إلى مقام الغيبة،
إشارة إلى بعدهم عن حضرته الشاء و تعاليه عما قد يتوهم من قوله تعالى
"وعرضوا على ربك صفا" لقد جئتمونا" في حجب الجلال و الكبرياء،
و جرى حمزة في قراءته بالنون على أسلوب التكلم الذي كان فيه مع
١٠ زيادة العظمة^٢: ﴿و يوم﴾^٢ أى و اذكر يوم^٣ ﴿يقول﴾ الله لهم تهكما بهم:
﴿نادوا شركآى﴾^٤ و بين أن الإضافة ليست على حقيقتها، بل هى
توبيخ لهم فقال تعالى^٥: ﴿الذين زعمتم﴾ أنهم شركاء ﴿فدعهم﴾ تناديا
فى الجهل و الضلال ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾^٦ أى لم يطلبوا و يريدوا أن
يحيبهم* إعراضا عنهم استهانة بهم و اشتغالا بأنفسهم فضلا عن
١٥ أن يعينهم .

ولما كانوا فى غاية الاستبعاد لأن يحال بينهم و بين معبوداتهم،
قال فى مظهر العظمة: ﴿و جعلنا بينهم﴾ أى المشركين و الشركاء ﴿موبقاء﴾
(١) من ظ و مد، و فى الأصل: يتخلفوك (٢) سقط من ظ (٣ - ٣) سقط
ما بين الرقيين من ظ (٤) من ظ و مد و القرآن الكريم، و فى الأصل: لكم.
(٥) من ظ و مد، و فى الأصل: تجيبهم .

أى^١ هلاكا أو^٢ موضع هلاك ، فاصلا حائلا بينهم ، مهلكا قويا عميقا ثابتا
حفيظا ، لا يشذ عنه منهم أحد ، وإنما فسرته بذلك لأنه مثل قوله تعالى
”فزيلنا بينهم“ أى بالقلوب أى جعلنا ما كان بينهم من الوصلة عداوة ،
ومثل قوله تعالى ”ربنا أهولآء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار“ ”هولآء
[شركاؤنا] الذين كنا ندعوا من دونك“ ونحوه ، لأن معنى ذلك كله أنه ه
يدل ما كان بينهم من الود في الدنيا ، والوصلة يبغيض و قطيعة كما قال
تعالى ”ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض و يلعن بعضكم بعضا“
و أن كل فريق يطلب للآخر^٣ الهلاك ، فافتضى ذلك اجتماع الكل فيه ،
هذا ما يرشد إلى المعنى من آيات الكتاب ، ونقل ابن كثير عن عبد الله
ابن عمرو رضى الله عنهما^٤ أنه قال : هو واد عميق فرق به يوم القيامة بين
أهل الهدى وأهل الضلالة ، وقال الحسن البصرى : [عداوة - ^٥] .
و أما أخذه من اللفظ فلأن مادة ’وبق‘^٦ - يائى وواوية^٧ مهموزة
و غير مهموزة ، و لها^٨ أحد عشر تركيبا : [واحد - ”] يائى : بقى ،
وسنة واوية : قبو ، قوب ، بقو ، بوق ، وقب ، وبق ، و أربعة مهموزة :
قبا ، قاب ، باق ، أبق - كلها تدور على الجمع ، و خصوصا ترتيب وبق ١٥

(١) العبارة من هنا إلى ”موضع هلاك“ ساقطة من ظ (٢) من مد ، و في
الأصل ”و“ (٣) زيد في ظ : حكاية (٤) - ورة ٢٩ آية ٢٥ (٥) في مد : الآخر .
(٦) راجع أيضا البحر المحيط ٦ / ١٣٧ (٧) زيد من ظ و مد و البحر (٨) من
ظ و مد ، و في الأصل : موبق (٩) زيدت الواو بعده في الأصل و لم تكن
الزيادة في ظ و مد لخلفائها (١٠) في ظ : لهذا (١١) زيد من ظ و مد .

/ ٣٧٥

يدور على الحائل بين شيئين ، ويلزمه القوة و الثبات و الحفظ و الهلاك
 / قوة أو فعلا ، لأن ' من حيل ' بينه و بين شيء فقد هلك بفقد ذلك
 الشيء بالفعل إن كان الحائل موتا ، و بالقوة إن كان غيره ، يقال : قبا
 الشيء : جمعه^٢ بأصابه ، و البناء : رفعه ، و الزعفران : جناه ، و القبا - بالقصر :
 ه نبت - لأنه سبب الاجتماع لرعيه و الانتفاع به و هو يجمع أيضا ، و القبا :
 تقويس^٣ الشيء - لأنه أقرب إلى اجتماع بعض أجزائه ببعض ، و القبوة :
 انضمام ما بين الشفتين ، و منه القباء من الثياب ، و قباء تقيية : عبا ،
 أى جمعه حتى صار كأنه فى مكان مقبو ، و قبي [عليه -^٤] تقيية : عدا عليه
 فى أمره - لأنه [كان -^٥] كأنه أوقعه فى حفرة ، و الثوب : جعل منه قباء ،
 ١٠ و تقى القباء : لبسه ، و زيدا : أتاه من قفاه - لأن من يريد رمى أحد
 فى حفرة كذلك يأتبه مخاتلة ، و تقى الشيء : صار كالقبة ، و امرأة قاينة :
 تلقت العصف و تجمعه ، [و -^٦] القاياء : اللثيم - لأنه بناء مبالغة ، فدل
 على كثرة الجمع و الحرص اللازمين للثوم^٧ ، و بنو قاياء : المجتمعون لشرب
 الخمر - لأنها حالة تظهر لثوم اللثام ، و قباء - بالضم و يذكر و يقصر -

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : معنى احتمل - كذا (٢) زيد فى الأصل :
 بالشيء ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و القاموس لحذفناها (٣) من ظ و مد
 و القاموس ، و فى الأصل : مقولش - كذا (٤) زيد من ظ و مد و القاموس .
 (٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد فى الأصل : تجمع ، و لم تكن الزيادة فى ظ
 و مد و القاموس لحذفناها (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : اللوم - كذا .

موضع قرب المدينة الشريفة ، و موضع بين مكة و البصرة ، و انقبى :
استخفى ، و قَبَى قوسين و قباء قوسين - ككساء : قاب قوسين ، و المقبى :
الكثير الشحم - كأنه جمع لنفسه منه بالراحة ما صار كالبناء ، و القباية :
المفازة - لأنها تجمع ما فيها كما تجمع القبة و القباء و الوقبة ما فيها .
و من مهموزه : قبا الطعام - بجمع ^٢ : أكله ، و من الشراب : امتلا ^٥ ،
و القباة ^٣ : حشيشة ترعى ^٤ - لأن المال يجتمع على رعيها .

و من الواوى : قاب الأرض يقوبها و قوبها ^٥ : حفر فيها شبه
التقوير - لأن الدائرة أجمع ما يكون لغيرها و فى نفسها ، لأنه لا زوايا
فيها فاصلة ، و قوبت الأرض : أثرت فيها ، و القوبة : ما يظهر فى الجسد
ويخرج عليه - لأنه ^٦ يكون غالبا ^٦ على هيئة الدائرة ، و تقوب جلده : ^{١٠}
تقلع عنه الجرب ، و انحلق عنه الشعر - إما من الإزالة ، و إما [لأن - ^٧]
آثاره تكون كاللدوائر ، و قوب الشيء : قلعه من أصله - لأن أثره ^٨ إذا
انقلع يكون حفرا مستديرا ، و تقوب هو : تقلع ، و القابة و القابة :
البيضة - لأنها لتدويرها ^٩ تشبه ذلك الحفر ، و القوب - بالفتح : فلق

(١) تكرر ما بين الرقين فى مد (٢) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل :
لجمع (٣) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : القبا (٤) من مد و القاموس ،
و فى الأصل و ظ : مرعى (٥) زيد فى الأصل : الأرض ، و لم تكن الزيادة فى
ظ و مد لحذفها (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : غالبا يكون (٧) زيد من
ظ و مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الشيء (٩) من ظ و مد ، و فى
الأصل : كتدويرها .

الطير يَصْه، و بالضم: الفرخ - لأنه^١ منها، وفي المثل: تخلصت قاتبة
من قوب - يضرب لمن انفصل من صاحبه، والقوبى: المولع بأكل
الاقواب أى الفراخ، والقوب - كصرد: قشور البيض، وتقوب البيضة:
اقتابت أى انحفرت، وأم قوب: الداهية - لجمعها ما تأتى عليه كأنه
ابتلعه حفر، وقاب: قرب - لأن القرب مبدأ الجمع، وقاب: هرب،
أى^٢ سلب القرب - ضد. وقاب: فلق، أى شق^٣ الجمع فهو من الإزالة
أيضا، وقاب قوس وقبه، أى قدره - لأن القوس شبه نصف دائرة
من ذلك الحفر، والقاب: ما بين المقبض والسية - لأنه بعض ذلك،
ولكل قوس قابان، والأسود المتقوب: الذى انسلخ جلده من
الحيات - لتدور ذلك الجلد وشبهه بالحفرة، واقتاب الشيء: اختاره،
أى جمعه إليه، ورجل مليء^٤ قوية - كهزمة: ثابت الدار مقيم - من الثبات
الذى هو لازم الجمع، وقوب من الغبار: اغبر - إما لأن من يحفر
ذلك يغبر، وإما لأن الغبار كثر عليه حتى غطاه فصار له مثل تلك
الحفرة. ومن مهموزه: قاب الطعام - كمنع: أكله، والماء: شربه
١٥ كقثبه - كفرح، أو شرب كل ما فى الإناء، وقثب من الشراب: تملأ،
وهو مقأب^٥ - كمنبر: كثير الشرب^٦ للماء، وإناء قوأب: كثير الأخذ
(١) من ظ ومد، وفى الأصل: لانها (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: الى.
(٣) من ظ ومد، وفى الأصل: سيق (٤) من ظ ومد وتاج انعروس،
وفى الأصل: مليء (٥) من ظ ومد والقاموس، وفى الأصل: مقتبا (٦) من
مد والقاموس، وفى الأصل وظ: الشراب.

للأه - فهو كما ترى جمع مخصوص بالآكل / و الشرب ، أو أنه جمعه في
وقبة^١ بطنه .

ومن الواوى : بقاء بعينه : نظر إليه - فهو من الحفظ اللازم للجمع ،
وابقه بَقْوَتَكَ مَالَكُ وبقاوتك مالك ، أى احفظه حفظك^٢ مالك ، وبقوته :
انتظرته - وهو يرجع إلى الثبات والمراقبة التى ترجع إلى الحفظ ، ويلزم هـ
الحفظ الثبات . ومن الياى : بقى الشيء بقاء : ثبت ودام ضد فنى ،
و الاسم البقوى - كدعوى . ويضم ، والبقيا - بالضم والبقية ، وقد توضع
الباقية موضع المصدر .

ومن واويته : البوقة : الجمع^٣ و الدفعة من المطر الشديدة أو المنكرة
تنباق - لأنها^٤ نزلت من وقبة لشدها ، والبواثق : العوائد - لأنها جامعة ١٠
لمن اعتادها ، والبواثق : الشر - لأنه مهلك ، فكأنه موقع فى المهالك ،
و البوق - بالضم : شبه منقاب^٥ ينفخ فيه الطحان ، أو^٦ الذى ينفخ فيه
مطلقا ويزمر - لأنه لتجويفه يشبه الوقبة ، و البوق أيضا : الباطل و الزور -
لأن صوته أشبه شىء بذلك ، و المبوب^٧ - كمعظم : الكلام الباطل ، و البوق -
و يفتح : من لا يكتفى السر - لأن البوق متى نفخ فيه صوت ، و البوقة : ١٥
شجرة دقيقة - لأنها لدقتها يسرع إليها الهلاك كمن^٨ وقع فى وقبة ،

(١) بهامش ظ : أى حفرة (٢) من ظ و مد والقاموس ، وفى الأصل :
حفظت (٣) وهذا المعنى لم يلم به ما عندنا من القواميس (٤) من ظ و مد ، فى
الأصل : كانها (هـ) فى مد : منقاب (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل « و » .
(٧) فى مد : الوبق (٨) من مد ، وفى الأصل : يكون ، وفى ظ : لمن .

والباقية^١ : الداهية - كأنها تدفع من أمته في الوقبة ، وانبأقت عليه
 بائقة : انتقلت ، و باق : جاء بالشر والخصومات - [من ذلك -^٢] ،
 وكذا باق ، أى تعدى على إنسان ، وانبأق به : ظلمه ، و الباقية القوم :
 أصابتهم ، كانباقت عليهم ، أى خرجت لشدها من وقبة ، و الباقية :
 ٥ الحزمة من بقل - لاجتماعها ، و باق بك : طلع عليك من غيبة - كأنها
 كان في حفرة مخزج ، ومنه باق فلان : هجم على قوم بغير إذنه ،
 و باق القوم : سرقهم ، و باق به : حاق به -^٣] ، أى - أحاط كما تحيط
 الوقبة ، و باق القوم عليه : اجتمعوا فقتلوه ظلما ، و باق المال : فسد و برب
 كحال^٤ من وقع في حفره ومنه متاع باق : لا تمن له ، و تبوق في
 ١٠ الماشية : وقع فيها الموت وفشا ، و الحاق باق : صوت الفرج عند الجماع -
 لأنه من الجمع ، و لأن الفرج يؤقبه ، و من مهموزه : بأقهم الداهية يؤرقا :
 أصابتهم ، و انباق عليهم الدهر : هجم عليهم بالداهية .
 و من الواوى ، الوقبة : كوة عظيمة فيها ظل ، و الوقب و الوقبة :
 نقرة في الصخرة يجتمع فيها الماء ، و قيل : هى نحو البئر فى الصفا تكون
 ١٥ قامة أو قامتين يستنقع فيها ماء السماء ، و كل نقر فى الجسد وقب كنقر
 العين والكتف ، و الوقبان من الفرس : هزمتان^٥ فوق عينيه ، و وقب
 (١) فى مد : الباقية (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : انت (٣) زيد من ظ
 و مد (٤ - ٤) من ظ و مد و انقاموس ، وفى الأصل : بعد عن (٥) زيدت
 الواو فى مد (٦) من مد و انقاموس ، وفى الأصل و ظ : غيبته (٧) زيد من مد
 والتأج (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : لال (٩) من ظ و مد و انقاموس ، وفى
 الأصل : الكشف (١٠) فى مد : لهزمتان .

المحالة : الثقب الذى يدخل فيه المحور ، و وقبة ^١ الدهن : أنقوعته ، وكذا
 وقبة الثريد ، و وقب الشيء : دخل [فى الوقب ، و أوقب الشيء : أدخله]
 فيه ، و ركية وقباء : غامرة الماء ، و امرأة ميقاب : واسعة الفرج و بنو
 الميقاب نسبوا إلى أمهم ، يريدون سهم ^٢ بذلك ، و الميقاب : الرجل
 الكثير الشرب للماء ، و الحقاء أو الحمقة ، و سير الميقاب : أن تواصل
 سير يوم و ليلة - كأن ذلك سير الاحق الذى لا يبق على ظهره ، و وقب
 القمر وقوبا : دخل فى الظل الذى يكسفه ^٣ - كأنه ^٤ حفرة ابتلعت
 و وقبت الشمس وقوبا : غابت كذلك . و قيل : كل ما [غاب - ^٥]
 فقد وقب ، و وقب ^٦ الظلام : أقبل . أى فصار كالوقبة ، فابتلع الضياء
 أو ابتلع ما فى الكون فحجبه عن الضياء . و رجل وقب ^٧ : أحرق - كأنه ^٨
 وعاء لىكل ما يسمع ، لا أهلية له فى تمييز جيده من رديئه ، و الأشي :
 وقبة ، و قال ثعلب : الوقب : الدنء ، أى لأنه ^٩ يتبع نفسه هواها فيصير
 كأنه الوقبة لا ترد شيئا مما يلقي فيها . / و وقب الفرس وقبا و هو صوت
 قنبه ، أى وعاء قضيبه ، و قيل : صوت تقلقل جردان الفرس فى قنبه -
 لأن وعاء جردانه كالوقبة ، فهو من اطلاق اسم المحل على ما فيه ، و القبة - ^{١٠}

٣٧٧ /

(١) من ظ و مد والقاموس ، وفى الأصل : وقب (٢) زيد لفظا من ظ و مد
 ومعنى من القاموس (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : نسهم (٤) من القاموس
 وفى الأصول : « و » (٥) من مد ، وفى الأصل وظ : يكشفه (٦) فى ظ : لأنه
 (٧) زيد من ظ و مد (٨) فى ظ و مد : وقت - كذا (٩) زيد فى الأصل : أى
 ولم تكن الزيادة فى ظ و مد والقاموس فحذفناها (١٠) فى ظ : أنه -

[كعدة - ١] : الإنفحة إذا عظمت من الشاة^٢ ، قال ابن الأعرابي :
ولا يكون ذلك في غير الشاة - لأن شبه الإنفحة بالوقبة ظاهر ، والوقبة :
موضع يمد ويقصر ، والوقبي : ماء لبنى مازن - لأنه يجمعهم كما تجمع
الوقبة [ما - ٢] فيها ، والأوقاب : قماش اليت كالبرمة والرحيين والعمد -
ه لأن اليت لها كالوقبة لجمعها^٣ أو لأنها جامعة^٤ لشملى من فيه ،
والميقب : الودعة ، وأوقب القوم : جاعوا ، أى تهاؤوا لإدخال الطعام
فى وقبة الجوف ، وذكر أوقب : ولآج فى الهنات - لأنها كالأوقاب أى
الحفر . والوقب : الإقبال والمجىء ، وهو سبب الجمع .

ووبق^٥ - كوعد ووجل وورث ووبقا^٦ وموبقا^٧ : هلك ، أى
١٠ وقع فى [وقبة ، أى - ٢] حفرة^٨ كاستوبق ، وكجلس : المهلك
والمحبس ، وواد فى جهنم ، وكل شىء حال بين شيئين - لأن الوقبة
تحول بين ما فيها وبين غيره . ومنه قيل للوعد : موبق ، وأوبقه :
حبسه أو أهلكه^٩ .

ومن مهموزه : أبى العبد - كسمع وضرب ومنع^{١٠} - أبقا

(١) زيد من ظ و مد والقاموس (٢) من مد والقاموس ، وفى الأصل وظ :
الشيء (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ ، وفى الأصل : جمعها ، وفى مد :
يجمعها (٥) من مد ، وفى الأصل وظ : طامعة (٦) من مد والقاموس ، وفى
الأصل وظ : وقب (٧ - ٧) سقط ما بين الرقيين من مد (٨) من ظ و مد ،
وفى الأصل : حفر (٩) فى مد : هلكه (١٠) من ظ و مد والقاموس ، وفى
الأصل : منه .

ويحرك - وإياها - ككتاب: ذهب بلا خوف ولا كد عمل، أو استخفى
ثم ذهب - وكل ذلك يرجع إلى جملة كأنه نزل^٢ في وقبة، ومن
شأنه حيث أن يخفى، ومنه تأبق: استتر أو احتبس، وتأبق الشيء:
أنكره - لأن سبب الإنكار الخفاء. وتأبق: تأثم، [أى جانب
الإثم -^٣]، فهو لسبب الجمع أو لسبب الهلاك في الوقبة، والأبق - محركة: ه
القلب - لشبهه لتجويفه بالوقبة، والأبق: قشره - لقوته اللازمة للجمع
أو لأنه خيوط مجتمعة .

ولما قرر سبحانه ما لهم^٤ مع شركائهم، [ذكر حالهم -^٥] في
استمرار جهلهم، فقال تعالى: ﴿ورأى المجرمون﴾^٦ أى العريقون في
الإجرام^٧ ﴿النار﴾ أى ورأوا، ولكنه أظهر للدلالة على تطبيق الحكم ١٠
بالوصف ﴿فظنوا﴾ ظنا ﴿انهم واقعوها ولم﴾ أى والحال أنهم
[لم -^٨] ﴿يجدوا عنها مصرفا﴾ أى مكانا ينصرفون إليه، فالموضع موضع
التحقق، ولكن ظنهم جريا على عادتهم فى الجهل كما قالوا "اتخذ الله
ولدا" بغير علم "وما اظن ان تبيد هذه ابدا"، "وما اظن الساعة
قائمة"، "ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين" مع قيام الأدلة التى ١٥
لا ريب فيها .

ولما كان الكلام فى قوة أن يقال: صرفنا هذه الاخبار بما أشارت

- (١) من ظ و مد والقاموس، وفى الأصل «و» (٢) من مد، وفى الأصل:
ترك، وفى ظ: يزل (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) فى ظ: حالهم (٥) من مد،
وفى الأصل و ظ: من (٦) زيد من مد (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ .
(٨) من ظ و مد، وفى الأصل: ربما .

إليه من الأسرار الكبار، فقامت دلائل الشريعة الجلائل، وأضاءت
بها جواهر المعاني الزواهر. عطف على ذلك : ﴿ ولقد صرفنا ﴾ أى
بما لنا من العظمة ^١ . ولما كانت هذه السورة فى وصف الكتاب ،
اقضى الاهتمام به تقديمه فى قوله تعالى : ﴿ فى هذا القرآن ﴾ أى القيم
٥ الذى لا عوج فيه ، ^٢ مع جمعه للمعانى ونشره الفارق بين الملابس
﴿ للناس ﴾ ^٣ أى المزلزلين فضلا عن الثابتين ^٤ ﴿ من كل مثل ﴾ أى
حولنا الكلام وطرقاه فى كل وجه ^٥ من وجوه المعانى وأبشاه من
العبارات الرائقة ، والأساليب المتناسقة ، ما سار بها فى غرابته كالثلل ،
يقبله كل من يسمعه ، وتضرب به آباط ^٦ الإبل فى سائر البلاد ، بين
١٠ العباد ، فتبشر به قلوبهم ، وتلهج ^٧ به ألسنتهم ، فلم يقبلوه وجادلوا فيه ؛
ثم نبه على الوصف المقتضى لذلك بقوله تعالى : ﴿ وكان الانسان ﴾
الذى جعل خصيما وهو آنس بنفسه جبلة وطبعا ^٨ ﴿ أكثر شىء ﴾ ^٩ وميز
الأكثريه بقوله تعالى : ﴿ جدلاه ﴾ ^{١٠} لأنه لم ينته عن الجدل بعد هذا البيان ،
الذى أضاء جميع الأكوان ^{١١} .

١٥ ولما بين إعراضهم ، بين موجه عندهم فقال : ﴿ وما منع ﴾ ^{١٢} ولما
كان / الناس تبعا لقريش قال : ﴿ الناس ﴾ أى الذين جادلوا بالباطل ،
الإيمان - هكذا كان الأصل ، ولكنه عبر عن هذا المفعول الثانى بقوله تعالى :

(١ - ١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : وجوه .
(٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : الآباط (٤) فى ظ : بهج .
أن (٢٢)

(ان^١ يؤمنوا)^٢ ليفيد التجديد و ذمهم على الترك^٣ (اذ)^٤ أى حير^٥
 (جاءهم الهدى) بالكتاب على لسان الرسول . وعطف على المفعول
 الثانى - معبرا بمثل ما مضى^٦ لما مضى^٧ - قوله تعالى : (ويستغفروا ربهم)
 أى^٨ المحسن إليهم .

و لما كان الاستثناء مفرغا ، أتى بالقاعل فقال تعالى : (ألا^٩ ان)^{١٠}
 أى^{١١} طلب أن (تاتيهم سنة الاولين) فى إجابتهم إلى ما اقترحوه على
 رسلهم ، المقضى للاستئصال لمز استمرار على الضلال ،^{١٢} و من ذلك طلبهم
 أن يكون النبي^{١٣} ملكا ، و ذلك نقمة فى صورة^{١٤} نعمة و إتيان بالعذاب^{١٥}
 دبرا ، أى مستورا (او) طلب أن (ياتيهم العذاب قبلا) أى مواجهة
^{١٦} و معاينة و مشاهدة من غير ستر له^{١٧} . هو فى قراءة من كسر القاف و فتح ١٠
 الباء^{١٨} واضح ، من قولهم : لقيت فلانا قبلا ، أى معاينة ، و كذا فى
 قراءة من ضمهما^{١٩} ، من قولهم : أنا آتيك قبلا لا دبرا ، أى^{٢٠} مواجهة

(١) فى ظ : من ان (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣ - ٣) سقط ما بين
 الرقين من مد (٤) العبارة من « وعطف على » إلى هنا ساقطة من ظ (٥) فى ظ :
 من ان يستغفروا (٦) سقط من ظ (٧) العبارة من هنا إلى « أى مستورا »
 ساقطة من ظ (٨) من مد ، وفى الأصل : الشئ . (٩) من مد ، وفى الأصل :
 وصول (١٠ - ١٠) من مد ، وفى الأصل : ايتاونا لعذاب - كذا (١١) العبارة
 من هنا إلى « الأولين فعنناه » ساقطة من ظ (١٢) زيد بعده فى الأصل وفى
 نسخة أخرى من مد - من نفس النكتبة و نفس الخط و قد ترجع إليها عند
 اشتداد الحاجة - : فى سنة الاولين ، و لم تكن الزيادة فى مد لحذفناها (١٣) راجع
 نثر المرجان ٤ / ١٥٥ (١٤) من مد ، وفى الأصل : ضمها (١٥) سقط من مد .

من جهة وجهك^١ لا من جهة قفاك ، قال تعالى " ان كان قيصره
 قد من قبل^٢ " ، ويصح أن يراد بهذه القراءة الجماعة ، لأن المراد بالعذاب
 [الجنس -^٣] أى يأتهم أصنافا مصنفة صنفا صنفا ونوعا نوعا ، وقد
 مضى فى الأنعام يانه ، وهذا الشق قسم^٤ الإتيان بسنة الأولين ، فعناه :
 ه من غير أن يجابوا إلى^٥ ما اقترحوا كما تقدم فى التى قبلها " فابى أكثر
 الناس الا كفورا وقالوا لن نؤمن لك - إلى قوله تعالى : أو تسقط السماء
 كما زعمت علينا كسفا^٦ - الآية^٧ ؛ وهذه الآية من^٨ الاحتباك : ذكر
 " سنة الأولين " أولا يدل على ضدها ثانيا ، و ذكر المكاشفة ثانيا يدل
 على المسطرة أولا .

١٠ ولما كان ذلك ليس إلى الرسول ، إنما هو إلى الإله . يينه^٩ بقوله
 تعالى : ﴿ وما نرسل ﴾ على ما لنا من العظمة التى لا أمر لاحد معنا
 فيها ﴿ المرسلين الا مبشرين ﴾ بالخير على أفعال الطاعة ﴿ ومنذرين ﴾ ج
 بالشر على أفعال المعصية ، فيطلب منهم الظالمون من أممهم ما ليس إليهم^{١٠}
 من فصل الأمر ﴿ ويجادل الذين كفروا ﴾ أى يجددون الجدل كلما^{١١}

(١) زيد بعده فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها (٢) - سورة ١٢
 آية ٢٦ (٣) زيد من مد (٤) من مد ، وفى الأصل : ان (٥-٥) من مد ، وفى
 الأصل : السق قيم - كذا (٦) زيد فى الأصل : غير ، ولم تكن الزيادة فى ظ
 و مد لحذفها (٧) سورة ١٧ آية ٨٩-٩٢ (٨) العبارة من هنا إلى « المسطرة أولا ،
 ساقطة من ظ (٩) من مد ، وفى الأصل : لمن (١٠) سقط من مد (١١) فى
 مد : كما .

أتأم أمر من قبلنا ﴿ بالباطل ﴾ من قولهم : لو كنتم صادقين لاتيتم بما نطلب^١ منكم ، مع أن [ذلك - ^٢] ليس كذلك لأنه ليس لأحد غير الله من الأمر شيء^٣ ﴿ ليدحضوا ﴾ أى ليزلقوا فيزيلوا و يبطلوا ﴿ به الحق ﴾ الثابت من المعجزات المثبتة لصدقهم .

ولما كان لكل مقام مقال ، و لكل مقال [حد و - ^٤] حال ، فأتى فى ه الجدال بصيغة الاستقبال ، و كان اتخاذ الاستهزاء أمرا واحدا ، أتى به ماضيا فقال تعالى : ﴿ واتخذوا ﴾ أى كلفوا أنفسهم أن أخذوا ﴿ ايتى ﴾ بالبشارات التى هى المقصودة بالذات لكل ذى روح ﴿ و ما آتدروا ﴾ من آياتى ، بنى للفعول لأن الفاعل معروف و الخيف الإنذار^٥ ﴿ هزواه ﴾ مع^٦ بعدهما جدا عن ذلك ، فلا بالرغبة أطاعوا . و لا للرهبة ارتاعوا ، فكانوا شرا ١٠ من البهائم .

ولما حكى عنهم هذا الجدال ، و الاستهزاء و الضلال ، وصفهم بما يوجب الحزى فقال - عاطفا على ما تقديره^٧ : فكانوا بذلك أظلم الظالمين : ﴿ و من ظلم ﴾ منهم -^٨ استفهما على سبيل التقرير^٩ ، و لكنه أظهر للتنبيه على الوصف الموجب للانكار على من شك فى أنهم أظلم . ١٥ فقال تعالى : ﴿ بمن ذكر ﴾^{١٠} أى من أى مذكر كان^{١١} ﴿ بايت ﴾ أى علامات ﴿ ربه ﴾ المحسن إليه بها : قال الأصهبانى : و هذا من أفصح

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يطلب (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى مد : شيئا .
(٤) زيد من ظ (ه-ه) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعد .

التقرير أن يوقف الرجل على ما لا جواب له فيه إلا الذي يريد خصمه .
 ولما كان التذكير سبباً^١ للاقبال فعكسوا فيه / قال تعالى^٢ :
 ﴿ فاعرض عنها ﴾ تاركاً لما يعرف من تلك العلامات العجيبة^٣ وما يوجبه
 ذلك [الإحسان -^٤] من الشكر ﴿ ونسى ما قدمت يده^٥ ﴾ من الفساد
 ه الذي هو عارف - لو صرف عقله إلى الفكر فيما ينفعه - أن الحكمة تقتضي
 جزاءه عليه ، و أفرد الضمير في جميع هذا على لفظ " من " إشارة إلى
 أن من فعل مثل هذا - ولو أنه واحد - كان هكذا ، والاحسن أن يقال :
 إنهم لما كانوا قد سألوا اليهود صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما
 أشير إليه عند^٦ " . يستلونك عن الروح^٧ " فأمرهم بسؤاله عما جعلوه
 ١٠ أمانة على صدقه ، فلم يؤثر ذلك فيهم ، واستمروا بعد إخباره بالحق على
 التكذيب ، شرح حالهم بالتعقيب بالفاء ، فكان المعنى : من أظلم منهم ،
 لأنهم ذكروا فأعرضوا ونسوا ما اعتقدوا أنه دليل الصدق ، وأنه
 لا جدال بعده ،^٨ و سيأتي لموقع الفاء في آخر السجدة مزيد^٩ بيان ،
 وإسناد الفعل في الإعراض وما بعده إليهم حقيقة مما لهم من [الكسب
 ١٥ كما أن إسناد الجعل وما بعده إلى الله حقيقة بما له من -^{١٠}] الخلق .
 ولما كان كأنه قيل : ما لهم فعلوا ذلك ، أيجمل قبح هذا أحد ؟ قيل :

(١) في مد : مسبباً (٢) العبارة من « قال الأصمعي » إلى هنا ساقطة من ظ -
 (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : عنه -
 (٦) سورة ١٧ آية ٨ (٧) العبارة من هنا إلى « الخلق » ساقطة من ظ (٨) سقط من
 مد (٩) زيد ما بين الحاجزين من مد .

(انا جعلنا) بما لنا من القدرة ' على إعطاء البصائر و الأبصار
 (على قلوبهم) لجمع رجوعا إلى أسلوب " واتخذوا 'يتى" لأنه أنص على
 ذم كل واحد (اكنة) ' أى أعطية ' مستعيلة عليها استعلاء يدل سياق
 العظمة على أنه لا يدع شيئا من الحيز يصل إليها ، فهي لا تعى شيئا من
 آياتنا ، و دل بتذكير الضمير على أن المراد بالآيات القرآن فقال تعالى : هـ
 (ان) أى كراهة أن (يفقهوه) أى يفهموه (و فى اذانهم وقرا)
 أى ثقلا فهم لا يسمعون حق السمع ، ولا يعون حق الوعى (و ان تدعهم)
 أى تكرر دعاءهم ' كل وقت (الى الهدى) لتنجيهم بما عندك من
 الحرص على ذلك و الجد (فلن يهتدوا) ' أى كلهم بسبب دعائك
 (اذا) أى إذا دعوتهم (ابداه) لأن من له العظمة التامة - و هو ١٠
 الذى إذا عبر عن نفسه بنونها كانت على حقيقتها - حكم عليهم بالضلال ،
 أى أنه ' لا يكون الدعاء وحده هاديا لاكثرهم ، بل لا بد معه من السيف
 كما سنأمرك به فتقطع الرؤوس فيذل غيرهم ' ، و قد يكون المراد أن
 من كان هكذا معاندا على هذا الوجه كان ' مؤبدا للشقاء ، و قد نفي
 (١) العبارة من هنا إلى « و الأبصار » ساقطة من ظ (٢) فى مد : العظمة .
 (٣) زيد فى الأصل و ظ : كل ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) تأخر
 مع الكلمتين التاليتين فى الأصل عن « من آياتنا » و الترتيب من ظ و مد .
 (٥-٥) سقط ما بين الرقين من مد (٦-٦) سقط ما بين الرقين من ظ (٧) زيد
 بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد ،
 وفى الأصل : لانه (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : عزهم ، و العبارة من بعده
 إلى « أو التفويض » ساقطة من ظ (١٠) من مد ، وفى الأصل : كما .

آخر هذه الآية الفعل عن العباد و اثبت لهم اولها ، و قلنا نحمد في القرآن
آية تسند الفعل إليهم إلا قارنتها أخرى تثبت لله و تنفيه عنهم ، ابتلاء
من الله لعباده ليميز الراسخ - الذي ينسب للكافرين الكسب^١ المفيد
لأثر التكليف ، و لله الخالق المفيد لأنه سبحانه لا شريك له في خلق
هـ و لا غيره - من الطائش^٢ الذي يقول بالجبر^٣ أو التفويض .

و لما كان هذا مقتضيا لأخذهم ، عطف على ما اقتضاه السياق بما
ذكرته من العلة قوله تعالى : ﴿ و ربك ﴾ مشيرا بهذا الاسم إلى ما
اقتضاه الوصف من الإحسان بأخذ من يأخذ منهم و إمهال غيره لحكم
دبرها ؛ ثم أخبر عنه بما ناسب ذلك من أوصافه فقال : ﴿ الغفور ﴾
١٠ أى هو وحده الذى يستر الذنوب إما بمحوها و إما بالحلم^٤ عنها إلى
وقت ﴿ ذو الرحمة ﴾ أى^٥ [الذى -^٦] يعامل - و هو قادر - مع موجبات
الغضب معاملة الراحم بالإكرام^٧ ؛ ثم استشهد على ذلك بقوله تعالى :
﴿ لو يؤاخذهم ﴾ أى هؤلاء الذين^٨ عادوك و آذرك ، و هو عالم بأنهم
لا يؤمنون لو يعاملهم معاملة المؤاخذ ﴿ بما كسبوا ﴾ حين كسبهم
١٥ ﴿ لعجل لهم العذاب^٩ ﴾ واحدا بعد واحد ، و لكنه لا يعجل لهم ذلك
﴿ بل لهم موعد ﴾ يحله^{١٠} بهم فيه ،^{١١} و دل على أن مواعده ليس كموعده غيره

(١) في مد : الكسب - كذا (٢) من مد ، وفي الأصل : الطاش (٣) من مد ،
وفي الأصل : بالخير (٤) من مد ، وفي الأصل و ظ : بالحكم (٥) سقط من
ظ و مد (٦) زيد من ظ (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل :
الذى (٩) من ظ و مد ، وفي الأصل : يحله - كذا (١٠) العبارة من هنا =

من العاجزين بقوله دالا على كمال قدرته: ﴿لن يجدوا من دونه﴾
 [أى - ١] الموعد ﴿موتلاه﴾ أى ملجأ ينجيهم منه ، فاذا [جاء - ١] موعدم
 أهلكتناهم فيه بأول ظلمهم : آخره .

ولما كانت هذه سنة^٢ في القرون الماضية والامم الحالية ، قال
 ٣٨٠ / تعالى عاطفا على قوله "لهم موعد" ^٢مروعا لهم بالإشارة إلى ديارهم
 المصورة لدمارهم^٣ : ﴿وتلك القرى﴾ ^٣أى الماضية من عاد وثمود
 ومدن وقوم لوط وأشكالهم^٤ ﴿أهلكناهم﴾. أى حكمتنا بأهلا كههم بما لنا
 من العظمة ﴿لما ظلموا﴾ ^٤أى أول ما ظلموا ، أو أهلكتناهم بالفعل
 حين ظلمهم لكن لا فى أوله . بل أمهلناهم إلى حين تناهيه وبلوغه
 الغاية ، ^٥فليحذر هؤلاء مثل ذلك^٥ ﴿وجعلنا﴾ ^٥أى بما لنا من العظمة^٥ .
 ١٠ ﴿لهلكهم﴾ ^٥أى إهلا كههم بالفعل ﴿موعداء﴾ ^٥أى وقتا نخله بهم فيه
 ومكانا لم نخلفه^٦ ، كما أنا^٦ جعلنا هؤلاء موعدا فى الدنيا بيوم بدر والفتح
 وحنين ونحو ذلك . وفى الآخرة لن نخلفه^٧ ، وكذا كل أمر يقوله^٧
 نبي من الأنبياء عنا لا يقع^٨ "فيه خلف" ^٨وإن كان يجوز لنا ذلك ، بخلاف
 ما يقوله من نفسه غير مسند إلينا فإنه يمكن وقوع الخلف فيه^٩ ، كما
 = إلى قوله "كآل قدرته" ساقطة من ظ .

- (١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : ستة (٣-٣) سقط ما
 بين الرقيين من ظ (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل "و" .
 (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : يخلف (٧) من مد ، وفى الأصل : لم يخلفه .
 (٨) من مد ، وفى الأصل : أن (٩) العبارة من "ومكانا" إلى هنا ساقطة من
 ظ (١٠) زيد فى مد : من نفسه غير مسند إلينا (١١-١١) فى ظ : الخلف فيه .

وقع في الوعد بالإخبار عن هذه المسائل التخلف أربعين ليلة أو ما دونها
على حسب فهمهم أن "غدا" على حقيقته .

ولما قدم الكلام على البعث ، واستدل عليه بابتداء الخلق ، ثم ذكر
بعض أحواله ، ثم عقبه بما ضرب لذلك وغيره من الأمثال ، وصرف
من وجوه الاستدلال ، وختم ذلك بأنه يجهل عند المساءة ، عقب ذلك
بأنه كذلك يفعل عند المرة ، فلكل شيء عنده كتاب ، وكل قضاء
بقدر و حساب ، فذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام وما اتفق
له في طلبه ، وجعله سبحانه له الخواتم آية وموعدا للقاءه ، ولو أراد
سبحانه لقرب المدى ولم يحوج^١ إلى عناء ، مع ما فيها من الخارق^٢ الدال
١٠ على البعث ، ومن الدليل على أن من ثبت فضله [و عليه -^٣] لا يجوز
أن يعترض عليه إلا من كان على ثقة بما يقوله من ربه ولا أن^٤ يمتحن ،
[و -^٥] من الإرشاد إلى ذم الجدل بغير علم ، وجوب الانقياد للحق
عند يانه ، وظهور برهانه ، ومن إرشاد من استنكف أن يجالس فقهاء
المؤمنين بما اتفق لموسى عليه السلام من أنه - وهو كليم الله - اتبع
١٥ الخضر عليه السلام ليقتبس من علمه ، ومن تبكيت اليهود^٦ بقولهم
لقريش لما أمرهم بسؤال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إن
(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : لم يخرج (٢) في مد : الحوارق (٣) زيد من
ظ و مد (٤-٥) في مد : لان ، وفي النسخة الأخرى من مد مثل ما في الأصل .
(٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : مع (٦) زيد في الأصل : من ، ولم تكن
الزيادة في ظ و مد لحذفها .

لم يخبركم فليس بنبي ، الموم للعرب الذين لا يعلمون شيئا أن من شرط النبي^١
 [أن لا - ٢] يخفى عليه شيء ، مع^٢ ما يعلمون من أن موسى عليه
 السلام خفي عليه جميع^٣ ما فعله الخضر عليه السلام ، وإلى نحو هذا
 أشار الخضر عليه السلام بقوله إذ وقع العصفور على حرف السفينة و نقر
 من البحر نقرة أو نقرتين : ما نقص على و عليك يا موسى من علم الله ٥
 إلا كما نقص هذا العصفور من البحر . و باعلامهم^٤ بما يعلمونه من أن موسى
 عليه السلام جعل نفسه تابعا للخضر عليه السلام ، تكذيبا لهم في ادعائهم
 أنه ليس أحد أعلى من موسى عليه السلام في وصف من الاوصاف ،
 و أنه لا ينبغي لأحد اتباع غيره ، و من جوابهم عما لعلهم يقولون للعرب
 بهتاء^٥ و حسدا^٦ لو كان نبي ما قال : أخبركم غدا ، و تأخر عن ذلك ، بما ١٠
 اتفق لموسى في وعده الخضر عليهما السلام بالصبر ، و بما خفي عليه بما
 اطلع عليه الخضر عليهما السلام ، فقال تعالى عاطفا على قوله سبحانه ” و اذ
 قلنا للشكة “ : ﴿ واذ ﴾ أى واذكر لهم حين^٧ ﴿ قال موسى ﴾ أى^٨ ابن عمران
 المرسل إلى بنى إسرائيل ، أى [قوله - ٩] الذى كان فى ذلك الحين^٩ ﴿ لفته ﴾
 يوشع بن نون عليهما السلام : ﴿ لا ابرح ﴾ أى لا أزال سائرا^{١٠} فى طلب ١٥
 العبد الذى أعلى ربي بفضله - كما دل عليه ما بأتى ﴿ حتىّ ابلغ مجمع البحرين ﴾

- (١) زيد فى الأصل : صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
 (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) تكرر ما بين الرقيين فى الأصل فقط (٤) فى مد :
 باعلامه ، وفى نسخة أخرى من مد مثل ما فى الأصل وظ (٥) من مد ، وفى الأصل :
 تهما ، وفى ظ : بهتتا - كذا (٦) فى ظ : اذا (٧) سقط من ظ (٨) زيد من مد .
 (٩) العبارة من ” أى قوله الذى “ إلى هنا ساقطة من ظ (١٠-١٠) سقط ما بين
 الرقيين من ظ .

'أى ملتقاهما و موضع اختلاطهما الذى سبق / إليه فهمى ، فتعينت البداية
 به' فألقاه ثم (او امضى حقبا) إن لم أظفر بمجمع البحرين الذى جمعه
 ربى موعدا [لى فى لقائه - ٢] ؛ و الحقب - قال فى القاموس - ثمانون
 سنة أو أكثر و الدهر و السنة أو السنون - انتهى . وما أنسب التوقيت
 ٥ بمجمع بجرى الماء بمجمع بجرى العلم و تزودهما' بالنون الذى قرنه [الله - ٥]
 بالقلم و ما يسطرون ، و عين الحياة لأن العلم حياة القلوب ، فسارا و تزودا
 حوتا مشويا فى مكمل ' كما أمرا به ' ، فكانا يأكلان منه إلى أن بلغا
 المجمع (فلما بلغا مجمع بينهما) أى البحرين ، فلم يكن هناك بين أصلا
 لصيروتها شيئا واحدا' (نسيا حوتها) فلم يعلم موسى عليه السلام
 ١٠ شيئا من حاله و نسى أن يسأل عنه ، و علم يوشع عليه السلام ' بعض
 حاله ' فنى أن يذكر ذلك له (فاتخذ) أى ' الخوت ' معجزة فى معجزة '
 (سيله) أى طريقه ' الواسع الواضح ' (فى البحر سرباه) أى ' خرقا
 فى الماء غير ملتئم ، من السرب الذى [هو - ٢] جحر الوحشى ، و الحفيرة
 تحت الأرض ، و القناة يدخل منها ' الماء الحائط . و قد ورد فى
 ١٥ حديثه فى الصحيح ' أن الله تعالى ' أحياءه و أمسك عن ' موضع جريه فى

- (١ - ١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) العبارة من هنا
 إلى « حياة القلوب » ساقطة من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل : تزودها (٥) زيد
 من مد (٦) سقط من ظ (٧) تكرر فى الأصل فقط (٨) من القاموس ،
 و فى النسخ : الحفر (٩) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : منه .
 (١٠) راجع باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام - كتاب الانبياء .
 (١١ - ١١) من مد ، و فى الأصل : احياء فامسك ، و فى ظ : أمسك عن .

الماء ، فصار طاقا لا يلتئم . و يوشع عليه السلام ينظر ذلك ، و كأن
المجمع كان ممتدا ، فظن موسى عليه السلام أن المطلوب أمامه ' أو ظن
أن المراد بمجمع آخر فسار ' ﴿ فلما جاوزا ﴾ ' أى موسى و قناه عليهما
السلام ' ذلك الموضع ' من المجمع ' تعب ، و لم يتعب حتى جاوز المكان
الذى أمر به ' معجزة أخرى ' ، فلما جاع و تعب ﴿ قال لفته اتنا ﴾ ' أى ه
أحضر لنا ' ﴿ غداً هنا ﴾ أى لتتقوى [به - ٢] على ما حصل لنا من الإعياء ،
و لذلك وصل به قوله تعالى : ﴿ لقد لقينا من سفرنا ﴾ أى ' الذى سافرناه
فى هذا اليوم خاصة ، و لذلك أشار إليه بأداة القرب فقال تعالى :
﴿ هذا نصابه ﴾ و كان الحوت زادهم فلم يكن معه ، فكأنه قيل : فما كان
عن أمره ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ لموسى عليه السلام ' معجبا له ' : ﴿ ارهيت ﴾ ١٠
ما دهاني ؟ ﴿ اذ اوينآ الى الصخرة ﴾ التى بمجمع البحرين ﴿ فاني ﴾ أى ٢
[بسبب أنى - ٥] ﴿ نسيت الحوت ﴾ أى نسيت أن أذكر لك أمره الذى
كان هناك ؛ ثم زاد التعجب من هذا النسيان بالاعتراض بين الإخبار به
بجملا و بين تفصيل أمره و بإيقاع النسيان عليه ثم على ذكره فقال تعالى :
﴿ و ما أنسنيه ﴾ مع كونه عجيبا ﴿ الا الشيطان ﴾ يوساوسه . ١٥

و لما كان المقام للتدريب فى عظيم تصرف الله تعالى [فى القلوب - ٥]
بإثبات العلم و نفيه و إن كان ضروريا ، ذكر نسيانه ، ثم أبدل من ضميره

(١ - ١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ .

(٤ - ٤) فى ظ : قال (٥) زيد من مد .

قوله تعالى: ﴿ان اذكره﴾ لك فانه عاش فانساب من المكتل في البحر ﴿واتخذ سيله﴾ أى طريقه الذى ذهب فيه^٢ ﴿في البحرىء عجباء﴾ وذكره [له -^٢] الآن مانع من أن يكون للشيطان عليه سلطان على أن هذا الإنساء ليس مفوتاً لطاعة ، بل فيه ترقية لهما في معارج المقامات العالية لوجدان التعب بعد المكان الذى فيه البغية ، وحفظ الماء منجباباً ه على طول الزمان وغير ذلك من آيات الإيقان^٤ ، وقوله تعالى ” انما سلطنه على الذين يتولونه “^٥ ، مبين أن السلطان الحبل على المعاصى ، وقد كان في هذه [القصة -^٢] خوارق حياة الحوت وإيجاد ما كان أكل منه ، وإمساك الماء عن مدخله ، وقد اتفق لنا صلي الله عليه و على ١٠ آله و سلم نفسه أو أتباعه ببركته مثل ذلك .

أما إعادة ما أكل من الحوت المشوى - وهو جنبه - فقد روى البيهقي^٦ في أواخر دلائل النبوة عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم إلى الحجة التي حجها حتى إذا كنا بطن الروحاء - فذكر قصة المرأة التي أبرأ / النبي صلى الله عليه و على آله و سلم ولدها من الجنون إلى أن قال : فلما قضى رسول الله ١٥ صلى الله عليه و على آله و سلم حجته^٧ انصرف حتى إذا نزل بطن^٨ الروحاء

/ ٣٨٢

(١) العبارة من « ولما كان المقام » إلى هنا ساقطة من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ (٣) زيد من ظ ومد (٤) في ظ : الايمان (٥) سورة ١٦ آية ١٠٠ . (٦) بسند حسنه ابن حجر في المطالب العالیه - راجع الخصائص الكبرى ٢/ ٣٦٠ . (٧) زيدت الواو في النسخ كلها ولم تكن في الخصائص لخذناها (٨) في ظ ومد : بطن .

أته تلك المرأة بشاة قد شوتها^١، فأمر بأخذ تلك^٢ الشاة منها ثم قال :
يا أسيم - وكان إذا دعاه رخمه^٣ ! ناولني ذراعاً^٤، وكان أحب الشاة^٥ إلى
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مقدماً، ثم قال : يا أسيم !
ناولني ذراعاً^٦ ! فناولته^٧، ثم قال^٨ : [يا أسيم^٩ ! ناولني ذراعاً ! فقلت :
يا رسول الله ! إنما هما ذراعان وقد ناولتك^{١٠}، فقال - ^أ] : و الذي نفسى ه
يده لو سكنت^{١١} [ما زلت تناولني ذراعاً ما قلت لك : ناولني ذراعاً - ^أ] . [فقد
أخبر صلى الله عليه وسلم أنه لو سكنت - ^٩] أوجد الله لها ذراعاً ثم ذراعاً
و هكذا، وقوله الحق الذي لا فرق [بينه - ^٩] وهو في عالم الغيب
وبين ما وجد في عالم الشهادة .

و أما حياة [الحوت - ^٩] المشوى فقد مضى عند^{١٠} " و الله يعصمك ١٠
من الناس " ما هو أكبر من ذلك في قصة الشاة المشوية^١ المسمومة ،
وهو أن ذراعها أخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم [أنه مسموم - ^١]
فهو أعظم من عود الحياة من غير نطق ، وكذا حنين الجذع^٢ ، وسلام
الحجر ، و تسييح الحصا^٣ ، و تأمين أسكفة [الباب - ^٩] و حوائط

- (١) و من هنا يطرأ بعض الاختلاف على سياق ما هنا وسياق الخصائص (٢) سقط
من مد (٣) من الخصائص، و في الأصول : ذراعها (٤) في ظ : الشياه (٥) من مد
و الخصائص ، و في الأصل : ذراعها (٦-٦) في مد : فقال (٧-٧) سقط ما بين
الرقبين من الخصائص (٨) زيد ما بين الحاجزين من : ظ و مد و الخصائص .
(٩) زيد من ظ و مد (١٠) من ظ و مد، و في الأصل : عنه (١١) سورة آية ٦٧ .
(١٢) راجع الخصائص الكبرى ٧٥/٢ (١٣) راجع الخصائص الكبرى ٧٤/٢ .

اليث^١ ونحو ذلك أعظم من عود الحياة إلى ما كان حيا، فقد روى البيهقي^٢ في الدلائل عن عمرو بن سواد قال: قال لي الشافعي: ما أعطى الله نيا ما أعطى محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقلت: أعطى عيسى عليه السلام إحياء الموتى؟ فقال: أعطى محمدا^٣ صلى الله عليه وعلى آله وسلم^٤ الجذع - الذي كان يخطب إلى جنبه حتى هبى له المنبر، فلما هبى له المنبر^٥ حن الجذع حتى سمع صوته - فهذا أكبر من ذلك^٦ - انتهى . على أنه قد تقدم في آل عمران وفي آخر البقرة^٧ في قصة إبراهيم عليه السلام أشياء من إحياء الموتى له صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولبعض أمته .

١٠. وأما آية الماء فرجعها إلى صلابته ، ولا فرق بين جموده بعدم^٨ الالتئام بعد الانخراق وبين جموده و صلابته بالامتناع من الانخراق ، وقد روى البيهقي^٩ في ذلك ما فيه آية من^{١٠} الإحياء بسند منقطع عن

(١) راجع الخصائص الكبرى ٧٧/٢ (٢) وقد أخرجه السيوطي في خصائصه عن البيهقي - راجع ٧٦/٢ و ٧٧ (٣) من الخصائص ، وفي النسخ كلها: محمد . (٤) زيد في الخصائص: حين (٥) العبارة من هنا إلى «سمع صوته» ليست في الخصائص (٦) زيدت الواو بعده في الأصل ولم تكن في ظ ومد فحذفناها . (٧) من ظ و الخصائص ، وفي الأصل ومد: ذلك (٨) من ظ ومد ، وفي الأصل: بعد (٩) والحديث أخرجه عنه السيوطي في باب آياته صلى الله عليه وسلم في إحياء الموتى وكلامهم - الخصائص الكبرى (١٠) من مد ، وفي الأصل و ظ: في .

أنس رضى الله عنه قال: كنا في الصفة عند رسول الله صلى الله عليه
وعلى آله وسلم فأتته امرأة [مهاجرة -^١] ومعها ابن لها [قد بلغ -^٢]
فأضاف المرأة إلى النساء وأضاف ابنها إلينا، فلم يلبث أن أصابه وباء
المدينة ففرض أياما ثم قبض فغمضه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم
و أمر بمجهازه، [فلما -^٣] أردنا أن نغسله قال: اتت أمه فأعلمها، فجاءت ه
حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما، ثم قالت: اللهم [إني أسألت لك
طوعا، و خلعت^٤ الأوثان زهدا، و هاجرت إليك رغبة، اللهم -^٥]
لا تشمت بي عبدة الأوثان، و لا تحماني من هذه المصيبة ما لا طاقة لي
بحملها، قال: فوالله ما تقضى كلامها حتى حرك قدميه، وألقى الثوب
عن وجهه، [و عاش -^٦] حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وعلى
آله وسلم و حتى هلكت أمه؛ ثم جهز عمر بن الخطاب رضى الله عنه -
يعنى جيشا، و استعمل عليه العلاء بن الحضرمي، قال: و كنت في غزاته،
فأتينا مغازينا^٧ فوجدنا القوم قد تدرؤا بنا، فعضوا آثار الماء، قال:
و [كان -^٨] حر شديد، فجهدنا العطش و دوابنا، و ذلك يوم الجمعة
فلما مالت الشمس لغروبها صلى بنا ركعتين، ثم مد يده و ما نرى في ١٥
السماء شيئا، فوالله ما حط [يده -^٩] حتى بعث الله ريحا و أنشأ سحابا
فأفرغت^{١٠} حتى ملأت الغدر و الشعاب، فشربنا و سقينا^{١١} و استقينا^{١٢}

(١) زيد من الخصائص (٢) زيد من ظ و الخصائص (٣) زيد من ظ
و مد و الخصائص (٤) في مد: جعلت (٥) من الخصائص، وفي الأصل: مغازنا،
وفي ظ و مد: مغارنا (٦) في مد: فرغت (٧-٨) سقط ما بين الرقين من مد.

ثم أتينا عدونا و قد جاوزوا خليجا في البحر إلى جزيرة، فوقف على الخليج و قال: يا على يا عظيم يا حلیم يا كريم^١ ثم قال: أجزوا باسم الله! فأجزنا ما ييل الماء حوافر دوابنا،^٢ فأصبنا العدو غيلة فقتلنا وأسرنه و سينا ثم أتينا الخليج فقال مثل مقالته فأجزنا^٣ ما ييل / الماء حوافر دوابنا . و أخبرنا أبو الحسين ابن بشران أنا إسماعيل الصفار نا الحسين بن على بن عفان [أنبانا - ^٤] إن نمير عن الأعمش عن بعض أصحابه ، قال: اتھينا إلى دجلة و هي مادة ، و الأعاجم خلفها ، فقال رجل من المسلمين: بسم الله ، ثم أقحم فرسه فاندفع على الماء ، فقال الناس : بسم الله بسم الله ، ثم اقتحموا فارتفعوا على الماء ، فلما نظر إليهم [الأعاجم - ^٥] قالوا: ديوان^٦ ديوان ، ثم ذهبوا على وجوههم ، فما فقدوا إلا قدحا كان معلقا بعذبة سرج ، فلما خرجوا أصابوا الغنائم فاقسموها . أخبرنا أبو عبد الرحمن السلي أنا أبو محمد عبد الله بن محمد السمدي^٧ ثنا أبو العباس السراج ثنا الفضل بن سهل و هارون بن عبد الله قالا : ثنا سليمان بن المغيرة^٨ أن أبا مسلم الخولاني جاء إلى الدجلة و هي ترمى بالحشب^٩ من مداها .
١٥ فشى على الماء و التفت إلى أصحابه و قال: هل تفقدون من متاعكم شيئا

(١) و من هنا يتغير السياق عما في الخصائص (٢) في ظ : و اجزنا (٣) زيد من ظ و مد إلا أن في الأول : ثنا ، و ابن نمير هو عبد الله بن نمير يروي عنه الحسن ابن على بن عفان العاصري (٤) زيد من مد (٥) كلمة فارسية معناها الشياطين - راجع الأخبار الطوال ١٢٦ (٦) من ظ و مد و الأنساب ٢١٦/٧ ، و في الأصل : السمدي (٧) زيد في الخصائص ٢/ ٢٨٣ : عن حميد (٨) من الخصائص ، و في النسخ كلها : الحشب (٩) في مد : في .

فندعو الله^١ - قال البيهقي : [هذا - ٢] إسناده صحيح .

و في هذا الأمر من هذه القصة قاصمة للسائلين والأمين لهم
بالسؤال ، لأن المراد - والله أعلم - أن هذا الأمر وقع لنبى هؤلاء
المضلين ، فرّ قريشا^٢ أن يسألوه عن هذه القصة ، فإن أخبروهم عنها
بمثل ما أخبرتهم فصدقوهم ، لزمهم أن يؤمنوا بالبعث لأمر هذا الحوت ه
الذى أحياه الله بعد أن كان مشويا وصار كثير منه فى البطون ، وإن
لم يصدقوهم^٣ فى هذا وصدقوهم فى غيره مما يتعتون به عليك فهو تحكم ،
وإن كانوا يهتمونهم فى كل أمر كان سؤالهم [لهم - ٦] عبثا ، ليس [من - ٦]
أفعال من يعقل ، فكأنه قيل : [فإ - ٧] قال موسى حيثئذ ؟ فقيل :
(قال)^٤ منها على أن ذلك ليس من الشيطان ، وإنما هو إغفال ١٠
من الله تعالى بغير واسطة ليجدا^٥ العلامة التى أخبره الله بها كما قال النبى
صلى الله عليه وعلى آله وسلم «إني لأنسى - أى - ينسى الله تعالى - لأنسى» :
(ذلك)^٦ أى^٧ الأمر العظيم من^٨ فقد الحوت (ما كنا نبغ)

- (١) زيد فى الخصائص : فيرده (٢) زيد من ظ (٣) من مد ، وفى الأصل
وظ : قريش (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : أخبرهم (ه - ه) من ظ
ومد ، وفى الأصل : تصدقوهم (٥) زيد من مد (٦) زيد من ظ و مد .
(٧) العبارة من هنا إلى «لأنسى» ساقطة من ظ (٨) من مد ، وفى الأصل : ليجدوا .
(٩) من مد ، وفى الأصل : إن ؛ والحديث قد ذكره الإمام مالك فى الموطأ فى
باب العمل فى السهو من كتاب الصلاة ولفظه : إني لأنسى أو أنسى لأنسى .
(١٠) زيد بعده فى الأصل : قال ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فخذناها .
(١١-١٢) سقط ما بين الوقين من ظ .

١ أى نريد من هذا الأمر المغيّب عنا^١، فإن الله تعالى جعله موعداً لى^٢ فى لقاء الخضر^٣ (فارتداً على^٤ آثارهما) يقصانها (قصصاً) وهذا يدل على أن الأرض كانت رملاً، لا^٥ علم فيها، فالظاهر - والله أعلم - أنه يجمع النيل والملح الذى عند دمياط، أو رشيد من بلاد مصر، ويؤيده ه نقر العصفور فى البحر الذى ركبا فى سفينته للتغذية - كما فى الحديث،

فإن الطير لا يشرب من الملح،^٦ أو من المشهور فى بلاد رشيد أن الأمر كان عندهم. وأن عندهم سمكا ذاهب الشق يقولون: إنه من نسل تلك السمكة - والله أعلم. فاستمرا بقصان حتى انتهيا إلى موضع فقد الحوت ﴿فوجدا عبداً من عبادنا﴾ مضافاً إلى حضرة عظمتنا^٧ وهو الخضر ١٠ عليه السلام ﴿اتيناه﴾ بعظمتنا^٨ (رحمة) أى وحيًا ونبوة، وكونه

نبياً قول^٩ الجمهور ﴿من عندنا﴾ أى بما لم يجر على قوانين العادات غير أنه ليس بمستغرب عند أهل الاصطفاء^{١٠} (وعلمته من لدنا) أى من الأمور المستبطنة المستغربة التى عندنا بما لم يحدث عن الأسباب المعتادات، فهو مستغرب عند أهل الاصطفاء (علماء) قدفناه فى قلبه بغير واسطة؛ ١٥ [و - ١] قال الأستاذ أبو الحسن الحارثى: 'عند' فى لسان العرب لما ظهر، و'لدى' لما بطن، فيكون المراد بالرحمة ما ظهر من كراماته، وبالعلم الباطن الخفى المعلوم قطعاً أنه^{١١} خاص بحضرة سبحانه، فأهل

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) فى ظ: الى (٣) سقط من مد (٤) سقط من ظ (٥) العبارة من هنا الى «الجمهور» ساقطة من ظ (٦) من مد، وفى الأصل: قاله (٧) زيد فى ظ: نبوة ووحيا (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: بما. (٩) زيد من ظ ومد (١٠) فى ظ: بانه (١١) العبارة من هنا الى «هو العلم اللدنى» ساقطة من ظ.

التصوف سمو العلم بطريق المكاشفة العلم اللدنى ، فاذا سعى العبد فى الرياضات
يتزين^١ الظاهر بالعبادة ، و تتخلى النفس عن الاخلاق الرذيلة ، و تتحلى
بالاخلاق / الجميلة ، و تصير القوى الحسية و الخيالية و الوهمية فى غاية
القوة ، [و حينئذ تصير القوة -^٢] العقلية قوية^٣ [صافية ، و ربما كانت
النفس بحسب أصل الفطرة نورانية إلهية علوية قليلة التعلق -^٤] بالحوادث ه
البدنية ، شديدة الاستعداد لقبول الامور الإلهية ، فتشرق فيها الأنوار
الإلهية و تفيض عليها من عالم القدس على وجه الكمال فتحصل المعارف
و العلوم من غير تفكر و تأمل ، فهذا هو العلم اللدنى .

ثم أورد سبحانه و تعالى القصة على طريق الاستئناف على تقدير
سؤال سائل عن كل كلام يرشد^٥ إليه ما قبله ، و ذلك أنه من المعلوم ١٠
أن الطالب للشخص^٦ إذا لقيه كله ، لكن لا يعرف عين ذلك الكلام
فقال لمن كأنه سأل عن ذلك : ﴿ قال له موسى ﴾^٧ طالبا منه على سبيل
التأدب و التلطف باظهار ذلك فى قالب الاستئذان^٨ : ﴿ هل اتبعك ﴾^٩
أى أتباعا بليغا^{١٠} حيث توجهت ؛ و الاتباع : الإتيان لمثل فعل الغير لمجرد
كونه^{١١} آتيا به^{١٢} ؛ و بين أنه لا يطلب منه غير العلم بقوله^{١٣} : ﴿ على^{١٤} ان تعلن ﴾ ١٥

- (١) زيد فى مد : من (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل : القوية .
(٤) - (٤) من مد ، و فى الأصل : ليحصل (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يرسل .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لتشخص (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من
ظ (٨-٨) من مد ، و فى الأصل : آتيانه (٩) العبارة من « والاتباع الإتيان » إلى
هنا ساقطة من ظ .

'و زاد في التلطف بالإشارة إلى أنه لا يطلب جميع ما عنده ليطول عليه الزمان بل جوامع منه يسترشد بها إلى باقيه فقال: ﴿مما علمت﴾ و بناه للفعول لعلم المخاطبين - لكونهم من الخالص - بأن الفاعل هو الله سبحانه و تعالى ، و للإشارة إلى سهولة كل أمر على الله عز و جل ﴿رشداه﴾ أى ه . علما يرشدنى إلى الصواب فيما أقصده ، و لانهقص في تعلم نبي من نبي حتى يدعى أن موسى هذا ليس موسى بن عمران عليه السلام فانه قد ثبت كونه ابن عمران في الصحيح ، و أتى صلى الله عليه و على آله و سلم في سؤاله [له - ٢] بهذه الأنواع من الآداب و الإبلاغ في التواضع لما^٢ هو عليه من الرسوخ في العلم ، لأن كل من كانت إحاطته بالعلوم أكثر ، ١٠ كان عليه بما فيها من البهجة و السعادة أكثر ، فكان طلبه لها أشد ، فكان تعظيمه^٤ لأرباب العلوم أكمل .

و لما أتم العبارة عن السؤال ، استأنف جوابه [له - ٢] بقوله تعالى : ﴿قال﴾ أى^٦ الخضر عليه السلام : ﴿انك لن تستطيع﴾ يا موسى ﴿معى صبراه﴾ أى^٦ هو من العظمة على ما أريد لما بحثك على عدم الصبر من ظاهر ١٥ الشرع الذى أمرت [به - ٢] ، فالتنوين للتعظيم بما تؤذن به^٦ تاء الاستفعال^٨ ، و أكد لما في سؤال موسى عليه السلام من التلطف المؤذن بأنه يصبر

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد من مد (٣) من مد ، وفي الأصل : كما (٤) من مد ، وفي الأصل : تعظيما (٥) العبارة من «ولانهقص» إلى هنا ساقطة من ظ (٦) سقط من مد (٧) زيد من ظ و مد ، والعبارة من بعده إلى «من التعلم» ساقطة من ظ (٨-٨) من مد ، وفي الأصل : بالاستفعال .

عليه و لا يخالفه في شيء أصلا . و يؤخذ منه أن العالم إن رأى في التغليظ على المتعلم^١ ما يفيد نفعا وإرشادا إلى الخير كان عليه ذكره ، فإن السكوت عنه يوقع المتعلم في الغرور و النخوة ، و ذلك يمنعه من التعلم .

و لما كان المقام صعبا جدا لأنه بالنسبة إلى أوامر الله تعالى ، بينه ه على وجه أبلغ من نفي الاختصاص ، وهو الصبر البليغ ، بالتعجب من مطلق [الصبر - ٢] معتذرا عن موسى في الإنكار . و عن نفسه في الفعل . بأن ذلك بالنسبة إلى الظاهر و الباطن ، فقال عاطفا على ما تقديره : فكيف تتبعني الاتباع البليغ^٣ : ﴿ وكيف تصبر ﴾ يا موسى ﴿ على ما لم تحط به خبرا ﴾ أي من جهة العلم به ظاهرا و^٤ باطنا ، فأشار بالإحاطة إلى أنه كان يجوز أن يكون على صواب ، و لكن تجوزا لا يسقط عنه وجوب الأمر ،^٥ و يجوز أن يكون هذا تعليلا لما [قبله - ٧] ، فيكون الصبر الثاني هو الأول ، و المعنى أنك لا تستطيع [الصبر الذي أريده - ٦] لأنك لا تعرف^٨ فعلى^٩ على ما هو عليه فتراه فاسدا ﴿ قال ﴾ أي موسى عليه السلام . آتيا بنهاية التواضع لمن هو أعلم منه ، وإرشادا لما ينبغي في طلب العلم رجاء تسهيل الله له^{١٥}

(١) زيد في الأصل : على ، ولم تكن الزيادة في مد فخذناها (٢) زيد من ظ ومد .

(٣-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « و باطنا » ساقطة

من ظ (٥) من مد ، و في الأصل : او (٦) العبارة من هنا إلى « فتراه فاسدا »

ساقطة من ظ (٧) زيد من مد (٨-٨) من مد ، و في الأصل : فعل (٩) سقط

من ظ .

'و النفع / به' : ﴿ ستجدني ﴾ فأكد الوعد بالسين ؛ ثم أخبر عنه سبحانه أنه قوى تأكيده بالتبرك بذكر الله تعالى 'لعله بصعوبة الأمر' على الوجه الذي تقدم. الحث^٢ عليه في هذه [السورة -^٤] في قوله تعالى "ولا تقولن لشيء إني فاعل^٥" - الآية. ليعلم أنه^٦ منهاج الانبياء و سبيل الرسل. فقال تعالى : ﴿ ان شاء الله ﴾ أي الذي له صفات الكمال^٧ ﴿ صابرا ﴾ على ما يجوز الصبر عليه ؛ [ثم -^٨] زاد التأكيد بقوله 'عطفا بالوارد على "صابرا" لبيان التمكن في كل من الوصفين' : ﴿ ولا أعصى ﴾ أي وغير عاص^٩ ﴿ لك أمرا ﴾ تأمرني به غير مخالف^{١٠} لظاهر أمر^{١١} الله ﴿ قال ﴾ أي^{١٢} الخضر عليه السلام : ﴿ فأتبعني ﴾ يا موسى 'اتباعا بليغا' ١٠. ﴿ فلا تستلني عن شيء ﴾ أقوله أو أفعله ﴿ حتى أحدث لك ﴾ خاصة^{١٣} ﴿ منه ذكرا ﴾ يبين لك وجه صوابه ، فإني لا أقدم على شيء إلا وهو صواب جائز في نفس الأمر و إن كان ظاهره غير ذلك .

'ولما تشارطا وتراضيا على الشرط سبب قوله تعالى' : ﴿ فانطلقا ﴾

'أي موسى والخضر عليهما السلام' على الساحل ، يظلبان سفينة يركبان ١٥ فيها واستمرا ﴿ حتى إذا ركبنا في السفينة ﴾ 'و أجاب الشرط بقوله تعالى' : ﴿ خرقيها ﴾ و عرفها لإرشاد السياق بذكر مجمع البحرين إلى أن

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : توكيده .

(٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : البحث (٤) زيد من ظ و مد (ه-ه) سقط

ما بين الرقين من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : انها (٧-٧) في

ظ : لا امر (٨) سقط من ظ .

انطلاقهما [كان - '] لطلب سفينة ، فكانت لذلك كأنها مستحضرة في
الذهن ، ولم يقرن " خرق " بالفاء لأنه لم يكن مسيا عن الركوب
ولا كان في أول أحيائه ؛ ^٢ ثم استأنف قوله تعالى : ^٣ (قال) أي ^٤ موسى
عليه السلام ، منكرًا لذلك لما في ظاهره من الفساد باتلاف المال المفضي
إلى فساد أكبر منه باهلاك النفوس . [ياسيا - '] لما عقد على نفسه لما دهمه ه
بما عنده من الله - وهو الإله العظيم - من العهد الوثيق المكرر في جميع
أسفار التوراة بعد إثباته في لوحى الشهادة في العشر كلمات ، التى نسبتها
من التوراة كنسبة الفاتحة من القرآن بالامر القطعى أنه لا يقر على
منكر ، ومن المقرر أن النهى واجب على الفور ، على أنه لو لم ينس
لم يترك الإنكار ، كما فعل عند قتل الغلام ، لأن مثل ذلك غير داخل ١٠
في الوعد ، لأن المستثنى شرعا كالمستثنى وضعًا ، ففي الأولى نسى الشرط ،
وفي الثانية نسى - لما دهمه من فظاعة القتل الذى لم [يعلم - '] فيه من الله
أمرًا - أنه ^٥ ينبغي تقليده لثناء الله تعالى عليه : ^٦ (اخرقتها) وبين عذره
في الإنكار بما في غاية الخرق من الفظاعة فقال : (لتغرق اهلهاج)
والله ا ^٧ (لقد جئت شيئًا امراه) أى عظيمًا [منكرًا عجيبًا شديدًا - '] ١٥
(قال) أى ^٨ الخضر عليه السلام : (ألم اقل انك) يا موسى ا
(١) زيد من ظ ومد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) سقط من ظ .
(٤) في مد : الكلمات (٥) من ظ ومد ، وفي الأصل : لأنه (٦) من ظ ومد ،
وفي الأصل : لا (٧) زيد في ظ : قال (٨) من مد ، وفي الأصل : الحريق .
(٩) زيد من مد (١٠) سقط من ظ ومد .

﴿لن تستطيع معي صبراً﴾ فذكره بما قال له عند الشرط ﴿قال﴾
 موسى: ﴿لا تؤاخذني﴾ يا خضر ﴿بما نسب﴾ من ذلك الاشتراط
 ﴿ولا ترهقني﴾ أي تلحقني بما لا أطيقه و تعجلني عن مرادى باتباعك على
 وجه القهر ناسباً إلى السفه و الخفة و ركوب الشر (من امرى عسراء)
 ٥ بالمؤاخذة على النسيان، فكل منهما صادق. فيما قال، موفٍ بحسب ما
 عنده، أما موسى عليه السلام فلأنه ما خطر [له -^٢] قط أن يعاهد
 على أن لا ينهي عما يعتقد [منكراً -^٢]، و أما الخضر فانه عقد على ما في
 نفس الامر لأنه لا يقدم على منكر، و مع ذلك فأنني [إلا -^٢] الصبر
 البالغ الذي دل عليه بزيادة تاء الاستفعال، و قد حصل ما يطلق عليه
 ١٠ صبر. لأنه لما ذكره كف عنه لما تذكر بثناء الله عليه أنه لا يفعل باطلاً،
 و لم يحصل الصبر البالغ الذي / في نفس الخضر بالسكوت في أول الامر
 و آخره ﴿فانطلقا دقة﴾ بعد نزولهما من السفينة و سلامتها من الفرق
 و الغصب ﴿حتى إذا لقيا غلماً﴾ لم يبلغ الحلم وهو في غاية القوة
 ﴿فقتله لا﴾ حين لقيه - كما دلت عليه الفاء العاطفة على الشرط - ثم
 ١٥ أجاب الشرط بقوله مشعراً بأن شروعه في الإنكار في هذه أسرع^٦ :
 ﴿قال﴾ أي^٧ موسى عليه السلام: ﴿أقتلت﴾ يا خضر ﴿نفساً زاكية^٨﴾

/ ٣٨٦

(١) العبارة من هنا إلى «ركوب الشر» ساقطة من ظ (٢) سقط من مد .
 (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقین من ظ (٥-٥) تكرر ما بين
 الرقین في الأصل فقط (٦) العبارة من «ثم أجاب» إلى هنا ساقطة من ظ .
 (٧) سقط من ظ (٨) و أما قراءة ابن عامر و الكوفيين فهي على زنة فعيلة ،
 و قال البضاي : قال أبو عمرو : الزاكية التي لم تذنّب قط ، و الزكية التي =

بكونها على الفطرة الأولى من غير أن تدنس بخصيته توجب القتل
 ﴿ بغير نفس ﴾ قتلها ليكون قتلها قودا ؛^١ وهذا يدل على أنه كان
 بالغا حتى إذا قتل قتيلا أمكن قتله به إلا أن يكون شرعهم لا يشترط
 البلوغ ؛ ثم استأنف قوله^٢ : ﴿ لقد جئت ﴾ في قتلك إياها ﴿ شيئا ﴾
 و صرح [بالإنكار -^٣] في قوله : ﴿ نكراه ﴾ لأنه مباشرة . و الخرق ه
 تسبب^٤ لا يلزم منه الفرق^٥ .

و لما كانت هذه ثانية ﴿ قال ﴾ الخضر عليه السلام : ﴿ الم اقل ﴾
 و زاد قوله : ﴿ لك انك ﴾ يا موسى ﴿ لن تستطيع معي ﴾^٦ اى
 خاصة^٧ ﴿ صبراه قال ﴾ موسى عليه السلام حياء منه لما أفاق بتذكره^٨ .
 حصل من فرط الوجد لأمر الله فذكر أنه ما تبعه إلا بأمر الله : ١٠
 ﴿ ان سالتك عن شيء بعدها ﴾ يا أخى !^٩ و أعلم بشدة ندمه على الإنكار
 بقوله^{١٠} : ﴿ فلا تصحبنى ﴾ بل فارقنى ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ قد بلغت ﴾
^{١١} و أشار إلى أن ما وقع منه من الإخلال بالشرط من أعظم الخوارق
 التى اضطر إليها فقال^{١٢} : ﴿ من لدنى عذراه ﴾ باعتراضى مرتين^{١٣} و احتمالك
 لى فيها^{١٤} . و قد أخبرنى الله بحسن حالك^{١٥} فى غزارة علمك ﴿ فانطلقادقة ﴾ ١٥
 بعد قتله ﴿ حتى^{١٦} اذآ اتيا أهل قرية ﴾ عبر عنها هنا بالقرية دون المدينة^{١٧}

= أذنت ثم غفرت له - راجع نثر المرجان ٤ / ١٧٠ .

- (١) من ظ و مد ، و فى الأصل : قتلها (٢-٢) - سقط ما بين التوقيين من ظ (٣) زيد
 من ظ و مد (٤) و من هنا يتبدى الجزء السادس عشر من القرآن الكريم .
 (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بما (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تهلك .

لأنه أدل على الذم، لأن مادة 'قرا' تدور على الجمع الذى يلزمه الإمساك كما تقدم فى آخر سورة يوسف عليه السلام^١؛ ثم وصفها^٢ ليين [أن-^٣] لها مدخلا فى لؤم أهلها بقوله تعالى: ﴿استطعماً﴾ وأظهر ولم يضم فى قوله: ﴿أهلها﴾ لأن الاستطعام لبعض من أتوه، أو كل^٤ من الإتيان والاستطعام لبعض ولكنه غير متحد، وهذا هو^٥ الظاهر، لأنه هو الموافق للعادة.

قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى كتابه مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل: ولتكرار الأسماء بالإظهار والإضمار بيان سنين^٦ الألفاظ فى القرآن: اعلم أن لوقوع الإظهار والإضمار فى بيان القرآن وجهين: ١٠ أحدهما يتقدم فيه الإظهار وهو خطاب المؤمنين بآيات الآفاق وعلى نحو هو خطاب الخلق^٧ بعضهم لبعض لا يضمرون إلا بعد أن يظهروا، والثانى يتقدم فيه الإضمار وهو خطاب اتقنين بآية الأنفس، ولم يصل إليه مخاطب الخلق. فإذا كان البيان عن إحاطة، تقدم الإضمار "قل هو الله احد" وإذا كان عن اختصاص، تقدم [الإظهار-^٨] "الله الصمد" ١١ وإذا رد عليه بيان على حدة أضمر "لم يلد [ولم يولد ولم يكن له كفوا احد-^٩]"، أى هذا الذى عم بأحدثه وخص بصمديته^{١٠}، وإذا

(١ - ١) سقط ما بين الرقبن من ظ (٢) العبارة من هنا إلى «لؤم أهلها» ساقطة من ظ (٣) زيد من مد (٤) العبارة من هنا إلى «الموافق للعادة» ساقطة من ظ (٥) من مد، وفى الأصل: لكل (٦) سقط من مد (٧) من مد، وفى الأصل وظ: متين (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: من (٩) فى ظ: الاظهار. (١٠) زيد من مد، وموضعه فى ظ: الاضمار (١١) زيد من ظ ومد والقرآن.

أحاط البيان بعد اختصاص استوقف له إحاطة باستئناف إظهار محيط
أو باضمحار، أو بجمع المضمر والمظهر^١ "بأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين
يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم"^٢، "إن بطش ربك لشديد
إنه هو يبدئ ويعيد^٣"، "هو الله الذي لا إله إلا هو علم الغيب والشهادة"^٤
والتفطن لما اختص به بيان القرآن^٥ عن بيان الإنسان من هذا النحو من ه
مفاتيح أبواب الفهم، ومن نحوه "أتيا أهل قرية استطعنا / أهلها" استأنف /
للمستطعين^٦ إظهارا^٧ غير إظهار عموم المأتين^٨ - انتهى . [و جعل السبكي
الإتيان للبعض، والاستطعام للكل، لأنه أشد ذما لأهل القرية وأدل
على شر طبعها، ومن قال بالآول مؤيد بقول الشافعي في كتاب الرسالة^٩
في باب ما نزل من الكتاب عاما^{١٠} يراد به العام ويدخلها الخصوص ١٠
وهو بعد البيان الخامس في قول الله عز وجل "حتى إذا أتيا قرية استطعنا
أهلها" : وفي هذه الآية أدل^{١١} دلالة على أنه^{١٢} لم يستطعوا كل أهل القرية
وفيها خصوص - انتهى . وبيان ذلك أن نكرة إذا أعيدت كانت
الثانية غير الأولى، وإذا أعيدت معرفة كانت عينا في الأغلب . ولما أسند

(١) من ظ ومد، وفي الأصل : المضمحل (٢) سورة ٤٩ آية ١ (٣) سورة ٨٥ آية ١٢
و ١٣ (٤) سورة ٩٠ آية ٢٢ (٥) زيد بعده في الأصل : أى المحش المذكور، ولم تكن
الزيادة في ظ ومد لحذفها (٦) من مد، وفي الأصل وظ : المستطعين (٧) من
ظ ومد، وفي الأصل : إظهار (٨) العبارة من هنا إلى « المستطعمون » ص ١١٦
س ٦ ساقطة من ظ (٩) ص ١١ (١٠) من الرسالة، وفي مد : على ما (١١) ليس في
الرسالة (١٢) من الرسالة، وفي مد : إن .

الإتيان إلى أهل القرية كان ظهراً تناول الجميع، فلو قيل: استطعمهم
 لكان المراد بالضمير عين المأتين، فلما عدل عنه - مع أنه أخصر -
 إلى الظاهر ولا سيما إن جعلناه نكرة كان غير الأولى وإلا لم يكن للعدول
 فائدة، وقد كان الظاهر أن الأول للجميع فكان الثاني للبعض،
 ٥. وإلا لم يكن غيره ولا كان للعدول فائدة - [١] - « فابوا » أى قسب
 عن استطعمهما أن أبى المستطعمون^٢ من أهل القرية « ان يضيفوهما »
 أى ينزلوهما ويطعموهما، فانصرفا عنهم « فوجدا فيها » أى القرية،
 'و لم يقل: فيهم، إيدانا بأن المراد وصف القرية بسوء الطبع' « جدارا »
 مشرفا على السقوط، وكذا^٣ قال مستعيراً لما لا يعقل صفة ما^٤ يعقل:
 ١٠. « يريد ان ينقض » أى يسقط سريعاً فسحه الخضر^٥ يده « فاقامه »
 'و لما انقضى وصف القرية وما تسبب عنه أجاب 'إذا' بقوله:
 « قال » 'أى له موسى عليه السلام: « لو شئت لتخذت » لكوننا لم يصل
 إلينا منهم شيء « عليه » 'أى على إقامة الجدار' « اجراء » نأكل به،
 فلم يعترض عليه في هذه المرة لعدم ما ينكر فيها، وإما ساق ما يترتب
 ١٥ عليها من ثمرتها مساق العرض والمشورة غير أنه يتضمن السؤال « قال »

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢) تأخر في الأصل عن « المستطعمون »
 والترتيب من ظ ومد (٣) زيد في الأصل: أى، ولم تكن الزيادة في مد لحذفها،
 والعبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - إلى « أهل القرية » ساقطة من ظ .
 (٤-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) في ظ : لذا، والعبارة فيه من بعده إلى
 « ما يعقل » ساقطة (٦) زيد في مد: لا (٧) سقط من مد .

الحضر عليه السلام: ﴿ هذا ﴾ أى الوقت ^١ أو السؤال . ولما كان ذلك سبب الفراق أو محله ، سماه به مبالغة فقال: ﴿ فراق بينى وبينك ﴾ يا موسى ^٢ بعد أن كان البينان بينا واحدا لاتصالهما فلا ^٣ بين ، فهو فى الحقيقة فوق ما كان متصلا من بينهما ، أو فراق التقاؤل الذى كان بيننا ، أى الفراق الذى سببه السؤال ، وإذا نزل على الاحتباك ازداد ظهورا ، ه تقديره : فراق بينى من بينك كما أخبرت ، و فراق بينك من بينى كما شرطت ، وقد أثبتت هذه العبارة [الفراق - °] على أبلغ وجه ، وذلك أنه إذا وقع فراق بينى من بينك بحائل يحول بينهما فقد وقع منك بطريق الأولى ، و حقيقته أن البين هو الفراغ المنبسط الفاصل بين الشئين وهو موزع بينهما ، فبين كل منهما من منتصف ^٤ ذلك الفراغ إليه ، فإذا دخل ١٠ فى ذلك الفراغ شئ فصل بينهما ، وصار بين كل منهما ينسب إليه ، لأنه صار ^٥ بين ما ينسب إلى كل منهما من البينين ، و حيثئذ يكون بينهما مباينة ، أى أن [بين - °] كل منهما غير بين الآخر ، و من قال : إن معنى " هذا فراق بيننا " زوال الفصل ووجود الوصل ، كذبه أن معنى هذا اتصال بيننا ، المواصلة . فلو كان هذا معنى ذاك أيضا لاتحد ١٥ معنى ما يدل على الوصل بمعنى ما يدل على الفصل . و قد نبه الله سبحانه

(١-١) سقط ما بين اترقين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « يدل على الفصل »
 ساقطة من ظ (٣) من مد ، وفى الأصل : فلها (٤) من مد ، وفى الأصل : ترد .
 (٥) زيد من مد (٦) من مد ، وفى الأصل : منتصف (٧) زيد فى الأصل : الى ،
 و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٨) سقط من مد .

و تعالى موسى عليه السلام - ١ كما في تفسير الأصبهاني^٢ وغيره - بما
 فعل الخضر عليه السلام على ما وقع له هو^٣ من مثله سواء بسواء ،
 فنبهه - بخرق^٤ السفينة الذي ظاهره هلك و باطنه نجاته من يد الغاصب -
 [على التابوت الذي أطبق عليه وألقى في اليم خوفاً عليه من فرعون
 ه الغاصب - ٥] فكان^٥ ظاهره [هلكا - ٥] و باطنه نجاته ، و بقتل الغلام
 على أنه كان معصوم الحركة في نفس الأمر في قتله^٦ القبطي و إن لم يكن
 إذ ذاك يعلمه لكونه^٧ لم ينبأ ، و باقامة الجدار من غير أجر على سقيه
 لبنات شغيب عليهم السلام من غير أجر مع احتياجه^٨ لذلك .

و لما كان من المعلوم شدة استشراف موسى عليه السلام إلى الوقوف
 ١٠ على باطن هذه الأمور ، قال مجيباً له عن هذا السؤال : ﴿ سانبئك ﴾
 يا موسى^{١١} بوعد لا خلف فيه إنباء عظيماً^{١٢} ﴿ بتاويل ﴾ أى بترجيح
 ﴿ ما لم تستطع عليه صبراً ﴾ - لمخالفته عندك الحكمة - [إلى الحكمة - ٥]
 ١٣ و هو أن عند تعارض الضررين يجب ارتكاب الأدنى لدفع الأقوى
 بشرط التحقق^{١٤} ، و أثبت تاء الاستفعال^{١٥} هنا و فيما قبله لإعلاماً بأنه

(١) العبارة من هنا إلى « وغيره » ماقطة من ظ (٢) هو العلامة تسمى الدين
 أبو الغناء محمود بن عبد الرحمن الشافعي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ - كشف الظنون
 ١/٤٤٢ و ٤٤٣ (٣) من ظ ومد ، وفي الأصل : هذا (٤) في ظ : بخرقه (هـ) زيد
 من ظ ومد (٦) زيد في مد : من (٧) في ظ : قتل (٨) من ظ ومد ، وفي
 الأصل : بكونه (٩) في ظ : ققره (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقيين من ظ .
 (١١) سقط من ظ .

٣٨٨ /

ما نفي إلا القدرة البليغة على الصبر^١، إشارة / إلى صعوبة ما حمل موسى
من ذلك، لا مطلق القدرة على الصبر ﴿ اما السفينة ﴾ التي أحسن إلينا
﴿ أهلها - ٢ ﴾ فخرقتها ﴿ فكانت لمسكين ﴾^٣ وهو دليل للشافعي على
أن الفقير أسوأ حالا من المسكين، لأن هؤلاء يملكون سفينة^٤
﴿ يعملون في البحر ﴾ ليستعينوا بذلك على معاشهم .

و لما كان التعيب من فعله، أسنده إليه خاصة، تأدبا مع الله
تعالى فقال: ﴿ فاردت ان اعيبها ﴾^٥ فان تقويت منفعتها [بذلك - ٦]
ساعة من نهار وتكليف أهلها لوجها يسدون بها أخف ضررا من تقويتهم
منفعتهم أخذا ورأسا بأخذ الملك لها، ولم أرد إغراق أهلها كما هو
المتبادر إلى الفهم؛ ثم عطف على ذلك علة فعله فقال: ﴿ وكان وراءهم ﴾^٧
أى أمامهم، [ولعله - ٨] عبر بلفظ 'وراء' كناية عن الإحاطة بنفوذ
الأمر في كل وجهة وارتهم و^٩ واروها، وفسره الخراي في سورة البقرة^{١٠}
بأنه وراءهم في غيبته عن علمهم وإن كان أمامهم في وجهتهم، لأنه
فسر الورا بما لا يتاله الحس ولا العلم حيثما كان من المكان، قال:
فربما اجتمع أن يكون الشيء وراء من حيث أنه لا يعلم، ويكون أماما^{١١}
في المكان . ﴿ ملك ياخذ ﴾ في ذلك الوقت ﴿ كل سفينة ﴾ ليس
فيها عيب ﴿ غصاء ﴾ من أصحابها^{١٢} ولم يكن عند أصحابها علم^{١٣} به .

(١) زيد في الأصل ومد: لا مطلق القدرة على الصبر، ولم تكن الزيادة في ظ
تخذفناها (٢) زيد من ظ ومد (٣-٤) سقط ما بين الرقنين من ظ (٤) العبارة من
هنا إلى « الملك لها » ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) من مد، وفي الأصل:
تكلف (٧) من مد، وفي الأصل و ظ: او (٨) راجع نظم الدرر ٤٧/٢ و ٤٨ .
(٩) من النظم، وفي المنسخ: حيث (١٠) العبارة من هنا إلى « علم به » ساقطة من
ظ (١١) من مد، وفي الأصل: علما .

ولما كان كل من الغصب و المسكنة سببا لفعله ، قدمها على الغصب ، إشارة إلى أن أقوى السببين الحاملين على فعله الرأفة بالمساكين (واما الغلم) ' أى الذى قتلته ' (فكان ابواه مؤمنين) وكان هو مطبوعا على الكفر - كما ' يأتى فى ' حديث أبى رضى الله عنه .

و لما كان يجتمل عند الحضر عليه السلام أن يكون هذا الغلام مع كفره فى نفسه سببا لكفر أبويه إن كبر ، وكان أمر الله له بقتله مثل ' فعل من يخشى ذلك ، أسند الفعل إليهما ' فى قوله : (نخشينا أن يرهقهما) ' أى يغشيهما ' ويلحقهما إن كبر بمحبتهما له ' أو بجراته ' وقساوته (طغيانا) أى تجاوزا فى الظلم ' وإفراطا فيه ' (وكفرا) لنعمتهما ١٠. فيفسد دنياهما أو يحملها حبهما له على الطغيان والكفر بالله طاعة فيفسد دينهما ، روى مسلم فى القدر ' ١ ' و أبو داود فى السنة ' ' و الترمذى فى

(١ - ١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « رضى الله عنه » وقعت فى ظ على النمط الآتى : رواه مسلم و أبو داود و الترمذى عن أبى بن كعب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم (٣) من مد ، وفى الأصل : من (٤) زيد فى الأصل : ما ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٥) زيد فى الأصل : قال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٦) العبارة من هنا إلى « قساوته » ساقطة من ظ (٧) من مد ، وفى الأصل : بخرا به (٨) زيد فى الأصل : لها ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٩) زيد فى الأصل : عليها ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (١٠) باب معنى كل مولود يولد على الفطرة و حكم موتى أطفال الكفار و أطفال المسلمين (١١) باب فى القدر .

التفسير^١ عن ابن عباس عن أبي بن كعب رضى الله عنهم أن النبي صلى الله عليه و على آله و سلم قال: إن الغلام الذى قتله الخضر طبع كافرا، ولو عاش لأرهق أبويه طغيانا وكفرا. وهذا وحديث ه الله أعلم بما كانوا عاملين^٢. يدل على أن العذاب - على ما^٣ لو وجد شرطه لوقع^٤ - إنما يكون على ما كان جبلة و طبعاً، لا ما كان عارضا، وإلا لعذب ه الأبوأن^٥ على تقدير أن يكون المعلوم من الكفر منهما^٦.

ولما ذكر ما يلزم على تقدير بقاءه من الفساد، سبب عنه قوله: (فاردنا) أى بقتله وإراحتها من شره^٧. ولما كان التعريض^٨ عن هذا الولد لله وحده^٩، أسند الفعل إليه فى قوله: (ان يدلها ربهما) أى^{١٠} المحسن إليهما باعطائه وأخذه (خيرا منه زكوة) ١٠ طهارة^{١١} و بركة، [أى -^{١٢}] من جهة كونه كان ظاهر الزكاة فى الحال، وأما فى المآل فلو عاش كان فيه خبيثا ظاهر الخبث، وهذا البدل يمكن أن يكون الصبر، ويمكن أن يكون ولدا آخر، وهو المنقول وأنها كانت بنتا^{١٣} (واقرب رحما) برا بهما وعظفا عليهما ورحمة لها^{١٤} فكان

الضرر اللاحق لها بالتأسف عليه أدنى من الضرر اللاحق لها / عند ١٥ / ٣٨٩

(١) ٣٨٣/٢ (٢) راجع كتاب القدر من الصحيحين (٣-٢) فى ظ: سيقع.

(٤) من مد، وفى الأصل وظ: الأبوين (ه-ه) سقط ما بين الرقين من ظ.

(٦) من ظ ومد، وفى الأصل: التعريض (٧) سقط من ظ (٨) فى مد:

طاهرة (٩) زيد من مد (١٠) العبارة من هنا إلى «أودياها» ص ١٢٢ س ١

ساقطة من ظ (١١) من مد، وفى الأصل: اذى.

كبره بافساد دينها أو دنياها ﴿ واما الجدار ﴾ الذي أشرت بأخذ
الاجر عليه ﴿ فكان لغلمين ﴾ ^١ و دل على كونها دون البلوغ بقوله ^٢ :
﴿ يتيمين ﴾ .

^٣ ولما كانت القرية لا تنافي التسمية بالمدينة ، و كان التعبير
هـ بالقرية ^٤ أولاً أليق ، لانها مشتقة من معنى الجمع ، فكان أليق بالذم
في ترك الضيافة لإشعاره بخلهم حالة الاجتماع ، و بمحبته للجمع
و الإمساك ، وكانت المدينة بمعنى الإقامة ، فكان التعبير بها أليق للإشارة
به إلى أن الناس يقيمون فيها ، فيهدم ^٥ الجدار و هم مقيمون فيأخذون ^٦
الكنز ، قال : ﴿ في المدينة ﴾ فلذلك أفته احتساباً ﴿ و كان تحته كنز ﴾
١٠ 'أى مال مدخور' ﴿ لها ﴾ لو وقع لكان أقرب إلى ضياعه
﴿ و كان ابوها صالحاً ﴾ ينبغي مراعاته و خلفه في ذريته بخير .

ولما كان الإبلاغ إلى حد البلوغ و الاستخراج فعل الله وحده ،
أسند إليه خاصة فقال : ﴿ فاراد ربك ﴾ أى ^٧ المحسن إليك بهذه الترية ،
إشارة إلى ما فعل بك من مثلها قبل النبوة كما بين ﴿ ان يلغاً ﴾ ^٨ أى
١٥ الغلامان ^٩ ﴿ اشدهما ﴾ أى رشدتهما 'و قوتهما' ﴿ و يستخرجا كنزهما ﴾
لتنفعا به و ينفعا الصالحين ﴿ رحمة ﴾ بهما ﴿ من ربك ع ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى 'الكنز قال' ساقطة
من ظ (٣) من مد ، و في الأصل : لقرية (٤) من مد ، و في الأصل : فهدم .
(٥) من مد ، و في الأصل : فيأخذوا (٦) سقط من ظ .

أى ' الذى أحسن تربيتك و أنت فى حكم [القيم - ٢] ' فكان التعب فى إقامة الجدار مجانا أدنى من الضرر اللازم من سقوطه لضياع الكنز و فساد الجدار ، و قد دل هذا على أن صلاح الآباء داع إلى العناية بالأبناء ، روى عن الحسن^٤ بن على رضى الله عنهما أنه قال لبعض الخوارج [فى كلام - ٥] جرى بينهما : بم^٦ حفظ الله كنز الغلامين ؟ • قال : بصلاح أيهما ، قال : فأبى و جدى خير منه ، قال : أبانا الله أنكم قوم خصمون . (و ما فعلته) أى شيئا من ذلك (عن امرئ^٧) بل عن أمر^٨ من له الأمر ، و هو^٩ الله .

^{١٠} و لما بان سر تلك القضايا ، قال ' مقدرا للأمر ' : (ذلك)
^{١١} أى الشرح العظيم (تاويل ما لم تسطع) يا موسى (عليه صبراء) ١٠
 و حذف تاء الاستطاعة هنا لصيرورة ذلك - بعد كشف الغطاء - فى حيز ما يحمل^{١٢} فكان منكروه غير صابر أصلا لو كان عنده مكشوفاً من أول^{١٣} الأمر ، و سقط - والله الحمد - بما قررته فى هذه القصة ما يقال من أن النبی صلى الله عليه و على آله و سلم أخبر فى قول سليمان

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ ومد (٣) العبارة من هنا إلى « قوم خصمون »

ساقطة من ظ (٤) فى الكشف ٥٧٨/١ : الحسين (٥) زيد من مد والكشاف .

(٦) من مد والكشاف ، وفى الأصل : ثم (٧-٧) سقط ما بين الرقین من

ظ (٨) العبارة من هنا إلى « مقدرا للأمر » ساقطة من ظ (٩-٩) من مد ،

وفى الأصل : معذر كمال لامر - كذا (١٠) من مد ، وفى الأصل و ظ :

عمل (١١) من ظ و مد ، وفى الأصل : امر .

عليه السلام المخرج في ' الصحيحين ' من حديث أبي هريرة رضي الله عنه
 ولأطوفن الليلة على مائة امرأة كلهن تلد فارسا [يجاهد - ٢] في
 سبيل الله ، فلم تلد منهن إلا واحدة جاءت بشق آدمي . أنه لو قال :
 إن شاء الله ، لجاهدوا فرسانا أجمعون . فأفهم ذلك أن كل نبي استثنى في
 خبره صدقه الله تعالى كما وقع للذبيح أنه قال ستجدني إن شاء الله من
 الصبرين^٦ فوق ، فما لموسى عليه السلام - وهو من أولى العزم - فعل
 مع^٧ الاستثناء ما فعل ؟ فإن^٨ الذبيح صبر على ما هو قاطع بأنه بعينه
 أمر الله ، بخلاف موسى عليه السلام فإنه كان ينكر ما ظاهره منكر
 قبل العلم بأنه من أمر الله ، فإذا نه صبر ، وأما قول النبي صلى الله
 عليه وعلى آله وسلم ويرحم الله أخى موسى ! وددنا^٩ لو أنه صبر
 حتى^{١٠} يقص علينا من أمرهما^{١١} فنعناه : صبر عن الإذن للخضر عليه
 السلام في مفارقتها في قوله " فلا تصحبنى " ويدل عليه أن في رواية
 لمسلم ورحمة الله علينا وعلى موسى ! لولا أنه عجل لرأى العجب ولكنه

(١) تسكور في ظ (٢) راجع باب من طلب الولد للجهاد - كتاب الجهاد من
 صحيح البخارى واللفظ له ، وباب الاستثناء في اليمين وغيرها - كتاب الأيمان
 من صحيح مسلم ، والحديث فيه بعض المفارقات بالنسبة لما هنا (٣) زيد من ظ
 ومد و صحيح البخارى (٤) سقط من مد (٥) سقط من ظ (٦) سورة ٣٧
 آية ١٠٢ (٧) من مد ، وفي الأصل و ظ : من (٨) في ظ : بأن (٩-١٠) من
 ظ و مد ، وفي الأصل : أنه لو (١٠) في ظ : حين (١١) رواه الكثيرون
 بما فيهم البخارى - راجع باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام كتاب
 الأنبياء .

أخذته [من صاحبه -^١] ذمامة " قال ان / سالتك عن شيء بعدها ^٢ / ٣٩٠
 فلا تصحبنى. فتحرر أنه وفي بمقام الشرع الذى أقامه الله [فيه -^٣]
 فلم يخل بمقام الصبر الذى [ليس -^٤] فيه ما يخالف ما يعرف ويستحضر
 من الشرع ، وكيف لا وهو من أكابر أولى العزم الذين قال الله تعالى
 لأشرف [خلقه -^٥] فى التسليك بسيرهم " فاصبر كما صبر أولوا العزم من
 الرسل " ، وقال تعالى " أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده " ، وقال
 عليه السلام فيما خرجه الشيخان ^٦ عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي
 صلى الله عليه و على آله و سلم أودى من بعض من كان معه فى حنين
 قتلون وجهه وقال : يرحم الله أخى موسى ! لقد أودى بأكثر من هذا
 فصبر . و علم أن فى قصته هذه حثا كثيرا على المجاهرة بالمبادرة بالامر
 بالمعروف و النهى عن المنكر و المصابرة عليه ، و أن لا يراعى فيه
^٧ كبير و لا صغير ^٨ إذا كان الإمرء على ثقة من أمره فى الظاهر بما
 عنده فى ذلك من العلم عن الله و رسوله و أئمة دينه ^٩ ، و تنيها على أنه
 لا يلزم من العلم اللدنى - سواء كان صاحبه نبيا أو وليا - معرفة كل شيء .
 كما يدعيه أتباع بعض الصوفية ، لأن الخضر سأل موسى عليهما السلام : ١٥

(١) زيد من صحيح مسلم - كتاب الفضائل باب من فضائل الخضر عليه
 السلام (٢) تقدم فى الأصل على « عن شيء » و الترتيب من مد و القرآن
 الكريم ، و الكلمة ساقطة من ظ (٣) زيد من ظ و مد (٤) سورة ٤٦
 آية ٣٥ (٥) سورة ٦ آية ٩٠ (٦) أما البخارى فخرجه فى عدة المناسبات و أما
 مسلم فخرجه فى أبواب الزكاة (٧-٧) فى ظ : صغير و لا كبير (٨) العبارة من
 هنا إلى « كما سياتى » ص ١٢٦ س ١ ساقطة من ظ .

من أنت ؟ و هل هو موسى نبي^١ بنى إسرائيل - كما سيأتى .^٢ روى البخارى فى التفسير^٣ من روايات مختلفة عن ابن عباس رضى الله عنها أن أبى بن كعب رضى الله عنه حدثه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : موسى رسول الله - عليه وعلى آله وسلم - ذكر الناس [يوما -^٤] حتى إذا فاضت العيون و رقت القلوب ولى فأدركه رجل فقال : أى رسول الله ! هل فى الأرض [أحد -^٥] أعلم منك ؟ قال : لا ! فغضب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحى إليه : بلى ! عبد من عبادى بمجمع البحرين ، قال : أى رب كيف السبيل إليه ؟ [قال -^٦] : تأخذ حوتا فى مكمل فحيث ما فقدته فاتبعه - و فى رواية : خذ نونا ميتا ١٠ حيث ينفخ فيه الروح - فخرج و معه فتاه يوشع بن نون حتى^٧ انتهيا إلى الصخرة ، فوضع موسى رأسه^٨ فنام فى ظل الصخرة^٩ فى مكان ثريان^{١٠} إذ تضرب الحوت - و فى رواية : [و -^{١١}] فى أصل تلك الصخرة عين يقال له^{١٢} الحياة لا يصيب من مائها شيء إلا حيى ، فأصاب الحوت من ماء تلك العين فانسل من المكمل فدخل البحر - فأمسك الله عنه جربة

(١) سقط من مد (٢) زيدت الواو فى ظ (٣) و ابتدئ السياق برواية يعلى بن مسلم عن ابن عباس عن أبى بن كعب (٤) زيد من ظ و مد و الصحيح (٥) من ظ و مد و الصحيح ، و فى الأصل : فقال (٦) و من هنا يرجع السياق إلى حديث قتبية بن سعيد (٧) من مد و الصحيح ، و فى الأصل و ظ : بل (٨) فى ظ : حين (٩) و من هنا يرجع السياق إلى الحديث الأول (١٠) زيد فى الأصل : فنام ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و الصحيح فحذفناها (١١) بهامش ظ : فدى (١٢) من ظ و مد و الصحيح ، و فى الأصل : لها .

البحر حتى كان أثره في حجر، فقال فتاه: لا أوقظه، حتى إذا استيقظ
 نسي أن يخبره، فذكر سفرهما و^١ قول موسى عليه السلام "لقد لقينا
 من سفرنا هذا نصبا" قال: قد قطع الله عنك النصب، فرجعا فوجدا
 خضرا على طنفسة خضراء على كبد البحر مسجى^٢ بثوبه، قد جعل طرفه
 تحت رجله. وطرفه تحت رأسه، فسلم عليه موسى فكشف^٣ عن وجهه ه
 و قال: هل بأرضي من سلام؟ من أنت؟ قال: أنا موسى! قال: موسى
 بنى إسرائيل؟ قال: نعم! قال: فما شأنك؟ قال: جئت لتعلمني، قال:
 أما يكفيك أن التوراة بيدك^٤، وأن الوحي [يأتيك -^٥]؟ يا موسى! إن
 لي علما لا ينبغي لك أن تعلمه، وإن لك علما لا ينبغي لي أن أعلمه - أي لا ينبغي
 لك أن تعمل بالباطن ولا ينبغي [لي أنا -^٦] أن أقف مع^٧ الظاهر، أطلق ١٠
 العلم على العمل لأنه سيه - فانطلقا يمشيان على الساحل، فوجدا معابر
 صفارا تحمل أهل هذا الساحل إلى أهل^٨ هذا الساحل الآخر، فعرف
 الخضر فقالوا: عبد الله الصالح! لا تحمله بأجر، فحملوه في سفينتهم بغير
 نول^٩ - يقول: بغير أجر - فركبا السفينة، و وقع عصفور على حرف السفينة
 فغمس منقاره في البحر؛ "و في رواية"^{١٠}: فأخذ / بمنقاره" من البحر، ١٥ / ٣٩١

- (١) من ظ و مد، وفي الأصل: او (٢) في مد: مثجى (٣) من ظ و مد
 و الصحيح، وفي الأصل: و كشف (٤) من الصحيح، وفي النسخ: بيدك.
 (٥) زيد من ظ و مد و الصحيح (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد،
 وفي الأصل: على (٨) سقط من ظ (٩) من ظ و مد و الصحيح، وفي
 الأصل: قول (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقيين من ظ (١١) من مد =

وفي رواية : ففقر نفرة أو نفرتين فقال : والله ما نقص على و عليك من علم الله إلا كما نقص هذا من البحر ، فلم يفجأ^١ موسى إلا الخضر عمدا^٢ إلى قدوم غرق السفينة ووتد فيها وتدا فذكر^٣ إنكاره وجوابه ثم قال : وكانت الأولى من موسى نسيانا ، والوسطى شرطا ، والثالثة عمدا - ه فذكر القصة ، وقال في آخرها : فقال رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم : وودنا أن موسى صبر حتى يقص علينا من أمرهما .

ولما فرغ من هذه القصة التي حاصلها أنها طواف في الأرض لطلب العلم ، عقبها بقصة من طاف الأرض لطلب الجهاد . و قدم الأولى إشارة إلى علو درجة العلم لأنه أساس كل سعادة ، وقوام كل أمر ، ١٠ فقال عاطفا على " ويحادل الذين كفروا بالباطل " : ﴿ ويستلونك عن ﴾ الرجل الصالح المجاهد ﴿ ذى القرنين ﴾^٤ سمي لشجاعته أو لبلوغه قرني مغرب الشمس ومشرقها ، أو لاقراض قرنين من الناس في زمانه ، أو لأنه كان له ضفيريّتان من الشعر أو^٥ لتاجه [قرنان -^٦] ، وهو الإسكندر الأول - نقل ابن كثير عن الأزرق^٧ أنه كان على زمن ١٥ الخليل عليه السلام ، و طاف معه بالبيت ، و من المناسبات الصورية

= والصحيح ، وفي الأصل وظ : متقاربه .

(١) من ظ ومد والصحيح ، وفي الأصل : فلم تفجأ (٢) من ظ ومد والصحيح ، وفي الأصل : غدا (٣) من ظ ومد ، وفي الأصل : فذكره (٤) العبارة من هنا إلى « لتاجه قرنان » ساقطة من ظ (٥) من مد ، وفي الأصل « و » (٦) زيد من مد و البحر المحيط ١٥٨/٦ (٧) في ظ : الأزرق .

أن في قصة^١ كل منها ثلاثة أشياء آخرها بناء جدار لاسقف له ،
وإنما هو لأجل حفظ ما يهتم به خوف المفسد ، وصدّرها بالإخبار عن
سؤالهم إشارة إلى أنهم لم يسألوا عن التي قبلها على ما فيها من العجائب
واللطائف ، والأسرار والمعارف ، تبكيها لليهود في إغفال الأمر
بالسؤال عنها إن كان مقصودهم [الحق -^٢] ، وإن لم يكن مقصودا لهم
كانوا بالتبكي أجدر ، أو تكون معضوفة على مسألتهم الأولى وهي
الروح ، وصدّرها بالإخبار بالسؤال تنبيها على ذلك لطول الفصل ، إشارة
إلى أن ذلك كله مرتبط بجوابهم ارتباط الدر بالسلك .

ولما كان من المعلوم أنه يقول صلى الله عليه وعلى آله وسلم :
١٠ «فبما ذا أجيبهم؟» قال : ﴿ قل ﴾ «أى لهم؟» ﴿ سألوا ﴾ «أى أقص قصا
متابعا في مستقبل الزمان إن أعلمنى الله به» ﴿ عليكم ﴾ «أيها المشركون
وأهل الكتاب المعلنون لهم» مقيدا بأن شاء الله كما سلف لك الأمر به
﴿ منه ذكرنا ﴾ «كافيا لكم في تعرف أمره ، جامعا لمجامع ذكره .

ولما كانت قصته من أدل دليل على عظمة الله ، جلاها في ذلك
المظهر فقال : ﴿ انا ﴾ «مؤكدنا لأن المخاطبين بصدد التعت و الإنكار» ١٥
﴿ مكنا ﴾ «أى بما لنا من العظمة ، قيل^٦ : بالملك وحده ، وقيل : مع

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) من مد ، وفي الأصل وظ : فيما
إذا أجبتهم (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) العبارة من هنا إلى «بمظهر
العظمة» ص ١٣ س ٢ ساقطة من ظ (٦) راجع أيضا البحر المحيط ٦ / ١٥٩ .

التوبة ، لأن ما ينسب إلى 'الله تعالى على سبيل الامتتان و الإحسان جدير
بأن يحمل على النهاية لاسيما إذا عبر عنه بمظهر العظمة (له في الارض)
مكنة يصل بها إلى جميع مسلوكتها ، و يظهر بها على سائر ملوكها
(و اتينسه) بعظمتنا ' (من كل شيء) يحتاج إليه في ذلك (سياتي)
٥ قال أبو حيان^٢ : و أصل السبب الحبل . ثم توسع فيه حتى صار يطلق
على ما يتوصل به إلى المقصود . فأراد بلوغ المغرب ، 'ولعله' بدأ به
لأن باب التوبة فيه (فاتبع) 'أى بغاية جهده - هذا على قراءة ابن
كثير و نافع و أبى عمرو بالتشديد ، والمعنى على قراءة الباقيين بقطع
الهمزة و إسكان الفوقانية : ألحق بعض الأسباب ببعض ، و ذلك تفسير
١٠ لقراءة التشديد (سياتي) يوصله إليه ، و استمر متبعاله (حتى إذا بلغ)
'فى ذلك المسير' (مغرب الشمس) أى الحد الذى لا يتجاوزه آدمى
فى جهة الغرب (وجدها) فيما يحس بحاسة لمسه (تغرب) كما
أحسه بحاسة / بصره من حيث أنه متصل بما وصل إليه بيده ، لا حائل
بينه و بينه (فى عين حمئة) أى ذات حمأة أى طين أسود ، و هى مع
١٥ ذلك حارة * كما ينظر من فى وسط البحر أنها تغرب فيه و تطلع منه
و عنده القطع بأن الأمر ليس كذلك * (و وجد عندها) أى على الساحل
المتصل بتلك العين (قوماء) كفارا لهم قوة على ما يحاولونه و منعة ،
(١) من مد ، وفى الأصل : مع (٢) سقط من ظ (٣) فى البحر المحيط ١٠٥٩/٦ .
(٤-٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : فلعله (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٦) فى مد : الى (٧) ليست الواو فى الأصل فقط .

فكانه قيل : ما ذا أمر فيهم ؟ فأجيب بقوله : ﴿ قلنا ﴾ ' بمظهر العظمة :
 ﴿ يذا القرنين ﴾ إعلاما بقربه من الله و أنه لا يفعل إلا ما أمره به ، إما
 بواسطة الملك إن كان نيا - ' و هو أظهر الاحتمالات ' ، أو بواسطة
 نبي زمانه ، أو باجتهاده في شريعته الاجتهاد المصيب ﴿ اما ان تعذب ﴾
 أى هؤلاء القوم يذل السيف فيهم بكفرهم ﴿ و اما ان تتخذ ﴾ ' أى ه
 بغاية جهدك ' ﴿ فيهم حسناه ﴾ أمرا^١ له حسن عظيم ، و ذلك هو البداءة
 بالدعاء ، إشارة إلى أن القتل و إن كان جائزا فالأولى أن لا يفعل إلا بعد
 اليأس من الرجوع عن موجه ﴿ قال اما من ظلم ﴾ باستمراره على
 الكفر فانا نرفق به حتى نأس منه [ثم - ٢] نقتله ، و إلى ذلك أشار
 بقوله : ﴿ فسوف نعذبه ﴾ ' بوعد لا خلف فيه بعد طول الدعاء و الترفق ' ١٠
 ﴿ ثم يرد ﴾ بعد الحياة بالموت ، أو بعد البرزخ بالبعث ، ردا^٢ هو في
 غاية السهولة ﴿ الى ربه ﴾ الذى تفرد برئيته ﴿ فيعذبه عذابا نكرا ﴾
 شديدا جدا لم يمهده مثله لكفره لنعمته . و بذل خيره في عبادة غيره ،
 و فى ذلك إشارة بالتهديد الشديد لليهود الغارين^٣ لقريش ، و إرشاد لقريش
 إلى أن يسألوه عن قوله هذا ، ليكون قائدا [لهم - ٢] إلى الإقرار ١٥
 بالبعث ﴿ و اما من آمن و عمل صالحا ﴾ تصديقا لما أخبر به من تصديقه
 (١ - ١) - سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : امر .
 (٣) زيد من ظ و مد - مد (٤) من مد ، و فى الأصل : ردله ، و العبارة من هنا
 - بما فيها هذه الكلمة - ساقطة من ظ إلى « غاية السهولة » (٥) من ظ و مد ،
 و فى الأصل : المفازين - كذا .

﴿ فله ﴾ في الدارين ﴿ جزآه^١ ﴾ طريقتيه ﴿ الحسنى ج ﴾ منا ومن
الله بأحسن^٢ [منها - ٢] ﴿ وسنقول ﴾ بوعده لا خلف فيه بعد
اختباره بالأعمال الصالحة^٣ ﴿ له ﴾ أى لأجله ﴿ من امرنا ﴾ الذى نأمر
به فيه ﴿ يسرا^٤ ﴾ أى قولاً غير شاق^٥ من الصلاة والزكاة والخراج
و الجهاد وغيرها، وهو ما يطيقه ولا يشق عليه مشقة كبيرة^٦ ﴿ ثم اتبع ﴾
لإرادته بلوغ مشرق الشمس^٧ ﴿ سياء ﴾ من جهة الجنوب
يوصله إلى المشرق واستمر فيه لا يمل ولا تغلبه أمة مر عليها
﴿ حتى إذا بلغ ﴾ فى مسيره ذلك^٨ ﴿ مطلع الشمس ﴾ أى الموضع
الذى تطلع عليه أولاً من المعمور من الأرض ﴿ وجدها تطلع على قوم ﴾
١٠ على ساحل البحر لهم قوة شديدة^٩ ﴿ لم نجعل لهم ﴾ [ولما كان
المراد التعميم، أثبت الجار فقال - ٢] : ﴿ من دونها ﴾^{١٠} أى من أدنى
الآماكن إليهم^{١١} أول ما تطلع ﴿ سترال^{١٢} ﴾ يحول بينهم وبين المحل
الذى [يرى - ٥] طلوعها منه [من البحر - ٥] من جبل^{١٣} ولا أبنية
ولا شجر^{١٤} ولا غيرها^{١٥} .

١٥ ولما كان أمره مستغرباً فى نفسه وفى الاطلاع عليه لا سيما
عند القرب^{١٦}، قال تعالى : ﴿ كذلك ﴾ أى أمره كما ذكرناه^{١٧} لكم على

(١) راجع لاختلاف القراءة فيه ثمر المرجان ٤ / ١٤٨ (٢) سقط من ظ .
(٣) زيد من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقنين من ظ (٥) زيد من ظ ومد .
(٦) من مد ، وفى الأصل وظ : غيره (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل :
الغرب (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : ذكرناه .

سبيل الاقتصار ﴿ و قد احطنا ﴾ ^١ بما لنا من العظمة! ﴿ بما لديه ﴾
 أى ^٢ كله من الامور التى [هى - ^٣] أغرب المستغرب ﴿ خبراه ﴾
^٤ أى من جهة بواطن أموره فضلا عن ظواهرها ^٥. فلا يستغرب إخبارنا
 عن ذلك ولا عن أمر أصحاب الكهف، ولا يظن أن تفصيل أمر
 الروح خفى عنا، لأننا مطلعون على خفايا الامور و ظواهرها، شواهدا ه
 وغائبها، ^٦ وكيف لا ونحن أوجدناها ^٧ ولكننا لا نذكر ^٨ من
 ذلك ^٩ إلا [ما نريد على - ^{١٠}] ما تدعو إليه الحكمة، فلو شئنا لبسطنا
 هذه القصة وقصة أهل الكهف وفصلنا أمر الروح [تفصيلا - ^{١١}]
 يعجز عن حفظه الالباء ﴿ ثم اتبع ﴾ ^{١٢} فى إرادته ناحية السد مخرج
 ياجوج وماجوج ^{١٣} ﴿ سياء ﴾ من جهة الشمال، واستمر أخذاً فيه ١٠
 ﴿ حتى إذا بلغ ﴾ ^{١٤} فى مسيره ذلك ^{١٥} ﴿ بين السدين ﴾ أى الجبلين
 المائنين من وراءهما ^{١٦} من الوصول منهما ^{١٧} إلى من أمامهما ^{١٨} و هما بمنقطع
 أرض الترك مما يلى ^{١٩} بلاد أرمينية وآذربيجان، ألسان يزلق عليهما
 كل شيء ^{٢٠}؛ ^{٢١} قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم بفتح السين.
 والباقون بضمهما، فقليل: هما بمعنى واحد، وقيل: المضموم من فعل ١٥
 الله، والمفتوح من فعل الناس ^{٢٢}. ﴿ وجد من دونهما ﴾ أى بقربيها ^{٢٣}
 من الجانب الذى هو أدنى منهما إلى الجهة التى أتى منها ذو القرنين

(١-١) سقط ما بين الرّمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و مد.

(٤-٤) فى ظ: منه (ه) زيد من ظ (٦) زيد فى الأصل: من. ولم تسكن

الزيادة فى ظ و مد والبحر المحيط ٦ / ٦٣: فخذناها.

(قوما)^١ أى أقوياء لغتهم فى غاية البعد من لغات بقية الناس لبعد بلادهم من بقية البلاد ، فهم لذلك (لا يكادون يفقهون قولا)^٢ أى لا يقربون من أن يفهموه ممن مع ذى القرنين فهما جيدا كما يفهم غيرهم ، ودل وصفهم بما يأتى على أنهم يفهمون فهما ما^٣ بعد^٤ بعد^٥ ومحاولة طويلة ، لعدم ماهر بلسانهم ممن مع ذى القرنين ، وعدم ماهر منهم بلسان أحد ممن معه ، وهذا يدل على أن بينهم وبين بقية سكان الأرض غير ياجوج و ماجوج برارى شاسعة ، وفيافى واسعة ، منعت من اختلاطهم بهم^٦ ،^٧ وأن تطبعهم بلسان غيرهم بعيد جدا لقلة حفظهم لخروج بلادهم عن حد الاعتدال ، أو لغير ذلك ، ويلزم من ذلك أنهم لا يكادون يفهمون غيرهم شيئا من كلامهم ، وذلك معنى قراءة حمزة و الكسائى بضم التحتانية وكسر القاف^٨ ؛ ودل على [أن -]^٩ عدم فهمهم وإفهامهم مفيد بما مضى قوله^{١٠} : (قالوا) أى مترجمهم أو جيرانهم - الذين من دونهم^{١١} - كما فى مصحف ابن مسعود^{١٢} ممن يعرف بعض كلامهم^{١٣} ، أو بالإشارة كما يخاطب إليكم^{١٤} : (يذا القرنين) مسنا

(١ - ١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢ - ٢) موضع ما بين الرقنين فى ظ : لا يفهمونه ممن مع ذى القرنين إلا (٣) العبارة من هنا إلى « بما مضى قوله » ساقطة من ظ (٤) راجع نثر المرجان ٤ / ١٨٦ (٥) زيد من مد (٦) زيد فى ظ : فكأنه قيل : هل قالوا له شيئا ؟ فقيل : نعم (٧) فى مد : دونه (٨) وفى روح المعانى أيضا ما يقارب ما عندنا : و أهل هذا المترجم كان من قوم يقرب بلادهم و يؤيد ذلك ما وقع فى مصحف ابن مسعود « قال الذين من دونهم » .

الضر (ان ياجوج و ماجوج) و هما قيلتان من الناس من أولاد يافث ، لا يطلق أمرهم ، و لا يطفأ جرمهم ، و قد ثبت في الصحيح^١ في حديث بعث النار أنهم من ذرية آدم عليه السلام (مفسدون في الارض) بأنواع الفساد (فهل نجعل لك خرجا) نخرجه لك من أموالنا - هذا^٢ على قراءة الجماعة ، و زاد حمزة و الكسائي ألفا^٣ ، فقيل^٤ : هما بمعنى واحد ، و قيل : بل الخرج ما تبرعت به ، و الخراج بالالف ما لزمتك . (علي^٥ ان تجعل) في جميع ما^٦ (بيننا و بينهم) من الارض التي يمكن توصلهم إلينا منها بما آتاك الله من المكنة (سداه) يصل بين هذين الجبلين (قال) بعفة و ديانة و قصد للخير : (ما مكنى) .

١٠ و لما كان لمكته حالتان : إحداهما ظاهرة ، و هي ما شوهده من ١٠ فله بعد وقوعه ، و باطنة و لا يقع أحد عليها بحس ولا توم ، لأنها مما لم يواف مثله ، فلا يقع المتوسم عليه ، قرأ ابن كثير^٧ باظهار النون في " مكنى " و غيره بالإدغام ، إشارة إليهما . و لما كان النظر إلى ما يقع المكنة [فيه -^٨] أكثر ، قدم ضميره فقال : (فيه ربي) أي^٩ المحسن إلى بما ترون من الأموال و الرجال ، و الفهم في إتقان^{١٠}

(١) كتاب الأنبياء - قصة ياجوج و ماجوج حديث إسماعيل بن نصر (٢) العبارة من هنا إلى « ما لزمتك » ساقطة من ظ (٣) راجع ثر المرجان ٤/ ١٨٨ (٤) وهو قول أبي عمرو - راجع معالم التنزيل (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ . (٦) العبارة من هنا إلى « ضميره فقال » ساقطة من ظ (٧) زيد في مد : و قدم ضميره فقال (٨) زيد من ظ (٩) سقط من ظ .

١ الامور، و التوصل إلى جميع الممكن للخلق ١ ﴿خير﴾ أى ٢ من
 خرجكم الذى تريدون بذله لمكنتى كما قال سليمان عليه السلام "فا
 اتنى الله خير مما اتىكم" ٣ ﴿فاعينونى بقوة﴾ أى آلات و عمال
 اتقوى بها فى فعل ذلك. فان ١ أهل البلاد أخبر بما يصلح فى هذا
 العمل من بلادهم و ١ ما معنى إنما هو للقتال و ما يكون من أسبابه ،
 لا لمثل؛ هذا ﴿اجعل بينكم﴾ ٥ أى بين ما تختصون به ﴿وبينهم ردما﴾
 أى حاجزا حصينا موثقاً ٢ بعضه فوق بعض ، مع التلاصق ١ المتلاحم
 الموجب لأن لا يميز بعضه من بعض ١ وهو أعظم من السد ١؛ قال
 البغوى ٢ فخر ٤ له الأساس حتى بلغ الماء / [و - ٩] جعل حشوه
 ١٠ الصخر و طينه النحاس يذاب فيصب عليه فصار كأنه عرق من جبل
 تحت الأرض . ﴿اتونى﴾ بفتح الهمزة ومدها على قراءة الجماعة ١١
 [أى أعطونى - ١١] و همزة وصل و همزة بعدها ساكنة ، أى جيئنى
 و تعالوا إلى فقد أجبتمكم إلى سؤالكم ١٢ ، ثم ابتداء مغرباً على هذه القراءة
 فقال ١٣ : ﴿زبر الحديد﴾ أى ١ عليكم به فأحضروا إلى ١ قطعة ، فأتوه

/٣٩٤

- (١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) سورة ٢٧ آية ٣٦ .
 (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : مثل (٥) العبارة من هنا إلى «تختصون به»
 ساقطة من ظ (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و مد فحذفناها .
 (٧) فى معالم التنزيل - راجع الباب ٤ / ١٨٨ (٨) من ظ و مد و المعالم ،
 وفى الأصل : حفر (٩) زيدت الواو من المعالم (١٠) راجع نثر المرجان ٤ / ١٨٩ .
 (١١) زيد من مد (١٢) فى مد : سولكم (١٣) العبارة من «بفتح الهمزة»
 إلى هنا ساقطة من ظ .

بذلك فردم 'ما فوق الأساس' بعضه على بعض صفا من الحديد^٢ و صفا من الحطب، قال البغوى^٣: فلم يزل يجعل قطع الحديد على الحطب والحطب على الحديد. (حتى إذا ساوى) أى بذلك البناء^٤ (بين الصدفين) أى أعلى منقطع الجبلين الموصوفين، سيما لتصادفهما - أى تقابلهما وتقاربهما - بالبناء على تلك الحالة عرضا وطولا، وقراءة من فتح الصاد والدال^٥ - وهم نافع وحزمة والكسائي وحفص عن عاصم - [دالة -^٦] على أن تقابلهما في غاية الاستقامة، فكأنهما جدار فتح فيه باب، وقراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر بضمهما دالة على أنه مع ذلك في غاية القوة حتى أن أعلاه وأسفله سواء^٧، وقراءة شعبة عن عاصم بالضم وإسكان^٨ الدال دالة على أشد ثبات وأتقنه في كل منهما، فلا ينتخر شيء منهما على طول الزمان بريح ولا غيرها من فساد في أحد الجانبين برخاوة من سياخ أو غيره (قال) أى للصانع: (انفخوا) في الأكوار فنفخوا^٩ فأضرم فيه النار، واستمر كذلك (حتى إذا جعله)^{١٠}

- (١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: حديد.
 (٣) في معالم التنزيل - راجع الباب ١٨٩/٤ (٤) ليس في المعالم (٥) سقط من ظ (٦) العبارة من هنا إلى « سياخ أو غيره » ساقطة من ظ (٧) راجع نشر المرجان ١٩٠/٤ (٨) زيد من مد (٩) من مد، وفي الأصل: فكأنه (١٠) زيد في الأصل: فلا يعحر شيء - كذا، ولم تكن الزيادة في مد لحذفها (١١) من ظ و مد، وفي الأصل: فانفخوا (١٢) زيد في الأصل: نارا، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها.

أى ' كله (نارا لا قال) للقوم: (اتوني) بالنحاس (افرغ عليه)
 ٢. أى الحديد المحمى (قطرا ه) منه بعد إذابته، فإن القطر: النحاس
 الذائب، هذا فى قراءة حمزة وأبى بكر عن عاصم باسكان الهمزة،
 وقراءة الباقيين بفتح الهمزة ومدها بمعنى أعطوني النحاس^٢. ففعلوا ذلك
 ه. فاختلط^٢ والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا، ثم قال الله تعالى:
 (فما) أى قسبب عن ذلك أنه^١ لما أكمل عمله وأحكمه ما
 (استطاعوا) أى ياجوج وماجوج وغيرهم (ان يظهروه) أى
 يعلو ظهره لعلوه وملاسته (وما استطاعوا له نقبا ه) استخنه وصلابته^٢،
 وزيادة التاء هنا تدل على أن العلو عليه أصعب من نقبه^٥ لارتفاعه
 ١٠. وصلابته والتحام بعضه ببعض حتى صار سيكة واحدة من حديد
 ونحاس فى علو الجبل، وقد حكى ابن خرداذبه^٦ عن سلام^٧ الترجمان
 الذى أرسله أمير المؤمنين الواثق إليه حتى رآه أن ارتفاعه مد البصر^٨.

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) من مد، وفى
 الأصل: واختلط، والعبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - إلى « قال الله تعالى »
 ساقطة من ظ (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: لانه (ه) فى ظ: ثقبه (٦) من
 الأعلام للزركلى ٣/٤، وفى الأصول: خرداربه - كذا، و راجع الأعلام
 أيضا للعثور على الاختلاف الدائر حول تحقيق ضبطه (٧) زيد فى الأصل: ابن،
 ولم تكن الزيادة فى ظ ومد وروح المعانى ١٤٠/٥. لخذفناها (٨) وفى روح
 المعانى ما ملخصه: وأما ما ذكره بعضهم من أن الواثق بالله العباسى أرسل سلاما
 الترجمان للكشف عن هذا السد فثقات المؤرخين على تضعيفه. وذكر فى غرائب
 القرآن للنيسابورى أن الواثق رأى فى المنام كأنه فتح هذا الردم فبعث بعض
 الخدم إليه - راجع هامش الطبرى ٢١/١٦ و راجع أيضا تاريخ الإسلام ٤٧/٢.
 ولأنهم

ولأنهم^١ لو احتالوا ببناء درج من جانبهم أو وضع تراب حتى ظهروا عليه لم ينفعهم [ذلك -^٢] لأنه لا حيلة لهم على النزول من الجانب الآخر، ويؤيده أنهم إنما يخرجون في آخر الزمان بنقبة لا بظهوره^٣، ولا ينافي نفي الاستطاعة لنقبة ما رواه الإمام أحمد^٤ والترمذي في التفسير^٥ وابن ماجه في الفتن^٦ عن أبي رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: إن ياجوج و ماجوج ليحفرون^٧ السد كل يوم حتى إذا كادوا^٨ يرون شعاع الشمس قال الذي^٩ عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدا، فيعودون إليه كأشد ما كان حتى [إذا -^{١٠}] بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى [إذا -^{١١}] كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي^٩ عليهم: ارجعوا^{١٠} فستحفرونه غدا إن شاء الله فيستثنى فيعودون إليه وهو كهيته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس - الحديث . وفي حديث الصحيحين^{١١} عن زينب بنت جحش رضي الله عنها عن النبي صلى الله

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل: لوأنهم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل: يظهره (٤) في المسند ١٠/٢ هـ (٥) ص ٣٨٣ (٦) باب فتنة الدجال و خروج عيسى ابن مريم و خروج ياجوج و ماجوج ، و أغلب السياق لمسند أحمد و ابن ماجه (٧) من المسند ، وفي الأصل و ابن ماجه: يحفرون ، وفي ظ و مد: ليحفرون (٨) من ظ و مد و المسند و ابن ماجه ، وفي الأصل: كادون - كذا (٩) من ظ و مد و المسند و ابن ماجه ، وفي الأصل: الذين (١٠) زيد من ظ و مد و المسند و ابن ماجه (١١) البخاري =

عليه وعلى آله وسلم : فتح اليوم من ردم ياجوج و ماجوج مثل هذا^١ ، وخلق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم . وروياه عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه^٢ : مثل / هذا^٣ و عقد تسعين . فكأنه قيل : فما قال حين أفرغه ؟ قيل : ﴿ قال هذا ﴾^٤ أى السد^٥ (رحمة من ربى ع) المحسن إلى باقدارى عليه و منع الفساد به (فاذا جاء وعد ربى) بقرب قيام الساعة (جعله دكاء ع) باقدارهم على نقبه و هدمه و تسهيل ذلك عليهم ،^٦ و التعبير بالمصدر المنون فى قراءة الجماعة للبالغة فى دكه هو الذى أشارت إليه قراءة الكوفيين^٧ بالمد ممنوعا من الصرف .

/ ٣٩٥

١٠. ولما كان هذا أمرا مستعظما خارقا للعادة، علله بقوله : (وكان وعد ربى) الذى وعد به فى خروج ياجوج و ماجوج و اختراقهم الأرض و إفسادهم لها ثم قيام الساعة (حقا^٨) كائنا لا محالة ، فلذلك أعان على هدمه ، و عن قتادة^٩ قال : ذكر لنا أن

= فى عدة مناسباته بما فيها الفتن و مسلم فى أوائل الفتن .

(١) فى بعض الروايات : هذه (٢) فى ظ : منه (٣-٣) سقط ما بين الرقین من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « من الصرف » ساقطة من ظ (٥) راجع نثر المرجان ١٩٢/٤ (٦) ذكر فى المعالم قول قتادة على وجه الاختصار - راجع اللباب ١٨٩/٤ ، و الحديث أخرجه فى روح المعانى ١٤٠/ عن ابن جرير و ابن مردويه ، و ذكره فى روح المعانى ٦/ ١٦٤ أيضا كمال ذكره فى الكشف ٥٨٠/١ .

رجلا - وفي رواية: عن رجل من أهل المدينة قال: يا رسول الله! قد رأيت سد ياجوج وماجوج، قال: انعته لي، قال: كالبرد المحبر: طريقة سوداء وطريقة حمراء، وفي رواية: طريقة حمراء من حديد وطريقة سوداء من نحاس، وفي رواية أنه قال: انتهت إلى أرض ليس لهم إلا الحديد يعملونه^١ - رواه الطبري وابن أبي عمر والطبراني ه في مسند الشاميين وابن مردويه عنه والبزار من وجه آخر من طريق أبي بكرة رضي الله عنه - ذكر ذلك شيخنا ابن حجر في تخریج أحاديث الكشاف، وفي حديث فتح الباب من سيرة الحافظ أبي الريح ابن سالم^٢ الكلاعي وشيخه ابن حيش^٣ - وكان أمير^٤ تلك الجيوش التي بها عبد الرحمن بن ربيعة في أيام عمر رضي الله عنه - ما نصه^٥: وحدث ١٠ مطر بن ثلج التميمي قال: دخلت على عبد الرحمن بن ربيعة بالباب وشهر براز عنده - يعني: وكان ملك الباب من جهة آل كسرى - فأقبل رجل عليه شحوبة^٦ حتى جلس إلى شهر براز قسءلا، ثم إن شهر براز قال لعبد الرحمن: أيها الأمير! أتدرى من أين جاء هذا الرجل؟ إني^٧ بعثته منذ سنين نحو السد لينظر لي ما حاله ومن دونه، ١٥

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: يعلمونه (٢) هو سليمان بن موسى بن سالم المتوفى سنة ٦٣٤، واسم سيرته «الاكتفا بسيرة المصطفى والثلاثة الخلفاء» - راجع الأعلام ٣/ ١٩٩ وتذكرة الحفاظ ١٤١٧ (٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله أبو القاسم الأنصاري الأندلسي المتوفى سنة ٨٤٤ راجع الأعلام ٤/ ١٠٤ والتذكرة. (٤) راجع أيضا تاريخ الطبري ٤/ ٢٥٨ بالإضافة إلى تاريخ الإسلام ٢/ ٤٦ (٥) من الطبري، وفي الأصل و مد: محبوب، وفي ظ: يموت (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: أي .

و زودته مالا عظيما ، و كتبت له إلى من يلي^١ و أهدبت له و سأله
 أن يكتب إلى من وراءه ، و زودته لكل ملك هدية ، ففعل ذلك بكل
 ملك^٢ يفي^٣ و بينه حتى انتهى إلى الملك الذي السد في ظهر أرضه ، فكتب
 له إلى عامله على ذلك^٤ البلد ، فأتاه فبعث معه بازياره و معه عقابه ، فذكر
 ه أنه أحسن إلى البازيار ، قال : فتشكر^٥ لي البازيار ، فلما انتهينا إذا جبلان
 بينهما سد مسدود حتى ارتفع على^٦ الجبلين بعد ما استوى بهما ، و إذا
 دون السد خندق أشد سوادا من الليل لبعده ، فنظرت إلى ذلك
 و تفرست فيه ، ثم ذهبت لأنصرف فقال لي البازيار : على رسلك !
 أ كافيك أنه لا يلي ملك بعد ملك إلا تقرب إلى الله تعالى بأفضل ما عنده
 ١٠ من الدنيا فيرمي به في هذا اللهب ، فشرح^٧ بضعة [لحم - ٨] معه فألقاها في
 ذلك الهواء و انقضت عليها العقاب و قال : إن أدركتها قبل أن تقع
 فلا شيء ، و إن لم تدركها حتى تقع فذلك شيء ، فخرجت علينا باللحم في
 مخالبا و إذا فيه^٩ باقوتة فأعطانيها ، وهي هذه ، فتناولها منه شهربراز
 و هي حرام فتناولها عبد الرحمن فنظر^{١٠} إليها ثم ردها إليه فقال شهربراز :
 ١٥ هذه خير من هذه البلدة - يعني الباب - و أيم الله ! لأنتم أحب
 إلى ملك^{١١} من / آل كسري ، ولو كنت في سلطانهم ثم بلغهم خبرها

(١) من ظ و مد و الطبرى ، وفي الأصل : ينبئني (٢) من ظ و مد و الطبرى ،
 وفي الأصل : مكث (٣) من ظ و مد و الطبرى ، وفي الأصل : تلك (٤) من
 مد و الطبرى ، وفي الأصل وظ : فشكر (٥) من مد و الطبرى ، وفي الأصل وظ :
 إلى (٦) من ظ و مد و الطبرى ، وفي الأصل : فشدخ (٧) زيد من الطبرى .
 (٨) من الطبرى ، وفي الأصول : فيها (٩) من ظ و مد و الطبرى ، وفي الأصل :
 فنظر (١٠) من ظ و مد و الطبرى ، وفي الأصل : مكة .

لا تنزعوها^١ مني ، وأيم الله ! لا يقوم لكم شيء ما وفيتم أو وفي ملككم
 الأكبر ، فأقبل عبد الرحمن^٢ على الرسول وقال : ما حال الردم^٣ وما
 شبهه ؟ فقال : هذا الثوب الذي على هذا الرجل ، وأشار إلى مطرب بن تلج
 وكان عليه قباء برود يمنية أرضه حمراء وشبهه أسود ، أو وشبهه أحمر
 وأرضه سوداء ، فقال مطر : صدق والله الرجل ! لقد نفذ ورأى ، قال ه
 عبد الرحمن : أجل ! ووصف صفة الحديد والصفير وقرأ " اتوني زبر
 الحديد " إلى آخر الآية ، وقال عبد الرحمن لشهربراز : كم كانت هديتك ؟
 قال : قيمة مائة ألف في بلادى هذه ، وثلاثة آلاف [ألف - ٦]
 أو^٧ أكثر في تلك البلدان - انتهى . وقد ظهر أن [ما - ٨] تعتوا به
 - من قصتي أصحاب الكهف وذى القرنين وما أدرج بينهما تبيكتا لليهود ١٠
 الآمرين بذلك - دال [من قصة موسى عليه السلام - ٨] على قيام
 الساعة فصار كله أعظم ملزم لهم^٩ إن قبلوه ، وأوضح فاضح لعنادهم
 إن تركوه .

ولما انقضى ما سألوا عنه على أحسن وجه في أبلغ سياق وأبدع تناسب ،
 وأدرج في خلاله ما أدرج من التذكير والوعظ ، والأمر والنهي ، ١٥

- (١) من ظ و مد والطبرى ، وفي الأصل : لا تنزعوها (٢) من ظ و مد
 والطبرى ، وفي الأصل : عبدا (٣) من ظ و مد والطبرى ، وفي الأصل : الرى .
 (٤-٤) من ظ و مد والطبرى ، وفي الأصل : شمه قال (ه-ه) من ظ و مد
 والطبرى ، وفي الأصل : حمراء أرضه دوسه (٦) زيد من ظ و مد والطبرى .
 (٧) من الطبرى ، وفي الأصول " و " (٨) زيد من ظ و مد (٩-٩) من مد ،
 وفي الأصل : قصص اهل ، وفي ظ : قصصى اهل (١٠) من ظ و مد ، وفي
 الأصل : له .

و الوعد و الوعيد ، و الترغيب و التهيب ، و التبييت للكاتمين لما عندهم
من العلم ، ^١ الناكبين عما ^٢ استبان لهم من الطريق اللاحب و المنهج
الواضح صنع القادر الحكيم الذى لا يستخفه ضجر فيستعجل ،
و لا يعيه أمر فيستهمل ، و ختمه بما هو علم عظيم للساعة ، ذكر
ه ما يكون إذ ذاك و ما يكون بعده إلى حصول كل من الفريقين فى
داره و محل استقراره ؛ و لما كان ذلك أمرا عظيما ، دل عليه بالنون
فقال ^٣ عاطفا على ما تقديره : فقد بان أمر ذى القرنين أى يان ،
و صدق فى قوله " فإذا جاء وعد ربى " ، فانه إذا جاء وعدنا جعلناه بقدرتنا
التي تؤتيها لياجوج و ماجوج دكاه فأخرجناهم على الناس بعد خروج
١٠ الدجال : ^٤ (و تركنا بعضهم) أى بعض من خلف السد و من أمامه
(يومئذ) أى إذ جعلنا السد دكاه ^٥ و خرجوا مقدمتهم بالشام ^٦
و ساقطتهم بخراسان ، و هم - كما قال الله تعالى - من كل حذب ينسلون .
(يموج) ^٧ أى يضطرب ^٨ (فى بعض) كما يموج البحر ، فأهلكوا
ما مروا عليه من شيء إلا ما ^٩ أراد الله ، ثم أبادهم الذى خلقهم
١٥ و بقرب ذلك ألقى الخلائق أجمعين (و تفخ فى الصور) أى النفخة
الثانية لقوله : (لجمعنهم) و يجوز أن تكون هذه الفاء الفصيحة
فيكون المراد النفخة الأولى ، أى و تفخ [فى الصور - ^{١٠}] فأت الخلائق

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : العاملين على ما (٢ - ٢) سقط ما بين
الرقين من ظ (٣) العبارة من هنا إلى « حذب ينسلون » ساقطة من ظ (٤) من
مد ، و فى الأصل : الشام (٥) فى ظ : من (٦) زيد من ظ .

كلهم ، فبليت أجسامهم ، و تفتت^١ عظامهم ، كما كان من تقدمهم ،
ثم قنخ [فيه -^٢] النفخة الثانية لجمعناهم من التراب بعد تمزقهم فيه ،
و تفرقهم في أقطار الأرض^٣ بالسيول و الرياح^٤ و غير ذلك (جمعا^٥)
فأقناهم دفعة واحدة كلح البصر ، و حشرناهم إلى الموقف للحساب ثم
العقاب أو الثواب (و عرضنا) أى أظهرنا (جهنم يومئذ) أى إذ^٥
جمعناهم لذلك (للكافرين عرضاء) ظاهرنا لهم كل ما فيها من الآهوال
و هم لا يحسدون عنها مصرفا ؛ ثم وصفهم / بما أوجب سجنهم فيها
٣٩٧/ و تجهما لهم^٦ فقال : (الذين كانت)^٧ كونا كأنه جيلة لهم^٨
(اعينهم) الوجهية و القلية (في غطاء عن ذكرى) بعدم النظر
فيما جعلنا على الأرض من زينة دليلا على الساعة بافائه^٩ إثر إحيائه^{١٠}
و إعادته بعد إبدائه (و كانوا)^{١١} بما جبلناهم عليه^{١٢} (لا يستطيعون)
أى استطاعة عظيمة تسعدم^{١٣} ، لضعف عقولهم ، و غرق استبصارهم
في فضولهم (سمعا^{١٤}) لآيات^{١٥} التى تسمع الصم و تبصر الكمه ، و هو
أبلغ في التبكيت بالغباوة^{١٦} و التقريع بالبلادة من مجرد نفي البصر
و السمع ، لأن ذلك لا يبنى الاستطاعة^{١٧} ؛ ثم عطف على ما أفهمه ذلك^{١٨}

- (١) من مد ، و فى الأصل و ظ : تفتت (٢) زيد من ظ و مد (٣-٢) فى ظ :
فى حواصل الطيور و بطون السباع (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اذا .
(٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بافائه .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : كما يأتى - كذا (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل :
بالعبارة .

قوله 'موبخا لهم ومبكتا': (الحسب) أى أخطوا أعينهم عن آياتي وأصموا أسماعهم عن كلماتي، و عبدوا عبادى فحسبوا^١ 'الضعف عقولهم'، وإنما قال: (الذين كفروا) دلالة على الوصف الذى أوجب لهم ذلك (ان يتخنوا) 'أى ولو بذلوا الجهد' (عبادى) من الأحياء كاللائكة وعزير والمسيح، والأموات كالأصنام .

١. ولما كان كل شيء دونه سبحانه، وكان لا يستغرق شيء من الأشياء جميع ما دون رتبته من المراتب، أثبت الجار فقال: (من دونى أوليائه) 'أى مبتدئين اتخذهم من دون إذنى، والمفعول الثانى لـ "حسب" محذوف تقديره: ينصرونهم ويدفعون عنهم ويحملون بعضهم'. ولما كان غاية اتخاذ الولى أن يفعل ما يفعل القريب من النصر والحماية من كل مؤذ، جاز كون هذا سادا مسد مفعولى "حسب" لأن معناه: أحسبوا اتخاذهم مانعهم منى؟ ولما كان معنى الاستفهام الإنكارى: ليس الأمر كذلك، بل أصله زندهم، وخاب جدم، وغاب سعدهم، حسن جدا قوله مؤكدا 'لأجل إنكارهم': ١٥ (أنا اعتدنا جهنم) التى تقدم أنا عرضناها^٢ لهم (للكافرين نزلا) تقدمها لهم أول قدمهم^٣ كما يعجل للضيف، فلا يقدر أحد على منعها عنهم، ولهم وراها ما يحقر بالنسبة إليه كما هو شأن ما بعد النزول بالنسبة إليه .

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢-٢) من مد، وفى الأصل: لا عذبهم، والعبارة من هنا إلى مانعهم منى، ساقطة من ظ (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: عرضنا (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: قدمهم .

ولما تبين بذلك الذى لا مزية فيه أنهم خسروا خسارة لا يرجع معها ، وخاب ما كانوا يؤملون ، أمره أن ينبههم^١ على ذلك فقال :
 ﴿ قل هل ننبئكم^٢ ﴾^٣ أى نخبركم أنا و كل عبد لله^٤ ليست عينه فى غطاء عن الذكر ، ولا فى سمعه عجز عن الوعى ، إخبارا عظيما أيها التاركون من لا خالق ولا رازق لهم سواء ، والمقبلون^٥ على من ليس ه يده شيء من خلق ولا رزق ولا غيره ﴿ بالآخرين ﴾ ولما كانت أعمالهم مختلفة ، فمنهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد النجوم ، ومنهم من يعبد بعض الأنبياء ، ومنهم من يعبد الأوثان ، ومنهم من كفر بغير ذلك ، جمع المميز فقال : ﴿ اعمالا^٦ ﴾ ثم وصفهم بضد ما يدعونه لأنفسهم من نجاح السعى^٧ وإحسان الصنع فقال : ١٠
 ﴿ الذين ضل سبيلهم ﴾ أى حاد^٨ عن التقصد فبطل ﴿ فى الحياة الدنيا ﴾ بالإعراض عن^٩ لا ينفعهم ولا يضرهم إلا هو ، والإقبال على ما لا تقع فيه ولا ضرر ﴿ وهم ﴾ أى والحال أنهم مع ظهور ذلك كالشمس / ٣٩٨
 ﴿ يحسبون ﴾^{١٠} لضعف عقولهم ﴿ أنهم يحسنون صنعاء ﴾^{١١} أى فعلا هو فى غاية الإحكام وهم فى غاية الدربة به^{١٢} : وردى البخارى فى ١٥

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : ينبئهم (٢) فى ظ : انبئكم (٣) العبارة من هنا إلى « إخبارا عظيما » ساقطة من ظ (٤) من مد ، وفى الأصل : الله (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : المبتلون (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : السبي (٧) فى ظ و مد : جار (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : عما (٩-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ .

التفسير عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه أن الآخرين اليهود والنصارى، قال : أما اليهود فكفروا^١ بمحمد صلى الله عليه وسلم ، و أما النصارى فكفروا^٢ بالجنة وقالوا : لا طعام [فيها - ^٣] ولا شراب - انتهى . قلت : وكذا قال اليهود لأن الفريقين أنكروا الحشر الجسماني ه و خصوه بالروحاني .

ولما كانوا ينكرون أنهم على ذلك ، لملازمتهم لكثير من محاسن الأعمال ، البعيدة عن الضلال ، بين لهم السبب في بطلان سعيهم بقوله : ﴿ أولئك ﴾ [أى - ^٣] البعداء البغضاء^٤ ﴿ الذين كفروا ﴾^٥ أى أوقعوا السر والتغطية لما من حقه أن يظهر ويشهر . مستهينين^٦ ﴿ بآيت ربهم ﴾ ١٠ من كلامه وأفعاله ، وبين سبب هذا^٧ الكفر بقوله : ﴿ ولقائه ﴾ أى فصاروا لا يخافون فلا يردم شيء عن أهوائهم ﴿ فخبطت ﴾ أى سقطت^٨ ، وبطلت وفسدت بسبب جحدم للدلائل^٩ ﴿ أعمالهم ﴾ لعدم بنائها على أساس الإيمان ﴿ فلا ﴾ أى فتسبب عن سقوطها أنا لا ﴿ نقيم لهم ﴾ بما لنا من^{١٠} الكبرياء والعظمة^{١١} المانعين من اعتراض أحد علينا أو شفاعته^{١٢} ١٥ بغير إذنا لدينا ﴿ يوم القيمة وزناه ﴾^{١٣} أى لا نعتبرهم^{١٤} لكونهم جهلوا أمرنا الذى لا شيء أظهر منه ، وآمنوا مكرنا ولا شيء أخطر منه .

(١-٢) سقط ما بين الرقین من مد (٢) زيد من ظ و الصحيح (٣) زيد من مد (٤-٥) سقط ما بين الرقین من ظ (٥) سقط من ظ (٦-٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : العظمة والكبرياء (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : شفاعته .

ولما كان هذ السياق في الدلالة على أن لهم جهنم أوضح من الشمس
قال : ﴿ ذلك ﴾ 'أى الأمر العظيم الذى بيناه من وعيدهم' ﴿ جزآؤهم ﴾
لكن لما كان حاكما بضلالهم وغباوتهم ، بين الجزاء بقوله : ﴿ جهنم ﴾
و صرح بالسبية بقوله : ﴿ بما كفروا ﴾ 'أى أوقعوا التغطية للدلائل'
﴿ واتخذوا آيتى ﴾ التى هى مع إنارتها أجد الجد و أبعد شئ . عن ه
الهزل ﴿ ورسلى ﴾ المؤيدين بياهر أفعالى مع ما لهم من الشهامة والفضل
﴿ هزواه ﴾ فلم يكتفوا بالكفر الذى هو طعن فى الإلهية حتى ضموا
إليه الهزء الذى هو أعظم احتقار .

ولما بين^٢ ما لأحد قسمى أهل^٢ الجمع 'تفيرا عنهم' ، بين ما
لآخر على تقدير الجواب لسؤال تقتضيه الحال 'ترغيا فى اتباعهم' ١٠
والاقتداء بهم ' ، فقال : ﴿ ان الذين آمنوا ﴾ 'أى باشروا الإيمان'
﴿ وعملوا ﴾ تصديقا لإيمانهم ﴿ الصلحت ﴾ 'من الخصال'
﴿ كانت لهم ﴾ لبناء أعمالهم على الأساس ﴿ جنت ﴾ 'أى بساتين'
﴿ الفردوس ﴾ 'أى 'أعلى الجنة ، وأصله' البستان الذى هو الجنة بالحقيقة
لأنخفاض ما دونه عنه ، 'و ستر من يدخله بكثرة أشجاره' ﴿ نزلا ﴾ ١٥
كما كان السعير والأغلال لأولئك نزلا ، 'بعد لهم حين الدخول'
﴿ تخليدين فيها ﴾ بعد دخولهم ﴿ لا يغيون ﴾ 'أى يريدون أدنى إرادة'

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) فى ظ : ذكر (٣) فى ظ : احد - كذا .

(٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ ، وزيد بعده فى الأصل : أشجارها . ولم تكن
الزيادة فى ظ و مدحذفناها .

(عنها حواه) [أى تحولا - ١] 'لأنه لا مزيد عليها'، دفعا لما قد يتوهم
 'من أن الامر كما فى الدنيا من' أن كل أحد فى أى نعيم كان يشتهى
 ما هو أعلى / منه لأن طول الإقامة قد يورث السآمة، بل هم فى غاية
 الرضى بها، لما فيها من أنواع الملاذ التى لا حصر لها ولا انقضاء، لا يشتهى
 ٥ أحد منهم غير ما عنده سواء كان فى الفردوس أو فيما دونه، وهو
 تعريض بالكفرة فى أنهم يصطرخون فى النار "ربنا اخرجنا منها"
 وذلك عكس ما كان فى الدنيا من ركون الكفار إليها، ومحبتهم فى
 طول البقاء فيها، وعزوف المؤمنين عنها، وشوقهم إلى ربهم بمفارقة.
 ولما تم الجواب عن أسئلتهم على أحسن الوجوه مخرلا بما تراه
 ١٠ من 'الحجج البينة' والنفائس الملزمة لهم بفصل النزاع، و'اتبع
 ذلك بقص الامر الذى باغفاله تجرأوا على الكفر، وهو أمر البعث
 إلى أن ختمه بما يقتضى أن معلوماته لا تحد، لأن مقدوراته فى نعيم
 أهل الجنة لا آخر لها فلا تعد، وكان اليهود قد اعترضوا على قوله
 فى أولها "وما أوتيتم من العلم الا قليلا" بأنهم أوتوا التوراة، وكان
 ١٥ لكل ما سألوا عنه من الفصول الطويلة الذبول أمور تهول،
 [وكان ربما - ١١] قال قائل: ما له لا يزيد ذلك شرحا؟ قال تعالى آمرا

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و مد،
 وفى الأصل: يودى (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: للكفرة (٥) سورة ٢٣
 آية ١٠٧ (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: الملازمة (٧) من ظ و مد، وفى
 الأصل: او (٨) بهامش ظ: أى الأسئلة (٩) سورة ١٧ آية ٨٥ (١٠) فى
 ظ: بما (١١) زيد من ظ و مد.

بالجواب

بالجواب عن ذلك كله ، معلما لهم بأنهم لا يمكنهم الوقوف على تمام شرح شيء من معلوماته ، وآخر استفصال شيء من مقدوراته ، قطعا لهم عن السؤال ، وتقريبا إلى أفهامهم بضرب من المثال : (قل)
 أى يا أشرف المخلوق لهم : (لو كان البحر) 'أى ماؤه' على عظمته عندكم (مدادا) 'وهو اسم لما يمد به الدواء من الخبز' (لكلمت) أى لكتب ه
 كلمات (ربى) أى 'المحسن إلى' فى وصف ذلك و' غيره بما تعتموه
 فى السؤال عما سألتم عنه أو غير ذلك (لنفد) أى فنى 'مع الضعف
 فناء لا تدارك له' (البحر) 'لأنه جسم متناه .

'ولما كانت المخلوقات - لكونها ممكنة - ليس لها من ذاتها إلا العدم ،
 وكانت الكلمات من صفات الله ، و صفات الله واجبة الوجود ، فكان ١٠
 نقادها محالا ، فكان نقاد الممكن من البحر و ما يمد به بالنسبة إليها مستغرقا
 للآزمة كلها ، جرد الظرف من حرف الجر فقال : (قبل ان تنفد)
 'أى تقف و تفرغ' (كلمت ربى) لأنها لا تنتهى لأن معلوماته
 و مقدوراته لا تنتهى ، و كل منها له شرح طويل ، و خطب جليل ؛
 'ولما لم يكن أحد غيره يقدر على إمداد البحر قال : (ولو جئنا) ١٥
 أى 'بما لنا من العظمة التى لا تكون لغيرنا' (بمثله مدداه) أى 'له
 يكتب منه 'لنفد أيضا ، وهذا كله كناية عن عدم النفاذ ، لأنه تعليق

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) سقط من ظ و مد (٣) فى ظ : او .

(٤) العبارة من هنا إلى « البحر قال » ساقطة من ظ (٥) فى مد : صفة (٦) العبارة

من هنا إلى « البحر قال » ساقطة من ظ (٧) من مد ، وفى الأصل : مداد (٨) سقط

من ظ (٩) العبارة من هنا إلى « ونحو هذا » ص ١٥٢ س ٢ ساقطة من ظ .

على محال عادة كقولهم : لا تزال على كذا ما بل بحر صوفة^١ وما دجى الليل ، ونحو هذا ، ولعله عبر بجمع السلامة إشارة إلى أن قليلها بهذه الكثرة فكيف بما هو أكثر منه ، وذلك أمر لا يدخل تحت وصف ،^٢ وعبر بالقبل دون أن يقال « ولم تنفد » ونحوه ، لأن ذلك كاف في قطعهم عن الاستقصاء في السؤال ولأن التعبير بمثل ذلك ربما فتح بابا من التعتن وهو أن يجعلوا الواو للحال فيجعلوا النفاذ مقيدا / بذلك ، وأما سورة لقمن^٣ فاقضى سياقها في تأسيس ما فيها على « الفنى » الحميد^٤ ومقصودها أن يكون التعبير فيها بغير ما ههنا ، فإني كل سورة أبلغ بالنسبة إلى سياقها ، مع أنه ليس في إفصاح واحدة منها ما يدل على ١٠ نفاذ الكلمات ولا^٥ عدمه ، [و-^٦] في إفهام كل منهما بتدبر القرائن في السياق^٧ وغيره ما يقطع بعدم نفاذها - ولا تخالف بين الآيتين وإن كان التعبير في هذه السورة أدخل في التشابه^٨ ، ويحجب عنه بما قالوا في مثل قول الشاعر « على لاجب^٩ لا يهتدى بمناره » من أن ما في حيز السلب لا يقتضى الوجود ، ولعل التعبير بمثل ذلك من الفتن المميزة بين ١٥ من في قلبه مرض وبين الراسخ الذى يرد المتشابه إلى المحكم ، وهو ما دل عليه البرهان القاطع من أن الله تعالى لا نهاية لذاته ، ولا لشيء من

(١) من مد واللسان [صوف] ، وفي الأصل : صفوه (٢) العبارة من هنا إلى « والله أعلم » ص ١٥٣ س ١ ساقطة من ظ (٣) آية ٢٧ (٤) من مد وسورة لقمان آية ٢٦ ، وفي الأصل : معنى (٥) من مد ، وفي الأصل : ما (٦) زيد من مد . (٧) زيد في الأصل : به ، ولم تكن الزيادة في مد فخذناها (٨) من مد ، وفي الأصل : الثناء (٩) من مد - وهو الطريق الواسع ، وفي الأصل : النصب . صفاته (٣٨) ١٥٢

صفاته ، بل هو الأول^١ و الآخر الباقي بلا زوال - والله أعلم .

ولما كانوا ربما قالوا : ما لك لا تحدثنا من هذه الكلمات بكل ما نسألك عنه حينما سألناك^٢ ؟ وكانوا قد استنكروا^٣ كون النبي بشرا ، وجوزوا كون الإله حجرا ،^٤ و غيوا إيمانهم به بأموه سألوه في الإتيان بها كما تقدم بعد أول مسألتهم ، و هى الروح آخر سبعين ، وكان قد ثبت باجابتهم عن المسائل على هذا الوجه أنه رسول^٥ . أمره سبحانه أن^٦ يجيبهم عن ذلك كله^٧ بما يرد عليهم^٨ غلطهم ، و يفضح شبههم^٩ ، إرشادا لهم إلى أهم ما يعينهم^{١٠} من الحرف الذى النزاع كله دائر عليه و هو التوحيد^{١١} فقال : ﴿ قل إنما أنا ﴾^{١٢} أى فى الاستعداد بالقدرة على إيجاد المدوم والإخبار^{١٣} بالمغيب ﴿ بشر مثلكم ﴾^{١٤} أى لا أمر لى ولا قدرة^{١٥} إلا على ما يقدرنى عليه ربى ، ولا استبعاد لرسالتى من الله فان ذلك سنته فيمن قبلى^{١٦} ﴿ يوحى الى ﴾^{١٧} [أى -^{١٨}] من الله الذى خصى بالرسالة كما أرحى إلى الرسل قبلى ما لا غنى لأحد عن عليه و اعتقاده ﴿ إنما الهكم ﴾

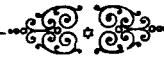
(١) من مد ، وفى الأصل : الايق له (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : سائتك .

(٣) فى ظ : استذكروا (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : آلهة (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : انه (٧) سقط من ظ و مد (٨ - ٨) فى ظ : الامرين معا (٩) العبارة من هنا إلى « بالمغيب » ساقطة من ظ (١٠) زيد فى الأصل : ولا استبعاد ، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

(١١ - ١١) تكرر ما بين الرقين فى مد بعد « قل إنما أنا » (١٢) زيد من مد .

'و أشار إلى أن إلهيته بالإطلاق لا بالنظر إلى ' جعل جاعل ولا غير
 ذلك فقال: ﴿إله واحد ج﴾ أى^٢ لا ينقسم بمجانسة ولا غيرها ، قادر
 على ما يريد ، لا منازع له ، لم يؤخر جواب ما سألتون عنه من عجز
 ولا جهل ولا^٣ هوان [بي - °] عليه - هذا هو الذى يعنى كل أحد
 ه عليه ، وأما ما سألتهم عنه من أمر الروح والقصتين تحتنا فأمر لو
 جهلتموه ما ضرركم جهله ، وإن اتبعتمونى علمتموه الآن وما دل عليه
 من أمر الساعة إيماناً بالغيب علم اليقين ، وعلمتموه بعد الموت بالمشاهدة
 عين اليقين ، وبالمباشرة حق اليقين ، وإن لم تتبعونى لم ينفعكم علمه
 ﴿فن﴾ أى قسب عن وحدته المستلزمة لقدرته أنه من ﴿كان يرجوا﴾
 ١٠ أى يؤمن بمجازاته له على أعماله فى الآخرة برؤيته وغيرها ، وإنما قال :
 ﴿لقاء ربه﴾ تنبيها على أنه هو المحسن إلى كل أحد بالتفرد بخلقه ورزقه ،
 لا شريك له فى شيء من ذلك على قياس ما نعلمه من أنه لا مالك
 إلا وهو قاهر لمملوكه على لقائه ، مصرف له فى أوامره فى صباحه ومساءته .
 / ولما كان الجزاء من جنس العمل ، كان الواجب على العبد
 ١٥ الإخلاص فى عمله ، كما كان عمل ربه فى تربيته بالإيجاد وما بعده ،
 فقال^١ : ﴿فليعمل﴾ وأكده للاعلام بأنه لا بد مع التصديق من الإقرار
 فقال^٢ : ﴿عملا﴾ أى^٣ ولو كان قليلا ﴿صالحا﴾ وهو ما يأمره به^٤
 (١) العبارة من هنا إلى «ذلك فقال» ساقطة من ظ (٢) زيد فى الأصل : ما ، ولم
 تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٣) سقط من ظ (٤) سقط من مد (ه) زيد من
 ظ ومد (٦-٦) سقط ما بين الرقنين من ظ (٧-٧) من ظ ومد ، وفى الأصل :
 يؤمن ربه - كذا .

١ من أصول الدين وفروعه من التوحيد وغيره من أعمال القلب و البدن
و المال ١ ليسلم من عذابه ﴿ ولا يشرك ﴾ أى و ليكن ذلك العمل مبنيًا
على الأساس و هو أن لا يشرك و لو بالرياء ﴿ بعبادة ربه احداً ﴾
فاذا عمل [ذلك - ٢] فاز لحاز علوم الدنيا و الآخرة ، و قد انطبق آخر
السورة على أولها بوصف كلمات الله ثم ما يوحى إليه ، و كل منهما أعم ٥
من الكتاب بالاقومية للدعاء إلى الحال الأسلم ، فى الطريق الاقوم ،
و هو التوحيد عن الشريك الأعم من الولد و غيره ، و الإحسان فى العمل ،
مع البشارة لمن آمن ، و النذارة لمن أعرض عن الآيات و الذكر ، فإن
بذلك أن الله تعالى - بوحديته و تمام علمه و شمول قدرته صفات - الكمال ،
فصح أنه المستحق لجميع الحمد - و الله الموفق ، ١ و الحمد لله على إتمام ١٠
سورة الكهف من كتاب نظم الدرر من تناسب الآى و السور .



(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ،
و فى الأصل : الله (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ ، و موضعه فى مد ٥ تم
الجزء الثانى من المناسبات للبقاعى آخر سورة الكهف ، و يتلوه أول الثالث
سورة مريم عليها السلام ، و الحمد لله رب العالمين و صلى الله على سيدنا محمد
و على آله و صحبه و سلم ، و حسبنا الله و نعم الوكيل .

سورة مريم عليها السلام

مقصودها بيان اتصافه سبحانه بشمول الرحمة بافاضة النعم على جميع خلقه ، المستلزم للدلالة على اتصافه لجميع صفات الكمال ، المستلزم لشمول القدرة على إبداع المستغرب ، المستلزم [لتمام القدرة - °] الموجب للقدرة على البعث و التنزه عن الولد [لأنه لا يكون إلا محتاج ، و لا يكون إلا مثل الوالد - °] ، و لا سمي له سبحانه فضلا عن مثل ، و على هذا دللت تسميتها بمريم . لأن قصتها أدل ما فيها على تمام القدرة و شمول العلم ، لأن أغرب ما في المخلوقات و أجمعه خلقا الآدمي ، و أعجب أقسام توليده [الأربعة - °] - بعد كونه آدميا - ما كان من أنثى بلا توسط ذكر ، لأن ذلك أضعف الأقسام ، و أغرب ذلك أن يتولد منها على ضعفها أقوى النوع و هو الذكر ، و لاسيما إن أوتى قوة الكلام و العلم و الكتاب في حال الطفولية ، و أن يخبر بسلامته الكاملة فيكون الأمر كذلك ، لم يقدر أحد - مع كثرة الأعداء - على " أن يمسه بشيء من أذى ، هذا إلى " ما جمعته " من

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : السورة التي يذكر فيها (٢) هي التاسعة عشرة من سور القرآن ، مكية مع الاختلاف الدائر حول استثناء بعض الآيات ، و عدد آياتها ثمان و تسعون عند العراقيين و الشاميين ، و تسع و تسعون عند المسيكيين ، و أما المدنيون فلمهم قولان - راجع روح المعاني ٥ / ١٥١ (٣) زيد قبله في الأصل : بسم الله الرحمن الرحيم و به الإعانة ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٤) من مد ، و في الأصل و ظ : باضافة (٥) زيد من ظ و مد . (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : الفترة (٧) في مد : مثيله (٨) زيد من ظ . (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) سقط من مد (١١) من ظ و مد ، و في الأصل : اذا (١٢) من ظ و مد ، و في الأصل : جمعه .

إخراج الرطب في غير حينه من يابس الحطب ، ومن إنباع الماء في غير موضعه ، وعلى مثل ذلك أيضا دلت تسميتها بما في أولها من الحروف ، يان ذلك أن مخرج الكاف من أقصى اللسان مما يلي الحلق ويحاذيه من أسفل الحنك ، وهي أدنى من مخرج القاف قليلا إلى مقدم الفم ، ولها من الصفات الخمس والشدة والانفتاح والاستفال ، ومخرج الهاء من أقصى الحلق لكنها أدنى من الهمزة إلى جهة اللسان قليلا ، ولها من الصفات [الخمس والرخاوة والانفتاح والاستفال والحقاء . ومخرج الياء من وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى ، ولها من الصفات الجهر والرخاوة والانفتاح والاستفال ، وهو أغلب صفاتها ، ومخرج العين من وسط الحلق ، ولها من الصفات - ١] / الجهر وبين الشدة والرخاوة ١٠ / ٤٠٢

والانفتاح والاستفال ، ومخرج الصاد من طرف رأس اللسان وبين أصول الثنتين السفليين ، وله من الصفات الخمس والرخاوة والإطباق والاستعلاء والصغير ، فالانفتاح بهذه الأحرف هنا إشارة - والله أعلم - إلى أن أهل الله عامة - من ذكر منهم في هذه السورة وغيرهم - يكون أمرهم عند المخالفين أولا - كما تشير إليه الكاف - ضعيفا مع شدة ١٥

وانفتاح كما كان حال النبي صلى الله عليه وسلم أول مادعا ، فانه اشتهر أمره ولكنه كان ضعيفا بانكار قومه إلا أنهم لم يبالغوا في الإنكار ، ثم يصير الأمر في أوائل العراك - كما تشير إليه الهاء - إلى ' استفال ' ،

(١) زيد ما بين الحاذرين من ظ و مد (٢) في مد : مع (٣) من مد ، وفي الأصل و ظ : استقبال .

ثم يزداد بتأثر المستكبرين عليهم ضعفا وخفاء، وإلى هذا تشير قراءتها بالإمالة، ولا بد مع ذلك من نوع ظهور - كما يشير إليه انفتاح الهاء وإليه تشير قراءة الفتح، وهذا كما كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين صرح بسب آلهتهم وتسفيه أحلامهم وتضليل آبائهم فقاموا عليه

٥. إلها واحدا، فهاجر^١ أكثر الصحابة رضى الله عنهم إلى الحبشة، وخاف أبو طالب دهاء العرب فقال قصيدته اللامية^٢ في ذلك، وتمادى الحال حتى ألجأتهم قريش إلى الشعب، و^٣ تكون في وسط أمرهم - كما يشير إليه الياء وقراءتها بالفتح - لهم قوة مع رخاوة واشتهار واستفال، وهو الأغلب عليهم ظاهرا كما تشير إليه قراءة الإمالة، فيكون ذلهم من

١٠. وراء عز وعزيم في ثوب ذل، يعرف ذلك من عاناه، ونظر إليه بعين الحقيقة واجتلاه، وهذا كما كان عند قيام من قام من قريش في نقض الصحيفة الظالمة وإخراجهم من الشعب، ثم عند موت خديجة رضى الله عنها وأبي طالب، وخرج صلى الله عليه وسلم إلى الطائف فردوه - بأبي هو وأمي ونفسي وولدي وعيني، فلما قرب من مكة

١٥. المشرفة لم يستطع دخولها بغير جوار، فاختنق في غار حراء وأرسل [إلى - ^٤] من يحيره، ثم أرسل حتى أجاره المطعم بن عدى، ولبس السلاح هو ومن أطاعه وأدخله صلى الله عليه وسلم حتى طاف بالبيت، ثم قضى سبحانه أن قتل المطعم في بدر كافرا - بعد اجتهد النبي صلى الله عليه وسلم [في سلامته - ^٥] والإيصاء به أن لا يقتل - ليعلم أنه سبحانه

(١) من ظ، ومد وفي الأصل: فهم (٢) راجع سيرة ابن هشام ١/١ (٣) سقطت الواو من مد (٤) زيد من ظ ومد.

مختار في عموم رحته و خصوصها ، لثلا يأس عاصٍ أو يامن طائع ؛
ثم إذا علا أمرم عن الوسط صاعدا قوى - كما تشير إليه العين ، فصار
بين الشدة و الرخاوة ، و فيه انفتاح بشهرة مع استفال في بعض الامر
كما كان حاله صلى الله عليه و سلم عند مبايعة الانصار رضوان الله
عليهم ، و أما آخر أمرم فهو و إن كان فيه نوع من الضعف ، و ضرب ه
من الرخاوة و اللين كما كان في غزوة حنين و الطائف ، فانه تعبه
قوة عظيمة بالإطباق ، و استعلاء^٢ و اشتها يملأ الآفاق ، كما يشير إليه
الصغير - هذا في أهل الله عامة المذكورين في هذه السورة و غيرهم ،
و أما ما يخص عيسى عليه الصلاة و السلام الذى هو صورة سورتها
و مطمح إشارتها [و سيرتها -^٢] فجعل الحروف / اللسانية من هذه ١٠ / ٤٠٣
الحروف أغلبها ثلاثة أحرف منها إشارة إلى أن إبراهيم عليه السلام
بما أعطى في نفسه و في ذريته و لسان الصدق المذكور به هو لسان
هذا الوجود ، و أن دولة آله الذين [عيسى عليه السلام من أعيانهم
هى وسط هذا الوجود حقيقة و خيارا -^٢] ، فوسى^٢ عليه السلام أول
أصحاب شرائعهم بمنزلة القاف التى هى من أقصى اللسان و له حظ كبير ١٥
منها ، فانه من أجله قتل أبناء^٢ بنى إسرائيل و ولد في سنة القتل ، و كان سبب
هجرته و ابتداء سيره إلى الله تعالى قتله القبطى ، و قرب نجيا ، و من

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاستعلاء (٢) زيد من مد (م) زيد من ظ
و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : موسى (ه) من ظ و مد ، و فى
الأصل : انبياء .

صفاتهما الجهر والشدة والافتتاح، و^١ الاستعلاء والقلقلة^١، وهو عريق في كل من خيرات ذلك، وداود عليه السلام ثاني ذوى كتبهم بمنزلة الهمزة التي هي أبعد من مخرج الهاء إحدى هذه الحروف، وهو أول من جمع من نبي إسرائيل بين الملك والنبوة، وله حظ من^٢ صفاتها: الجهر والشدة والافتتاح، بما كان فيه من الملك والظهور، والنصر على الأعداء ومعجائب المقدور، وله حظ من وصفها بالاستفال في أول أمره وفي آخره بما كان من بكائه وتواضعه^٣ وإخباته لربه وصلاحه، فالكاف هنا إشارة إلى أن عيسى عليه الصلاة والسلام هو ثاني الشارعين^٤ في الوجود، والهاء عبارة عن أنه من عقب داود عليهما السلام، وكل ١٠ منهما له حظ من صفات الحرف المشير إليه الدال عليه، والصاد التي هي من طرف اللسان وهي خاتمة هذه الحروف إشارة بما فيها من الإطباق المشير [إلى تطبيق الرسالة لجميع الوجوه، ومن الاستعلاء المشير -^٥] إلى نهاية العظمة، والصغير المشير إلى غاية الانتشار والشهرة إلى محمد صلى الله عليه وسلم وإلى مقرر دينه ومجده عيسى عليه السلام، ١٥ [وتشير الكاف أيضا بما فيها^٦ من الصفات إلى أن أول أمر عيسى عليه السلام -^٧] يكون فيه مع الشدة ضعف، ثم تشير أيضا الهاء - التي هي^٨ من أقصى الحلق - إلى أن أمره يطن بعد ذلك الظهور ويخفى بارتفاعه إلى السماء، ويدل الاستفال على أنها قرية إلى^٩ السفلى، وهو

(١-١) في مد : الغلظة (٢) من ظ و مد . وفي الأصل : في (٣) من ظ و مد ،
وفي الأصل : نواحه (٤) في ظ : السارحين (٥) زيد من ظ و مد (٦) في مد :
فيه (٧) سقط من مد (٨) زيد في الأصل : الذي هو ، ولم تكن الزيادة في
ظ و مد فحذفناها .

كذلك فإنه في ' الثانية بدلالة ' رتبة الكاف والهاء في مخرجيهما ،
و تشير الياء بجهرها إلى ظهوره بنزوله ، وتدل بكونها من وسط اللسان
على تمكنه في أموره ، و باعلائها على شيء في ذلك وهو ضعف الاتباع
و يحصرهم في ذلك الوقت ، وتدل بافتتاحها ورخاوتها على ظهوره على
الدجال في أولئك القوم الذين قد جهدهم البلاء عند نزوله ، و مسهم
الضر قبل حلوله ، و ' تليح غلبة ' الاستفال عليها إلى أمر ياجوج
و ماجوج لما يوجهه الله إليه و إلى قد ' أخرجت عبادا لي لا يدان
لأحد بهم ، فخرز عبادي إلى الطور ، وتدل العين بكونها من وسط
الحق على ' انحصارهم ، و بجهرها على أنه لا سبيل للعدو عليهم ولا وصول
بوجه إليهم ، و بما ' فيها من البينة ' الاستفال على جهدهم مع ' حسن ١٠
العاقبة ، و تبشر ' - بما فيها من الانفتاح - بحصول الفتح الذي ليس وراءه
فتح ، وتدل الصاد بمخرجها على القوة الزائدة ، و بالهمس و الرخاوة
على أنها قوة لا بطش فيها ، و بالإطباق و الاستعلاء على عموم الدين
جميع الناس ، و بالصفير على أنه ليس وراء ذلك إلا النفخ في الصور
اعموم الهلاك لكل موجود مفسطور . ثم لبعثرة القبور ، و تحصيل ما في ١٥
الصدور ، و كل هذا من ترتيب سنته سبحانه في المصطفين من عباده على

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : من (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : بدليل .
(٣) من ظ و مد ، و في الأصل : حصه (٤ - ٤) من ظ و مد ، و في الأصل :
تمليح عليه (٥) سقط من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : إلى (٧) من
ظ و مد ، و في الأصل : لما (٨) من ظ و مد . و في الأصل : التنبيه (٩) في مد :
من (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : تشير .

هذا التحو البديع، وترتيب هذه الحروف على هذا / النظم الدال عليه
 دائر على القدرة التامة والعلم الشامل والحكمة الباهرة، ورحمهم سبحانه
 بأن نكّهم طريق الجبارين التي أوصلتهم إلى القسوة، وجنّهم سنن
 المستكبرين التي تلجى ولا بد إلى الشقوة، فجعل نصرهم في لوامع انكسار،
 ٥ وكرهم في جوامع انتصار، وحمّاهم من غفلة دائمة تجر إلى بذخ وعلو
 واستكبار، ومن رقة ثابتة تحمل على ذل وسفول وصغار، فلقـد
 انطبق الاسمان^١ على المسمى، واتضحا غاية الاتضاح^٢ في أمره ونمائه،
 ٦ وهذا معنى ما قال الكلبي: هو ثناء أنى الله به على نفسه^٣. ﴿بسم الله﴾
 المنزه عن كل شائبة نقص، القادر على كل ما يريد ﴿الرحمن﴾ الذي
 ١٠ عم^٤ نواله سائر مخلوقاته ﴿الرحيم﴾ الذي اختص الصالحين من عباده،
 بما يسعد من مراده.

لما كان مقصود التثنية قبلها الدلالة على أن القرآن قيم لأعوج
 فيه، وبه تمام الانتظام في نعمة الإبقاء الأول، ودل على ذلك بأنه
 ساق المسؤل عنه من القصص أحسن سوق، وكشف عن مخبئاته
 ١٥ القناع^٥ أبدع كشف - إلى غير ذلك مما خلله^٦ به من بدائع الحكم وغرائب

- (١) زيد في الأصل: في، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٢) من مد،
 وفي الأصل وظ: الاسماء (٣) من مد، وفي الأصل وظ: الايضاح (٤-٥) سقط
 ما بين الرقمين من ظ، وتأخر في الأصل عن « كل ما يريد » والترتيب من مد؛
 وأما قول الكلبي هذا فذكره بصيغة المجهول في المعالم - راجع للباب ٤ / ١٩٣ .
 (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: بعم (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: الذي .
 (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: الفتاح (٨) من مد، وفي الأصل وظ: جلالة .

المعانى فاضحة لمن ادعى الله سبحانه ولدا ، و ختمها بمثل ذلك من وصف الكتاب و التوحيد - النافى لقبول التعدد بولد أو غيره بكل اعتبار - و العمل الصالح ، ابتداء هذه بالكشف عن أغرب من تلك القصص ، تحقيقاً لآية "أم حسبت أن أصحاب الكهف و الرقيم كانوا من 'ابتنا عجباً' بسياق غير ما تقدم فيما مضى من السور ، و جزئيات لم تذكر إلا فيها مع عدم ٥ المخالفة لما مضى ، تأييداً لأن كلماته لا تنفد ، و عجائبه لا تعد و لا تحصى ، و أنه لو كان من عند غيره لاختلف ، مع أن أهلها سادة الموحدين ، و قادة المصلحين المتقين الذين عملوا الصالحات ، و نفوا الشرك و شرعوا ذلك للناس ، فرحمهم ربهم سبحانه ، و كلهم ممن يعتقدونه اليهود الآمرون لقريش بالسؤال عن أصحاب الكهف و ذى القرنين تعنتاً . أما من عدا عيسى عليه ١٠ الصلاة و السلام فواضح ، و أما عيسى عليه السلام فيعتقدون أنه ما أتى بعد و أنه سيأتي ، و يكون الناس في أيامه على دين واحد تصديقاً لوعده التوراة الآتى بيانه ، و ذلك على وجه مستلزم في أكثرها تنزهه تعالى عن الولد ، و قدرته على البعث ، و بدأها بقصة من خرق له العادة في الولد على وجه مبين أنه لا يحتاجه إلا فإن حساً أو معنى يريد أن يخلفه فيما تعسر ١٥ عليه فعله أو تعذر ، و كان تقديم قصته أولى لأن التبكيث به أعظم لمباشرتهم لقتله و قتل ابنه يحجب عليهما الصلاة و السلام ، و إشارة إلى أن العمل الصالح المؤسس^٢ على التوحيد ضامن لإجابة الدعاء و إن كان فيه خرق العادة ، و ثنى بأمر من نسبوه إليه و افتروه^٣ عليه و قصدوا قتله على

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : تصديقاً (٢) من ظ و مسد ، و فى الأصل :

للموسر (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اقترؤا .

وجه معرب عن شأنه غاية الإعراب. مبين فيه وجه الصواب، متمما
 لتبكيك اليهود الآمرين لقريش بالتعنت بالسؤال بالإشارة إلى قتل زكريا
 ويحجي عليهما الصلاة والسلام وادعاء صلب^١ المسيح الذي بشرت به
 التوراة، وهم الآن ينتظرونه و يدعون أنهم /أخص الناس به، وقذف
 أمه - وحاشاها - دالا بذلك على القدرة على البعث؛ قال في التوراة
 في آخر السفر الأول^٢: إن يعقوب عليه الصلاة والسلام أخبر يقرب
 وفاته وقال لبنيه: اجتمعوا إلى فأبين لكم ما هو كائن من أمركم في آخر
 الأيام، اجتمعوا واسموا يا بني يعقوب! أنصتوا لإسرائيل أيكم^٣ اثم قال:
 يا يهوذا! لك يعترف^٤ إخوتك بتعالى يدك على رقاب أعدائك. وليسجد^٥
 لك بنو أيك، شبل الليث يهوذا، كما أنه خلص ابني من القتل، رضى
 وجثم مثل الضرغام و مثل شبل الليث، من ذا يقيمه عن فرسته،
 لا يزول^٦ انقضي من آل يهوذا، لا يعدم سبط يهوذا ملكا مسلطا و أخذاه
 نيا مرسلا حتى يأتى الذى له الملك - و في نسخة: الكل - وإياه
 تنتظر الشعوب، يربط^٧ بالحبلة^٨ جحشه، عيناه أشد شهوة من الخمر،
 وأسانه أشد ياضا من اللبن - هذا نصه، وعند اليهود أنه المسيح،
 و يسمونه مع ذلك المنتظر و المهدي. و عندهم أنه ينصرم و يخلصهم

(١) من ظ و مد، و في الأصل: لصلب (٢) راجع الأصحاح التاسع
 و الأربعين (٣) من ظ و مد، و في الأصل: ققر (٤) من مد، و في
 الأصل و ظ: لتسجد (٥) من ظ و مد، و في الأصل: لا يزال (٦) في مد:
 تربط (٧) زيدت الواو بعده في الأصل، و لم تكن في ظ و مد فحذفناها.

عالم فيه من الدل ، فقلت لبعضهم : أشهد أنه المسيح ابن مريم الذي أتى وتبعه النصارى وعاديتهم حتى رفعه الله تعالى ، [فقال - ١] الذي في التوراة أنه^٢ يكون له الكل ، وعيسى ما كان كذلك ، فقلت : إنه يكون له الكل حين ينزل تابعا لديننا من حيث أنه لا يقبل إلا الإسلام ، فيطبق أهل الأرض على اتباعه عليه ، ويسعد به منكم من يتبعه ، ويحول عنه الدل ، وهذا لا ينافي كلام التوراة فانه لم يقيد ذلك بساعة إتيانه . فلم يقبل ذلك ، ثم إنه أتى إلى يومنا بكتاب من كتبهم في شرح سفر الانبياء فقال في الكلام على^٣ البشائر المتعلقة بالمسيح ، ولا يبعد أن يبدو لإسرائيل ثم يختفي ثم يظهر فيكون له الكل ، فقلت له : انظر و تبصر ! هذا عين ما ذكرته لك من قبل . فهت لذلك . ١٠ فقلت : أطعني وأسلم ! ففكر ثم قال : حتى يريد الله تعالى .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير في برهانه : لما قال تعالى " أم حسبت أن اصحب الكهف والرقيم كأولئك من اليتامى عجا " ثم أورد خبرهم وخبر الرجلين وموسى والحضر عليهما السلام وقصة ذى القرنين ، اتبع سبحانه ذلك بقصص تضمنت من العجائب [ما هو اشد عجا - ١] وأخفى سببا ، ١٥ فافتح سورة مريم يعنى بن زكريا وبشارة زكريا به بعد الشيخوخة وقطع الرجاء وعقر الزوج حتى سأل زكريا مستفهما ومتعجبا " أتى يكون لى غلم وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا "

(١) زيد من ظ ومد (٢) زيد في الأصل : الذى ، ولم تكن الزيادة ق ظ ومد فحذفناها (٣) من مد ، وفي الأصل وظ : فى (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : عقد .

فأجابه تعالى بأن ذلك عليه هين، وأنه يجعل ذلك آية للناس. وأمر هذا العجب من القصص المتقدمة، فكان قد قيل: أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجبا، نحن نخبرك [نخبرهم ونخبرك -^١] بما هو أعجب وأغرب وأوضح آية، وهو قصة زكريا في ابنه يحيى عليها الصلاة والسلام، وقصة عيسى^٢ في كينوته بغير أب، ليعلم أن الأسباب في الحقيقة لا يتوقف عليها شيء من مسيئاتها إلا بحسب سنة الله، وإنما الفعل له سبحانه لا بسبب، وإلى هذا أشار قوله تعالى لزكريا عليه الصلاة والسلام "وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا"^٣ ثم اتبع سبحانه / بشارة زكريا يحيى بآياته^٤ الحكم صيا، ثم بذكر مريم^٥ وابنها عليها الصلاة والسلام، وتعلقت الآية بعد إلى انقضاء السورة - انتهى .

/٤٠٦

ولما كانت هذه السورة تالية^٦ للسورة الواصفة للكتاب - الذي به نعمة الإبقاء الأول - بالاستقامة البالغة . افتتحها بالأحرف المقطعة ، كما افتتح السورة التي تلي أم الكتاب، الداعية إلى الصراط المستقيم .
 ١٥ الواصفة^٧ الكتاب بالهدى الضامن للاستقامة، والتي تلي واصفته، و [التي -^٨]
 (١) زيد من ظ و مد (٢) زيد في الأصل : و امه عليها الصلاة والسلام ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفناها (٣) سقط من مد (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : بآياته (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : بمریم (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : خالية (٧) من مد ، وفي الأصل و ظ : و واصفة (٨) زيد من مد .

تلى الأنعام المشيرة إلى نعمة الإيجاد الأول، فقال: ﴿ كَهَيْسَعَف ﴾ (١) وهي خمسة أحرف على عددها مع تلك السور^١، وهي جامعة النعم، وواصفة الكتاب، وذات النعمة الأولى، وذات النعمة الثانية، كما افتتحت الأعراف التالية لذات النعمة الأولى بأربعة على عددها مع [ما قبلها من -^٢] الأم [الجامعة -^٣] والواصفه [وذات النعمة الأولى، و كما افتتحت هـ آل عمران التالية للواصفة بثلاثة على عددها مع الأم والواصفة -^٤] ﴿ ذكر ﴾ أي هذا الذي أتوه عليكم ذكر ﴿ رحمت ربك ﴾ [أي -^٥] المحسن إليك بالتأييد بكشف الغوامض وإظهار الخبء ﴿ عبده ﴾ منصوب برحمة^٦، لأنها مصدر بنى على التاء^٧، لا أنها دالة على الوحدة ﴿ زكريا عليه السلام ﴾ [أي -^٨] ابن ماثان^٩، جزاء له على توحيد و عمله الصالح الذي حمله ١٠ عليه الرجاء للقاء ربه، و الرحمة منه سبحانه المعونة والإجابة والإيصال إلى المراد ونحو ذلك من ثمرات الرحمة المتصف بها العباد ﴿ اذ نادى ﴾

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: السورة (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من مد (٤) في مد: برحمته (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: الباء (٦) في الكشف: وكان زكريا عليه السلام من نسل يعقوب بن إسحاق، وقيل: هو يعقوب بن ماثان أخو زكريا، وقيل: يعقوب هذا وعمران أبو مريم أخوان من نسل سليمان بن داود، وفي روح المعاني ١٥٣/٥: وزكريا عليه السلام من ولد سليمان بن داود عليهما السلام، وأخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود أنه آخر أنبياء بني إسرائيل وهو ابن آزر بن مسلم من ذرية يعقوب، وأخرج إسحاق بن بشر وابن عساكر عن ابن عباس أنه ابن دان (٧) زيد في الأصل: منه، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها.

ظرف الرحمة (ربه) .

ولما قدم تشريفه بالذكر والرحمة والاختصاص بالإضافة إليه فدل ذلك على كمال القرب ، قال : (ندآء خفيا ه) أى كما يفعل المحب القريب مع حبيبه المقبل عليه فى قصد خطاب السر الجامع بين شرف المناجاة^٢ ولذاذة الانفراد بالخلوة ، فاطلع سبحانه عليه لأنه يعلم السر وأخفى ، فكأنه قيل : ما ذلك النداء ؟ فقيل : (قال رب) بحذف الأداة للدلالة على غاية القرب (انى ومن) أى ضعف جدا (العظم متى) أى هذا الجنس الذى هو أقوى ما فى بدنى ، وهو أصل بنائه ، فكيف بغيره ! [ولو جمع لأدوم أنه ومن مجموع عظامه لا جميعه -^١]
 ١٠ (و اشتعل الرأس) أى شعره متى (شيئا ولم اكن) فيما مضى قط مع صغر السن (بدعائك) أى بدعائى إياك (رب شقيا ه) فأجرتى فى هذه المرة^{١١} أيضا على عوائد فضلك ، فان المحسن يربى^{١٢} أول إحسانه بآخره^{١٣} وإن^{١٤} كان ما ادعوا به فى غاية البعد فى العادة ، لكنك فعلت مع أبى إبراهيم عليه السلام مثله ، فهو دعاء وشكر واستعطاف ؛ ثم عطف

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : تلك (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : قصده (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : المناداة (٤) زيد بعده فى الأصل : قال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفناها (ه-هـ) فى ظ و « و » (٦-٦) سقط ما بين الرقين من ظ (٧) زيد من مد (٨) سقط من ظ (٩) من مد ، وفى الأصل و ظ : فساخبرنى (١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل : المدة . (١١) العبارة من هنا إلى « بآخره » ساقطة من ظ (١٢) من مد ، وفى الأصل : ربى (١٣-١٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : فان .

على "أنى وهن" قوله: ﴿وَأَنِ خَفْتُ الْمَوَالِي﴾ أى فعل^١ الأقارب
 أن يسيثوا الخلافة ﴿مَنْ وَرَأَى﴾ أى^٢ فى بعض الزمان الذى^٣ بعد
 موت^٤ ﴿وكانت امرأتى عاقراً﴾ لا تلد [أصلاً] بما دل عليه فعل
 الكون^٥ - [فهب لى] أى قسب - عن شيخوخى و ضعفى
 و تعويدك^٦ [لى^٧] بالإجابة، و خوفى من سوء خلافة أقاربى، و يأسى^٨
 عن الولد عادة بعقم امرأتى، و بلوغى من الكبر حدا لا حراك بى معه -
 أنى أقول لك يا قادراً على كل شىء: هب لى ﴿من لدنك﴾ أى من
 الأمور المستبطنة المستغربة التى عندك، لم تجرها على مناهج العادات
 و الأسباب المطردات، لا من جهة سبب أعرفه، فان أسباب ذلك
 اعندى معدومة. و قد تقدم فى آل عمران لذلك مزيد يان ﴿وليا﴾ ١٠ / ٤٠٧
 [أى^٩] من صلبى بدلالة "ذرية" فى السورة الأخرى^{١٠} ﴿يرثنى﴾
 فى جميع ما أنا فيه من العلم و النبوة و العمل ﴿و يرث﴾ زيادة على ذلك
 ﴿من آل يعقوب عليه﴾ جدنا بما خصصتهم به من المنح. و فضلهم به من
 النعم، من محاسن الأخلاق و معالى الشيم، و خص اسم يعقوب اقتداء
 به نفسه إذ قال ليوسف عليهما الصلاة و السلام "و يتم نعمته عليك ١٥
 و على آل يعقوب^{١١}" و لأن إسرائيل صار علماً على الأسباط كلهم،

(١) من مد، و فى الأصل: فعلة، و الكلمة ساقطة من ظ (٢) العبارة من هنا
 إلى «بعد موتى» ساقطة من ظ (٣ - ٢) فى مد: بعدى (٤) زيد من مد (٥) من
 مد، و فى الأصل: يعويدك، و فى ظ: تعويدى (٦) راجع سورة ٣ آية ٣٨.
 (٧) آية ٦.

و كانت قد غلبت عليهم الأحداث ؛ وقد استشكل القاضى العضد^١ فى
 « الفوائد الغيائية » كَوْن « يرث » على قراءة الرفع صفة بأنه يلزم
 عليه عدم إجابة دعائه عليه الصلاة و السلام لأن يحى عليه السلام قتل
 فى حياته ، و لا يكون وارثا إلا إذا تخلف بعده ، و قد قال تعالى « فاستجبنا له
 ٥ و وهبنا له يحيى^٢ » قال : فتجعل^٣ استثنائية ، و لا يلزم حيثئذ لإخلف ظنه
 عليه السلام - هكذا نقل لى عنه ، و أنا أجله^٤ عن ذلك ، لأنه [لا - ٥]
 يلزم تخلف دعائه ، و لا يتجرأ على^٥ على^٦ مقامه بإخلاف ظنه ، لأن الإخبار
 عن قتله قبله إن كان عن النبي صلى الله عليه و سلم و صح السند ، كان
 [تسمية - ٥] العلم الذى أخذه عنه فى حياته إرثا مجازا مرسلا باعتبار
 ١٠ ما يؤل إليه فى الجملة ، لاسيما مع جواز أن يكون يحى عليه السلام
 علمه لمن عاش بعد أبيه عليها الصلاة و السلام . و ذلك لأن النبي صلى الله
 عليه و سلم سمي العلم إرثا على وجه الاستعارة التبعية بقوله عليه الصلاة
 و السلام « العلماء و رثة الأنبياء^٧ » ، و لا شك أن^٨ من ضرورة تعلم العلم
 حياة المأخوذ عنه . و لم يرد منع من تسميته إرثا حال الأخذ ، هذا إذا صح

(١) هو القاضى عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجى المتوفى سنة ٧٥٦هـ ، و كتابه
 منسوب إلى غياث الدين و ربر سلطان مجد خدا بنده - راجع كشف الظنون .
 (٢) سورة ٢١ آية ٩٠ (٣) من مد ، و فى الأصل وظ : فيجعل (٤) فى هامش ظ :
 الضمير فى « أجله » يرجع إلى القاضى العضد (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ
 و مد ، و فى الأصل : علو (٧) و الحديث من الاستفاضة بحيث لا يقتصر إلى تعليق .
 (٨) من مد ، و فى الأصل وظ : أنه .

أن يحيى عليه السلام مات قبل زكريا عليه السلام ، وحيث أن يؤول " من وراى " بما غاب عنه ، أى عجزت عن تتبع^١ أفعال الموالى بنفسى فى حال الكبر ، وخفت سوء فعلهم إذا خرجوا من عندى و غابوا عنى ، فهب لى ولدا يكون متصفا بصفائى ، فكان ما سأله ، وإن لم يصح موته قبله بالطريق المذكور^٢ لم يصح أصلا ، ويتنى الاعتراض رأسا ، فان ه التواريخ القديمة إنما هى عن اليهود فهى لاشىء ، مع أن البغوى نقل فى أول [تفسير^٣] سورة بنى إسرائيل^٤ ما يقتضى موت زكريا قبل يحيى عليهما الصلاة والسلام فانه قال : آخر من بعث الله فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ، وكانوا من بيت آل داود عليه السلام فمات زكريا عليه السلام ، وقيل : قتل ، فلما رفع الله ١٠ عيسى عليه الصلاة والسلام من بين أظهرهم و قتلوا يحيى ابتعث^٥ الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش^٦ فسار إليهم^٧ بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام ، فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رؤس جنوده يدعى بيوزردان^٨ صاحب الفيل فقال : إني كنت قد حلفت بالهلى : لئن أنا ظهرت^٩

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : يسع (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و مد لحذفها (٣) زيد من ظ و مد (٤) راجع معالم التنزيل على هامش الباب ١١٦/٤ (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : ابتعث ، وفى المعالم : بعث (٦) من المعالم ، وفى النسخ كلها : خردوش (٧) من ظ و مد و المعالم ، وفى الأصل : فيهم (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : بيوزوان ، وفى المعالم : بيوزرذان . (٩) فى المعالم : ظفرت .

على أهل بيت المقدس لأقتلهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكى
 إلا أن لا أجد أحدا أقتله ، فأمره أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ، وأن
 يوزردان^١ دخل بيت المقدس فقام في البقعة / التي كانوا يقربون فيها
 قربانهم ، فوجد فيها دما يغلي فقال : يا بنى إسرائيل ! ما شأن هذا الدم
 [يغلي - ^٢] ؟ قالوا : هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا ، فقال :
 ما صدقتموني ، قالوا : لو كان كآل^٣ زماننا لتقبل منا ، ولكن قد انقطع
 منا الملك و الوحي فلذلك لم يقبل منا ، فذبح منهم يوزردان على ذلك
 الدم سبعمائة^٤ وسبعين رجلا^٥ من رؤسهم فلم يهدأ ، فأتى بسبعمئة غلام
 من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ ، فأمر بسبعة آلاف من شبيهم^٦
 ١٠ وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يبرد ، فلما رأى يوزردان أن الدم
 لا يهدأ قال لهم : يا بنى إسرائيل ! ويلكم ! اصدقوني و اصبروا على^٧
 أمر ربكم . فقد طال ما ملكتم الأرض تفعلون فيها ما شئتم قبل أن
 لا أترك منكم نافع نار أثى ولا ذكر إلا قتلته ، فلما رأوا الجدة وشدة القتل
 [صدقوا الخبر - ^٨] فقالوا : إن هذا دم نبي كان ينهانا عن أمور
 ١٥ كثيرة من سخط الله عز وجل ، فلو أطعناه فيها لكان أرشد لنا ،

(١) هنا وفيما يأتي من المعالم: بيوزرادان (٢) زيد من ظ ومد والمعالم (٣) من ظ
 ومد والمعالم ، وفي الأصل : اول (٤) من ظ ومد والمعالم ، وفي الأصل :
 مائة (٥) من المعالم ، وفي الأصل ومد : زوجا ، وفي ظ : ربغا - كذا (٦) من
 المعالم ، وفي النسخ كلها : شبيهم (٧) زيد في الأصل : ما ، ولم تكن الزيادة في
 ظ ومد والمعالم لحذفها (٨) زيد من مد والمعالم (٩) من ظ ومد والمعالم ،
 وفي الأصل : طعناه - كذا .

وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقه قتلناه^١ فهذا دمه ، فقال لهم يوزردان :
 ما كان اسمه ؟ قالوا : يحيى بن زكريا ، قال : الآن صدقتموني ، بمثل هذا
 ينتقم^٢ منكم ربكم ، فلما رأى يوزردان أنهم صدقوه خر ساجدا^٣ وقال
 لمن حوله : أغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا من كان ههنا من جيش
 خردوش ، وخلا في بني إسرائيل^٤ ، ثم قال : يا يحيى بن زكريا ! قد علم ربى ٥
 وربك ما قد أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم فاهداً باذن الله
 قبل أن لا أبقى من قومك أحداً ، فهدأ الدم باذن الله تعالى ، ورفع
 يوزردان عنهم القتل وقال : آمنت بالذى^٥ آمن به بنو إسرائيل وأيقنت
 أنه لا رب غيره . وقال لبني إسرائيل : إن خردوش^٦ أمرنى أن أقتل
 منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره ، وإنى لست أستطيع أن
 أعصيه^٧ ، قالوا له^٨ : افعل ما أمرت به ، فأمرهم فحفرُوا خندقاً وأمر بأموالهم
 من الخيل والبغال والحمير والإبل والبقر والغنم ، فذبحها حتى سال الدم
 في العسكر ، وأمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من
 مواشيهم ، فلم يظن خردوش إلا أن ما فى الخندق من بني إسرائيل ، فلما
 بلغ الدم عسكره أرسل إلى يوزردان أن ارفع عنهم القتل ، ثم انصرف ١٥
 إلى بابل وقد أفنى بني إسرائيل أو كاد .

(١) سقط من ظ (٢) فى العالم : انتقم (٣) زيد فى الأصل : فقه ، ولم تكن الزيادة
 فى ظ و مد و العالم فحذفناها (٤-٥) من ظ و مد و العالم ، وفى الأصل : خلى
 من بنى (٥) من العالم ، وفى النسخ : بما (٦) من العالم ، وفى النسخ هنا وفيما
 بآنى : خردوس (٧) من ظ و مد و العالم ، وفى الأصل : اغضبه (٨) سقط
 من مد .

فهذا كما ترى ظاهر في أن يحيى تخلف بعد أبيه عليها الصلاة والسلام
وكذا ما تقدم في آل عمران عن الإنجيل في قصة ولادته .

- و لما ختم دعاءه بقوله : ﴿ واجعله رب ﴾ [أى أيها المحسن إلى - ١]
﴿ رضياه ﴾ أى ^٢ « بين الرضا منك » دائما حتى يلقاك على ذلك ، قيل في
٥ جواب من كأنه قال : ما ذا قال له ربه الذى أحسن الظن به ؟
﴿ ينزكريا أنا ﴾ أى ^٣ « على ما لنا من العظمة ﴾ (نبشرك) إجابة لدعائك ؛
وقراءة الجماعة غير حمزة بالتشديد أوفق من قراءة حمزة للتأكيد الذى جىء
به ، لأن المبشر به لغرابته جدير بالإنكار ﴿ بغلم ناسمه يحيى لا ﴾ ثم وصفه
بما عرف به أن مما شرفه به أن ادخر له هذا الاسم فقال : ﴿ لم نجعل له ﴾
١٠ فيما مضى ، ^٤ ولعله أتى بالجاء الدال على التبعض تخصيصا لزمان بنى
/ إسرائيل قومه ^٥ [فقال - ٥] : ﴿ من قبل سمياه ﴾ فكأنه قيل : ما قال
/ ٤٠٩ فى جواب هذه البشارة العظمى ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ عالما بصدقها طالبا
لتأكيدها ، والتلذذ بترديدها ، وهل ذلك من امرأته أو غيرها ؟ وهل
إذا كان منها ^٦ يكونان على حالتها من الكبر أو غيرها غير طائش
١٥ ولا عجول : ﴿ رب ﴾ أى ^٧ « المحسن إلى » بإجابة دعائى دائما ﴿ اتى ﴾ أى
(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) سقط من مد ،
و العبارة من هنا بما فيها « أى » إلى « من العظمة » ساقطة من ظ (٤) من مد ،
و فى الأصل : قرأ ، و العبارة من هنا بما فيها « وقراءة » إلى « جدير بالإنكار »
ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) زيد فى ظ : نهل (٧) سقط من مد ، و العبارة
من هنا بما فيها « أى » إلى « دائما » ساقطة من ظ .

من أين 'وكيف و على أى حال' (يكون لى غلم) يولد لى ^٢ على غاية القوة و النشاط و الكمال فى الذكورة (وكانت) [أى - ^٣] و الحال أنه كانت (امرأتى) إذا كانت شابة (عاقرا) غير قابلة للولد عادة * و أنا و هى شابان فلم يأتنا ولد لاختلال أحد السيين * فكيف بها و قد أسنت ! (و قد بلغت) أنا (من الكبر عتيا) أى أمرا ه [فى اليبس - ^٦] مجاوزا للحد هو غاية ^٧ فى الكبر ما بعدها غاية ، و قد حصل من ذلك من ^٨ الضعف و ييس ^٩ الأعضاء و قحطها ما يمنع فى العادة من حصول الولد * مطلقا لاختلال السيين معا فضلا عن أن يصلح لأن يعبر عنه بغلام ؟ قال [البغوى - ^٢] فى آل عمران : و قال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما : كان ابن عشرين و مائة سنة ، ١٠ و كانت امرأته بنت ثمان و تسعين سنة ^{١١} ؟ و قال الرازى فى اللوامع : إن هذا على الاستخبار "أعطيه" الله الولد بتلك الحال أم يقبله شابا ؟ والله تعالى فى كل صنع تدبيران : أحدهما المعروف الذى يسلكه الناس من (١-١) سقط ما بين الرقين من ظ ، و تأخر فى الأصل عن «يولد لى» و الترتيب من مد (٢-٢) تقدم ما بين الرقين فى الأصل على «يكون لى» و الترتيب الذى ورتبناه هو الآوفى للسياق (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ ، و فى الأصل و مد : اذ (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) زيد من مد (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : للكبر (٨-٨) من مد ، و فى الأصل : الياس و الضعف فى ، و فى ظ : ييس (٩) راجع المعالم على هامش الباب ٢٩٠/١ (١٠) سقط من مد (١١-١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعطيه .

توجيه الأسباب إلى المسببات ، و الآخر يتعلق بالقدرة المحضة ، ولا يعرفه
إلا أهل الاستبصار - انتهى . ﴿ قال كذلك ج ﴾ أى الأمر ؛ ثم الله^٢
بقوله : ﴿ قال ربك ﴾ [أى - ٢] الذى عودك بالإحسان ، [و ذكر مقول
القول فقال - ٢] : ﴿ هو ﴾ أى 'خلق يحى منكما على هذه الحالة'
هـ ﴿ على ﴾ أى خاصة ﴿ هين ﴾ لا فرق عندى بينه وبين غيره
﴿ و قد خلقتك ﴾ أى قدرتك^١ و صورتك [و أوجدتك - ٢] .

ولما كان القصد تشبيه حاله بالإتيان منه بولد على ضعف السبب
بتقديره من النطفة على ضعف سببيتها [لكونها - ٢] تارة ثمر و تارة
لا ، وهو الأغلب ، أرى بالجار إشارة إلى ذلك فقال : ﴿ من قبل ﴾ [أى
١٠ قبل - ٢] ^١ هذا الزمان ^٢ ﴿ ولم ﴾ أى و الحال أنك لم . و لما كان عليه
السلام شديد التشوف لما يلقى عليه من المعنى فى هذه البشرى ، أوجز له حتى
يحذف التون [و ليثبت أنه ليس له من ذاته إلا العدم المحض ، و يبنى أن
يكون له من ذاته وجود و لو على أقل درجات الـكون لاقتضاء حاله فى
هذا التعجب لتذكيره فى ذلك فقال - ٩] : ﴿ تك شيئا ﴾

(١) سقط من مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : علل (٣) زيد من مد .
(٤) العبادة من هنا إلى « ذلك فقال » سافطة من ظ (٥-٥) ما بين الرقيين ورد
فى الأصل قبل « من قبل » ، و فيه « بخلق » موضع « خلق » ، و الترتيب من مد .
(٦-٦) تأخر ما بين الرقيين فى الأصل عن « ذلك فقال » و الترتيب من مد .
(٧) زيد من ظ و مد (٨-٨) فى ظ : وجودك (٩) زيد ما بين الحاجزين من
مد ، و ريد فى ظ : فقال - فقط .

أى^١ [يعتد به -^٢] ، ثم أبرزتك^٣ على ما أنت عليه حين أردت ، فتحقق بهذا أنه من امرأته هذه العافر في حال كونها شيخين ، ثم قبل جوابا لمن كأنه قال : ما قال بعد عله بذلك ؟ : (قال رب)^٤ أى [أبها -^٥] المحسن إلى^٦ بالتقريب ا (اجعل لى) على ذلك (أبة^٧) أى علامة^٨ تدلنى على وقوعه (قال)^٩ أى الله : (ايتك) على وقوع ذلك ه (الا تكلم الناس) أى لا تقدر على كلامهم .

• ولما بدئت السورة بالرحمة ، وكان الليل محل تنزلها ، ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول ه - الحديث ، قال : (ثلث ليال) [أى بأيامها - كما دل عليه التعبير بالأيام^١ في آل عمران -^٢] حال كونك (سياء) من غير خرس ولا مرض ولا حبة عن مطلق الكلام ، بل تناسجى ١٠ ربك فيها بتسبيحه وتحميده وتلاوة كتابه وكل ما أردت من مثل ذلك وكذا من عدا الناس من الملائكة وغيرهم من صالح عباد الله ، وجعلت الآية الدالة عليه سكوتا عن^٣ غير ذكر الله دلالة على إخلاصه واقتطاعه بكنيته إلى الله دون غيره (نخرج) عقب إعلام الله له بهذا (على قومه) [أى عاليا على العلية منهم -^٤] (من المحراب)^٥ الذى كان^٦ / فيه ١٥ / ٤١٠ وهو صدر الهيكل وأشرف ما فيه ، وهو منطلق اللسان بذكر الله منجسه

(١) سقط من ظ (٢) زيد من مد (٣-٣) من ظ ومد ، وفي الأصل لم أبرزك (٤) العبارة من هنا إلى « بالتقريب » ساقطة من ظ (ه-ه) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) آية ٤١ (٧) العبارة من هنا إلى « دون غيره » ساقطة من ظ . (٨) من مد ، وفي الأصل : من (٩-٩) تكرر ما بين الرقين في الأصل فقط .

عن كلام الناس ﴿فأوحى إليهم﴾ أى اشار بشفتيه من غير نطق :
قال الإمام أبو الحسن الرمانى فى آل عمران : و الرمز : الإيماء بالشفتين ،
وقد يستعمل فى الإيماء بالحاجبين والعينين واليدين ، و الأول أغلب :
قال : وأصله الحركة . وسبقه إلى ذلك الإمام أبو جعفر ابن جرير
ه الطبرى^١ فقال : وأما الرمز فإن الأغلب من معانيه عند العرب الإيماء
بالشفتين ، وقد يستعمل فى الإيماء بالحاجبين والعينين أحيانا ، وذلك غير
كثير فيهم ، وقد يقال للحنى من الكلام الذى مثل الهمس بخفض الصوت
[الرمز - ٢] . ثم نقل أن المراد به هنا تحريك الشفتين عن مجاهد - انتهى .
وهو ظاهر أيضا فى الوحى لأنه مطلق الإشارة والكناية والكلام الحنى ،
١٠ فيجوز أن يكون وجه بكل منهما : لا يقدر على غير ذلك فى مخاطبته
للناس ، فاذا توجه إلى مناجاة ربه سبحانه انطلق أحسن انطلاق
﴿ ان سبحوا ﴾^٢ أى أرجدوا التنزيه والتفديس لله تعالى بالصلاة وغيرها
﴿ بكرة وعشاء ﴾ حملت امرأته كما قلنا فولدت ولدا فسماه يحيى كما
بشرناه به . فكبر حتى ميز فقلنا : ﴿ يحيى خذ الكتاب ﴾ أى التوراة
١٥ ﴿ بقوة ﴾ .

ولما كانت النبوة لا يستضلع بأمرها ويقوى على حملها إلا عند
استحكام العقل ببلوغ الأشد . وكان التطويق على أمرها قبل ذلك من
العظمة بمكان . دل عليه بالنون فى قوله : ﴿ واتيناه ﴾ بما لنا من

(١) راجع جامع البيان ٦/٣٨٨ طبعة دار المعارف (٢) زيد من جامع البيان (٣) من
مد ، وفى الاصل وظ : تركه (٤) - سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) سقط من مد .
(٦) فى مد : بمناسبة ما ، والعبارة من هنا - بما فيها « بما » - ساقطة من ظ إلى « العظمة » .

العظمة (الحكم) أى النبوة [والفهم للتوراة - ١] (صيا ١) أغلبة الروح عليه . ٢ وهذه الحارقة لم تقتض الحكمة أن تكون لدينا صلى الله عليه وسلم لأن قومه لا عهد لهم بالنبوة ، فكانوا إذا كذبوا لا يكون لهم من أنفسهم ما يلزمهم ٣ من التناقض ، فعوض ٤ أعظم من ذلك بفرائض الصدق التى أوجبت لهم تسميته بالأمين ٥ ليكونوا بذلك مكذبين ٥ لأنفسهم فى تكذيبهم له . وبمزيد إبقاء معجزته القرآنية بعده تدعو الناس إلى دينه [دعاء لأمرد له - ١] (و) آتيناها (حناتا) أى رحمة وهية وقارا ورقة قلب ورزقا وبركة (من لدنا) من ٦ مستقرب المستقرب من عظمتنا بلا واسطة تعليم ولا تجربة (وزكوة ٧) أى طهارة فى نيته تفيض على أفعاله وأقواله (وكان) ٨ أى جلبة وطبعاً ٩ . (تقياً ١٠) خوفاً لله تعالى (وبرام) أى واسع الأخلاق محسناً (بوالديه ولم يكن) ١١ جلبة وطبعاً (جباراً) عليهما ١٢ ولاعلى غيرهما ؛ ثم قيده بقوله : (عصاء) ١٣ إشارة إلى أنه يفعل فعل الجبارين من الغلظة والقتل والبطش بمن يستحق ذلك كما قال تعالى لخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم "جاهد الكفار والمنافقين واغلاظ عليهم" ١٤ فكان مطيعاً لله قائماً بحقوقه وحقوق عباده على ما ينبغى ، فهيناً له ما أعطاه من

(١) زيد من مد (٢) تأخر فى الأصل عن « إلى دينه » والترتيب من ظ و مد .
(٣) العبارة من هنا إلى « إلى دينه » ساقطة من ظ (٤-٤) فى مد : التناقض بعوض (٥) من مد ، وفى الأصل : الأمين (٦) فى مد : فى ، والعبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - ساقطة من ظ إلى « من عظمتنا » (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٨) سقط من ظ (٩) سقط من مد (١٠) سورة ٩ آية ٧٣ .

هذه الحلال القاضية بالكمال .^١ والتعبير بصيغة المبالغة يفهم أن المنى الجبل^٢ عليها ، وما دونها يذهب الله^٣ بغسل / القلب أو غيره (وسلم) [أى -^٤] أى سلام^٥ (عليه) منا (يوم ولد) من كل سوء يلحق بالولادة وما بعدها في شيء من أمر الدين (ويوم يموت) من كرب الموت وما بعده ، ولعله نكر^٦ السلام لأنه قتل فما سلم بدنه بخلاف ما يأتى في عيسى عليه الصلاة والسلام (ويوم يبعث) من كل ما يخاف بعد ذلك (حياء) حياة هي الحياة للانتفاع بها ، إجابة لدعوة آية في أن يكون رضى^٧ ، وخص هذه الأوقات لأن من سلم فيها^٨ سلم في غيرها لأنها أصعب منه ؛ أخرج الطبراني^٩ عن أنى هريرة رضى الله عنه قال :
 ١٠ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل بنى آدم يلقى [الله -^{١٠}] يوم القيامة بذنب وقد^{١١} يعذبه عليه إن شاء أو يرحمه إلا يحيى بن زكريا عليها السلام فإنه كان سيذا وحسورا ونيا من الصالحين ، وأهوى النى صلى الله عليه وسلم إلى قذاة من الأرض فأخذها وقال : ذكره مثل هذه القذاة . قال الهيثمى : وفيه حجاج بن سليمان الرعيني وثقه ابن حبان
 ١٥ [وغيره وضعفه أبو زرعة وغيره ، وبقية رجاله ثقات -^{١٢}] ، وأخرجه أيضا عن عبد الله بن عمرو وابن عباس رضى الله عنهم ، لكن ليس فيه
 (١) العبارة من هنا إلى « أو غيره » ساقطة من ظ (٢) من مد ، وفي الأصل : الجهل (٣) زيد في مد : بالعظمة (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : سلامه (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : ذكر (٧) العبارة من هنا إلى « أصعب منه » ساقطة من ظ (٨) من مد ، وفي الأصل : منها (٩) راجع مجمع الزوائد ٢٠٩/٨ (١٠) زيد من ظ و مد والمجمع (١١) زيد في النسخ : أذنبه ، ولم تكن الزيادة في المجمع فحذفناها .

ذكر الذكر ، و لفظ ابن عباس رضى الله عنهما : كنت فى حلقة [فى -^١]
المسجد تذاكر فضائل الأنبياء - فذكره حتى قال : فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : ما ينبغي أن يكون أحد خيرا من يحيى بن زكريا ، قلنا :
يا رسول الله ! وكيف ذاك ؟ قال : ألم تسمعوا الله^٢ كيف نعته فى
القرآن ؟ «يحيى خذ الكتاب - إلى قوله : [حيا -^١] » ، «مصدقا بكلمة من الله ه
وسيدا وحصورا ونيا من الصالحين » لم يعمل سيرة ولم يهتم بها . ورواه
أيضا البزار وفيه على بن زيد بن جدعان ضعفه الجمهور - وقد [وثق -^٢] ،
وبقية رجاله ثقات . وأشار سبحانه بالتنقل فى هذه الأطوار إلى موضع
الرد على من ادعى لله ولدا من حيث أن ذلك قاضٍ على الولد نفسه
وعلى أبيه بالحاجة ،^١ وذلك مانع لكل من الولد والوالد من الصلاحية ١٠
لمرتبة الإلهية المنزهة عن الحاجة ،^٢ وقد مضى فى آل عمران ما تجب مراجعته .
ولما كان حاصل القصة أنه ولد أخرجه الله تعالى عن سبب هو فى
ضعفه قريب من العدم ، أما من جهته فلبوغة^٣ إلى حد من السن وحال
فى المزاج لا يقبل حركة الجماع عادة ، وأما من جهة^٤ زوجته^٥ فليزادتها
مع بأسها يلوغها إلى نحو ذلك^٦ السن بكونها عاقرا^٧ لم تقبل حبلا قط ، ١٥

(١) زيد من ظ و مد و المجمع (٢) ليس فى المجمع (٣) زيد من ظ و مد .
(٤-٤) حقط ما بين الرقين من مد (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) من
ظ و مد ، وفى الأصل : فلبوغة (٧) سقط من مد (٨) فى ظ و مد : زوجه .
(٩) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و مد لحذفها (١٠) من ظ و مد ،
وفى الأصل : عاقر .

اتبعه^١ بقصة هي أغرب من قصته بكونها ليس فيها إلا سبب واحد وهو المرأة، وعدم فيها سبب الذكورية أصلاً، إشارة إلى أنه تعالى يخلق ما يشاء تارة بسبب قوى، وتارة بسبب ضعيف، وتارة بلا سبب، ومن كان كذلك كان مستغنياً عن الولد؛ ولما كان على اليهود الأمرين بالسؤال تعنتا عن قصتي أصحاب الكهف وذى القرنين أن ينصحوا^٥ العرب بالإعلام بأن دينهم باطل لشركهم^٢، فلم يفعلوا فكانوا جديرين بالتبكيث. وكانت قصة زكريا أعظم في^٣ تبكيثهم بمباشرتهم لقتله وقتل ولده يحيى عليهما السلام، قدمها في الذكر، وتوطئة لأمر عيسى عليه السلام كما مضى بيانه في آل عمران إلزاماً لهم بالاعتراف^٤ به،^{١٠} وللنصارى بالاعتراف بأنه عبد، كما اعترف كل منهما^٥ بأمر يحيى عليه السلام، وذلك بما جمع بينهما من خرق العادة / . وكانت قصة يحيى أولى من قصة إسحاق عليهما السلام لما تقدم، ولشاهدة^٦ الذين^٧ اختلفوا في عيسى عليه السلام من الفريقين لأمره وأمر يحيى عليهم الصلاة والسلام لما لهما من الاتحاد في الزمن مع ما لهما من قرب النسب. ولما كانت قصة عيسى^٨ عليه السلام أغرب، أشار إلى ذلك بتغيير السياق^٩ فقال عادماً على ما تقديره: اذكر هذا لهم^٩: ﴿واذكر﴾ - بلفظ الأمر ﴿في الكتب مريم﴾^{١٠} بنت عمران خالة يحيى - كما في الصحيح

/ ٤١٢

- (١) من ظ ومد، وفي الأصل: تبعه (٢) من ظ ومد. وفي الأصل: بشركهم.
(٣) من ظ ومد، وفي الأصل: من (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: الاعتراف (٥) في ظ: منهم (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: أما هذه (٧) في ظ: الذين (٨) من مد. وفي الأصل وظ: يحيى (٩-٩) سقط ما بين الرقنين من ظ.

من حديث أنس بن مالك [عن مالك - ١] بن صعصعة الأنصاري رضى الله
 عنهما في حديث الإسراء: فلما خلصت^٢ فاذا يحيى وعيسى وهما ابنا
 خالة^٣ ثم أبدل من "مریم" بدل اشتغال قوله^٤: ﴿ اذ ﴾ أى اذكر
 ما اتفق لها حين^٥ ﴿ انقذت ﴾ أى^٦ كلفت نفسها أن^٧ اعتزلت^٨ وانفردت^٩
 ﴿ من اهلها ﴾ حالة^{١٠} ﴿ مكانا شرقيا ﴾ عن مكانهم^{١١} فكان انفرادها^{١٢}
 في جهة مطالع الانوار إشارة إلى ما يأتيها من الروح الإلهي^{١٣} ﴿ فاتخذت ﴾
 أى^{١٤} أخذت بقصد وتكلف، ودل على قرب المكان بالإتيان بالجار
 فقال^{١٥}: ﴿ من دونهم ﴾ أى أدنى مكان من مكانهم^{١٦} لانفرادها^{١٧} للاغتسال
 أو غيره ﴿ حجابا ﴾ يسترها ﴿ فارسلنا ﴾^{١٨} لأمر يدل على عظمتنا^{١٩}
 ﴿ إليها روحنا ﴾ جبريل عليه السلام ليعلمها بما^{٢٠} يريد الله بها من الكرامة^{٢١}
 بولادة عيسى عليه السلام من غير أب، لثلاث يشبه عليها الأمر، [و- ٧]
 يتشعب بها الفكر، فقتل نفسها غما ﴿ فتمثل لها ﴾ أى تشبّع وهو روحاني
 بصورة الجسماني ﴿ بشرا سوياء ﴾ في خلقه حسن الشكل لثلاث تشد نفرتها
 [وروعها - ٨] منه؛ ثم أخرج القصة مخرج الاستئناف فقال^{٢٢} دالا على
 حزمها وخلوص تعبدها لله واتجائها إليه وشهودها له بحيث لا تترك^{٢٣}
 إلى سواه^{٢٤}: ﴿ قالت ﴾ .

- (١) زيد من ظ و مد والصحيح - باب المعراج، ببيان الكعبة (٢) من ظ
 و مد والصحيح، وفي الأصل: تفحصات (٣-٣) سقط ما بين الرقین من ظ .
 (٤) في ظ: اذ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: ما .
 (٧) زيد من ظ و مد (٨) زيد من مد .

١ 'ولما كان' على أنهى ما يكون من الجمال والحلال الصالحة والكمال ،
فكان بحيث يستبعد غاية الاستبعاد أن يتعوز منه أبكت فقالت :
﴿ انى اعوذ بالرحمن ﴾ ربى الذى رحمته عامة لجميع عياده فى الدنيا
والآخرة ، وله بنا خصوصية فى إسباغ الرحمة وإتمام النعمة ﴿ منك ﴾
ه ولما تفرست فيه - بما أثار الله من بصيرتها وأصنى [من - °] سريرتها -
التقوى ، ألهمته ^٦ وهيجته للعمل بمضمون هذه الاستعاذة بقولها :
﴿ ان كنت تقيا ﴾ قال ﴿ جبرئيل عليه السلام مجيا لها بما معناه : إني
لست بمن تخشين [أن يكون متها - ٧] ، ^٨ مؤكدا لأجل استعاذتها ،
﴿ انما انا رسول ربك ﴾ ^٩ أى الذى عذت به ^٨ أى فأما [لست متها - ٧] ،
١٠ متصف بما ذكرت وزيادة الرسالة ، وعبر باسم الرب المقتضى
للاحسان لطفها بها ، ولأن هذه السورة مصدرة بالرحمة ، ومن أعظم
مقاصدها تعداد النعم على بخلص عباده ﴿ لاهب ﴾ بأمره ^٨ أو ليهب هو
على القراءة الأخرى ^٩ ﴿ لك ﴾ وقدم المتعلق تشويقا ^{١٠} إلى المفعول ^{١١} ليكون
أوقع فى النفس ؛ ثم بينه معبرا بما هو أكثر خيرا وأقعد فى باب البشرى
١٥ وأنسب لمقصود السورة مع أنه لا ينافى ما ذكر فى آل عمران بقوله :

- (١) العبارة من هنا إلى « أكذت فقالت » ساقطة من ظ (٢) فى مد : كانت .
(٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : مربي (٤) بهامش ظ : أما المؤمن فواضح ،
وأما للكافر فلكونه لا يهذب أحدا فوق ما يستحق ، ولذا جعل النار دركات
لكل منها جزء (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : التهلكة .
(٧) زيد من مد (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ (٩) سقط من مد .
(١٠-١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل : المفعول .

(غلما) أى ولدا ذكرًا فى [غاية - '] القوة و الرجولية (زكياه)
 طاهرا من كل ما يندس البشر : فاميا على الخير والبركة (قالت)
 مريم : (ائى) أى من أين ' و كيف ' (يكون لى غلم) ألدّه
 (ولم يمسنى بشر) بنكاح أصلا حلال ' ولاغيره بشبهة ولاغيرها .
 ولما هالها هذا الأمر ، أداها الحال إلى غاية الإسراع فى إلقاء ما تريد ' ه

٤١٣ /

من المعانى لها [لعلها - '] تستريح / بما تصورته ، فضاقت عليها المقام ،
 فأوجزت حتى يحذف النون من ' كان ' و لتفهم أن هذا المعنى منى كونه
 على أبلغ وجوهه ' فقالت ' (ولم اك) . ولما كان المولود سر من يلدّه ،
 وكان التعبير عنه بما هو من مادة الغلة دالا على ' غاية الكمال فى '
 الرجولية المقتضى لغاية القوة فى أمر النكاح نفت أن يكون فيها شيء ١٠
 من ذلك فقالت : (بغياه) أى ' [ليكون - '] دأبى الفجور ، ' ولم يأت -
 ' بغية ' لغلبة إيقاعه على النساء ، فكان مثل حاض وعافر فى عدم
 الإلباس ' (ولأن بغية ، لا يقال إلا للتلبسة به - ') (قال) [أى - ']
 ' جبريل عليه السلام ' (كذلك ج) ' القول الذى قلت [لك - '] يكون .

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) سقط من مد .
 (٤) بهامش ظ : قوله « فى إلقاء ما تريد - الخ » لا ينافيه قوله فى آل عمران
 داخل هذا الكلام خطر لها ولم تلفظ به ، فعلم الملك أنه شغل فكرها فأجابها عنه
 لتفريغ الفهم ، لأن ذاك احتمال حملها على الكمال وهذا الظاهر ولا ينافى
 الكمال والله أعلم تدبر (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : قال (٦) سقط من
 ظ (٧) فى ظ و هـ (٨) زيد من مد (٩) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

و لما كان لسان الحال قاتلا : كيف يكون بغير سبب ؟ أجاب
 بقوله : ﴿ قال ﴾ و لما بنيت هذه السورة على الرحمة و اللطف و الإحسان
 بعباد الرحمن ، عبر باسم الرب الذي صدرت به بخلاف سورة التوحيد
 آل عمران المصدرة بالاسم الأعظم فقال : ﴿ ربك هو ﴾ ' أى المذكور
 ه و هو إيجاد الولد على هذه الهيئة ' ﴿ على ﴾ أى وحدى لا يقدر عليه
 [أحد غيرى - ٢] ﴿ هين ٤ ﴾ [أى - ٢] خصصاك به ليكون شرفا
 به [لك - ٢] .

و لما كان [ذلك - ٢] من أعظم الخوارق ، نبه عليه بالنون في
 قوله ، عطفًا على ما قدرته بما أفهمه السياق : ﴿ ولنجعلنه ﴾ [بما لنا من
 ١٠ العظمة - ٢] ﴿ آية للناس ﴾ ' أى علامة ' على كمال قدرتنا على البعث
 أول من الآية في يحيى عليه السلام . و به تمام القسمة الرباعية في خلق
 البشر ، فانه أوجده من أنثى بلا ذكر ، و حواء من ذكر بلا أنثى ،
 و آدم عليه السلام لا من ذكر ولا أنثى ، و بقية أولاده من ذكر و أنثى
 معا ﴿ ورحمة منا ﴾ لمن آمن به في أول زمانه ، و لاكثر الخلق بالإيمان
 ١٥ و الإنجاء من المحن في آخر زمانه ، ٢ لا كآية صالح عليه السلام لأنها
 كانت آية استئصال لأهل الضلال ﴿ و كان ﴾ ذلك كله ﴿ امرا مقضيا ﴾
 ' أى محكوما به مبيتوتا ' هو في غاية السهولة لامانع منه أصلا ، و نبه

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) العبارة من هنا
 إلى « لأهل الضلال » ساقطة من ظ (٤) من مد ، و في الأصل : كاه (٥) العبارة من
 هنا إلى « هذه السورة » ساقطة من ظ .

على سرعة تسبيب^١ الحمل عن هذا القول وإن كان التقدير بما أرشد إليه في غير هذه السورة : فنفخ في درعها فوصل النفخ إلى جوفها ﴿ فحملته ﴾^٢ وعقب بالحمل قوله^٣ : ﴿ فانتبذت به ﴾ أى فاعتزلت - وهو فى بطنها - حالة^٤ ﴿ مكانا قصيا ﴾ أى بعيدا^٥ من أهلها أو^٥ من المكان الشرقى ، وأشار إلى قرب الولادة من الحمل بفاء التعقيب فى ه قوله : ﴿ فاجآءها ﴾ أى فأتى بها و الجآءها ﴿ المخاض ﴾ وهو تحرك الولد فى بطنها للولادة ﴿ الى جذع النخلة ج ﴾ وهو ما برز [منها -^٦] من الأرض ولم يبلغ الأغصان . وكان تعريفها لأنه لم يكن فى تلك البلاد الباردة غيرها ، فكانت كالعلم لما فيها من العجب^٧ ، لأن النخل من أقل الأشجار صبرا^٨ على البرد ، ولعلمها^٩ ألجئت إليها دون غيرها من الأشجار^{١٠} على كثرتها لمناسبة حال النخلة لها ، لأنها لا تحمل إلا بالقاح من ذكور النخل ، فحملها بمجرد هزها أنسب شئ لإتيانها بولد من غير والد ، فكيف إذا كان ذلك فى غير وقته فكيف إذا كانت يابسة مع ما لها فيها من المنافع بالاستناد إليها والاعتماد عليها^{١١} ، وكون رطبها خرسة للنفساء وغاية فى نفعها^{١٢} وغير ذلك .

١٥

(١) من مد ، وفى الأصل : تسبيب (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) سقط من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « المكان الشرقى » ساقطة من ظ (٥) من مد ، والأصل « و » (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى مد : العجيب (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : بصيرا (٩) من مد ، وفى الأصل و ظ : لها (١٠) زيدت الواو بعدها فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و مد فحذفناها .

ولما كان ذلك أمرا صعبا عليها جدا ، كان كأنه قيل : ياليت
 شعري ! ما كان حالها ؟ فقيل : ﴿ قالت ﴾ لما حصل عندها من خوف
 العار : ﴿ يلبثني مت ﴾ ولما كانت تذاك^١ أشارت إلى استغراق الإيمان
 بالموت بمعنى عدم الوجود فقالت من غير جار^٢ : ﴿ قبل هذا ﴾ [أى - ٣]
 ٥ الأمر العظيم^٣ ﴿ و كنت نسيا ﴾ أى شيئا من شأنه أن^٤ ينسى ﴿ منسياه ﴾
 ٦ أى متروكا^٥ / بالفعل لا يخطر على بال ، فولدته ﴿ فادئنها من تحتها ﴾
 / ٤١٤ وهو عيسى عليه السلام ﴿ الانحزنى ﴾ قال الرازى فى اللوامع : والأصح
 أن مدة حملها^٦ له و ولادته^٧ ساعة لأنه كان مبدعا ، ولم يكن من نطفة
 تدور فى أدوار الحلقة - انتهى . ونقله ابن كثير^٨ وقال : غريب^٩ عن
 ١٠ ابن عباس رضى الله عنهما ، ويؤيده أنه لم ينقل فى كتابنا ولا عن نينا
 صلى الله عليه وسلم أنهم أنكروا عليها زمن الحمل ، ولو علموا به لأنكروه
 [ولو أنكروه - ٩] لنقل كما نقل إنكار الولادة .

٦ ولما أنكروا الولادة^{١٠} فكأنها قالت : لم لا أحزن ؟ [و توقعت
 ما يعلل به - ١٠] قال^{١١} : ﴿ قد جعل ربك ﴾ [أى - ١٠] المحسن إليك
 ١٥ ﴿ تحتك ﴾ فى هذه الأرض التى لا ماء جاريا بها^{١٢} ﴿ سرياء ﴾ جدولا من

(١-١) سقط ما بين الرقيين من مد (٢) العبارة من « ولما كانت » إلى هنا ساقطة
 من ظ (٣) زيد من مد (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 أى متروكا (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧-٧) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 و ولادتها له (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٩) زيد من ظ و مد .
 (١٠) زيد من ظ (١١) فى النسخ : فقال ؟ وهو جواب « لما » .

الماء جليلا ' آية لك تطيب ' نفسك (وهزى اليك) أى أوقى الهز ،
و هو جذب بتحريك .

و لما كان المقصود التهويل لصرف فكرها عما دهمها من الهم جعله
قاصرا فكأنها قالت : ما أمر ؟ إذ^٢ لم يكن فى الجذع ما يتوقع نفعه
بهزه ، فقال مصرحا بالمهزوز : (بجذع النخلة) [التى أنت تحتها مع ه
يبسها و كون الوقت ليس وقت حملها فكأنها^٣ قالت : ولم ذاك ؛ فقال -^٤ :
(تسقط عليك) من أعلاها (رطبا جنياد) طريا آية أخرى عظيمة
تطيب النفس و تذهب بالحزن ، و تدل على البراءة ،^٥ و التعبير بصيغة
التفاعل [فى قراءة الجماعة و حمزة -^٦] للدلالة على [أن -^٧] التمر يسقط
منها ، و من حقه أن يكون منتفيا لأنها غير متأهلة لذلك ، فهو ظاهر ١٠

فى أنه على وجه خارق للعادة . و قراءة الجماعة بالإدغام تشير [مع
ذلك -^٨] إلى أنه مع شدته يكاد أن يخفى كونه^٩ منها ليسبها و عدم
إقنائها^{١٠} ، و قراءة حمزة بالفتح و التخفيف تشير إلى سهولة تساقطه
و كثرته ، و قراءة^{١١} حفص عن عاصم بالضم و كسر القاف من فاعل ،

(١) سقط من ظ (٢) فى مد : تطب (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اذا .
(٤) سقط من مد (٥) زيد من ظ و مد (٦) العبارة من هنا إلى العلوم أنها ،
ص ١٩٠ س ٢ ساقطة من ظ (٧) زيد من مد ، و الفرق بين قراءة الجماعة و حمزة
أن الجماعة قرأوها بفتح التاء القوقائية و تشديد السين و فتح القاف بينما قرأها حمزة
بفتح التاء و القاف و تخفيف السين بحذف إحدى تائى التفاعل - راجع نثر المرجان
٤ / ٢١٨ (٨) زيد من م - د (٩) من مد ، و فى الأصل : بكونه (١٠) من مد ،
و فى الأصل : اخفائها (١١) من مد ، و فى الأصل : قرا .

تدل على الكثرة و أنه ظاهر في كونه من فعلها .

و لما كان من المعلوم أنها هزت^١ فتساقط الرطب .^٢ سبب عنه قوله^٣ : (فكلى) أى قسب عن الإنعام عليك بالماء و الرطب أن يقال لك^٤ تمكينا من كل منهما^٥ كلى من الرطب (واشربى) من ماء السرى ه (و قرى) أى استقرى (عناج) بالنوم ، فان المهموم لا ينام ، و العين لا تستقر ما دامت يقظى^٦ ، و عن الأصمعى أن المعنى : و لتبرد دمعك ، لأن دمة [الفرح باردة و دمة -^٧] الحزن حارة ، و اشتقاق " قرى " من القرور ، و هو الماء البارد - انتهى .

و قال الإمام أبو عبد الله القزازي في ديوانه : و حكى الفراء أن قريشا و من حولهم يقولون : قررت به^٨ عينا - أى بكسر العين -^٩ أقر ، و أن أسدا و قيسا^{١٠} و تيميا يقولون : قررت به عينا - أى بالفتح - [أقر ، قال - يعنى الفراء : فمن قال : قررت - أى بالكسر - قرا ، و قرى عينا - أى بالفتح -^{١١}] ، و هى القراءة المعروفة ، و من قال : قررت ، - أى بالفتح قرا و قرى عينا - بكسر القاف أى و هى [الشاذة ، قال - أى القزاز : هى -^{١٢}] لغة ١٥ [كل -^{١٣}] من أقيت من أهل نجد ، و المصدر قررة^{١٤} و قرور .

(١) فى ظ : فهزت (٢-٢) فى ظ : فقبل لها (٣-٣) - سقط ما بين الرقيين من ظ .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : تغطى ؛ و العبارة من بعده إلى « ما ينفع هنا »
ص ١٩١ س ١ - ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) من مد ، و فى الأصل :
البرار (٧) سقط من مد (٨-٨) ما بين الرقيين بياض فى الأصل ملأناه من مد .
(٩) زيد بعده فى الأصل : و قرى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

و سيأتى فى التخصص ما ينفع هنا ، وهو [على كل حال - ']
 كناية عن طيب النفس وتأهلها ^٢ لأن تام ^٣ بالكفاية فى الدنيا بطعام
 البدن وغذاء الروح بكونه آية باهرة ، والآخرة بالكرامة ^٢ [وذلك
 على أنفع الوجوه ، قيل : ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير
 من العسل ؛ ثم سبب عن ذلك قوله مؤكدا إيدانا بأن أكثر رؤيتها فى ه
 تلك الأوقات الملائكة عليهم السلام - '] (فاما زين) [أى - ']
 يا مريم (من البشر احدا) لا تشكين أنه من البشر ^٢ ينكر عليك
 (فقول) لذلك المنكر جوابا له ، مع التأكيد تنبيها على البراءة لأن
 البرىء يكون ساكنا لا طمثنائه والمرتاب يكثر كلامه وحلقه :
 (انى نذرت للرحمن) أى الذى عمت رحمته فأدخلنى فيها على ضعفى ١٠
 / أو خصنى بما رأيت من الخوارق (صوما) أى صمتا [ينبجى من كل
 وصمة - '] ^١ وإمساكا عن الكلام ^٢ (فلن) أى قسبب عن النذر
 أنى لن (اكلم اليوم انسيا) فان كلامى يقبل الرد والمجادلة [و - ']
 لكن يتكلم عى المولود الذى كلامه لا يقبل الدفع ، وأما أنا ^٨ فأنزه
 نفسى عن ^٩ مجادلة السفهاء فلا أكلم إلا الملائكة أو الخالق بالتسبيح والتقديس ١٥
 و سائر أنواع الذكر ، قالوا : و من أذل الناس سفيها لم يجد مسافها ، و من
 (١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : أهلها ، وزيدت الواو بعده
 فى ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « كلامه وحلقه »
 ساقطة من ظ (٥) من مد ، وفى الأصل وظ : الذى (٦-٦) سقط ما بين الرقين
 من ظ و مد (٧) زيد من ظ و مد (٨) العبارة من هنا إلى « السفهاء » ساقطة
 من ظ (٩) زيد بعده فى الأصل : كلام ، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها .
 (١٠) العبارة من هنا إلى « مجرد » ص ١٩٢ س ٢ ساقطة من ظ .

الدلالة عليه بالصمت عن كلام الناس مع ما تقدم الإشارة إلى أنه ردع مجرد (فانت) أى فلما سمعت هذا الكلام اشتد قلبها، وزال حزنها، وأنت (به) أى بعيسى (قومها) [وإن كان فيهم قوة المحاولة لكل ما يريدونه إتيان البرىء الموقن بأن الله معه - '] (تحمله^١) [غير مبالية بأحد ولا مستخفية - '] فكأنه قيل : فاقالوا لها ؟ قيل : (قالوا يُمريم) أما هذا ؟^٢ مؤكدين لأن حالها في إتيانها يقتضى إنكار كلامهم^٣ (لقد جئت) بما نراه (شيثا فرياه) قطيعا منكرا (يأخت هرون) في زهده وورعه وعفته [وهو صالح كان في زمانها أو أخو موسى عليه السلام - '] (ما كان أبوك) [أى - '] عمران^٤ ساعة من الدهر^٥ (أمراسوه) ١٠ لنقول : نزعك عرق منه (وما كانت أمك^٦) في وقت من الأوقات (بغيا^٧) [أى ذات بغى أى عمد - '] لتأسى بها (فاشارت) امتثالا لما أمرت به (إليه^٨) [أى عيسى ليكلموه فيجيب عنها - '] (قالوا كيف نكلم) يا مريم (من كان في المهد) أى قبيل إشارتك (صيا^٩) لم يبلغ سن [هذا - '] الكلام . [الذى لا يقوله إلا الأكابر ١٥ العقلاء بل الأنبياء - '] والتعبير بـ "كان" يدل على أنه حين^{١٠} الإشارة إليه لم يحوجهم إلى أن يكلموه ، بل حين سمع المحاورة وتمت الإشارة بدا منه قول

(١) زيد من مد (٢-٢) تأخر في الأصل عن « إنكار كلامهم » ، والترتيب من مد (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) زيد من مد ؛ وبعده في البحر المحيط ١٨٦/٦ : إذ كانت من نسله (٥) تأخر في الأصل عن « الأوقات » ، والترتيب من مد (٦) تكرور في الأصل فقط (٧) زيد من ظ و مد (٨) في مد : عند .

خارق لعادة الرضعا [و الصيان ، و يمكن أن تكون تامة مشيرة إلى تمكنه
 في حال ما دون سن الكلام ، و نصب " صيا " على الحال - ١] ، فلما
 كانت هذه العبارة مؤذنة بذلك استأنف قوله : ﴿ قال ﴾ [أى - ٢]
 واصفا نفسه بما يناق أوصاف الأخاب^٢ ، مؤكدا الإنكار^٣ أمره فقال :
 ﴿ انى عبد الله ﴾^٤ أى الملك الأعظم الذى له صفات الكمال لا أتعبه
 لغيره^٥ ، إشارة إلى الاعتقاد الصحيح فيه . و أنه لا يستعبده شيطان
 و لا هوى ﴿ اثنى الكتب ﴾ أى التوراة و الإنجيل^٦ و الزبور و غيرها
 من الصحف^٧ على صغر سنى ﴿ و جعلنى ﴾^٨ أى فى علمه^٩ ﴿ نيا لا ﴾^{١٠}
 نبوه^{١١} بما يريد فى الوقت الذى يريد ، و قيل فى ذلك^{١٢} : فأبشكم به
 ﴿ و جعلنى مبركا ﴾ بأنواع البركات ﴿ ان ما ﴾ فى أى مكان ﴿ كنت ﴾ فيه . ١٠
 و لما سبق عليه سبحانه أنه^{١٣} يدعى فى عيسى الإلهية أمره أن يقول :
 ﴿ و اوصنى بالصلاة ﴾ له طهرة للنفس ﴿ و الزكاة ﴾ طهرة للمال فعلا فى
 نفسى و أمرا لغيرى ﴿ ما دمت حيا ﴾^{١٤} ليكون ذلك حجة على من أطراه
 لأنه لا شبهة فى أن من يصلى لإله ليس بآله ﴿ و برا ﴾ أى [و - ١]
 جعلنى برا ، أى واسع الخلق طاهره .

١٥

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : الأحاديث ،
 والعبارة من بعده إلى « أمره » ساقطة من ظ (٤) من مد ، وفى الأصل : لانكار .
 (٥) سقط من مد (٦-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٧) من مد ، وفى الأصل
 و ظ : ينبئ (٨) العبارة من فى الوقت إلى هنا ساقطة من ظ ؛ و تكرر بعده
 فى الأصل فقط : الوقت الذى يريد (٩) من مد ، وفى الأصل و ظ : أن .

ولما كان السياق إبراءتها في الحق في وصفه ، صرح تبرأتها
 فقال : ﴿ بوالدتي ﴾ أي التي أكرمها الله بأحسان الفرج والحل في
 من غير ذكر ، فلا والد لي غيرها ﴿ ولم يحملي جبارا شقياء ﴾ بأن
 أفعل فعل الجبارين بغير استحقاق ، إنما أفعل ذلك بمن يستحق ، وفيه
 ه إيماء إلى أن التجبر المذموم فعل أولاد الزنا ، وذلك أنه يستشعر ما عنده
 من النقص فيريد أن يجبره بتجبره ، ثم أخبر بما له من الله من الكرامة
 الدائمة مشيرا إلى أنه لا يضره [عدو - ٣] ، وإلى أنه عبد لا يصلح أن
 يكون إلها وإلى البعث فقال : ﴿ والسلم ﴾ أي جنسه ﴿ علي ﴾ فلا يقدر

أحد على ضرري ﴿ يوم ولدت ﴾ فلم يضرنني / الشيطان ومن يولد / ٤١٦

١٠ لا يكون إلها ﴿ يوم اموت ﴾ كذلك أموت كامل البدن والدين ، لا يقدر

أحد على انتقاصها منى كائنا من كان ﴿ يوم ابعث حياء ﴾ يوم القيامة

كما تقدم [في - ٥] يحى عليه السلام ، إشارة إلى أنه في البشرية مثله

سواء لم يفارقه أصلا إلا في كونه من [غير - ٣] ذكر ، وإذا كان جنس

السلام عليه كان اللعن على أعدائه ، فهو بشارة لمن صدقه فانه منه ، ونذارة

١٥ لمن كذبه ، ولم يكن نبينا صلى الله عليه وسلم مثل هذه الحارقة لثلا

يلتبس^٢ حاله بالكهان ، لأن قومه لا عهد لهم بالخوارق إلا عندهم ،

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) سقط من مد (٣) زيد من مد (٤) من

ظ و مد ، وفي الأصل : انتفاعها (٥) زيد من ظ و مد (٦) العبارة من هنا إلى

« اليابس وغيرها » ص ١٩٥ س ٤ ساقطة من ظ (٧) من مد ، وفي الأصل : يلبس .

و إذا

وإذا تقرر ذلك في قوسهم من^١ الصغر صعب زواله، ولم يكن هناك ما ينفيه حال الصغر، فعوض عن ذلك إنطاق الرضعا كبرك اليامة^٢ وغيره، وإنطاق الحيوانات العجم، بل والجادات كالحجارة وذراع الشاة المسمومة والجذع [الباس - ٣] وغيرها.

ولما كان في ذلك من أقوال عيسى وأحواله - المناذية بالحاجة ه للتقل في أطوار غيره من البشر^٤ والكرامة من الله^٥ - أعظم البيان عن بعده عما ادعى فيه النصارى من الإلهية واليهود من أنه لغير رشده، نبه على ذلك مشيراً إليه بأداة^٦ البعد فقال مبتدئاً^٧: ﴿ذلك﴾ أى^٨ الولد العظيم الشأن، العلى الرتبة، الذى هذه أحواله وأقواله البعيدة عن صفة الإله [و صفة من ارتاب في أمره - ٣]؛ ثم^٩ بين اسم الإشارة أو أخبر فقال: ١٠. ﴿عيسى ابن مريم﴾ أى^١ وحدها ليس لغيرها فيه بنوة أصلاً، وهى من أولاد آدم، فهو^٢ كذلك؛ ثم عظم هذا البيان تعظيماً آخر فقال: ﴿قول﴾ أى هو - أى نسبته إلى مريم فقط - قول ﴿الحق﴾ أى الذى يطابقه الواقع، أو يكون القول عيسى نفسه كما أطلق عليه في غير هذا الموضع "كلمة" من تسمية المسبب باسم السبب وهو على هذه ١٥

(١) من مد، وفي الأصل: في (٢) قد مر عليه التعليق فيما مضى (٣) زيد من مد. (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد في الأصل: الفعل، ولم تكن الزيادة في ظ ومد لحذفها (٦) سقط من ظ (٧) من مد، وفي الأصل: «و»، والعبارة من هنا بما فيها الواو ساقطة من ظ إلى «أخبر فقال» (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: نهى.

القراءة خبر بعد خبر أو بدل أو خبر مبتدأ محذوف^١، [و على قراءة عاصم
و ابن عامر بالنصب، هو اغراء، أى الزموا ذلك وهو نسبه إلى مريم
عليها السلام وحدها - ^٢] ثم عجب من ضلالهم فيه بقوله :
(الذى فيه يمترون^٣) أى يشكون [شكا - يتكلفونه و يجادلونه به - ^٢] مع
ه أن أمره فى غاية الوضوح ، ليس موضعاً للشك أصلاً ؛ ثم دل على
كونه حقاً فى كونه ابن مريم لا غيرها بقوله رداً على من ضل :
(ما كان^٤) أى ما صح ولا تأتى ولا تصور فى العقول ولا يصح
ولا يأتى^٥ لأنه من المحال لكونه يلزم منه الحاجة (لله) النفى
عن كل شيء (ان يتخذ) ولما كان المقام يقتضى النفى العام ، أكدته
١٠ ب "من" فقال : (من ولد لا) .

ولما كان اتخاذ الولد من النقائص ، أشار إلى ذلك بالتنزيه العام
بقوله : (سبحه^٦) أى تنزهه عن كل نقص من احتياج إلى ولد أو غيره
ثم علل ذلك بقوله : (إذا قضى أمراً^٧) أى أمر كان (فإنما يقول له كن)
أى يريد به و يعلق قدرته به (فيكون^٨) من غير حاجة إلى شيء أصلاً ،
(١) العبارة من «وهو على هذه» ص ١٩ س ١٠ إلى هنا ساقطة من ظ (٢) زيد من
مد (٣) زيد من مد ، وزيد فى ظ : و يجادلون - فقط (٤-٥) سقط ما بين الرقيين
من ظ (٥) العبارة من هنا إلى «منه الحاجة» ساقطة من ظ (٦) من مد ، وفى
الأصل : لا يأتى (٧) فى ظ «و» (٨) بهامش ظ : المراد بالأمر هنا العموم لأن
الانكسرة إذا وقعت فى سياق الشرط افادت ذلك فتنبه لهذا .

فكيف ينسب إلى الاحتياج إلى الأحبال و الإبلاد و التربة شيئا فشيئا
- كما أشار إليه الانتحاذ^١ .

و لما كان لسان الحال ناطقا عن عيسى عليه الصلاة و السلام بأن
يقول: و قد قضى الله فكنت كما أراد ، فأنا عبد الله و رسوله فاعتقدوا ذلك
و لا تعتقدوا سواه من الأباطيل ، عطف عليه^٢ في قراءة الحرمين^٣ و أبي ه
عمر قوله: ﴿ و ان الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿ ربى و ربكم ﴾ أى^٤
أحسن إلى كل منا^٥ بالخلق و الرزق ، لا فرق بيننا فى أصل ذلك
﴿ فاعبدوه ﴾ وحده لتفرده بالإحسان كما أعبد^٦ ، و قراءة الباقيين بالكسر
على [أنه -^٨] مقول عيسى عليه السلام الماضى ، و يكون اعتراض ما
تقدم من كلام الله بينهما للتأكيد و الاهتمام .
١٠

و لما كان اشتراك الخلائق فى عبادة الخالق بعمل القلب و الجوارح
علما و عملا أعدل الأشياء ، أشار إلى ذلك بقوله: ﴿ هذا ﴾ أى الذى
أمرتكم به ﴿ صراط مستقيم ﴾ لأننا بذلنا الحق لأهله بالاعتقاد^٩ الحق
() من مد ، و فى الأصل : الإيجاد ؛ و العبارة من « كما أشار » إلى هنا ساقطة
من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « أبى عمرو » ساقطة من ظ (٣) من مد و البحر
المحيط ٦ / ١٨٩ ، و فى الأصل : الحرمى (٤ - ٤) سقط ما بين الرقيين من ظ .
(٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٧) العبارة من هنا إلى
« و الاهتمام » ساقطة من ظ (٨) زيد من مد (٩) زيدت الواو فى الأصل و ظ ،
و لم تكن فى مد فحذفناها .

و العمل الصالح، ولم ينفض أحد منا فيه على صاحبه .

و لما كان المنهج تقويم حيث ^١ يكون سبباً للاجتماع عند كل

صحيح المزاج ، عجب منهم في استثمار غير ذلك منه فقال : (فاختلف)

أى قسبب عن هذا السبب للاجتماع أنه اختلف (الأحزاب)

الكثيرون ^٢ . و لما كان الاختلاف لم يعم جميع المسائل التى ^٣ في شرعهم

[قال - ^٤] : (من بينهم ج) أى بنى إسرائيل المخاطبين بذلك خاصة

لم تكن فيهم ^٥ فرقة من غيرهم في هذه المقالة القويمة التى لا تنبغى لمن له

أدنى مسكة أن يتوقف في قبولها ، فمنهم من علم أنها الحق فاتبعها و لم يجد

عن صوابها ، و منهم من أبعد في الضلال عنها بشبه لا شئ أوهى منها ؛

١٠ روى عن قتادة أنه اجتمع من أحبار بنى إسرائيل أربعة ^٦ : يعقوب

و نسطور و ملكا و إسرائيل ، فقال يعقوب : عيسى هو الله نزل ^٧ إلى

الأرض فكذبه الثلاثة و أتبعه اليعقوبية ، و قال نسطور عيسى ابن الله ،

فكذبه الاثنان و اتبعه النسطورية . و قال ملكا : عيسى أحد

(١) بهامش ظ : خبر « كان » إذ المعنى : كأننا بحيث (٢) بهامش ظ : إنما قال

الشيخ : الكثيرون ، مع أن الأحزاب جمع ، فلو نظر إلى المفرد إذ ' حزب '

يصدق على الجماعة الكثيرة و الجمع فيه ما في المفرد و زيادة - انتهى . و العبارة

من بعده إلى « في شرعهم » - نقطة من ظ (٣) من مد ، و في الأصل : الذى .

(٤) زيد من مد (هـ - ١٥) من مد ، و في لأصل و ظ : لم يكن فيه (٦) تقدم في

ظ على « من أحبار » (٧) من ظ و مد و البحر المحيط ، و في الأصل : نزل .

ثلاثة

ثلاثة^١ : الله إله ، و مريم إله ، و عيسى إله ، فكذبه الرابع و اتبعه طائفة ،
و قال إسرائيل : عيسى عبد الله كلبته ألقاها إلى مريم و روح منه . فاتبه
فريق من بني إسرائيل ، ثم اقتتل الأربعة فغلب المؤمنون و قتلوا^٢ و ظهرت
اليعقوبية على الجميع - ذكر معناه أبو حيان^٣ و ابن كثير و رواه عن عبد الرزاق
عن معمر عن قتادة . (فويل) أى قدسب عن اختلافهم أنا نقول : وويل^٤
(للذين كفروا) منهم و من غيرهم (من مشهد يوم عظيم) في
جمعه لجميع الخلائق ، و ما فيه من الأحوال و القوارع^٥ .

و لما كان ذلك المشهد عظيم الجمع ، شديد الزحام ، مستوى الأرض ،
بعيد الأرجاء ، كان حاله مقتضيا لثلا يطلعوا على غير ما يليهم من أهواله ،
فقال في جواب من يقول : و ما عسى أن يسمعوا أو يصرخوا فيه ، معلما^٦
بأن حالهم في شدة السمع و البصر جديرة^٧ بأن يعجب منها :
(اسمع بهم و ابصرا) أى ما أشد سمعهم و ما أنفذ بصرهم ! (يوم ياتوننا)
سامعين لكل أهواله ، مبصرين لساائر أهواله ، فيطلعون بذلك على جميع
ما أدى عمله^٨ في الدنيا إلى ضرهم في ذلك اليوم ، و جميع ما كان ينفعهم
لو عملوه ، فيندمون حيث لا ينفعهم الندم . و يتمنون المحال من الرجوع^٩
إلى الدنيا و نحوه ليتداركوا فلا يجابون إلى ذلك ، بل يسلك بهم في كل

(١) زيد في مد : يعنى (٢) 'يس في البحر (٣) راجع البحر ١٩٠/٦ (٤) من
مد ، و في الأصل : الجميع . وهذه الكلمة مع ما يتلوها ساقطة من ظ (٥) من
ظ و مد ، و في الأصل : القوارع (٦) من ، و في الأصل و ظ و « و » (٧) العبارة
من هنا إلى « يعجب منها » ساقطة من ظ (٨) من مد ، و في الأصل : كل جدير .
(٩) من ظ و مد ، و في الأصل : عبه .

ما يؤذيهم ويهلكهم ويرديهم ، فيكونون بسلك ذلك - وهم / يعلمون
ضرره^١ عيبا وبكيا وصما ، لأنهم لا ينتفعون بمداركهم كما كانوا في
الدنيا كذلك ، لكنهم - هكذا كان الأصل ، وإنما^٢ أظهر فقال :
(لكن الظالمون) تنبيها على الوصف الذي أحلهم ذلك المحل
هـ (اليوم في ضلل مبين هـ) [لا - ٢] يسمعون ولا يبصرون .

ولما كان هذا [الذي - ٢] تقدم إنذارا بذلك المشهد ، كان
التقدير : * أنذر قومك^٣ ذلك المشهد وما يسمعون فيه ويبصرونه
(وانذرهم يوم الحسرة) نفسه في ذلك المشهد العظيم ، يوم تزل القدم ،
ولا ينفع الندم ،^٤ للشيء على إساءته ، وللحسن على عدم ازدياده
١٠ من الإحسان^٥ .

[ولما كان " يوم " مفعولا ، لا ظرفا ، أبدل منه ، أو علل الإنذار
فقال - ٢] : (اذ) أى حين ، أولآنه [وعبر عن المستقبل بالماضى ،
إذنا بأنه أمر حتم لا بد منه فقال - ٢] : (قضى الامر) أى أمره
وفرغ منه بأيسر شأن وأهون أمر . وقطعنا^٦ أنه لا بد من كونه (وهم)
١٥ حال من " انذرهم " أى و الحال أنهم [الآن - ٢] (فى غفلة) عما
قضيتا [أن يكون فى ذلك الوقت - ٢] من أمره ، لا شعور لهم بشيء منه ،

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : ضررهم (٢) فى مد : لكننه (٣) زيد من
مد (٤) زيد من ظ و مد (هـ-هـ) من ظ و مد ، وفى الأصل : انذرهم للشيء على
إساءته والحسن على ازدياده من الاحسان فى - كذا ، وسيأتى بفرق يسير .
(٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : قطعناه .
(٨) من مد ، وفى الأصل و ظ : انذارهم .

بل يظنون أن الدهر هكذا حياة و موت بلا آخر^١ (وهم لا يؤمنون^٢)
 بأنه لا بد من كونه ؛ [وفي -^٣] الصحيح ما يدل على أن يوم الحسرة
 حين يذبح الموت فقد روى مسلم^٤ عن أبي سعيد رضى الله عنه قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش
 أملح فيقال : يا أهل الجنة ! هل تعرفون هذا ؛ فيسربون^٥ و ينظرون^٥
 ويقولون : نعم ! هذا الموت ، و يقال : يا أهل النار ! هل تعرفون هذا ؟
 فيسربون^٦ و ينظرون و يقولون : نعم ! هذا الموت ، فيؤمر به فيذبح ،
 ثم يقال : يا أهل الجنة اخلود فلا موت ، و يا أهل النار اخلود فلا موت ،
 ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم - وفي رواية : فذلك قوله^٧
 ” و انذرهم يوم الحسرة^٨ اذ قضى الامر^٩ “ الآية . و أما الغفلة ففي^{١٠}
 الدنيا . روى ابن حبان في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم ” اذ قضى
 الامر و هم في غفلة “ قال : في الدنيا . قال المنذرى : و هو في مسلم بمعناه
 في آخر حديث^{١١} .

و لما كان الإرث^{١٢} هو حوز الشيء بعد موت أهله ، و كان سبحانه

-
- (١) من ظ و مد ، وفي الأصل : آخرة (٢) زيد من ظ و مد (٣) باب جهنم -
 أعاذنا الله منها ، كتاب الجنة و صفة نعيمها و أهلها (٤) في مد : فيسربون .
 (٥) من ظ و مد و صحيح مسلم حديث عثمان بن أبي شيبة ، وفي الأصل : قولهم .
 (٦-٦) سقط ما بين الرقنين من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : في .
 (٨) راجع حديث أبي بكر بن أبي شيبة باب جهنم - أعاذنا الله منها (٩) من ظ
 و مد ، وفي الأصل : الحوز .

قد قضى بموت الخلائق أجمعين ، وأنه يبقى وحده ، عبر عن ذلك بالإرث
مقررا به مضمون الكلام السابق ، فقال مؤكدا تكذيبا لقولهم : إن
الدهر لا يزال هكذا ، حياة لقوم^١ و موت لآخرين^٢ ﴿ انا نحن ﴾ بعظمتنا
التي قصت ذلك و لابد ، وأفاد [الاصبهانى أن -^٣] تأكيد اسم^٤ ، إن ،
○ [أفاد -^٥] أن الإسناد إليه سبحانه لا إلى أحد من جنده ﴿ نزلت الارض ﴾
فلا ندع بها عامرا^٦ من عاقل ولا غيره . ولما كان العاقل أقوى من
غيره ، صرح به بعد دخوله فقال^٧ : ﴿ ومن عليها ﴾^٨ أى من العقلاء^٩ ،
بأن نسلبهم جميع ما فى أيديهم ﴿ والينا ﴾ لا إلى غيرنا من الدنيا^{١٠}
و جابرتها^{١١} [إلى غير ذلك -^{١٢}] ﴿ يرجعون ﴾^{١٣} معنى^{١٤} فى الدنيا [وحسا -^{١٥}]
١٠. بعد الموت .

ولما ذم الضالين فى أمر المسيح ، وعلق تهديدهم بوصف دخل
فيه مشركو العرب ، فأنذرهم بصريح تكذيبهم بالبعث ، وغيرهم بأنهم
لسوء أعمالهم كالمكذبين به ، وختم ذلك بأنه الوارث و أن الرجوع
إليه ، ودخل فى ذلك الإرث بغلبة أنبيائه و أتباعهم على أكثر أهل
الارض

(١) من مد ، وفى الأصل : لنا (٢) من مد ، فى الأصل : لآخرى ؛ والعبارة من
« مؤكدا تكذيبا » إلى هنا ساقطة من ظ (٣) العبارة من هنا إلى « من جنده »
ساقطة من ظ (٤) زيد من مد (٥ - ٥) سقط ما بين الرقبتين من ظ (٦) فى
الأصل : أهل الدنيا ، والتصحيح من ظ و مد (٧) من مد ، وفى الأصل :
من ؛ والعبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ مع الكلمتين التاليتين .
(٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : بسوء .

الأرض يرجوع أهل الأديان 'الباطلة إليهم' حتى يعم ذلك جميع أهل
 الأرض في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام^٢، وكان إبراهيم عليه السلام
 لكثرة / أولاده من العرب و الروم و أهل الكتائب وارثا لاكثر^٣ / ٤١٩
 الأرض، و كان مثل زكريا في هبة الولد على كبر سنه و عقم زوجته،
 أتبع ذلك قوله: { و اذكر }^٤ أى يا محمد^٥ { فى الكتب }^٦ أى الذى ه
 أنزل عليك [و -^٦] تبلغه للناس و تعلمهم أن [هذه -^٦] القصة من
 القرآن { إبراهيم } أعظم آبائكم الذى نهى أباه عن الشرك يا من
 يكفرون تقليدا للأباء^٨ ثم علل تشريفه بذكره [له على سبيل التأكيد
 المعنوى بالاعتراض بين البدل و المبدل منه، و اللفظى بـ "إن" بقوله
 منها على أن مخالفتهم له بالشرك و الاستقسام بالألزام و نحو ذلك ١٠
 تكذيب بأوصافه الحسنة -^٧]: { انه كان } [أى جيلة و طبعا -^٦]
 { صديقا } أى بليغ الصدق^٩ فى نفسه فى أقواله و أفعاله^٩، و التصديق
 بكل ما يأتيه [بما -^٨] هو أهل لأن يصدق [لأنه -^٦] مجبول^٩ على ذلك
 [و لا يكون كذلك إلا و هو عامل به حق العمل فهو أبلغ من المخلص -^٨]

(١-١) من مد، و فى الأصل: الى ادناهم - كذا (٢) العبارة من «وأن الرجوع»
 الى هنا ساقطة من ظ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لأهل أكثر.
 (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) العبارة من هنا الى «من القرآن» ساقطة
 من ظ (٦) زيد من مد (٧) زيد من مد، و زيد فى ظ: له بقوله - فقط .
 (٨) زيد من ظ و مد (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: مجبولا .

(نبياء) [أى يخبره الله بالأخبار العظيمة جدا التى يرتفع بها فى الدارين - ١] وهو أعظم الأنبياء بعد محمد - على جميعهم أفضل الصلاة والسلام [كما رواه الحافظ أبو البزار بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه ٢ وأكده وكذا أكد فيما بعده - ٣] من الأنبياء عليهم السلام وإن كانوا مقرين بنبواتهم تنزيلا لهم منزلة المنكر . لجرهم فى إنكارهم نبوة البشر على غير مقتضى عليهم .

ولما تكفل ما تقدم من هذه السورة بنفى الشريك بقيد كونه ولدا ، أتبع ذلك من قصته ما ينبنى الشريك ليقضى به أولاده فى ذلك إذ كانوا يقلدون الآباء وليس فى آبائهم مثله ، فقال مبدلا " من " إبراهيم " ١ . (إذا قال) ٢ أى اذكر وقت قوله (لايه) هاديا له من تيه الضلال ٢ عبادة الأصنام مستعظما له فى كل جملة بقوله : (يأت) .

ولما كان العاقل لا يفعل فعلا إلا لثمرة ، نهه على عقم فعله ٢ بقوله : (لم تعبد) ٣ مریدا بالاستفهام المجاملة ، واللفظ والرفق واللين والادب ١٥ الجليل فى نصحه له كاشفا الأمر غاية الكشف بقوله : (ما لا يسمع ولا يبصر) أى ليس عنده قابلية لشيء من هذين الوصفين ليرى ما أنت فيه من خدمته أو يحسبك إذا ناديته حالا أو مآلا . ٢ ولما كان الأعمى الأصم ٢

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣ - ٣) سقط ما بين الرقین من ظ . (٤ - ٤) تقدم ما بين الرقین فى الأصل على " نبياء " والترتيب من مد ، وسقط من ظ (٥) سقط من ظ (٦) من مد ، وفى الأصل وظ : لنموه (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : فعله (٨) من مد ، وفى الأصل وظ : اذ .

أقد ينفع بكلام أو غيره ، قال^١ : ﴿ ولا يفتي عنك شيئاً ﴾^٢ من الإغناء .
ولما نبهه على أن ما يعبد لا يستحق العبادة ، بل لا تجوز عبادته ،
لنقصه مطلقاً ثم نقصه عن عابده ، ولن يكون المعبود دون العابد أصلاً ،
وكان أقل ما يصل إليه بذلك مقام الحيرة . نبهه على أنه أهل للهداية ،
فقال مكرراً لوصفه المذكور بالعطف و الود : ﴿ يأتيت ﴾^٣ و أكد^٤
علماً منه أنه ينكر أن يكون ابنه أعرف^٥ منه بشيء فقال :
﴿ انى قد جاءنى ﴾ من المعبود الحق ﴿ من العلم ما لم ياتك ﴾^٦ منه
﴿ فاتبعنى ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنى أقول لك وجوباً على النهى عن المنكر
ونصيحة لما لك على من الحق :^٧ اجتهد فى تبعى^٨ ﴿ اهدك صراطاً سوياء ﴾^٩
لا عرج فيه ،^{١٠} كما أنى لو كنت معك فى طريق محسوس وأخبرتكَ أن ١٠
أماناً مهالك^{١١} لا ينجو منها أحد ، وأمرتكَ أن تسلك مكاناً غير ذلك ،
لأطعتنى ، ولو عصيتنى فيه عدك كل أحد غاويًا .

ولما بين أنه لا نفع فيما يعبد . ونبهه^{١٢} على الوصف المقتضى
لوجوب الاقتداء به . بين له ما فى عبادة معبوده من الضر
فقال : ﴿ يأتيت لا تعبد الشيطان ﴾^{١٣} فان الأصنام ليس لها ١٥
دعوة أصلاً ، والله تعالى قد حرم عبادة غيره مطلقاً على لسان كل

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد فى مد : أى (٣) العبارة من هنا إلى
«بشئ» فقال «ساقطة من ظ (٤) من ظ و مد . وفى الأصل : عرف (٥-٥) فى ظ :
اتبعتنى (٦) العبارة من هنا إلى «أحد غاويًا» ساقطة من ظ (٧) فى مد : مهلكاً .
(٨) من ظ و مد . وفى الأصل : به .

ولى له ، فتمين أن يكون الأمر بذلك الشيطان ، فكان هو المعبود
بعبادتها فى الحقيقة ؛ ثم علل هذا النهى فقال : ﴿ ان الشيطان ﴾ البعيد
من كل خير [المحترق باللعة - ^١] ، و ذكر الوصف الموجب / للاملاء .
للعاصى فقال : ^٢ ﴿ كإن للرحمن ﴾ المنعم بجميع النعم القادر على سلبها ،
هـ ^٣ ولم يقل : للجبار - ثلثا يتوهم أنه ما أملى لعاصيه مع جبروته إلا للجزء
عنه ^٤ ﴿ عصياء ﴾ بالقوة من حين خلق ، وبالفعل من حين ^٥ أمره
بالسجود لأليك آدم فأبى فهو عدو لله وله ، و المطيع للعاصى لشيء
عاص لذلك الشيء ، لأن صديق العدو عدو .

/ ٤٢٠

فلما بين له أنه بذلك عاص للنعم ، خوفه من إزالته لنعمته فقال :
١٠ ﴿ يأتى أنى أخاف ﴾ لمحبتى لك و غيرتى عليك ﴿ ان يمسك عذاب ﴾
[أى عذاب كائن ^١ ﴾ (من الرحمن) ^٢ أى الذى هو ولى كل من
يتولاه ^٣ لعصيانك إياه ﴿ فتكون ﴾ أى فتسبب عن ذلك أن تكون
﴿ للشيطان ﴾ وحده [وهو عدوك المعروف العداوة - ^٤] ﴿ ولياه ﴾
فلا يكون لك نصرة أصلا ، مع ما يوصف به من السخافة باتباع
هـ العدو الدنى ، و اجتناب الولى العلى ^٥ .

فلما وصل إلى هذا الحد من البيان ، كان كأنه قيل : ما ذا كان
جوابه ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ مقابلا لذلك الأدب العظيم و الحكمة البالغة

(١) زيد من مد (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ (٣) من مد ، و فى
الأصل و ظ : حيث (٤-٤) تأخر ما بين الرقین فى الأصل عن «وحده» و سقط
من ظ .

الناشئة عن لطافة العلم بغاية الفظاظة الباعث عليها كثافة الجهل ، منكرا عليه في جميع ما قال بانكار ما بعثه عليه من تحقير آلهته : ﴿ اراغب ﴾ قدم 'الخبر لشدة عنايته و التعجب من تلك الرغبة و الإنكار لها ، إشارة إلى أنه لا يفعلها أحد ؛ ثم صرح له ' بالمواجهة بالغلظة فقال : ﴿ انت ﴾ و قال : ﴿ عن آلهتي ﴾ باضافتها إلى نفسه فقط ، إشارة إلى مبالغته في ه تعظيمها ؛ و الرغبة عن الشيء : تركه عمدا . ثم ناداه باسمه لا بلفظ النبوة المذكر بالشفقة و العطف زيادة في الإشارة إلى المقاطعة و توابعها فقال : ﴿ يا إبراهيم ﴾ ثم استأنف قوله مقسما : ﴿ لئن لم تنته ﴾ عما أنت عليه ﴿ لارجمك ﴾ أى لاقتلك ، فان ذلك جزاء المخالفة في الدين ، فاحذرنى و لا تعرض لذلك منى ^٢ و اته ^٣ ﴿ و اهجرنى ﴾ أى ابعد عني ﴿ مليا ﴾ ١٠ أى زمانا طويلا [لأجل ما صدر منك هذا الكلام - ^٤] ، و فى ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه و سلم و تأنية فيما كان يلقي من الأذى . و يقاسى من قومه من العناء ، ^٥ و من عمه أبى لهب من الشدائد و البلايا - بأعظم آبائه و أقربهم به شيئا ﴿ قال ﴾ [أى - ^٤] إبراهيم عليه السلام مقابلا لما كان منه من طيش الجهل بما يحق لمثله من رزاة ١٥ العلم : ﴿ سلم عليك ج ﴾ أى أنت - سلم منى ما لم أوامر فيك بشيء ؛ ثم استأنف قوله : ﴿ ساستغفر ﴾ ^٦ بوعد لا خلف فيه ^٧ ﴿ لك ربى ﴾ [أى - ^٤]

(١) فى مد : فقدم ؛ و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ إلى ولا يفعلها أحد (٢) من مد . وفى الأصل وظ : به (٣-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) زيد من مد (٥) من مد ، وفى الأصل وظ : لا .

المحسن إلى بأن أطلب لك منه غفران ذنوبك بأن يوفقك للإسلام
الجاب لما قبله ، لأن هذا كان قبل أن يعلم أنه عدو لله محتوم^١ بشقاوته
بدليل عدم جزمه بعذابه في قوله "انى اخاف أن يمسك" .

ثم علل إقدامه على ذلك إشارة إلى أنه مقام خطر بما له من
الإذلال لما له من مزيد القرب فقال : ﴿انه كان نى﴾ أى [فى-^٢] جميع
أحوالى ﴿حفاه﴾ [أى-^٣] مبالغاً فى إكرامى مرة بعد مرة وكرة^٤
إثر كرة ، ثم عطف على وعده بالإحسان وعده بما سأل فيه من الهجرة
فقال : ﴿ واعتزلكم ﴾ [أى-^٢] جميعاً بترك بلادكم^٥ ، وأشار إلى أن
من شرط المعبود أن يكون أهلاً^٦ للناداة فى الشدائد^٧ بقوله :
﴿ وما تدعون ﴾ أى تعبدون ﴿ من دون الله ﴾ الذى له / الكمال كله ،

٤٢١ / ١٠
فمن أقبل عليه وحده أصاب ، ومن أقبل على غيره فقد خاب^٨ ولم
يقيد الاعتزال بزمن ، بل أشار إلى أنهم ما داموا على هذا الدين فهو
معتزل لهم ﴿ وادعوا ﴾ أى أعبد ﴿ ربى ﴾ وحده لاستحقاقه ذلك منى
بتفرده بالإحسان إلى ، ثم دعا لنفسه بما نبههم به على خيبة مسعاهم
١٥ فقال [غير-^٣] جازم بأجابة دعوته وقبول عبادته لإجلال لربه وهضما
لنفسه^٩ : ﴿ عسى ألا اكون ﴾ أى كونا ثابتاً كأنه احترز بذلك^{١٠}

(١) فى ظ : محتوم (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من مد (٤) من ظ و مد ،
وفى الأصل : مبالغاً (٥) زيد فى مد : فى (٦) العبارة من هنا إلى «الشدائد بقوله»
ساقطة من ظ (٧-٧) من مد ، وفى الأصل : لنا واكد فى الشديد - كذا .
(٨-٨) سقط ما بين الرقنين من ظ .

اعمالاً لا بد للأولياء منه في الدنيا من البلاء^١ (بدعاء ربى) المتفرد بالإحسان
إلى^٢ (شقياء) كما كنتم أنتم أشقياء بعبادة ما عبدتموه، لأنه لا يجب
دعائكم ولا ينفعكم^٣ ولا يضركم^٤.

ولما رأى من أبيه ومعاشريه ما رأى، عزم على نشر شقة النوى
مختاراً للقرية في البلاد على غربة الأضداد، فكان كما قال [الإمام - ٥] هـ
أبو سليمان الخطابي رحمه الله :

وما غربة^١ الإنسان في شقة النوى ولكنها والله في عدم الشكل
وإني غريب بين بست [و- ٢] أهلها وإن كان فيها أسرتى وبها أهلى^٢
'و بحق ما عزم عليه' ثم بين سبحانه وتعالى تحقيق رجائه وإجابة
دعائه فقال : (فلما اعتزلهم) أى بالهجرة إلى الأرض المقدسة ١٠
(وما يعبدون) 'أى على الاستمرار' (من دون الله) الجامع لجميع
معانى العظمة التى لا ينبغي العبادة لغيره (وهبنا) 'أى على ما لنا من
العظمة' (لهُ) كما هو الشأن فى كل من [ترك - ٤] شيئاً لله (اسحق)
ولدا له لصلبه من زوجته العاقر العقيم بعد تجاوزها سن اليأس وأخذه
هو فى السن إلى حد لا يولد مثله (ويعقوب^١) ولدا لإسحاق وخصهما ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) من مد، وفى الأصل: بل (٣) العبارة
من «لأنه لا يجب» إلى هنا ساقطة من ظ (٤) زيد من ظ ومد (٥) من ظ
ومد ويقيمة الدهر ٢٣١/٤، واسمه أحمد بن محمد بن إبراهيم البستي، وفى الأصل :
أبو موسى (٦) فى اليتيمة : عمه (٧) زيدت الواو من ظ ومد واليتيمة (٨) من
ظ ومد واليتيمة، وفى الأصل : اهل .

بالذكر للزومها محل إقامته وقيامها بعد موته بخلافته فيه و أما إسماعيل عليه السلام فكان الله سبحانه هو المتولى لتربيته بعد نقله رضيعا إلى المسجد الحرام وإحيائه به تلك المشاعر العظام [فأخروه بالذكر جاعلا له أصلا برأسه - ١] ؛ ثم صرح [بما وهب - ٢] لأولاده جزاء على هجرته فقال:

٥ ﴿ وكلا ﴾ أى منهما ﴿ جعلنا نيا ﴾ على المقدار ، ونخب بالأخبار كما جعلنا إبراهيم عليه السلام نيا ﴿ و وهبنا لهم ﴾ كلهم ﴿ من رحمتنا ﴾

٢ أى شيئا عظيما جدا ، بالبركة فى الأموال والأولاد وإجابة الدعاء ، واللطف فى القضاء ، وغير ذلك من خيرى الدنيا والآخرة ﴿ و جعلنا لهم ﴾

٣ بما لنا من العظمة ﴿ لسان صدق عليا ﴾ ، أى ذكرنا صادقا رفيع

١٠ القدر جدا ، يحمدون به ويثنى عليهم من جميع [أهل - ٢] الملل على كراة الأعصار ، و مر الليل والنهار ، و عبر باللسان عما يوجد به ، وفى ذلك ترغيب فى الهجرة ثانيا بعد ما رغب فيها بقصة أهل الكهف أولا ، وأشار إليها بقوله فى ” سبئحن “ ” و قل رب ادخلنى مدخل صدق “ - الآية ٦ .

١٥ ولما كان موسى أول من نوه الله بأسمائهم ، على لسانه فى التوراة ، وأظهر محامدهم . و شهر مناقبهم ، و توارث ذلك أنباؤهم منه حتى شاع أمرهم وذاع ، وملا الأسماع ، و طار فى الأقطار ، حتى عم البرارى والبحار ، عقب ذكرهم بذكره فقال : ﴿ و اذكر فى الكتب ﴾

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقنين من ظ .
(٤) زيد فى ظ : أى لسانا (٥) سقط من ظ (٦) ٨٠ .

أى الذى لا كتاب مثله فى الكمال^١ (موسى^٢) أى الذى أنقذ الله به بنى
إسرائيل من العبودية و الذل حتى تمكنوا من آثار^٣ آبائهم ، وكان
موافقا لأبيه إبراهيم عليهم السلام فى أن كلا منهما أراد ملك زمانه
الذى ادعى الربوبية قتله خوفا على / ملكه منه ، فأنجاه الله منه ، وأمر موسى
عجبه لأنه سبحانه أنجاه من الذبح بالذباح ، ثم علل ذكره له بقوله : هـ
(انه كان) أى كونا عريقا فيه^٤ (مخلصا) [لله تعالى -^٥] فى توحيده
وجميع أعماله [- كما أشارت إليه قراءة الجمهور - من غير كلفة فى شئ ،
فى ذلك -^٥] لأن الله أخلصه له^٦ كما فى^٦ قراءة الكوفيين بالفتح
(و كان رسولا) إلى بنى إسرائيل و القبط (نبيا) ينبئه الله بما يريد
من وحيه لينبئ به المرسل إليهم ، فيرفع بذلك قدره ، فصار الإخبار ١٠
بالنبوة عنه مرتين : إحداها فى ضمن "رسولا" و الأخرى صريحا مع
إفهام العلو باشتقاقه من النبوة ، و يكون النبأ لا يطلق غالبا إلا على خبر
عظيم ، فصار المراد : رسولا عاليا مقداره و يخبر بالآخبار الجليلة ، و فيه
دفع لما قد يتوهم من أنه رسول عن بعض رسله كما فى أصحاب يس^١ ؛
و عطف على ذلك دليله الدال على ما صدرت به السورة من الرحمة ، ١٥
فرحمه بتأنيس وحشته و تأهيل غربته بتلذيذه بالخطاب و إعطائه الكتاب
١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : اظهار .
(٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد من مد (٦-٦) من مد ، و فى
الأصل : لأن ، والعبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - ساقطة من ظ إلى
« الكوفيين بالفتح » .

فقال: ﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿(من جانب الطور)﴾ أى الجانب ﴿(الايمن)﴾ فأنبأناه هنالك - حين كان متوجها إلى مصر - بأنه رسولنا، ثم واعدناه إليه بعد إغراق آل فرعون، فكان لبني إسرائيل به من العجائب فى رحمتهم بانزال الكتاب، والإلذاذ بالخطاب، من جوف السحاب. و فى إمامتهم لما طلبوا الرؤية، ثم إحيائهم وغير ذلك ما يحل عن الوصف على ما هو مذكور فى التوراة، و تقدم كثير منه فى هذا الكتاب ﴿(وقربنه)﴾ بما لنا من العظمة^١ تقرب تشريف^٢ حال كونه^٣ ﴿(نجياه)﴾ نخبه من أمرنا بلا واسطة [من النجوى وهى السر والكلام بين الاثنين كالسر، والتشاو كما فى يوسف و يأتى فى المجادلة-^٤] ﴿(وهبنا له)﴾ أى هبة تليق بعظمتنا^٥ ﴿(من رحمتنا)﴾ له لما سألنا^٦ ﴿(إخاه)﴾ أى معاودة أخيه^٧ وبينه بقوله^٨: ﴿(هرون)﴾ حال كونه ﴿(نبياه)﴾^٩ أو هو بدل أى نبوته^{١٠} شددنا به أزره، وقوينا به أمره، وكان يخلفه فى قومه عند ذهابه إلى ساحة المناجاة، و مع ذلك فأشركوا فى صورة عجل، فلا تعجب من غرورهم للعرب - مع مباشرتهم

١٥ لهذه العظام .

ولما كان إسماعيل عليه الصلاة والسلام هو الذى ساعد أباه

(١) زيد من ظ: جبل الطور (٢-٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) زيد من مد (٤-٥) تأخر ما بين الرقين فى الأصل عن «رحمتنا» والترتيب من مد، وكان موضعه فى الأصل: بما لنا من العظمة، ولم يكن فى ظ و مد حذفناه (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: سألناه .

إبراهيم عليه السلام في بناء البيت الذي كان من الأفعال التي أتى الله بها ذكره، و شهر أمره، و كان موافقا لموسى عليه السلام في ظهور آية الماء الذي به حياة كل شيء. و إن كانت آية موسى عليه السلام انقضت بانقضائه، وآيته هو باقية إلى أن يرث الله الأرض و من عليها، و هي التي كانت سبب حياته و ماؤها^١ بركته أفضل مياه الأرض، و جعل هـ سبحانه آية الماء التي أظهرها له سبب حفظه من الجن و الإنس و الوحش و سائر المفسدين، إشارة إلى أنه سبحانه يحيي بولده محمد صلى الله عليه وسلم - الذي غذاه بذلك الماء و رباه عند ذلك البيت إلى أن اصطفاه برسائه، فحسدته اليهود و أمرت بالتعنن عليه - ما لم يحيي بغيره، و يجعله قطب الوجود [كما خصه -^٢ من بين آل إبراهيم عليه السلام^٣ = بالبيت ١٠ الذي هو كذلك قطب الوجود^٤]، و يشق به من داء الجهل، و يقنى به من مرير الفقر، كما جعل ماء زمزم طعام طعم و شفاء سقم، و كان صلى الله عليه وسلم آخر من شيد قدروهم، و أعظم من أعلى ذكرهم، عقب ذكره بذلك فقال: ﴿ و اذكر في الكتب ﴾ أباك الأقرب ﴿ اسمعيل ﴾ ابن إبراهيم عليهما السلام^٥ الذي هم معترفون بنبوته، و مفتخرون ١٥ برسائه و أبوته، فلزم بذلك فساد تعليلهم إنكار نبوتك بأنك من البشر^٦، ثم علل ذكره و التويه^٧ بقدره / بقوله معلما بصعوبة^٨ الوفاء بالتأكيد:

٤٣٣ /

- (١) من ظ و مد، و في الأصل: ما هو (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ .
 (٢) زيد ما بين الحاذرين من مد و ظ (٤) في ظ: التنزيه (هـ) من مد، و في الأصل و ظ: بمضمونه - كذا .

(انه كان) 'جبله و طبعاً' (صادق الوعد) 'في حق الله و غيره' لمعونة الله له على ذلك ، بسبب أنه لا يعد وعداً إلا مقروناً بالاستثناء كما قال لآييه حين أخبرهم بأمر ذبحه "ستجدني ان شاء الله من الصبرين" [فكن أبي كذلك - ٢] "و لا نقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله" ، 'و خصه بالمدح به - و إن كان الانبياء كلهم كذلك - لقصة الذبح فلا يلزم منه تفضيله' (وكان رسولا نبياً) نبأه الله بأخباره ، و أرسله إلى قومه جرهم^٢ قاله الأصهباني . و أتى أهل تلك البرارى بدين أبيه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام فأحيها الله^٣ بنور الإيمان الناشئ عن روح العلم و وصفه بالرسالة^٤ زيادة على وصف أخيه إسحاق عليهما السلام^٥ و تقدم في^٦ أمر موسى عليه السلام سر الجمع بين الوصفين ؛ و في صحيح مسلم^٧ و جامع الترمذي^٨ - عن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه أن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل عليه السلام . و في رواية الترمذي أن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل . (وكان يامر أهله بالصلوة) التي هي طهارة البدن و قرّة العين و خير العون على جميع المآرب

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) موضعه في الأصل بياص ملائها من ظ ومد ، وإرساله إلى جرهم قد ذكره البغوي أيضاً في المعالم - راجع هامش الباب ٤ / ٢٠٢ (٤) زيد في الأصل و ظ : به ، ولم تكن الزيادة في مد لحذفناها (٥) من مد ، و في الأصل و ظ : بالرتاسة (٦) العبارة من هنا إلى « الوصفين » ساقطة من ظ (٧) من مد ، و في الأصل : من (٨) العبارة من هنا إلى « رواية الترمذي » ساقطة من ظ (٩) راجع باب ما جاء في فضل النبي صلى الله عليه و سلم - المناقب راجع باب فضل نسب النبي صلى الله عليه و سلم - الفضائل .

(والزكاة ص) أتى هي طهرة المال ، كما أوصى الله بذلك جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، و تقدم في هذه السورة أنه سبحانه و تعالى أوصى بذلك عيسى عليه السلام ﴿ وكان عند ربه ﴾ 'عبادته على حسب ما أقامته ربوبيته' (مرضيا) فاقتد أنت به فانه من أجل آبائك ، لتجمع بين طهارة القول و البدن و المال ، و قتال رتبة الرضا .

و لما كان إسماعيل عليه السلام قد رفع بالسكنى حيا إلى أعلى مكان في الأرض رتبة ، و كان أول نبي رعى بالسهم ، و كان لإدريس عليه السلام - 'مع رفعة إلى المكان العلى' - أول من اتخذ السلاح و قاتل الكفار ، و أول من نظر في علم النجوم 'و الحساب' ، و خط بالقلم ، و خاط الثياب 'و لبس' [الجبة - ٢] . و كان أغربهم قصة ، و أعجبهم ١٠ أمرا ، و أقدمهم زمنا ، ختم به هذه القصص [تأيدا لهذا النبي الكريم ، بما بين له من القصص - ٣] التي هي أغرب مما أمر اليهود بالتعنت فيه ، و إشارة إلى أن الله تعالى يؤتي أتباعه من علوم إدريس الأرضية و السماوية ، مما يستحق أن يحفظ بالخط و يودع بطون الكتب لضيق الصدور عن حفظه ما لم يؤته أمة من الأمم ، و أنه يجمع شملهم ، و ترهيبا ١٥ للتعنتين بأنهم إن لم ينتهوا وضع فيهم السلاح كما فعل إدريس عليه السلام بكفار زمانه فقال : ﴿ و اذكر في الكتب ﴾ [أى - ٥] الجامع

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد من مد ؛ و هذه المزاي قد ذكرها البغوى أيضا - راجع هامش اللباب ٤ / ٢٠٢ (٣) زيد من ظ (٤) من مد ، و في الأصل و ظ : السجواتية (٥) زيد من مد (٦) العبارة من هنا إلى « المتأخرين » ص ٢١٦ س . سقطت من ظ .

لكل ما يحتاج إليه من قصص المتقدمين والمتأخرين (ادريس د)
 أى الذى هو أبعد عن تغت بهم اليهود زماناً ، وأخفى منهم شأنًا ،
 وهو جد أبى نوح عليه السلام واسمه حنوخ بمهمله^١ و نون و آخره
 معجمة (إنه كان صديقاً) أى صادقاً فى أقواله و أفعاله ، و مصداقاً بما
 ٥ أتاه عن الله من آياته على السنة الملائكة (نيلاق) ينبه الله تعالى بما
 يوحىه [إليه - ٢] من الأمر العظيم ، رفعة لقدره^٢ ، فينبئ به الناس الذين
 أرسل إليهم (و رفعتهم) جزاء منا له على تقواه و إحسانه ،^٣ رفعة
 تليق بعظمتنا ، فأحللناه^٤ (مكاناً علياً) أى الجنة أو السماء الرابعة ،
 و هى التى رآه النبي صلى الله عليه وسلم بها ليلة الإسراء ؛ قال ابن قتية
 ١٠ / ٤٢٤ فى المعارف^٥ : و فى التوراة أن / أخنوخ^٦ أحسن قدام الله فرفعه^٧ إليه -
 انتهى . و فى نسخة ترجمة التوراة^٨ و هى قديمة جداً^٩ و قابلتها مع بعض
 فضلاء الربانيين من اليهود و على ترجمة سعيد الفيومى^{١٠} بالمعنى - [و كان
 هو القارئ - ٩] ما نصه : وكانت جميع حياة حنوخ ثلاثمائة و خمسا
 و ستين سنة^{١١} ، فأرضى حنوخ الله ففقد لأن الله غيبه ، و فى نسخة
 (١) و أغلب ، ما ضبطه النسابون بالمعجمة المسبوقة بألف (٢) زيد من ظ و مد .
 (٣-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) ص ٨ (٥) من المعارف ، و فى الأصول :
 حنوخ - كما اختاره البقاعى (٦) زيد فى الأصل و مد : الله ، و لم تكن الزيادة
 فى ظ و المعارف لحذفها (٧) و راجع تفاصيل نسخ التوراة نظم الدرر ١/ ٢٧٧
 - ٢٧٩ (٨) و هى عندهم أحسن التراجم - كما صرح به المؤلف (٩) زيد من
 مد (١٠) راجع الأصحاح الخامس من سفر التكوين .

أخرى: لأن الله قبله، وفي أخرى^١: لأن الله أخذه. وهو قريب عما قال ابن قتيبة، لأن أصل الكلام عبراني، وإنما نقله إلى العربي المترجمون، فكل ترجم على قدر فهمه من ذلك اللسان، ويؤيد أن المراد الجنة [ما-^٢] في مجمع الزوائد^٣ للحافظ نور الدين الهيثمي عن معجم الطبراني - الأوسط والأصغر إن لم يكن موضوعا: حدثنا محمد بن واسط ثنا هـ إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي ثنا حجاج بن محمد عن أبي غسان محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم عن عبيد الله بن أبي رافع عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن إدريس عليه السلام كان صديقا لملك الموت فسأله أن يريه الجنة والنار، فصعد بادريس فأراه النار فزرع منها، وكاد يغشي عليه فالتف عليه ملك ١٠ الموت بجناحه، فقال ملك الموت: أليس قد رأيتهما؟ قال: بلى! ولم أر كالיום قط، ثم انطلق به حتى أراه الجنة فدخلها فقال له ملك الموت: انطلق! قد رأيتهما، قال: إلى أين؟ قال [ملك الموت -^٤]: حيث كنت، قال إدريس: لا والله إلا أخرج منها بعد إذ دخلتها، فقيل لملك الموت: أليس أنت أدخلته [إياها -^٥] وأنه ليس لأحد دخلها أن ١٥ يخرج منها.

وقال: لا يروى عن أم سلمة إلا بهذا الإسناد، وقال الحافظ نور الدين: إبراهيم المصيصي متروك.

(١) وهي نسختنا (٤) زيد من ظ و مد (٣) ٨ / ١٩٩ - ٢٠٠ (٤) زيد من ظ و مد و الجمع (٥) زيد من الجمع.

قلت و في لسان الميزان^١ لتليذه شيخنا حافظ العصر ابن حجر عن
الذهبي أنه كذاب ، وعن ابن حبان أنه كان يسوى الحديث ، أى يدلّس
تدليس التسوية . و في تفسير البغوي^٢ عن وهب قريب من هذا ، وفيه أنه
سأل ملك الموت أن يقبض روحه ويردها إليه بعد ساعة ، فأوحى الله إليه أن
يفعل ، وفيه أنه احتج في امتناعه من الخروج بأن كل نفس ذائقة الموت وقد
ذاقه ، وأنه لا بد من ورود النار^٣ وقد ورد لها ، وأنه ليس أحد يخرج من
الجنة ، فأوحى الله إلى ملك الموت : باذن دخل الجنة - يعنى : نخل سبله -
فهو حي هناك . و في تفسير البغوي^٤ أيضا عن كعب وغيره أن إدريس
عليه السلام مشى ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس فقال :
١٠ يا رب ! فكيف بمن يحملها ؟ اللهم ! خفف عنه * من ثقلها ، تخفف
عنه فسأل^٥ ربه عن السبب فأخبره فسأل أن يكون بينهما خلة ، فأثابه
فسأله إدريس عليه السلام أن يسأل ملك الموت^٦ أن يؤخر أجله ،
فقال^٧ : لا يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها ، و أنا مكلمه ، فرفع إدريس
عليه السلام فوضعه عند مطلع الشمس ، ثم أتى ملك الموت و كلبه
١٥ فقال : ليس ذلك إلى ، ولكن [إن - ١] أحببت أعلته أجله

(١) ٧١-٧٢ (٢) راجع هامش الباب ٣/ ٢٠٣ (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل :
الناس (٤) راجع هامش الباب ٤/ ٢٠٣ (٥) من ظ و مد والمعلم ، وفي الأصل :
عند (٦) أى الملك ؛ والرواية هنا مسرودة في غاية الوجازة (٧) زيد في الأصل
و ظ : في ، ولم تكن الزيادة في مد لحذفها (٨) بهامش ظ : فاعل « قال » ضمير
يرجع إلى الملك الذى خفف عنه من حملها (٩) زيد من ظ و مد والمعلم :
فيتقدم

٤٢٥ /

'فيقدم في نفسه'، قال: نعم! فنظر في ديوانه فقال: إنك كلمتي في إنسان / ما أراه يموت أبدا، قال: وكيف [ذلك - ٢]؟ قال: لا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس، قال: فإني أتيتك 'وتركته' هناك، قال: انطلق فلا أراك تجده إلا [و - ٤] قد مات، فوالله ما بقي من أجل إدريس - عليه السلام - شيء، فرجع الملك فوجده ميتا. ومن جيد المناسبات أن ه إسماعيل وإدريس عليهما الصلاة والسلام اشتركا في البيان بالعلم واللسان، فإسماعيل عليه السلام أول [من أجاد البيان باللسان، وإدريس عليه السلام أول - ٦] من أعرب الخطاب بالكتاب، فقد روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أول من فتن لسانه بهذه العربية إسماعيل عليه السلام. ولاحد عن أبي ذر ١٠ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أول من خط بالقلم إدريس عليه السلام^٩.

ولما انقضى كشف هذه الأخبار، العلية المقدار، الجليلة الأسرار،

شرع سبحانه ينسب أهلها بأشرف نسبهم، ويذكر أمتن سيدهم^٩ 'هزا

(١-١) في المعالم: فيقدم لنفسه (٢) زيد من المعالم (٣) من مد والمعالم، وفي الأصل: تركه، وفي ظ: أتيته (٤) زيد من ظ ومد والمعالم (٥) في مد: ملك الموت. (٦) زيد من ظ ومد (٧) وأيضارواه الشيرازي في الألقاب عن علي وزاد بعده: وهو ابن أربع عشرة سنة - راجع الجامع الصغير ١/ ٩٧ (٨) لم نغز به في مظانه في مسند أحمد، ورواه الحكيم عن أبي ذر بأكثر من هنا - راجع الجامع الصغير ١/ ٩٨ (٩) بهامش ظ: المراد بالسبب الوصلة بين الله وبينهم (١٠) العبارة من هنا إلى 'في السبب' ص ٢٢٠ س ١ سائطة من ظ.

لمن وافقهم في النسب إلى الموافقة في السبب فقال : ﴿ اوتئك ﴾ أى
 العالو الرتب ، الشرفاء النسب ﴿ الذين انعم الله ﴾ بما له من صفات
 الكمال التى بها أقام آدم عليه السلام وهم في ظهره ، مع ما طبعه عليه
 من الأمور المتضادة حتى نجاه من مكر إبليس ، ونجى بها نوحا عليه
 السلام وهم في صلبه من ذلك الكرب العظيم ، وإبراهيم عليه السلام
 وهم في قواه مع اضطرام النار وإطفاء السن وإصلاح العظم ، وأعلى
 بها إسرائيل عليه السلام وبنه في سوط الفراق وامتهان العبودية و انتهاك
 الاتهام حتى كان أبناؤه معدن الملوك والأنبياء ، وحل الاتقياء والاصفياء ،
 إلى غير ذلك من جليل الأنبياء ' وعظيم الاصطفاء والاجتهاد ' (عليهم)
 ١٠ بما خصهم به من مزيد القرب إليه ، وعظيم المنزلة لديه ؛ وبين الموصول
 بقوله : ﴿ من النبين ﴾ أى المصطفين للنبوّة الذين أنبأهم الله بدقائق الحكم ،
 ' ورفع محالهم بين الامم ' ، وأنباؤا الناس بجلال الكلم ، وأمرهم
 بظاهر الشيم .

' ولما كانوا بعض بنى آدم الذين تقدم أنا كرمناهم ، قال إشارة إلى
 ١٥ ما في ذلك من النعمة عليهم وهم يرونها : ﴿ من ذرية 'ادم' ﴾ صفينا
 أبى البشر الذى خلقه الله من التراب يده ، وأسجد له ملائكته ،
 وإدريس أحقهم بذلك .

ولما كان في إنجاء نوح عليه السلام وإغراق قومه من القدرة
 الباهرة ما لا يخفى ، نه عليه بنون العظمة في قوله ' مشبرا إلى أعظم النعمة عليهم

(١ - ١) سقط ما بين الرقين من ط (٢) العبارة من هنا إلى « إلى ذلك »
 ص ٢٢١ س ٢ ساقطة من ط .

بالتبعيض، و إلى أن نبيهم من ذريته كما كان هو من ذرية إدريس عليه السلام الذى هو من ذرية آدم، فكما كان كل منهم رسولا فكذلك^١ هو و إبراهيم أقربهم إلى ذلك : ﴿وَمَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ صفينا أول رسول أرسلناه بعد افتراق أهل الأرض و إشرأكلهم، من خلص العباد، و أهل الرشاد، و جعلناه شكورا، و إبراهيم أقربهم إلى ذلك ﴿وَمَنْ ذَرِيَّةُ إِبْرَاهِيمَ﴾^٥ خليلنا^٢ الذى كان^٣ له فى إعدام الأنداد ما^٤ اشتهر به من فضله بين العباد، و إسماعيل و إسحاق أولاهم بذلك، ثم يعقوب / ﴿وَأَسْرَأِيلَ﴾^{٤٢٦ /} صفينا، و هم الباقون : موسى و هارون و زكريا و يحيى و عيسى ابن مريم بنت داود - على جميعهم أفضل الصلاة و السلام - [فكما كان هؤلاء رسلا و هم من ذرية إبراهيم الذى هو من ذرية نوح فكذا نبيكم الذى هو ١٠ من ذرية إسماعيل الذى هو من إبراهيم لصلبه و هو أول أولاده كما كان إسرائيل من ذريته، فالإرسال من ذرية من هو ابنه لصلبه أولى من الإرسال من ذرية من بينه و بينه واسطة، و إلا كان بنو إسرائيل أشرف منكم و أبوهم أشرف من أيكم، فلا تردوا الكرامة، يا من يتنافسون فى المفاخر و الزعامة -^٥ ﴿وَمَنْ هَدَيْنَا﴾ إلى أقوم الطرق^٦ ﴿وَأَجْتَبَيْنَا﴾^{١٥} أى فعلنا بهم فعل من يتخير الشئ و ينتقيه بأن أسبغنا عليهم من النعم ما يحل عن الوصف^٧، و عطف الأوصاف بالواو إشارة إلى التمكن فيها^٧.

(١) من مد، و فى الأصل : و كذلك (٢) العبارة : من هنا إلى « بين العباد » ساقطة من ظ (٣) من مد، و فى الأصل : قال (٤) من مد، و فى الأصل : لـ (٥) زيد ما بين الحاجزين من مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : الطريق . (٧ - ٧) تقدم ما بين الرقنين فى الأصل على « و من » مع سقوطه من ظ، =

و لما ذكر ما حياهم به ، ذكر ما تسبب عن ذلك فقال [مستأنفا -^١]
﴿ اذا تتلى عليهم ايتت الرحمن ﴾ العام النعمة ، فكيف بهم اذا أعلام
[جلال أو خستهم رحمة -^٢] من جلائل النعم ، من فيض الجود
والكرم^٣ ، [فسمعوا خصوص هذا القرآن -^٤] ﴿ خروا سجدا ﴾ للنعم
٥ عليهم تقربا إليه ، لما لهم من البصائر المنيرة في ذكر نعمه عليهم وإحسانه
إليهم ﴿ وبكيا ﴾ خوفا منه وشوقا إليه . فوصفهم بسرعة الخشوع
من ذكر الله الناشئ عن دوام الخضوع والناشئ عنه الإسراع بالسجود
في حالة البكاء ، وجعلها حالتين^٥ بالمعطف بالواو^٦ لعراقة المتحلى بهما
في كل منهما على انفراده ، و عبر بالاسم^٧ في كل من السجود والبكاء ،
١٠ إشارة إلى أن خوفهم دائم كما أن خضوعهم دائم لعظمة الكبير الجليل ،
لأن تلك الحضرة لانغيب عنهم أصلا ، وإن حصل غير البكاء فللتأنيس
لمن^٨ أرسلوا إليه ليوصلوه إلى قريب من رتبتهم بحسن عشرتهم على
تفاوت المراتب ، وتباين المطالب ، وحذف ذكر الأذقان لدلالاتها

= و الترتيب من مد ، و زيد هنا في الأصل : الذي هو من إبراهيم تسلية و هو
أول أولاده ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها .

(١) زيد من مد (٢) زيد ما بين الحاذرين من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين
الرقين من ظ و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) زيد بعده في الأصل :
الأعظم ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٦) من ظ و مد ، و في
الأصل : لين .

- كما تقدم في سبئ^١ - على نوع دهشة . فهي - وإن أعلت صاحبها عن لم يبلغها - حالة دون مقام الراغبين في حضرة الجلال ، لأنهم - مع كونهم في الذروة من مقام الخوف - في أعلى درجات الكمال من حضور الفكر و انشراح الصدر - لتلقى واردات الحق و إلقائها إلى الخلق ، انظر إلى ثبات الصديق رضى الله عنه - لعلو مقامه عن غيره - عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه أوفاهم من المحبة مشرباً ، وأصفاهم مورداً ، وأوفرهم حزناً ، وأكثرهم غماً و هما ، حتى أنه اعتراه لذلك مرض السل حتى مات به وجداً و أسفاً [و من هنا تعلم السر في إرسال النبي صلى الله عليه وسلم الانبجانية التي ألهمت في الصلاة بأعلانها في الصلاة إلى أبي جهم لأنه رضى الله عنه ربما كان من أهل الجمع في الصلاة فلا يرى غيره سبحانه فناء عن كل فان بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم فانه لكماله متمكن في كل من مقامى الجمع و الفرق في كل حالة و لهذا يرى من خلفه في الصلاة و لا يخفى عليه خشوعهم -]^٢ .

ولما كان من المقاصد العظيمة تبكيته اليهود ، لأنهم أهل الكتاب و عندهم من علوم الأنبياء [ما - ٢] ليس عند العرب و قد استرشدوهم^٣ ١٥ و استنصحوهم ، فقد كان أوجب الواجبات عليهم محض النصيح لهم ، فأبدي سبحانه من تبكيته ما تقدم إلى أن ختمه بأن جميع الأنبياء كانوا الله

(١) راجع آية ١٠٧ (٢) زيد ما بين الحاذرين من مد (٣) زيد من ظ و مد .
(٤) من مد ، وفي الأصل و ظ : استرشدوهم العرب .

سجدا ولأمره خضعا. عقب ذلك بتوبيخ هو أعظم داخل فيه وهو أشد
 بما تقدم لمن خاف الله ورسله فقال: ﴿خلف من بعدهم﴾ أى 'فى
 بعض' الزمان الذى بعد هؤلاء الأصفياء سريعا ﴿خلف﴾ هم فى غاية
 الرذالة ﴿اضاعوا الصلوة﴾ الناهية عن الفحشاء والمنكر التى هى طهرة
 ٥ الابدان، وعصمة الأديان، وأعظم الأعمال، بتركها أو تأخيرها عن
 وقتها و'الإخلال بحقوقها، فكانوا لما سواها أضيع، فأظلمت قلوبهم
 فأعرضوا عن داعى العقل ﴿واتبعوا﴾ أى بغاية جهدهم' ﴿الشهوت﴾ التى
 توجب العار فى الدنيا / والنار فى الآخرة، فلا يقرها من يستحق أن
 ٤٢٧ /
 يعد بين الرجال، من تغيير أحكام الكتاب و تبديل ما فيه مما تخالف
 ١٠ الأهواء كالرجم فى الزنا، وتحريم الرشى والربا، ونحو ذلك، وأعظمه
 كتم البشارة بالنبي الغربى الذى هو من ولد إسماعيل ﴿فسوف يلقون﴾ أى
 يلابسون - 'وعدا لاخلف فيه' بعد طول المهلة - جزاء فعلهم هذا ﴿غيا﴾
 أى 'شرا يتعقب' ضلالا عظيما، فلا يزالون فى عمى عن طريق الرشاد
 لا يستطيعون إليه سبيلا، وهم على بصيرة من أنهم على خطأ و ضلال،
 ٥ ولكنهم مقهورون على ذلك بما زين لهم منه حتى صارت لهم فيه أتم
 رغبة. وذلك أعظم الشر، ولم يزل سبحانه يستدرجهم بالنعم إلى

(١-١) من مد، وفى الأصل: من بعد؛ والعبارة من هنا - بما فيها هاتان
 الكلمتان ساقطة من ظ إلى «الذى» (٢) فى ظ: او (٣-٣) سقط ما بين الرقين
 من ظ (٤) زيدت الواو فى الأصل. ولم تكن فى ظ ومد لحذفناها (٥) من مد،
 وفى الأصل: اثر؛ و'عبارة من «وذلك» إلى هنا - بما فيها هذه الكلمة - ساقطة
 من ظ

أن قطعوا بالظفر و الغلبة حتى أناخت بهم سطوات العزة ، فأخذوا على غرة ، و لا أنكأ من الأخذ على هذه الصفة بعد توطين النفس على الفوز ، و هو من وادى قوله ” و نحشرهم يوم القيمة على وجوههم عيا و بكما و صما “ مع قوله ” اسمع بهم و ابصر “ و جزاء من كان هذا ديدنه في الدنيا و الآخرة معروف لكل من له أدنى بصيرة أنه العارثم النار ، و أيضا فان من ضل خطأ طريق الفلاح من الجنة و غيرها غخاب ، و من خاب فقد هلك ؛ قال أبو على الجبائي^١ : و النغي هو الخيبة في اللغة - انتهى . و يجوز أن يراد بالنغي الهلاك ، إما من قولهم - أغوية - وزن أئفية - أى مهلكة ، وإما من تسمية الشيء باسم ما يلزمه .

ولما أخبر تعالى عنهم بالخبية ، فتح لهم باب التوبة ، و حدهام ١٠ إلى غسل هذه الخوبة . بقوله : ﴿ الا من تاب ﴾ أى بما [هو -^٢] عليه من الضلال ، بإيثار سفاسف الاعمال ، على أوصاف الكمال ، [لحافظ على الصلاة ، و كف نفسه عن الشهوات -^٣] ﴿ و آمن ﴾ بما أخذ عليه [به -^٢] العهد ﴿ و عمل ﴾ بعد إيمانه تصديقا له^٤ ﴿ صالحا ﴾ من الصلوات و الزكاة و غيرها ، [و لم يؤكد هما لما أفهمته التوبة من إظهار ١٥ عمل الصلاة التى هى أم العبادات -^٥] ﴿ فاولئك ﴾ العالو الحمم ، الطاهرو^٦ الشيم ﴿ يدخلون الجنة ﴾ التى وعد المتقون ﴿ و لا يظلمون ﴾^٧ من ظالم ما^٨

(١) - سورة ١٧ آية ٩٧ (٢) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام أبو على الجبائي البصرى المعتزلى المتوفى سنة ٣٠٣ هـ ، و كان متكلما مفسرا - راجع معجم المؤلفين ١٠/٢٦٩ . (٣) زيد من ظ و مد (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : به . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الطاهر (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ .

(شيثاً) من أعمالهم؛ ثم بينها بقوله: (جنت عدن) أى إقامة لا ظن عنها بوجه من الوجوه (التي وعد الرحمن) الشامل النعم (عباده) الذين^٢ هو أرحم بهم من الوالدة بولدها؛ وعبر عنهم بوصف العبودية للاشعار بالتحنن، وعدا كائناً^٣ (بالغيب) الذى لا اطلاع لهم عليه أصلاً إلا من قبلنا، فأمنوا به فاستحقوا ذلك بفضل سبحانه على إيمانهم بالغيب.

ولما كان من شأن الوعود الغائبة - على ما يتعارفه الناس بينهم - احتمال عدم الوقوع، بين أن وعده ليس كذلك بقوله: (انه كان) أى كونا هو سنة ماضية (وعده ماتياً) أى مقصوداً بالفعل، فلا بد ١٠ من وقوعه، فهو كقوله تعالى "ان كان وعد ربنا لمفعولاً".

ولما كانت الجنة دار الحق، وكان أنكأ شئ لذوى الأقدار الباطل، وكان أقل ما ينكأ منه سماعه، نقي ذلك عنها على أبلغ وجه فقال: (لا يسمعون فيها لغوا) أى شيئاً ما من الباطل الذى لا ثمرة له. ولما كانت السلامة ضد الباطل / من كل وجه، قال: (الا) [أى لكن - ٦]

١٥ (سليماً) لا عطب معه^٤ ولا عيب ولا نقص أصلاً فيه، وأورد على صورة الاستثناء من باب "قول الشاعر":

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتاب

(١) فى ظ: وصفها (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: الذى (٣) فى ظ: ثانياً. (٤ - ٤) سقط ما بين الرقین من ظ (٥) سورة ١٧ آية ١٠٨ (٦) زيد من ظ. (٧) زيد فى مد: أى (٨) العبارة من هنا إلى «أصلاً فيه» ساقطة من ظ (٩ - ٩) من مد، وفى الأصل: لا نقص ولا عيب ابتلا (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقین من ظ و مد (١١) قد مر التعليق على هذا البيت.

و يحسن أن يراد باللفظ مطلق الكلام ؛ قال في القاموس : لعا لقوا : تكلم .
أى لا يسمعون فيها^١ كلاما [إلا -^٢] كلاما يدل على السلامة ، ولا يسمعون
شيئا يدل على عطب أحد منهم ولا عطب شيء فيها .

ولما كان الرزق من أسباب السلامة قال : ﴿ ولهم رزقهم ﴾
أى على قدر ما يتمنونه ويشتهونه على وجه لا بد من إتيانه ولا كلفة عليهم .
فيه ولا يمن عليهم به^٣ ﴿ فيها بكرة وعشاء ﴾ أى دواما ، لا يحتاجون إلى
طلبه في وقت من الأوقات ، وفي تفسير عبد الرزاق عن مجاهد : وليس
فيها بكرة ولا عشى ، لكنهم يؤتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا .
أى أنهم خطبوا بما يعرفون [كما أشار إليه تأخير الظرف إذ لو قدم لأوم
بعدهم عن ذلك بالجنة -^٤] .
١٠

ولما باينت بهذه الأوصاف دار الباطل ، أشار إلى علو رتبتها
و [ما -^٥] هو سببها بقوله : ﴿ تلك الجنة ﴾ بأداة البعد لعلو قدرها ، وعظم
أمرها ﴿ التي نورث ﴾ أى نعطي عطاء الإرث الذى لا نكد فيه^٦ من
حين التأهل له بالموت^٧ ولا كد ولا استرجاع ﴿ من عبادنا ﴾ الذين
أخلصناهم لنا ، فخلصوا عن الشرك نية وعملا ﴿ من كان ﴾ أى جبلة ١٥
وطبعا ﴿ تقياء ﴾ أى مبالغاً في التقوى ، فهو في غاية الخوف منا لاستحضاره
أنه عبد ؛ قال الرازى في اللوامع : وما تقرب أحد إلى ربه بشيء أزين
عليه من ملازمة العبودية وإظهار الافتقار ، والعبد يكون ذليلاً بأوصافه ،
(١) زيد في الأصل : الا لقوا أى ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها .
(٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من مد .

عزیزاً بأوصاف الحق تعالى - انتهى . و ذلك ' إشارة إلى سبب إیرائها التقوى .
 و لما كرر سبحانه الوصف بالتقى في هذه السورة ثلاث مرات ،
 و ختمه بأنه سبب للقصود بالذات ، و هو الراحة الدائمة بالورائة لدار الخلد
 على وجه الإقامة المستمرة ، و صفة الملك الذى لا كدر فيه بوجه و لا تخلف^١
 ٥ عن مراد ، أتبعه ما بعده إشارة إلى^٢ ما تنال به التقوى ، و هو الوقوف
 مع الأمر مراقبة للأمر عطفاً على " و بالحق انزلنه " لأنه لما كان العلم
 واقعاً بأن جميع سورة الكهف شارحة لمسألتين من مسائل قریش ،
 و بعض سورة سبحان شارح للثالثة^٣ ، و لطول الفصل صدرت قصة
 ذى القرنين بقوله " و یسئلونک " إعلالاً بعطفها على مسألة الروح المصدرة
 ١٠ بمثل ذلك . و جاءت سورة مريم كاشفة - تبکیتاً لأهل الكتاب الکاتمين
 للحق - عن أغرب من تلك القصص [و أقدم زماناً -^٤] و أعظم شأناً
 من أخبار الأنبياء المذكورين و من أسرع التبديل بعدهم باضاعة الصلاة
 و اتباع الشهوات ، ثبت بذلك أن هذا كله مرتب لإجابة سؤالهم و أنه
 كلام الله قطعاً ، إذ لو كان من عند النبى صلى الله عليه و سلم ما و عدهم
 ١٥ الإجابة فى الغد إلا و هو قادر عليها ، لما هو معلوم قطعاً من رزاقه عقله ،
 و غزارة فطنته ، و متانة رأيه ، و لو قدر على ذلك ما تركهم يتكلمون فى
 عرضه بما الموت أسهل منه . [لما علم منه -^٥] من الشهامة و الآتفة / و البعد عما
 يقارب الشين ، و بان بذلك أن الله سبحانه و عز شأنه ما أجمل أمر الروح
 / ٤٢٩

(١) بهامش ظ : اى قوله : من كان تقياً (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يخلف .
 (٣) ريد فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لخذفناها (٤) زيد من ظ
 و مد (٥) بهامش ظ : « من أخبار » بیان لأغرب (٦) من ظ و مد ، و فى
 الأصل : من .

ولا آخر الإجابة خمس عشرة ليلة أو أقل أو أكثر من عجز ولا جهل،
و ثبت بذلك كله وبما بين من صنعه لأهل الكهف ولذى القرنين وإني
ولادة يحيى وعيسى وإسحاق عليهم الصلاة والسلام تمام قدرته المستلزم
لكماله، وكان الإخبار عن ذلك مطابقا للواقع الذي ثبت بعضه
بالنقل الصحيح وبعضه بأدلة العقل القاطعة، ثبت مضمون قوله تعالى ه
"وبالحق أنزلناه وبحق نزل" وأن هذا الكتاب قيم لا عوج فيه،
فعطف عليه الجواب عن قول النبي صلى الله عليه وسلم لجبرئيل عليه
الصلاة والسلام "لقد أبطأت عليّ يا جبرئيل حتى سئوت ظناء ونحوه
كما ذكر في أسباب النزول، فقال على لسان جبرئيل عليه الصلاة والسلام:
﴿وما تنزل﴾ أي أنا ولا أحد من الملائكة بانزال الكتاب ولا غيره ١٠
﴿إلا بأمر ربك﴾ المحسن إليك في جميع الأمر في التقديم والتأخير
لئلا يقع في بعض الأوهام أنه حق في نفسه، ولكنه نزل بغير أمره سبحانه،
ووقع الخطاب مقترنا بالوصف المفهم لمزيد الإكرام تطيبا لقلبه صلى الله
عليه وسلم وإشارة إلى أنه محسن إليه، ولفظ النزول مشير إلى الإكرام،
وهو التردد مرة بعد مرة "ووقتا غب وقت"، ولا يكون إلا لذلك لأن ١٥
النزول للعذاب يقضى به الأمر في مثل لمح البصر، وكان هذا عقب
ذكر القيامة بذكر الجنة كما كان المعطوف عليه عقب "فاذا جاء وعد
الآخرة" و [كما - ٢] كان ختام مسائلهم بذكر الآخرة في قوله
(١) زيدت الواو في الأصل. ولم تكن في ظ ومد لحذفناها (٢-٣) سقط ما بين
الرتين من ظ (٣) زيد من ظ ومد.

” فاذا جاء وعد ربى جملة دكاه “ - إلى آخر السورة ليكون ذلك
أشد تثبيتا للبعث وأعظم تأكيداً ، وإن استطلت هذا العطف مع بعد
ما بين المعطوف والمعطوف عليه واستعظمته واستنكرته لذلك واستبعدته
فقل : لما كشفت هذه السورة عن هذه القصص الغريبة ، وكان المتعنتون
هـ ربما قالوا : نريد أن نخبرنا هذا الذى ينزل عليك بجميع أنباء الأقدمين
وأخبار الماضين ، قال جواباً عن ذلك أن قيل : ما أنزلنا^١ عليك بأخبار
هؤلاء إلا بأمر ربك . وما تنزل فيما يأتى أيضاً إلا بأمر ربك : ثم علل
ذلك بقوله : ﴿ له ما بين أيدينا ﴾ أى من المكان والزمان وما فيها
﴿ وما خلفنا ﴾ من ذلك ﴿ وما بين ذلك ج ﴾ وهو نحن والمكان والزمان
١٠ اللذان نحن بهما وما فوقه وتحتة ، ونحن نعلم ذلك ونعمل على حسب
ما نعلم ، فلا تصرف فى ملكه إلا بأمره ﴿ وما كان ﴾ على تقدير من
التقدير^٢ ﴿ ربك نسياء ﴾ أى ذا نسيان لشيء من الأشياء فيترك تفصيل
أمر الروح ، ويؤخر الجواب عن الوقت الذى وعدتهم فيه لحقاء شيء
من ذلك عليه ، ولا ينسى ما يصلحك فيحتاج إلى مذكر به ، ولا ينسى
١٥ أحداً منا فينزل فى وقت نسيانه له بل هو دائم الإطلاع على حركاتنا
وسكناتنا ، فنحن له فى غاية المراقبة ، وهو سبحانه يصرفنا بحسب الحكمة
فى كل وقت تقتضيه حكمته ، لا يكون شيء من ذلك إلا فى الوقت الذى
حده له وأراده فيه ، ولا يخرج شيء من الأشياء وإن دق عن مراده .
ويجوز أن يقال فى التعبير بصيغة ’فعل‘ [أنه لا يتمكن العبد من الغيبة
(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : نزل (٢) من مد ، وفى الأصل وظ : الذين .
(٣-٢) سقط ما بين الرقین من ظ .

عن السيد غير إذنه إلا إن كان بحيث يمكن أن يغفل وأن تطول غفله
ويعظم لكونه مجبولا عليها، أو أنه - ١ - لما استلبت الوحي في أمر
الأسئلة التي سألوا عنها من الروح ومامعها خمس عشرة ليلة أو أكثر
أو أقل - على اختلاف الروايات، فكان ذلك موها للاغْياء^٢ أنه نسيان،
وكان مثل ذلك لا يفعله إلا كثير النسيان، نفي هذا الوم بما اقتضاه
من الصيغة ونفي قليل ذلك وكثيره في السورة التي بعدها ضمنا لدليل
النقل إلى دليل العقل بقوله " لا يضل رنى ولا ينسى^٣ " لما اقتضاه
السياق، فأنى في كل أسلوب بما يناسبه مع الوفاء بما يجب من حق الاعتقاد،
وهذه الآية مع " وبالحق أنزلته " و " قل لئن اجتمعت الانس والجن " -
مثل " قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريت^٤ - الآيتين^٥ في سورة هود ١٠
عليه السلام. على ما قدمت في بيانه غير أن ما جمع هناك فصل هنا في
أول الجواب عن أسئلتهم بآية " قل لئن اجتمعت^٦ " وأثنائه^٦ بآية
" وبالحق أنزلته " و آخره بهذه الآية، لتكون الآيات رابطة على هذه
الأجوبة وتوابعها وضابطة لها كالشهب والحرس الشديد بالنسبة إلى
السماء، فلا يبغيها متعنت من جهة من جهاتها كيذا إلارذ خاسئا، ولا يرميها ١٥
بقادح إلا كان رمية خاطئا .

ولما وصف سبحانه وتعالى بنفوذ الأمر واتساع العلم على وجه ثبت

(١) زيد ما بين الحازرين من مد (٢) من ظ و مد، وفي الأصل : للانبيا .

(٣) سورة ٢٠ آية ٥٢ (٤) سورة ١٧ آية ٨٨ (٥) ١٣ و ١٤ (٦) من مد، وفي
الأصل و ظ : اتيانه .

به ما أخبر به عن الجنة . فثبت أمر البعث . أتبع ذلك ما يقرره على وجه
أصرح منه وأعم فقال 'مبدلا من "ربك"': ﴿رب السموات والارض﴾
اللتين نحن من جملة ما فيهما من عباده ﴿وما بينهما﴾ منا ومن غيرنا
من الاحياء وغيرها ﴿فاعبده﴾ بالمراقبة الدائمة على ما ينبغي له من
هـ مثلك ﴿واصطبر﴾ أى [اصبر صبرا عظيما - ٢] "بغاية جهدك" على
كل ما ينبغي 'الاصطبار عليه كذلك ﴿لعبادته﴾' [اى لأجلها فانها
لا تكون إلا عن مجاهدة شديدة : ثم علل ذلك - ٣] بقوله :
﴿هل تعلم له سميا﴾ أى متصفا بوصف من أوصافه اتصافا حقيقيا ،
أو مسمى باسمه ، العلم الواقع موقع^١ لانه^٢ لا مماثل له حتى ولا فى مجرد
١٠ الاسم ، وإيراده بصورة الاستفهام كالدعوى بدليها .

ولما تبين بذلك وما ذكر فى هاتين السورتين مما سألوا عنه
ومن غيره شمول^٣ عليه ، وتام قدرته لاسيما فى إيجاد البشر تارة من
التراب ، وتارة من ذكر وأنثى فى حكم العدم ، وتارة من أنثى بلا
ذكر ، وثبت ذلك كله ، فأنكشفت الشبهة . وتضاءلت موجبات المراء^٤ .
هـ وانقضت مخيلات الفتن . عجب منهم فى إنكارهم البعث وهم يشاهدون

(١-١) سقط ما بين الرتين من ظ (٢) زيد من مد (٣-٣) سقط ما بين الرتين
من مد (٤) زيد فى الأصل : له من ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفناها .
(٥) زيد من ظ و مد (٦) بهامش ظ ما خلاصته : « فانه لا مماثل له » مضاف
إليه ، ومضاه « موقع » (٧) فى ظ و مد : فانه (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل :
المراء .

ما ذكر من قدرته و عليه ، عاطفا على التعجب في قولهم " وقالوا اذا
 كنّا " تعجيبا أشد من ذلك فقال : ﴿ ويقول ﴾ بلفظ المضارع المؤذن
 بالتجدد بعد هذا البيان المقتضى حتما لاعتقاد البعث فضلا عن إنكاره
 مرة من المرات ، ليخبر عنها بصيغة الماضي ، فكيف بالمداومة على ذلك
 المشار إليها بصيغة المضارع ؛ 'و عبر بالمفرد و إن كان للجنس لأن الإنكار •
 على الواحد يستلزم الإنكار على المتعدد فقال : ﴿ الانسان ﴾ أى الذى
 خلقناه و لم يك شيئا ، مع ما فضلناه به من العقل ، و نصبنا له من
 الدلائل ، 'فضله الأنس بنفسه عن التأمل فى كمال ربه ' منكرا مستبعدا :
 ﴿ اذا مات ﴾ ثم دل على شدة استبعاده لذلك بقوله 'مظله / للام ٤٣١ /

الابتداء إلى التوكيد سالحا^٢ لها عما من شأنها الدلالة عليه من الحال ١٠
 لتجامع ما يخلص للاستقبال : ﴿ لسوف اخرج ﴾ 'أى يخرجنى مخرج'
 ﴿ حياه ﴾ أى بعد طول الرقاد ، و تفتت الأجزاء و المواد ، 'و جاء بهذه
 التأكيدات لأن ما بعد الموت وقت كون الحياة منكزة على زعمه ،
 و العامل فى 'إذا' فعل من معنى 'أخرج' لا هو ، لمنع لام الابتداء لعمله
 فيما قبله ' ، ثم قابل إنكاره 'الباطل بانكار هو الحق' فقال عاطفا على ١٥
 " يقول " 'أو على ما تقديره : ألا يذكر ما لنا من تمام القدرة بخلق ما
 هو أكبر من ذلك من جميع الأكوان' : ﴿ اولا يذكر ﴾ 'باسكان الذال

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « للاستقبال » ساقطة
 من ظ (٣) هكذا يدو فى مد ، و فى الأصل : شاكا (٤) من ظ و مد ، و فى
 الأصل : انكار (٥) بهامش ظ : الإنكار الحق هو إنكار الله عليه (٦) العبارة من
 هنا إلى « تأمل شديد » ساقطة من ظ .

على قراءة نافع و ابن عامر و عاصم^١ إشارة إلى أنه أدى ذكر من هذا يرشده إلى الحق ، و قراءة الباقيين بفتح الذال و الكاف و تشديدهما يشير إلى أنه - لاستغراقه في الغفلة - يحتاج إلى تأمل شديد (الإنسان)^٢ أي الآنس بنفسه^٣، المجترئ بهذا الإنكار على ربه و قوفا مع نفسه (أنا خلقته)^٤ و أشار بآيائه الجار إلى سبقه بالعدم فقال^٥ : (من قبل) أي من قبل جدله هذا أي^٦ بما لنا من القدرة و العظمة .

و لما كان المقام لتحقيره بكونه عدما ، أعدم من التعبير عن ذلك ما أمكن إعدامه ، و هو النون ، لتناسب العبارة المعتبر. فقال : (و لم يك شيئا)^٧ أصلا . و إنا بمقتضى ذلك قادرون على إعادته فلا ١٠ ينكر ذلك .

و لما كان^٨ كلام الكافر صورته صورة استفهام ، و هو جحد في الحقيقة و إنكار ، و كان^٩ إنكار المهدد لشيء يقتدر عليه المهدد سيما لأن يحققه له مقسما عليه ، قال تعالى مجيبا عن إنكاره مؤذنا بالغضب عليهم بالإعراض عنهم مخاطبا لديه صلى الله عليه و سلم^{١٠} تفخيماً لشأنه و تعظيماً لأمره^{١١} : ١٥ (فوربك) المحسن إليك بالانتقام منهم .

و لما كان الإنكار للبعث يلزم منه الاحتقار ، أتى بنون العظمة ، و استمر في هذا التحلى بهذا المظهر إلى آخر وصف هذا اليوم فقال : (لنحشرنهم) بعد البعث (و الشيطيين) الذين يضلونهم^{١٢} يجعل كل واحد^{١٣}

(١) راجع نثر المرجان ٢٤٤/٤ و ٢٤٥ و (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ .

(٣) سقط من ظ . و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من مد إلى

و العظمة .

'منهم مع قرينه الذى أضله'، [فى سلسلة - ١] (ثم لنحضرهم)
 [بعد طول الوقوف - ٢] (حول جهنم) التى هم بها مكذبون ،
 'يحيطون بها لضيق رأسها وبعد قعرها' ، حال كونهم (جثاء) على
 الركب من هول المطلاع وشدة الذل ، مستوقرين تهيؤا للبادرة إلى
 أمثال الأوامر (ثم لنزعن) 'أى لناخذن أخذاً بشدة وعنف' ه
 (من كل شعبة) أى فرقة مرتبطة بمذهب واحد .

'ولما كان التقدير : لنزعن أغنام ، وهم الذين إذا نظرت إلى كل
 واحد منهم بخصوصه حكمت بأنه أغنى الناس ، علم أنهم بحيث يحتاج إلى
 السؤال عنهم لإشكال أمرهم فقال' : (ايهم اشد على الرحمن) الذى غمرهم
 بالإحسان (عياج) أى تكبرا [متجاوزا - ٣] للحد ، اتزاعا يعلم به أهل ١٠
 الموقف أنه أقل من القليل ، وأوهى أمرا من القليل ، وأن له سبحانه -
 مع صفة الرحمة التى غمرهم إحسانها وبرها - صفات أخرى من الجلال
 والكبرياء والجبروت والانتقام .

'ولما تقدم ما هو فى صورة الاستفهام ، أتبعه ما يزيل ما قد يقع
 بسببه من بعض الأوهام ، فقال' : (ثم) وعزتنا ! (لنحن) لشمول ١٥
 / علمنا و كمال قدرتنا وعظمتنا (اعلم) [من كل عالم - ٢] (بالذين هم)
 ٤٣٢ / 'الظواهرهم وبواطنهم' (أولى بها) [أى جهنم - ٢] (صلياء) [و - ٢]
 بالذين هم أولى بكل طبقة من دركاتها من جميع الخلق من المنتزعين
 وغيرهم ، فلا يظن بنا أننا نضع أحدا فى غير دركته أو غير طبقته من دركته ؛

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ و مد .
 (٤) ليس فى الأصل فقط .

وعطف هذه الجمل بأداة البعد مقرونة بنون العظمة لبعد مراتبها وتساعدنا
في ذرى العليا وترقيها، تهويلا للقام وتعظيما للأمر لاستبعادهم له، على أنه
يمكن أن تكون الحروف الثلاثة للترتيب الزماني، وهو في الأولين واضح،
وأما في الثالث فلأن العلم كناية عن الإصلاح^١، لأن من علم فنب
عدوه - وهو قادر - عذبه^٢، فكأنه قيل : لنصلين كلا منهم النار على
حسب استحقاقه لآنا أعلم بأولويته لذلك .

ولما كانوا بهذا الإعلام، المؤكد بالإقسام، من ذى الجلال
والإكرام، جديرين باصغاء الأفهام، إلى ما يوجه إليهما من الكلام، التفت
إلى مقام الخطاب، إلهاما للعموم فقال : ﴿ وان ﴾ أى وما ﴿ منكم ﴾
١٠ أيها الناس أحد^٣ ﴿ الا واردة ﴾ أى داخل جهنم ؛ ثم استأنف قوله :
﴿ كان ﴾ هذا الورد ؛ ولما كان المعنى أنه لا بد من إيقاعه، أكد غايته
التأكيد فأتى بأداة الوجوب فقال : ﴿ على ربك ﴾ الموجد لك المحسن
إليك بانجاء أمتك لاجلك^٤ ﴿ حتما ﴾ أى واجبا مقطوعا به^٥ ﴿ مقضيا ﴾
لا بد من إيقاعه ؛ قال الرازى فى اللوامع : ما من مؤمن - إلا الأنبياء -
١٥ إلا وقد تلطخ بخلق سوء . ولا ينال السعادة الحقيقية إلا بعد تقيته ،
وتخليصه من ذلك إنما يكون بالنار .

ولما كان الخلاص منها بعد ذلك مستبعدا . قال مشبرا إليه بأداة البعد :

(١) من ظ ومد . وفى الأصل : الاصل (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : عزيز -
كذا (٣) من ظ ومد . وفى الأصل : احدا (٤ - ٤) سقط ما بين الرقين
من ظ .

(ثم تنجي) ١ أى تجية عظيمة على قراءة الجماعة، و مطلق إجماع على قراءة الكسائي^١، و كأن ذلك باختلاف أحوال الناس مع أن المطلق لا ينافي المقيد (الذين اتقوا) ٢ أى كانوا متقين منها^٢ بأن تكون عليهم حال الورود بردا و سلاما^٣ (و نذر الظلمين) ٤ أى ترك على أخبث الأحوال^٤ الذين وضعوا الأشياء فى غير مواضعها^٥ و استمروا على ذلك^٥ ه فكأنوا فى أفعالهم خابطين كالأعمى (فيها جسيا) ٦ كما كانوا جوهلا لا يهتدون إلى وجه يخلصون به منها .

ولما كان هذا جديرا بالقبول لقيام الأدلة على كمال قدرة قائله ، و تنزهه عن إخلاف القول ، لبراهته من صفات النقص ، قال معجبا من منكره عاطفا على قوله "ويقول الانسان" : (و اذا تتلى عليهم) ١٠ أى الناس ، من أى تال كان^١ (أيتنا) ٢ حال كونها (بينت) ٣ لا مرية فيها ، بأن تكون محكمات ، أو متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات ، أو ببيان النبي صلى الله عليه وسلم ، فهى حال مؤكدة أو كاشفة^٢ (قال الذين كفروا) ٤ بآيات ربهم البينة ، جهلا منهم و نظرا^٦ إلى ظاهر الحياة الدنيا الذى هو مبلغهم من العلم (للذين آمنوا) ٥ أى لأجلهم ١٥ أو مواجهة لهم^٢ ، إعراضا عن الاستدلال بالآيات ، و وجوه دلالتها

(١) العبارة من هنا إلى « لا ينافي المقيد » ساقطة من ظ (٢) راجع نثر المرجان ٢٤٨/٤ (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤-٤) تقدم فى الأصل على « و نذر » و الترتيب من مد (٥) العبارة من هنا إلى « من العلم » ساقطة من ظ (٧) زيد فى الأصل : منهم ، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

/ ٤٣٣

البنات . بالإقبال على هذه "شبهة الواهية / - وهي المفاخرة بالمسكارة في الدنيا - من قولهم : ﴿ اى الفريقين ﴾ نحن - 'بما لنا من الاتساع' ، أم أنتم - 'بما لكم من خشونة العيش و رثالة' الحال ﴿ خير مقاما ﴾ أى موضع قيام أو إقامة - 'على قراءة ابن كثير بضم الميم والجماعة بفتحها' : ﴿ واحسن ندياء ﴾ جمعا ومتحدثا باعتبار ما فى كل من 'الرجال ، وما لهم من الزى والاموال ، ويجعلون ذلك الامتحان بالإنعام والإحسان دليلا على رضى الرحمن . مع التكذيب والكفران . ويفعلون عن أن فى ذلك - مع التكذيب بالبعث - تكذيبا بما يشاهدونه متا من القبرة على العذاب باحلال القم ، وسلب النعم ، ولو شئنا لأهلكناهم وسلبنا ١٠ جميع ما يفتخرون به ﴿ وكم اهلكنا ﴾ 'بما لنا من العظمة .

ولما كانت المراد استغراق الزمان ، لم يأت بالجار إعلاما بأن المتقدمين كلهم كانوا أرغد عيشا وأمكن حالا فقال : ﴿ قبلهم من قرن ﴾ أى شاهدا ديارهم ، ورأوا آثارهم ، [ثم - '] 'وصف' كم' بقوله : ﴿ هم ﴾ أى أهل تلك القرون ﴿ احسن ﴾ من هؤلاء ﴿ اثاثا ﴾ أى أمتة ﴿ ورثاء ﴾ أى منظرا . فكأنه قيل : فما يقال لهم ؟ فقال : ﴿ قل ﴾ أى لهم 'ردا عليهم وقطعا لمعاذيرهم و هتكا لشبههم' : هذا الذى افتخرتم به لا يدل على حسن الحال فى الآخرة ، بل على عكس ذلك . فقد جرت عادته سبحانه أنه ﴿ من كان فى "اضللة" مثلكم كوما راسخا" بسط له

(١ - ١) - سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « الحال » - ساقطة من ظ (٣) من مد ، وفى الأصل : رثالة (٤) - سقط من مد (هـ) زيد من مد . (٦) - سقط من ظ (٧) من مد . وفى الأصل : و امتحانا ، والكلمة مع سابقها - ساقطة من ظ .

في الدنيا و طيب عيشه [في ظاهر الحال - '] فيها ، و نعم بأنواع الملاذ .
و عبر عن أن ذلك لا يكاد يتخلف عن غير من حكم^٢ بالزمام المسكنة
من اليهود بلام الأمر ، إذانا^٣ بوجوده وجود المأمور به الممثل^٤
في قوله : ﴿ فليمدد ﴾ وأشار إلى التحلى لهم بصفة الإحسان بقوله :
﴿ له الرحمن ﴾ أى العالم الامتنان ﴿ مداي ﴾ في العاجلة بالبسط في الآثار ،
و السعة في الديار ، و الطول في الأعمار ، و إنفاقها فيما يستلذ من الأوزار
الكبار ، فيزيده تعزيز الجبار بذلك ضلالة^٥ ، فياله من خسارة ، و تبار
و تبار ، لمن [له - '] استبصار ، و لا تزال نعم له استدراجا ﴿ حتى ﴾ .
* و حقق أخذهم بأداة التحقيق فقال : ﴿ إذا راوا ﴾ أى كل من كنز بالله
بأعينهم^٦ ، و إن ادعوا أنهم يتعاضدون و يتناصرون ، [و لذلك جمع باعتبار ١٠
المعنى - '] ﴿ ما يوعدون ﴾ من قبل الله ﴿ اما العذاب ﴾ في الدنيا بأيدي
المؤمنين أو غيرهم ، أو في البرزخ ﴿ و اما الساعة^٧ ﴾ التى هم بها مكذبون ،
و عن الاستعداد لها معرضون ، و لا شيء يشبه أهوالها ، و خزبها
و نكالها .

و لما كان الجواب : علموا أن مكانهم شر الأمانين ، و أن ١٥

- (١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يحكم (٣-٢) سقط ما بين
الرقين من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) العبارة من هنا إلى « التحقيق فقال »
ساقطة من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل : التحقيق (٧) فى الأصل و ظ يابض
عبارة من مد .

جندهم أضعف الجنود، عبر عنه بقوله تهديداً : ﴿فسيعلون﴾ إذا رأوا ذلك
 ﴿من هو شر مكاناً﴾^١ أى من جهة المكان الذى قبل [به -^٢] المقام
 ﴿واضعف جنده﴾^٣ [هم أو المؤمنون -^٤]، أى [أضعف -^٥] من
 جهة الجند الذى أشير به إلى الندى، لأن القصد من فيه، وكأنه عبر
 بالجند لأن قصدهم المغالبة وما^٦ كل من فى الندى يكون مقاتلاً .

و لما كان هذا لكونه استدراجاً زيادة فى الضلال، قابله بقوله،
 عطفًا على ما تقدم^٧ تقديره [تسبباً عن قوله "فليمدد" وهو : فزيده
 ضلالاً، أو على موضع "فليمدد" -^٨] : ﴿ويزيد الله﴾ و عبر بالاسم
 العلم إشارة إلى التجلى لهم بجميع الصفات العلى ليعرفوه حق معرفته
 ١٠ ﴿الذين اهتدوا هدى﴾ عوض ما زوى عنهم [و منعهم -^٩] من الدنيا
 لكرامتهم / عنده بما بسطه^{١٠} للضلال لهوانه عليه ؛ فالآية من الاحتباك :
 ذكر السعة بالمد للضلال أولاً دليلاً على حذف الضيق [بالمنع للهدى ثانياً،
 وزيادة الهداية ثانياً دليلاً على حذف زيادة الضلال أولاً -^{١١}]، وأشار إلى أنه
 مثل ما خذل^{١٢} أولئك بالنوال، وفق هؤلاء لمحاسن الأعمال،^{١٣} باقتلال الأموال^{١٤}
 ١٥ فقال : ﴿والبقيت﴾ ثم وصفها احترازاً من أفعال أهل الضلال
 بقوله : ﴿الصالحات﴾ أى من الطاعات و المعارف التى شرحت لها الصدور،

/ ٤٣٤

(١) العبارة من هنا إلى «المقام» ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ
 و مد (٤) العبارة من هنا إلى «يكون مقاتلاً» ساقطة من ظ (٥) من مد، وفى
 الأصل : فى (٦) العبارة من هنا إلى «تقديره» ساقطة من ظ (٧) فى مد : سر .
 (٨) من ظ و مد، وفى الأصل : بسط (٩) من مد، وفى الأصل و ظ : اخذل .
 (١٠-١١) سقط ما بين الرقنين من ظ .

فأنارت بها القلوب ، و سلت من إحباط الذنوب ، فأوصلت إلى علام
الغيوب ﴿خير عند ربك﴾ مما متع به الكفرة ومدوا به - على تقدير
التنزل إلى تسميته خيرا ،^١ وإضافة الرب إليه صلى الله عليه وسلم إشارة
إلى أنه يريها تربة تبلغ أقصى ما يرضيه في كل تابعيه^٢ ؛ ثم بين جهة
خيرية هذا بقوله : ﴿ثوابا﴾ أى من جهة الثواب ﴿و خير مرداء﴾ هـ
أى من جهة العقاب يوم الحسرة^٣ . هو كالذى قبله ، أو على قولهم : الصيف
أحر من الشتاء - بمعنى أنه في حره أبلغ منه في برده . فالكفرة يردون
إلى إفساد و فناء^٤ ، و المؤمنون إلى ربح و بقاء .

و لما تضمن [هذا -^٥] من التهديد بذلك اليوم ما يقطع القلوب ،
فيوجب الإقبال على [ما -^٦] ينجي منه ، عجب من حال من كفر به ، ١٠
موبخا له ، منكرأ عليه ، عاطفا على ما أرشد إليه السياق فقال^٧ معبرا
عن طلب الخير بالرؤية التى هى الطريق إلى الإحاطة بالاشياء علما و خبرة ،
و إلى صحة الخبر عنها^٨ : ﴿افرهيت﴾ أى أرأيت الذى يعرض عن هذا
اليوم فرأيت ﴿الذى﴾ زاد على ذلك بأن ﴿كفر باينتنا﴾ الدالات
على عظمتنا بالدالات اليينات ﴿وقال﴾ جراءة منه و جهلا ؛ أو يقال : ١٥

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : التبرك (٢-٢) سقط ما بين الرقبن من ظ .
(٣) العبارة من هنا إلى « ربح و بقاء » - انقطعت من ظ (٤-٤) من مد ، و فى
الأصل : من (٥) من مد ، و فى الأصل : فالعرب (٦-٦) من مد ، و فى الأصل :
فناء و خسران و خسارة (٧) زيد من ظ و مد (٨) فأخر فى الأصل عن^٩ الخبر
عنها ، و الترتيب من ظ و مد .

إنه لما هول أمر ذلك اليوم . وهتك أستار مقالاتهم ، وبين وهما^١ ،
تسبب عن ذلك التعجيب^٢ ممن يقول : ﴿ لاوتين ﴾^٣ أى والله^٤ فى
الساعة على تقدير قيامها^٥ ممن له الإيتاء هناك^٦ ﴿ مالا وولدا^٧ ﴾ [أى
عظيمين -]^٨ ، فلم يكفه فى جهله تعجيز القادر حتى ضم إليه
٥ إقدار العاجز .

ولما كان ما ادعاه لا علم له به إلا بأحد أمرين لا علم له بواحد
منهما ، أنكر عليه قوله ذلك بقوله : ﴿ اطلع الغيب ﴾ الذى هو غائب
عن كل مخلوق^٩ ، فهو فى بعده عن الخلق كالعالمى الذى لا يمكن أحدا
منهم الاطلاع عليه ، وتفرد به الواحد القهار^{١٠} ﴿ ام اتخذ ﴾^{١١} أى
١٠ بغاية جهده^{١٢} ﴿ عند الرحمن ﴾ العام^{١٣} الرحمة بالإنعام على الطائع
والاتقام من العاصى ثوابا للطائع ﴿ عهدا^{١٤} ﴾ عاهده عليه^{١٥} بأنه يؤتيه
ما ذكر بطاعة فعلها له على وجهها^{١٦} ليقف سبحانه فيه عند قوله^{١٧} .
ولما كان كل من الأمرين : اطلاع الغيب واتخاذ العهد ، وكذا
ما ادعاه لنفسه . وما يلزم عن^{١٨} اتخاذ العهد من القرب ، متنفيا قال :
١٥ ﴿ كلا^{١٩} ﴾ أى لم يقع شئ من هذين الأمرين ، ولا يكون ما ادعاه
فليرتفع عنه صاغرا^{٢٠} .

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : وحيا (٢ - ٣) سقط ما بين الرقين من ظ .
(٢) زيد من مد (٤) بهامش ظ : تفسير الشيخ للغيب بما ذكره الاعلام بأن
الأنف واللام فى الغيب للكمال (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : انعلم .
(٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : عند (٧ - ٧) من مد ، وفى الأصل : للتوكيد =

ولما كان النفي هنا عن الواحد مفهما للنفي عما فوقه اكتفى به ،
ولما رد ذلك استأنف الجواب لسؤال من كأنه قال : فما ذا يكون
له ؟ بقوله مثبتا السين^١ للتوكيد في هذا التهديد : ﴿ سنكتب ما يقول ﴾
أى نحفظه عليه حفظ من يكتبه لتوبخه به و نغذبه عليه^٢ بعد الموت / فيظهر له
بعد طول الزمان أن ما كان فيه ضلال يؤدي إلى الهلاك لا محالة^٣ ، ويجوز •
أن تكون السين على بابها من المهلة ، وكذا الكتابة ، والإعلام بذلك
للحث^٤ على التوبة قبل الكتابة ، وذلك من عموم الرحمة
﴿ ونمد له من العذاب مدا ٥ ﴾ باستدراجه بأسبابه من كثرة النعم من
الأموال والأولاد المحيية له في الدنيا ، المعذبة له فيها ، بالكدح في جمعها
والمخاصمة عليها الموجبة له التمادى في الكفر الموجب لعذاب الآخرة ، ١٠
وإتيان بعضه في إثر بعض ” انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهد
انفسهم وهم كفرون ” ﴿ وزنه ﴾ بموته عن جميع ذلك ؛ ثم أبدل من
ضميره قوله : ﴿ ما يقول ﴾ أى من المال والولد فتحول بينه وبينهم
بعد البعث كما فعلنا بالموت كحيلة الوارث بين الموروث وبين الموروث
عنه ﴿ ويأتينا ﴾ في القيامة ﴿ فرداه ﴾^٦ مسكيننا منزلا عن كل شيء^٧ ١٥
لا قدرة له على مال ولا ولد ، فلا عز له . ولا قوة بشيء منهما ؛ روى

= في هذا التهديد ، وما بين الرقين ساقط من ظ .

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : للنفي (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ .

(٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : الحث (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : الاموال .

(٥) سورة ٩ آية ٨٥ .

البخارى فى التفسير^١ عن خباب رضى الله عنه قال : كنت قينا بمكة فسمعت للعاص^٢ بن وائل السهمى سيفاً ، فجئت أقتاضه فقال : لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ، [قلت : لا أكفر بمحمد -^٣] حتى يملكك الله ثم يحبك ، وفى رواية : حتى تموت ثم تبعث ، قال : وإني لمبعوث من بعد الموت ؟ قلت : نعم ! قال : قدرنى حتى أموت ثم أبعث فذوف أوتى مالا وولدا فأفصيك ، فنزلت هذه الآية " أفرايت الذى - إلى قوله : فردا " .

ولما أخبر تعالى بالبعث ، وذكر^٤ أن هذا الكافر يأتى على صفة الذل ، أتبعه حال المشركين مع معبوداتهم ، فقال^٥ معجبا منهم عاطفا على قوله " ويقول الانسان " : ﴿ واتخذوا ﴾ أى الكفار ، وجمع لأن ١٠ نفى العز عن الواحد قد لا يقتضى نفيه عما زاد ﴿ من دون الله ﴾ وقد تبين لهم أنه الملك الأعلى الذى لا كفوء له ﴿ الهة ليكونوا لهم ﴾ أى الكافرين ﴿ عزالاً ﴾ لينقذوهم من العذاب .

ولما بين أنه لا يعزوه مال ولا ولد . و كان نفع الأوثان دون ذلك بلا شك ، نفاه بقوله : ﴿ كلاً ﴾ بأداة الردع ، لأن ذلك طلب ١٥ للعز من معدن الذل من العبيد الذين من اعتز بهم ذل ، فانهم مجبولون على الحاجة ، ومن طلب العز للدنيا طلبه من العبيد لاحتالة ، فاضطر قطعاً

(١) من عدة طرق كما رواه أيضاً فى البيوع والخصومات (٢) من ظ و مد والصحيح ، وفى الأصل : للقاضى (٣) زيد من ظ و مد والصحيح (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥-٥) ما بين الرقين فى ظ : قال (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : لا يعجزه .

- لبناءهم على النقص - إلى ترك الحق و اتباع الباطل ، فكانت عاقبة أمره
الذل و إن طال المدى ، فان الله تعالى ربما أهمل المخذول إلى أن ينتهي
في خذلانه إلى أن يستحق لباس الذل ؛ ثم بين [سبحانه - ٢] ذلك
بما يكون منهم يوم البعث فقال : ﴿ سيكفرون ﴾ أى الآلهة ؛ بوعد لا
خلف فيه و إن طال الزمان ﴿ بعبادتهم ﴾ أى المشركين ، فيقولون
لهم " ما كنتم ايانا تعبدون " " اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا "
﴿ و يكونون عليهم ﴾ أى الكفار ؛ و وحده إشارة إلى إتفاق الكلمة
بحيث أنهم لفرط تضامهم كشيء واحد فقال : ﴿ ضدا ﴾ أى
أعداء فيكسبونهم الذل ، و كذا يفعل الكفار مع شركائهم و يقولون
" والله ربنا ما كنا مشركين " فيقع بينهم العداوة كما قال تعالى " ثم ١٠
يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض و يلعن بعضهم بعضا " .

ولما كان من المستبعد عندهم جواز رجوعهم عنهم فضلا / عن
كفرهم بهم ، دل على وقوعه بما يشاهد منهم من الأفعال المنافية
لوزانة الحلم الناشئة عن وقار العلم ، فقال : ﴿ ألم ترانا ﴾ بما لنا من
" مظمة " ﴿ ارسلنا الشياطين ﴾ الذين خلقناهم من النار ، [إرسالاً مستعلياً - ٧] ١٥
بالإبعاد ٨ و الإحراق ﴿ على الكافرين ﴾ أى العريقين في الكفر ؛

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فكان (٢) زيد من ظ و مد (٣) بهامش ظ :
أى عدم العز (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) سقط من ظ (٦) سورة ٢٩
آية ٢٥ (٧) زيد من مد (٨) من مد ، و فى الأصل : بالارسال ، و الكلمة مع
" والإحراق " ساقطة من ظ .

(توزم ازا^١) أى تحركهم تحريكا شديدا، و تزعجهم فى المعاصى و الدنيا
التي لا يشكون فى قباحتها و عظيم مناعتها و هم أشد الناس عينا لفاعليها
و دما لمرتكيها إزعاجا عظيما بحيث يكونون فى تقلبهم ذلك مثل الماء
الذى يغلى فى القدر، و مثل الشرر المتطاير الذى هو أشد شئ منافاة
ه لطبع الطين و ملائمة لطبع النار، فلما ثبت بذلك المدعى، تسبب عنه
النهى عما اتصفوا به من خفة السفه و طيش الجهل [فقال - ١] :
(فلا تعجل عليهم^٢) بشئ مما تريد به الراحة منهم .

و لما كانت مراقبة [ناصر - ٢] الإنسان لعدوه فى الحركات
و السكنات أكبر شاف للولى و مفرح، و أعظم غائظ للعدو و مزعج
١٠ و مخيف و مقلق، علل ذلك^٣ بقوله^٤ دالا على أن زمنهم قصير جدا
بذكر^٥ العد : (انما نعد لهم) بامهالنا [لهم - ١] و إدرارنا النعم عليهم
(عدا^٦) لأنفسهم فما فوقها لا تغفل^٧ عنهم بوجه . فاذا جاء أجلهم
[الذى - ٢] ضربناه لهم، محونا آثارهم، و أخطينا منهم ديارهم، لا يمكنهم
أن يفوتونا، فاصبر فما أردنا باملاتنا لهم إلا إشقاءهم و إرداءهم لاتعيمهم
١٥ و إعلاهم، فهو من قصر الموصوف على صفته أفرادا .

و لما بين مآل حال الكافرين فى الهتهم و دليله، اتبعه بوقته فقال :
(يوم) أى يكفرون بعبادتهم يوم (نحشر المتقين)^٨ أى العريقين^٩

(١) زيد من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) تكرر فى الأصل فقط (٤) العبارة
من هنا إلى « العد » ساقطة من ظ (٥) من مد، و فى الأصل : مدار (٦) زيد
من مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : لا نفضل (٨-٨) سقط ما بين الرقين
من ظ .

في هذا الوصف^١؛ ولما تقدمت سورة النعم العامة التحل، و أتبت سورة النعم الخاصة بالمؤمنين و بعض العامة، مثل "و لقد كرمتنا بني آدم" الإسماء، ثم سورتي^٢ الخاصة بالصالحين الكهف وهذه، قال: ﴿إلى الرحمن﴾ فيدخلهم دار الرضوان^٣، فذكر الاسم الدال على عموم الرحمة. و كرره في هذه السورة تكريرا دل على ما فهمته. وربما أيد ذلك افتتاح التحل^٥ بنعمة البيان على هذا الإنسان التي عبر عنها بالخصيم، و ختام هذه بالقوم اللذ^٢ من حيث رد مقطع هذه التي كانت بالنظر إلى النعم شيئا واحدا على مطلعها ﴿وفدا لا﴾ أي القادمين في إصرار و رفعة^٤ و على، كما تقدم الوفود على الملوك، فيكونون في الضيافة والكرامة

ولما ذكر ما يدل على كرامة أوليائه، أتبعه ما يدل على إهانة^{١٠} أعدائه فقال: ﴿ونسوق المجرمين﴾ أي بالكفر وغيره من المعصية^١، كالبهائم سوقا عنيفا مزججا حيثما ﴿إلى جهنم﴾ بسطوة المنتقم الجبار^١ ﴿ورداه﴾ أي عطاشا ﴿لا يملكون الشفاعة﴾ أي لا يملك أحد من القسمين أن يشفع ولا أن يشفع فيه ﴿إلا من اتخذ﴾ أي كلف نفسه واجتهد في أن أخذ ﴿عند الرحمن عهدا﴾ بما وفقه له من الإيمان^{١٥} و الطاعة التي وعده عليها أن يشفع أو أن يشفع فيه؛ فالآية من الاحتباك: ذكر الرحمن أولا دليلا على المنتقم ثانيا، و جهنم ثانيا دليلا

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) بهامش ظ: سورتي، معني أصله سورتين
حذفت النون للإضافة (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: الد (٤) من مد، وفي الأصل و ظ: تشفع.

على حذف الجنة أولا .

و لما أبطل مطلق الشفعاء ، وكان الولد أقرب شفيع ، وكانوا قد
ادعوا له ولدا ، أبطل دعواهم فيه ليتقى كل شفيع خاص و عام ، فيتقى
كل عزراموه بشفاعة آفئتهم و غيرها . فقال عاطفا على قوله "و آتخذوا
/ من دون الله الهة" موجبا منهم : (وقالوا) أى الكفرة (آتخذ الرحمن)
أى الذى لا منعم غيره ، فكل أحد محتاج إليه و هو غنى عن كل أحد
(ولدائه) قالت اليهود : عزيز ، و النصارى : المسيح ، و المشركون :
الملائكة . مع قيام الأدلة على استحالة عليه سبحانه ؛ ثم استأنف الالتفات
إلى خطابهم بأشد الإنكار ، إيماء إلى تنهى الغضب فقال : (لقد) أى
١٠ و عزى لقد (جئتم شيئا ادا لا) أى عظيما ثقيلا منكرا ؛ ثم بين ثقله
بقوله : (تكاد السموات) على إحكامها . 'مع بعدها من أصحاب هذا
القول ' (يفطرون) ' أى يأخذن فى الانشقاق ' (منه) أى من هذا
الشيء الإد (و تنشق الارض) على تحتها 'شقا نافذا واسعا ' (و تخر)
' أى تسقط سريعا ' (الجبال) على صلابتها (هذا لا) ' كما يفسح
١٥ السقف تحت ما لا يحتمله من الجسم الثقيل ' ، لاجل (ان دعوا) ' أى
سموا ' (للرحمن) الذى كل ما سواه نعمة منه (ولدائه) ' هذا المفعول
الثانى ، و حذف الأول لإرادة العموم ' (و ما ينبغي) أى ما يصح
و لا يتصور (للرحمن ان يتخذ ولدائه) لانه غير محتاج إلى الولد بوجه ،
(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : منبرا .

ومع ذلك فهو محال ، لأن الولد لا يكون إلا مجانسا للوالد . ولا شيء من النعم بمجانس للنعم المطلق الموجد لكل ما سواه ، فمن دعا له ولدا فقد جعله كبعض خلقه ، وأخرجه عن استحقاق هذا الاسم ، ثم أقام الدليل على غناه عن ذلك واستحالة عليه ، تحقيقا لوحديته ، وبيانا لرحمانيته ، فهدم بذلك الكفر بمطلق الشريك بعد أن هدم الكفر بخصوص الولد . فقال : { ان } ' أى ما ' { كل من } ' أى شيء من العقلاء ، فهو نكرة موصوفة لوقوعها بعد ' كل ' وقوعها بعد ' رب ' { فى السموات والارض } الذين ادعوا أنهم ولد وغيرهم { الآ } . [ولما كان من العبد من يعصى على سيده ، عبر بالإتيان فقال - ١] : { اتى الرحمن } العام بالاحسان ، أى منقاد له [طوعا أو كرها - ٢] فى كل حالة وكل وقت { عباده } ١٠ مسخرامقهورا ' خائفا راجيا ' ، فكيف يكون العبد ابنا أو شريكا ؟ ' فدلّت الآية على التنافى بين العبودية والودية ، فهى من الدليل على عتق الولد والوالد إذا اشتريا ' .

ولما كان من المستبعد معرفة الخلائق كلهم ، اتبعه بقوله : { لقد } أى والله لقد ٢ { احصهم } كلهم إحاطة بهم ٣ { وعدمهم } ٤ ولما كان ١٥ ذلك لا يكاد يصدق ، أكدّه بالمصدر فقال ٥ : { عباده } قبل خلقهم من جميع جهات العبد ولوازمها ، فلم يوجد ولم يولد ، ولم يعدم أو يصب

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) زيد من مد (٣) سقط من مد (٤) ومن هنا تعرض نسخة مد لانطباس إلى ما سنبه عليه .

أحد منهم إلا في حينه الذي عده له . ' وقد يكون الإحصاء قبل الوجود
في عالم الغيب و العد بعد الوجود ' (وكلهم) أى وكل واحد منهم
(اتيه يوم القيامة) بعد بعثه من الموت (فرداه) على صفة الذل ،
موروثا ماله و ولده الذي كنا أعطيناه في الدنيا قوة له و عزاء ، لأنه
٥ لا موجود غيره يقدر على حراسة نفسه من الفناء ، فهو لاشك في قبضته ،
فكيف يتصور في بال أو يقع في خيال أن يكون شيء من ذلك له
ولدا أو معه شريكا .

و لما عم بهذا الحكم الطائع و العاصي ، وكان ذلك محزنا لأهل
الطاعة باستشعار الذل في الدارين ، تحركت النفس إلى معرفة ما أفادتهم
١٠ الطاعة ، و استأنف الجواب لذلك مبشرا لهم بقوله : (ان الذين آمنوا و عملوا)

تصديقا لادعائهم الإيمان ، الأعمال (الصلحت / سيجعل) تحقيقا عما / ٤٣٨

قليل عند^٢ يعة العقبة (لهم الرحمن) الذى خصهم بالرضا بعد أن عهم
بالنعمة ، جزاء على انقيادهم له ، لأنه كان إما باختيارهم و إما برضام
(وداه) أى حبا عظيما في قلوب العباد ، دالا على ما لهم عندهم من الود ؛
١٥ ' قال الأصبهاني : من غير تودد منهم و لا تعرض للأسباب التى تكسب
بها الناس مودات القلوب من قرابة أو صداقة أو اصطناع غيره أو غير
ذلك ، وإنما هو اختراع ابتدأ اختصاصا منه لأوليائه بكرامة خاصة كما

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد في الأصل : الصالحات ، و لم تكن
الزيادة في ظ لحذفناها (٣) في الأصل يياض عبأناه من ظ .

'قذف في قلوب أعدائهم الرعب والهيبة إعظاما لهم وإجلالا لمكانهم - انتهى' . والمراد - والله أعلم - أنه لا يجعل سبحانه في قلب أحد من عباده الصالحين^٢ عليهم أخته ، لأن الود - كما قال الإمام أبو الحسن الحرالي : خلو عن إرادة المكروه ، وسيأتي إن شاء الله تعالى في سورة الروم^٣ ما يزيد ذلك وضوحا ؛ روى الشيخان^٤ وغيرهما^٥ عن أبي هريرة ه رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله إذا أحب عبدا دعا جبرئيل فقال : يا جبرئيل ! إنى أحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبرئيل ثم ينادى في أهل السماء : إن الله يحب فلانا [فأحبه] ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإن الله إذا أبغض عبدا دعا جبرئيل فقال : [يا جبرئيل-^٦] ! إنى أبغض فلانا فأبغضه ، فيبغضه جبرئيل ثم ينادى ١٠ في أهل السماء : إن الله يبغض فلانا فأبغضوه ، فيبغضه أهل السماء ثم يوضع له البغضاء في الأرض .

ولما كان إزال هذا القول تثقيلا ثم تيسيره حفظا وعملا سيما لما جعل لأهل الطاعة في الدنيا من الود بما لهم من التحلى والتزين بالصالحات ، والتخلى والتصون من السيئات ، الدال على ما لهم عند ١٥ مولاهم من عظيم العز والقرب ، وكان التقدير : والذين كفروا ليكسبنهم

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) سقط من ظ (٣) آية ٢١ (٤) البخارى في عدة المناسبات ، و مسلم في كتاب البر والصلة - باب إذا أحب الله عبدا أمر جبرئيل فأحبه وأحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض (ه) مثل الترمذی والإمام أحمد (٦) زيد من ظ .

الجبار بغضا و ذلا ، فأخبر^١ كلا من الفريقين بما له بشارة و نذارة ، قال
 ممسيا عن إفصاح ذلك و إضمامه^٢ : ﴿ فأنما يسرناه ﴾ أى هذا القرآن ،
 الذى عجز عن معارضته الإنس و الجن ، و الكتاب القيم و الوحى الذى
 لا مبدل له بسبب إنزالنا إياه ﴿ بلسانك ﴾ هذا العربى المبين ، العذب
 ٥ الرصين ﴿ لتبشر به المتقين ﴾ و هم الذين يحملون بينهم و بين ما يستخط
 الله و قايه ، فلا يظنون حقا و لا يحقون باطلا ، و متى حصلت لهم هفوة
 بادروا الرجوع عنها [بالمتاب - ٢] ، بما لهم عندنا من العز الذى هو ثمرة
 العز المدلول عليه بما لهم منه فى الدنيا . لا لتحزنهم بأن ينزل فيه ما يوم
 تسويتهم بأهل المعصية فى كلنا^٣ الدارين ﴿ و تنذر به قوما لداه ﴾ أشد
 ١٠ فى الخصومة ، يريدون العز بذلك ، لما لهم عندنا من الذل و الهوان
 الناشئ عن المقت المسبب عن مساوى الأعمال ، و أنا نهلكهم إن لم يرجعوا
 عن لددهم ، و الآله هو الذى يتبادى فى غيه و لا يرجع لدليل ، و يركب
 فى عناد الحق ما يقدر عليه من الشر ، و لا يكون هذا إلا بمن يحتقر
 من يخاصمه و يريد أن يحمل الحق باطلا ، تكبرا عن قبوله ، فينطبق عليه
 ١٥ ما رواه مسلم فى الإيمان^٤ عن صحيحه ، و أبو داود فى اللباس^٥ من سننه ،
 و الترمذى فى البر^٦ من جامعه . و ابن ماجه^٧ فى السنن^٨ من سننه عن ابن مسعود
 (١) من ظ ، و فى الأصل : خبر (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) زيد
 من ظ (٤) فى ظ : ذل (٥) باب تحريم الكبر و بيانه (٦) باب ما جاء فى
 الكبر (٧) من ظ ، و فى الأصل : حبان (٨) أى المقدمة ، و راجع « باب فى
 الإيمان » .

رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة / من كبر ، فقال رجل : [إن الرجل -^١] يجب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، فقال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق و غبط - وفي رواية : و غمص - الناس . وكلاهما بمعنى الاحتقار ، ومن كان هذا سيله مرن على ذلك ومرد عليه ، فكان جديرا بأن ه يركبه الله أبطل الباطل : الكفر عند الموت ، فتحرم عليه الجنة ، فان من يرتع حول الحمي يوشك أن يواقعه ” ساصرف عن ائتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق “ - الآية^٢ . فيا ذل من تكبر على الحق ! و يا عز من تشرف بالذل للحق والعز على الباطل ! ولعمري لقد أجرى الله عادته - ولن نجد لسنة الله تحويلا - [أن -^٣] من تعود الجراءة بالباطل ١٠ كان ذليلا في الحق ، وإليه يشير قوله تعالى في وصف أجهاب ” اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين “ .

ولما كان التقدير بعد ما أرشد إليه السياق من مفعول ” ينذر “ : فاما قادرون على إهلاكهم وجميع ما نريد منهم . عطف عليه قوله : ﴿وكم أهلكنا﴾^٤ بما لنا من العظمة . ولما كان المراد التعميم ، أثبت الظرف^٥ ١٥

(١) و من هنا تستأنف نسخة مد (٢) زيد من ظ و مد و صحيح مسلم .

(٣) ٤٩ : من الأعراف (٤) زيد من ظ و مد (٥) سورة ه آية ٤٥ (٦-٧) سقط

ما بين الرقمين من ظ .

'عريا عن' الجار ، و أكد [الخبر - ٢] باثبات 'من' بعده فقال^٢ :
 (قبلهم من قرن^١) كانوا أشد منهم شدة ، وأكثر عدة ، وأوثق
 عدة ، فلم يبق إلا سماع أخبارهم ، ومشاهدة آثارهم ؛ ثم قال تصويرا
 لحالهم ، و تقريرا لمضمون ما مضى من مآلهم : (هل تحس منهم من أحد)
 ٥ يصر أو لمس (أو تسمع لهم ركزا^٣) أى صوتا خفيا فضلا عن أن
 يكون جليا ، فقد ختمت السورة بما بدئت به من الرحمة لأوليائه ، و الود
 لأصفيائه ، و النعمة للذين خلفوا بعدهم من أعدائه ، بعد الرحمة للفريقين
 بهذا الكتاب بشارة و نذارة . فحلت الرحمة على أوليائه ، و زلت عن
 أعدائه و الله الموفق .

* * * *

* * *

* *

°

(١-٢) من مد ، و فى الأصل : عن نافي - كذا (٢) زيد من مد (٣) العبارة من
 « عريد ، إلى هنا ساقطة من ظ .

سورة طه

عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم

مقصودها الإعلام بامهال المدعويين [والحلم عنهم - ٢] والترفق بهم إلى أن يكونوا أكثر الأمم . زيادة في شرف داعيهم صلى الله عليه وسلم ، وعلى هذا المقصد الشريف دل اسمها بطريق الرمز والإشارة ، لثنتين ه أهل الفطنة والبصارة ، وذلك بما في أولها من الحروف المقطعة ، وذلك أنه لما كان ختام سورة مريم حاملا على الخوف من أن تهلك أمته صلى الله عليه وسلم قبل ظهور أمره الذي أمره الله به واشتعار دعوته ، لقلة من آمن به منهم ، ابتداء سبحانه بالطاء إشارة بمخرجها الذي هو من رأس اللسان وأصول الثنتين العليين إلى قوة أمره وانتشاره ، ١٠ وعلوه وكثرة أتباعه ، لأن هذا المخرج أكثر المخارج حروفا ، وأشدّها حركة ، وأوسعها انتشارا ، وبما فيها من صفات الجهر والإطباق والاستعلاء والقلقلة إلى انقلاب ما هو فيه من الاسرار جهرا ، وما هو فيه من الرقة فخامة ، لأنها من حروف التفخيم ، وأنه يستعلى أمره ، وينتشر ذكره ، حتى يطبق جميع الوجود / ويقلقل سائر الأمم ، ولكن يكون ١٥ / ٤٤٠ ذلك - بما تشير إليه الهاء بمخرجها من أقصى الحلق - على [حد - ٢] بعده

(١) العثرون من سور القرآن ، مكية وآياتها - كما قال الداني : مائة وأربعون آية شامى ، وخمس وثلاثون كوفى ، وأربع حجازى ، وآيتان بصرى - راجع روح المعاني ٥ / ٢١٨ (٢) زيد من ظ ومد (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : صفة (٤) من ظ ومد . وفى الأصل : تقليل .

من طرف اللسان مع طول كبير وتماد كثير، وبما فيها من صفات الحمس والرخاوة والافتتاح والاستفال والحفاء مع مخافة وضعف كبير، وهدوء وخفاء عظيم، ومقاساة شدائد كبار، مع نوع نخامة واشتهار. وهو وإن كان اشتهارا يسيرا يغلب هذا الضعف ه [كله وإن كان قويا شديدا. وقراءة الإمالة للهاء تشير إلى شدة الضعف - ']، وقراءة التفعيم - وهي لاكثر القراء - مشيرة إلى نخامة القدر وقوة الأمر^٢، بما لها من الافتتاح، وإن رثى أنه^٣ ليس كذلك "إنه ليخافه ملك بنى الأصفر" وإن كان معنى الحرفين: يا رجل، فهو إشارة إلى قوته وعلو قدره، ونخامة ذكره، وانتشار أتباعه وعموم أمره، وإن كانا إشارة إلى وطئ الأرض فهو إلاحه إلى^٤ قوة التمكن وعظيم القدرة وبعد الصيت حتى تصير^٥ كلها ملكا له ولاتباعه، وملكا لامراته وأشياعه - والله أعلم. وذكر ابن القرات^٦ في تأريخه أن هجرة الحبشة كانت في السنة الثامنة^٧ من المبعث فالظاهر - على ما يأتي في إسلام عمر رضى الله عنه - أن نزول هذه السورة أو أولها كان قرب ١٥ هجرة الحبشة، فيكون سبحانه قد رمز له صلى الله عليه وسلم على ما هو

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: القدر.
(٣) بهامش ظ: أى أن الأمر (٤) أى الروم - كما في اللسان (٥) سقط من ظ (٦) في مد: تكون (٧) هو محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الحسن المصرى المتوفى سنة ٨٠٧ هـ - راجع معجم المؤلفين ١٠/ ١٥٩ (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: الثانية.

ألف في محادثته الأحباب ، من صريح الخطاب ، بعدد مسمى الطاء^١ إلى أن
ومن الكفار - [الوهن^٢ -] الشديد - يقع في السنة التاسعة من نزولها ،
و ذلك في [غزوة بدر الموعد في سنة أربع من الهجرة ، و بعدد اسمها إلى
أن الفتح الأول يكون في السنة الحادية عشرة من نزولها ، و ذلك في -^٣]
عمرة الحديبية في ذى القعدة سنة ست من الهجرة عند نزول سورة هـ
الفتح ، و رمز له بعدد مسمى الهاء إلى أن مبدأ النصرة بالهجرة في السنة
الخامسة من نزولها ، و بعدد اسمها إلى أن نصره بالفعل يقع في السنة السابعة
من نزولها ، و ذلك في غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة ،
و بعدد حرفي اسمها^٤ لا بعدد اسميهما إلى أنه في السنة الثالثة عشرة من نزولها
يكون بفتح الأكبر بالاستعلاء على مكة المشرفة التي كان سياريا قريبا الاستعلاء ١٠
على جميع الأرض ، و ذلك في أو آخرها في رمضان سنة ثمان من الهجرة ،
و كان تمامه بفتح الطائف بارسال و قدم و إسلامهم و هدم طاغيتهم في
سنة تسع ، و هي السنة الرابعة عشرة ، و بعدد اسميهما^٥ إلى أن تطبيق
أكثر الأرض بالإسلام يكون في السنة الثامنة عشرة من نزولها ، و ذلك
بخلافة عمر رضي الله عنه في السنة الثالثة عشرة من الهجرة - و الله أعلم . ١٥
﴿ بسم ﴾ الواسع الحلم اتام القدرة ﴿ بسم ﴾ الله ﴿ الملك الأعظم ﴾ ﴿ الرحمن ﴾

(١) بهامش ظ : أعني الحرف الأول منها . والاسم طاء مشتمل على ط و مدة و همزة
فظهر أن المسمى الأول (٢) زيد ما بين الحائزين من ظ و مد (٣) بهامش
ظ : أي السورة (٤) بهامش ظ : أي الحرفين (٥) زيد في ظ : الله (٦-٧) سقط
ما بين الرقنين من ظ .

الذى استوى فى أصل نعمته جميع خلقه (الرحيم) الذى آتم النعمة
على أهل توفيقه واطفه (طه) أى تخلص بالغ من كل ما يخشى
و ظهر عظيم و طيب منتشر فى كل قطر إلى نهاية الوطن الذى هو
التاسع ، بمن له الإحاطة التامة بكل غيب ، وإليه يرجع الأمر كله ،
هـ كما اجتمعت أسماؤه كلها فى غيب^٢ هو الذى جعل العزة^٣ للهادين
و الهدى للثقلين . / ٤٤١

هذه السورة^٤ و أتى قبلها من أقدم السور المكية ، قال ابن
هشام فى تهذيب السيرة^٥ : قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم الزهرى
عن أنى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى عن أم سلمة
١٠ بنت أم أمية بن المغيرة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قال : قالت : لما
نزلنا بأرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشى . أمنا على ديننا و عبدنا الله
تبارك و تعالى لا تؤذى و لا نسمع شيئا نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشا
اتتمروا بينهم - فذكر إرسالهم إليه بهدايا ليردهم إليه . و أن بطارقه
كلوه فى ذلك ، و أنه أبى حتى يسمع كلامهم . و أنه طلبهم فاجمع
١٥ أمرهم على أن^٦ يقولوا الحق كائنا فيه ما كان . فدخلوا و قد دعا النجاشى
أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله فقال لهم : ما هذا الدين الذى فارقم به

(١) العبارة من هنا إلى « لهدى للثقلين » ساقطة من ظ (٢) زيد فى مد : شىء .
(٣ - ٢) فى مد : ترجع الأمور المنعقدة ، و وقع بعده فى الأصل بياض قدر كلمة .
(٤) من مد . و فى الأصل : رب (٥) بياض فى الأصل ملأناه من مد (٦) من
ظ و مد . و فى الأصل : السورتين (٧) ١ / ١١٥ (٨) من ظ و مد ، و فى
الأصل : انهم .

قومكم ولم تدخلوا به في دين أحد من هذه الملل . قالت : فكان الذي
كله جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه فقال : أيها الملك ! كنا قوما أهل
جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأثى الفواحش ، ونقطع الأرحام ،
ونسئ الجوار ، ويأكل القوى [منا - ١] الضعيف ، فكنا على ذلك
حتى بعث الله إلينا^٢ رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، ه
فدعانا إلى الله لتوحيده ونعده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه
من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة
الرحم وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن
الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا
أن نعبد الله [وحده - ١] ولا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة ١٠
و الصيام - [قالت - ١] : فعدد عليه أمور الإسلام - فصدقناه^٣ وآمنا
به ، فدعا علينا قوما فعذبونا وقتلونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان ،
فلما قهرونا وظلمونا خرجنا إلى بلادك ، واخبرناك على من سواك ،
ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك ! فقال [له - ٤] النجاشي : هل
معهك مما جاء به عن الله شيء ؟ فقال له جعفر : نعم ! فقال له النجاشي : ١٥
فاقرأه علي ! فقرأ عليه صدر من كنهه ، وبكى والله نجاشي حتى
أخضل لحيته وبكى أسافته حتى أخضلو مصاحفهم حين سمعوا ما تلا
(١) زيد من السيرة (٢) زيدى الأصل : بييا ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد
والسيرة لم تحذفها (٣) من ظ و مد والسيرة ، وفي الأصل : فصدقنا (٤) زيد من
ظ و مد والسيرة .

عليهم : ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ، ثم ذكر تأمينه لهم ورد هدايا قريش ورسلمهم غائبين . وقال ابن هشام^١ : و قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله ابن عياش بن أبي ربيعة عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه أم عبد الله بنت أبي حشمة رضي الله عنها قالت : والله ! إنا لنترحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر رضي الله عنه في بعض حاجاتنا إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف عليّ وهو على شركه ، وكنا نلتقي منه البلاء أذى لنا و شدة علينا ، فقال : إنه الانطلاق يا أم عبد الله ؟ قلت : نعم ! والله لنخرجن في أرض الله ، آذيتونا وقهرتمونا حتى يجعل / الله ٤٤٢

١٠ لنا مخرجا ، فقال : صحبكم الله ، و رأيت له رقة لم أكن أراها ، ثم انصرف وقد أحزنه^٢ فيما أرى خروجنا ، فجاء عامر رضي الله عنه بحاجته تلك فقلت له : يا أبا عبد الله ! لو رأيت عمر آنفا ورقته و حزنه علينا قال : أطمعت في إسلامه ؟ قلت : نعم ! قال : لا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب - يأسا منه - لما كان يرى من غلظته وقسوته - عن الإسلام ، قال ابن إسحاق^٣ :

١٥ و كان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب ، وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنهم ، وكانت قد أسلمت و أسلم زوجها سعيد بن زيد و هم مستخفون بإسلامهم^٤ من عمر ، وكان نعيم بن عبد الله بن النحام - رجل من قومه بني عدى بن كعب - قد أسلم رضي الله عنه ،

(١) في السيرة ١١٩/١ (٢) من السيرة ، وفي النسخ : الأرض (٣) من السيرة ، وفي النسخ : حزنه (٤-٤) في السيرة : هما مستخفيان بإسلامهما .

وكان أيضا يستخني بإسلامه فرقا من قومه . وكان خباب بن الارت
رضي الله عنه يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها يقرئها القرآن ،
فخرج عمر يوما متوشحا بسيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا
من أصحابه رضي الله عنهم قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند
الصفاء وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء . ومع رسول ه
الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبد المطلب و أبو بكر بن أبي قحافة الصديق
وعلى بن أبي طالب في رجال من المسلمين رضي الله عنهم أجمعين ممن
كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى
ارض الحبشة . فلقبه نعيم بن عبد الله رضي الله عنه فقال : أين تريد يا عمر ؟
قال : أريد محمدا هذا الصابي الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب ١٠
دينها وسب آلهتها فأقتله ، فقال له نعيم رضي الله عنه : والله ! لقد غرتك
نفسك "من نفسك" يا عمرا أتري بنى عبد مناف تاركيك تمشي على
الأرض وقد قتلت محمدا ؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فقيم أمرهم ؟ قال :
وأي أهل بيتي ؟ قال : خنتك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو وأختك
فاطمة بنت الخطاب فقد والله أسلما و تابعا محمدا على دينه فعليك بهما . ١٥

فرجع عمر عامدا إلى أخته وخخته وعندهما خباب بن الارت رضي الله
عنه وعنهما ، معه صحيفة فيها طة يقرئها إياها ، فلما سمعوا حس عمر تغيب

(١) من مد والسيرة ، وفي الأصل وظ : الهتا (٢-٢) سقط ما بين اترتين من
ظ (-) زيد في الأصل : هو ، ولم تكن الزيادة في ظ ومد والسيرة لحذفها .

خباب بن الارت رضى الله عنه في مخدع لهم او في بعض البيت ، و اخذت
 فاطمة بنت الخطاب رضى الله عنها الصحيفة فجعلتها تحت ثغرها . وقد سمع عمر
 حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليها ، فلما دخل قال : ما هذه الهيمنة
 التي سمعت ؟ قال له : ما سمعت شيئا ؟ قال : بلى ! والله لقد أخبرت أنكما
 ٥ تابعتما محمدا على دينه ، و بطش بختنه سعيد بن زيد رضى الله عنه فقامت
 إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها ففسجها ، فلما
 فعل ذلك قالت له أخته و ختنة رضى الله عنهما : نعم ! قد اسلنا و آمنا
 بالله و رسوله ، فاصنع ما بدا لك ! فلما رأى عمر [ما - '] بأخته من
 الدم ندم على [ما - '] صنع [فارعوى - '] و قال لأخته : أعطيني
 ١٠ هذه الصحيفة التي سمعتم تقرأون آنفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد ؟
 وكان عمر كاتباً . فلما قال ذلك قالت له أخته : إنا نخشاك عليها ، قال :
 لا تخافي ، و حلف لها بالله أنه ليردنها إذا قرأها إليها ، فلما قال ذلك
 طمعت في إسلامه فقالت له : يا أخى ! إنك نجس على شركك ، و إنه
 لا يمسه إلا الطاهر . فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة و فيها طه فقرأها ،
 ١٥ فلما قرأ منها صدرا قال : ما أحسن هذا الكلام و أكرمه ! فلما سمع ذلك
 خباب رضى الله عنه خرج إليه فقال له : [يا - '] عمر ! والله إنى لأرجو
 أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه صلى الله عليه و سلم فاني سمعته
 [أمس - '] و هو يقول : اللهم ! أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام
 أو بعمر بن الخطاب فآله الله يا عمر ! فقال له عمر عند ذلك : فدلني

(١) زيد من ظ و مد والسيرة (٢) من ظ و مد والسيرة ، و في الأصل : فيها .

يا خباب على محمد حتى آتیه فأسلم، فقال له خباب: هو في بيت عند
الصفاء، معه فيه نمر من أصحابه، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمسده إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا
صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من
خلل الباب فرآه متوشحاً السيف فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ه
وهو فزع فقال: يا رسول الله! هذا عمر بن الخطاب 'متوشحاً السيف'!
فقال حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه: فأذن له، فإن كان جاء يريد
خيراً بذلناه^٢ له، وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: ائذن له، فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى لقيه في الحجرة فأخذ^٣ بحجزته أو بمجمع ردائه ثم جبذه ١٠
جبذة شديدة^٤، وقال: ما جاء بك يا ابن الخطاب! فوالله ما أرى أن
تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة، فقال عمر: يا رسول الله! جئتك لأؤمن
بالله وبرسوله وما جاء من عند الله، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
عمر قد أسلم. ففترق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم، وقد ١٥
عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر بن الخطاب مع إسلام حمزة رضى الله عنهما،
وعرفوا أنها سيمعان رسول الله صلى الله عليه وسلم وياتصفون

(١-١) من ظ و مد و السيرة، وفي الأصل: متوشح سيفه (٢) من ظ و مد
و السيرة، وفي الأصل: بذلنا (٣) من مد و السيرة، وفي الأصل و ظ: فاخذه.
(٤-٤) من ظ و مد و السيرة، وفي الأصل: فقال.

بهما من عدوهم . فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر
رضي الله عنه حين أسلم . وكان إسلام عمر بعد إسلام حمزة رضي الله
عنهما بثلاثة أيام ، كما ثبت ذلك في حاشية شرح العقائد عن فوائد
تمام الرازي^١ . و صفوة^٢ الصفوة لابن الجوزي^٣ ؛ قال ابن هشام^٤ : قال ابن
إسحاق : و حدثني نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما قال : لما أسلم عمر قال : أي قریش أنقل للحديث ؟ قال : قير له :
جميل بن معمر الجمحي ، فقد عليه . قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :
و غدوت أتبع أثره و أنظر ما يفعل و أنا غلام أعقل كل ما رأيت
حتى جاءه فقال له : أعلمت يا جميل أني أسلمت و دخلت في دين محمد ؟
قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه . و اتبعه عمر رضي الله عنه
و اتبعت أن حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يا معشر
قریش ! - و هم في آنديتهم حول الكعبة - الا ! إن ابن / الخطاب
قد صاب . قال : يقول عمر رضي الله عنه من خلفه : لذب و لكفى قد
أسلمت . شهدت أن لا إله إلا الله . و أن محمدا عبده و رسوله . و ثاروا
إليه فمارح يقاتلهم و يقاتلون حتى قامت الشمس على رؤسهم [قال -] :
و طمخ^٥ فقموا و قاموا على رأسه و هو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف

٤٤٤

(١) هو تميم بن محمد بن عبد الله بن جعفر البجلي محدث دمشق المغربي المتوفى سنة
٤٤٤ هـ - راجع كشف الظنون ١٢٩٦ (٢) طبعها الدائرة باسم صفة الصفوة (٣) راجع
حديث ابن عباس (٤) راجع السيرة ١٢٠١ هـ من السيرة . وفي الأصول :
حده (٥) زيد من ظ و مد و السيرة (٦) يامش ظ : أي أعيا .

بأنه أن لو [كنا - ١] ثلاثمائة رجل لقد تركناها^١ لكم أو تركتموها لنا ، قال : فينما هو على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقيص موشى حتى وقف عليهم فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : صبا عمر ، قال : فه ١٢ رجل اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون ؟ أترون بنى عدى بن كعب يسلبون لكم صاحبهم ؟ هكذا^٢ عن الرجل ا قال : فوالله لكأنما كانوا ثوبا ه كشط عنه . وفي الروض الآنف^٣ للإمام أبى القاسم السهيلي أن يونس روى عن ابن إسحاق أن عمر قال حين أسلم رضى الله عنه :

الحمد لله ذى المن الذى وجبت له علينا أياد ما لها غير
و قد بدأنا^٤ فكذبنا فقال لنا صدق الحديث^٥ نبى عنده^٦ الخبر
و قد ظلمت ابنة الخطاب ثم^٧ هدى ربى عشية قالوا قد صبا عمر ١٠
و قد ندمت على ما كان من زلل بظلمها حين تتلى عندها السور
لما دعت ربها ذا العرش جاهدة و الدمع من عينها مجلان يبتدر^٨
أيقنت أن الذى تدعوه خالفها فكاد يسبقنى من عبرة درر
فقلت أشهد أن الله خالفنا و أن أحمد فينا اليوم مشتهر
بنى صدق أتى بالحق من ثقة و ا فى الأمانة ما [فى - ١٠] عوده خور ١٥

إذا تقرر هذا ، علم أن المقصود من السورة - كما تقدم - تشريف

(١) زيد من ظ و مد و السيرة (٢) بهامش ظ : أى مكة (٣) بهامش ظ : ما استفهامية و إلا للسكت (٤) من ظ و مد و السيرة ، وفى الأصل : صاحبكم .
(٥) زيد فى السيرة : خلوا ، و بهامش ظ : أى تنحوا عنه هكذا (٦) ٢١٨/١ .
(٧) من الروض ، وفى الأصول : برانا (٨-٨) من ظ و مد و الروض ، وفى الأصل : النبى عبده (٩) من مد و ظ و الروض ، وفى الأصل : حين (١٠) زيد من ظ و مد و الروض .

هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بأعلامه بالرفق بأمته . و الإقبال
 بقلوبهم حتى يملأوا الأرض كثرة ،^١ كما أنزل عليهم السكينة وهم في
 غاية الضعف والقلة ، و حماهم ممن يريد قتلهم ، و لين قلب عمر رضى الله
 عنه بعد ما كان فيه من الغلظة و جعله وزيراً ، ثم حماه بعدوه ، و تأمينه
 ه صلى الله عليه وسلم من أن يستأصلوا بعذاب ، و بأنه يموت نبيهم قبلهم
 لا كما وقع للمهلكين من قوم نوح و هود عليهما السلام و من بعدهم -
^٢ بما دل عليه افتتاح هذه بنى الشقاء و ختم تلك بجعل الود و غير ذلك ،
 و الداعى إلى هذا التأمين^٣ أنه سبحانه لما ختم تلك باهلاك القرون
 و إبادة الأمم بعد إنذار القوم اللد ، و لم^٤ يختم سورة من السور الماضية بمثل
 ١٠ ذلك ، [كان -^٥] ربما أفهم أنه قد انقضت مدتهم ، و حل بوارهم ، و أتى
 دمارهم ، و أنه لا يؤمن منهم - لما^٦ هم فيه^٧ من اللدد - إلا من قد آمن ،
 فحصل بذلك من النعم و الحزن ما لا يعلم قدره إلا الله ، لأن الأمر كان
 فى ابتدائه ، و لم يسلم منهم إلا نفر يسير جداً ، فسكن سبحانه الروح بقوله :
 ﴿ مَا أَرْزَلْنَا ﴾ بعظمتنا^٨ ﴿ عَلَيْكَ ﴾ أى و أنت أعلم الخلق^٩ ﴿ الْقُرْآن ﴾
 ١٥ أى ' أعظم الكتب ' ، الجامع لكل خير ، و الدافع لكل ضير^{١٠} ، الذى
 يسرناه بلسانك ﴿ لَتَشْقَى ﴾ أى تبعب قلبك بكونك من أقل المرسلين
 تابعا بعد استئصال قومك و شقائهم بانذارك ﴿ الْإِلا ﴾ أى لكن أنزلناه
 (١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢-٢) فى ظ : وذلك (٣) من ظ و مد ،
 و فى الأصل : لما (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) فى مد : فيهم (٦) سقط
 من ظ (٧) بهامش ظ : الضير هو الضر .

(تذكرة) [أى - '] "تذكيرا / عظيما" (لمن يخشى) من أشرنا في ٤٤٥
 آخر التي قبلها إلى بشارته إيماء إلى أنه سيكون فيهم من المتقين من تناسب
 كثرة إعجاز هذا القرآن ودوامه ، وما فيه من الجمع "المشار إليه بالتعبير
 بالقرآن لجميع " ما في " الكتب السالفة من الأحكام أصولا وفروعا ،
 والمواعظ والرفائق ، والمعارف والآداب ، وأخبار الأولين والآخرين ، ه
 ومصالح الدارين ، " وزيادته عليها بما شاء الله " ، لأن كثرة الأمة على
 قدر جلالة الكتاب ، والتعبير عن ' لكن ' بالإشارة إلى أنه يمكن أن
 يكون من باب :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتاب
 وأشار بالمصدر الجارى على غير الفعل في قوله : (تنزيلا) إلى أنه ١٠
 يتمهل عليهم ترفقا بهم ، ولا ينزل هذا القرآن إلا تدريجا ، إزالة لشبههم ،
 وشرحا لصدورهم ، وتسكينا لنفوسهم ، ومدا لمدة البركة فيهم بتردد
 الملائكة الكرام إليهم ، كما أنه لم يهلكهم بمعاصيهم اكتفاء بيته " ما في
 الصحف الأولى ، بل أرسل إليهم رسولا ثلاثا يقولوا : ربنا لولا - كما
 اقتضته حكمته وتمت به كلمته ، ولما كان رجوعهم إلى الدين على ما ١٥
 يشاهد منهم من الشدة والافتة والشماخة إلى سمام الله بها قوما لدا في
 غاية البعد ، شرع سبحانه يذكر بقدرته إشارة إلى أن القلوب بيده يقلبها
 كيف شاء كما صورها كيف شاء ، وأن شأنه الرفق والافتة ، فقال
 ملتفتا من التكلم إلى الغيبة ليدل على ما اقتضته النون من العظمة

(١) زيد من مد (٢-٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) بهامش ظ : القرآن
 مشق من القراء وهو الجمع (٤) من ظ ومد ، وفي الأصل : بما في بيته .

[مقدما ما اقتضى الحال تقديمه من سكن المدعوين المعنى بتذكرتهم و هداية من أريد منهم - ١] : ﴿ من خلق الأرض ﴾ المنخفضة ٢ .

و لما ٣ قدم الأرض إعلاما بالاعتناء برحمتها بالترفق بسكانها ليملأها بالإيمان منهم تحقيقا لمقصود السورة تشريفا [للنزل عليه - ٤] ، أتبعها محل الإنزال على سبيل الترقى من بيت العزة إلى ما كنزه في خزانة العرش ٥ فقال : ﴿ والسّموات العلى ٦ ﴾ في ستة أيام ، ولوشاء كاتا في لحظة .

و لما كان القادر قد لا يكون ملكا ، قال دالا على ملكه ٧ مادحا له بالقطع خبرا لمبتدئ محذوف ٨ : ﴿ الرحمن ﴾ مفتحا بالوصف ٩ المفيض للنعم ١٠ العامة للطائع و العاصي ؛ [ثم ذكر خبرا ثانيا دالا على عموم الرحمة فقال - ١] : ﴿ على العرش ﴾ الحاوي لذلك كله ﴿ استوى ١١ ﴾ ١٠ أى أخذ في تدبير ذلك منفردا ١٢ ، فخطب العباد بما يفهمونه من قولهم : فلان استوى . أى جلس معتدلا على سرير الملك ، فانفرد بتدبيره ١٣ وإن لم يكن هناك سرير ولا كوثن عليه أصلا ، هذا روح هذه العبارة ، كما أن روح قوله عليه الصلاة و السلام الذى رواه مسلم ١٤ عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ١٥ « القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف شاء » أنه سبحانه و تعالى عظيم القدرة على ذلك . و هو عليه بسير خفيف كخفته على من هذا

(١) زيد من ظ و مد (٢) العبارة من هنا إلى « العرش فقال ٥ ساقطة من ظ .
(٣) زيد في مد : كان (٤) زيد من مد (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ .
(٦-٦) من ظ و مد ، و في الأصل : الفيض المنعم (٧) من مد ، و في الأصل :
بتدبير ، و الكلمة مع سابقتها ساقطة من ظ (٨) في باب تصريف الله تعالى
القلوب كيف شاء كتاب القدر ، و لفظه : إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين
من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء .

حاله ، وليس المراد أن هناك إصبعا أصلا - نه على ذلك حجة الإسلام الغزالي ،^١ ومنه أخذ الزمخشري^٢ أن يد فلان مبسوطة كناية عن جواد وإن لم يكن هناك يد ولا بسط أصلا .

ولما كان الملك قد لا يكون مالكا ، قال [مقدما الأشرف على العادة -^٣]:

(له ما في السموات) أى كله من عاقل وغيره (وما في الأرض) هـ
جميعه (وما بينهما) أى السماوات والأرض (وما / تحت الثرى) هـ / ٤٤٦
^٤ وهو التراب التدى ، سواء قلنا : إنه آخر العالم فاتحته عدم المحض أم لا ؟ فيكون تحته نور أو الحوت أو غيرهما .

ولما كان الملك لا ينتظم غاية الانتظام إلا باحاطة العلم . وكان الملك من الآدميين^٥ قد لا يعلم أحوال أقصى ملكه كما يعلم أحوال أدناه لا سيما إذا كان واسعا^٦ ولذلك يحتل بعض أمره^٧ ، أعلم أنه سبحانه بخلاف ذلك ، فقال حثا على مراقبته والإخلاص له : (وان تجهر بالقول) أى بهذا القرآن للبشارة والندارة أو لغير ذلك أو بغيره ، فانه عالم به وغير محتاج إلى الجهر ،^٨ فلا يتكلف ذلك فى غير ما أمرت بالجهر به لغرض غير الإسماع^٩ (فانه يعلم السر) وهو ما يناجى به الاثنان مخافته (واخفه) هـ / ١٥
من ذلك ، وهو ما فى الضائر بما تخيلته الأفكار ولم يبرز إلى الخارج

(١) العبارة من هنا إلى «لا بسط أصلا» ساقطة من ظ (٢) راجع الكشف ٨٤٥ .

(٣) زيد من مد (٤-٥) سقط ما بين الرقین من ظ .

و غيره من الغيب الذى لم يعلمه غيره تعالى بوجه من الوجوه^١، و منه ما^٢ سيكون من الضائر^٣. [٢-] ولما كان من هو بهذه الاوصاف^٤ من تمام العلم و القدرة^٥ [ربما ظن أن له منازعا، نقي ذلك بقوله معلما أن هذا الظن باطل قطعاً لا شبهة له و أن ما مضى ينتج قطعاً^٦: (الله) مفتتحاً بالاسم الأعظم الحاوى لصفات الكبر و غيرها (لآله الا هو)^٧ ثم علل ذلك بقوله: (له) أى وحده (الاسماء الحسنى^٨) أى صفات الكمال التى لا يصح ولا يتصور أن يشوبها نقص ما، بل هو متصف بها دائماً اتصافاً حقيقياً لا يمكن انفكاكه^٩، كما يكون لغيره من الاتصاف ببعض المحاسن فى بعض الأحيان ثم يعجز عنه فى وقت آخر أو بالنسبة إلى زمان آخر.

ولما أتبع ذلك قصة موسى عليه السلام مصدرة باستفهام مقترن بواو عطف، أرشد ذلك إلى أن المعنى: هل تعلم له سميًا، أى متصفاً بأوصافه أو بشيء منها له. بذلك^١ الوصف مثل فعله، ولما كان الجواب قطعاً: لا، ثبت أن لا متصف بشيء من أوصافه، فعطف على هذا المقدر قصة موسى عليه السلام. و يكون التقدير: هل علمت بما ذكرناك به فى هذه الآيات أن تريد ما هو علينا يسير بما لنا من القدرة التامة و العلم الشامل من إبعادك فى الدارين تكثير اجرک، و تفخيم أمرک. بتكثير

(١) العبارة من هنا إلى الضائر^٣ - ساقطه من ظ (٢-٢) من مد، وفى الأصح: يكون فى (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) - سقط ما بين الرتين من ظ (٥) بهامش ظ: الضمير فى انفكاكه يرجع إلى الاتصاف الحقيقى (٦) فى ظ: بل.

تُباعك ، و عطف عليه القصة شاهدا محسوسا على ما له من الاتصاف
بما اتقى عن غيره من الأسماء الحسنى ، و لاسيما ما ذكر هنا من الاتصاف
بتمام القدرة و التفرد بالعظمة ، و أنه يعلى هذا المصطفى بانزال هذا
الذكر عليه و إيصاله منه إليه النصرة على الملوك و سائر الأضداد ،
و التمكين في أقطار البلاد ، و كثرة الاتباع ، و إعزاز الأنصار ' و الوزراء ' ه
و الأشياء ، و غير ذلك بمقدار ما بين ابتداء أمرهما من التفاوت ، فان
بتداء أمر موسى عليه السلام أنه أتى النار ليُقْبَسَ أهلها منها نارا أو يجد
عندها هدى . ففتح بذلك من هدى الدارين و النصرة على الأعداء كما
سيقص هنا ما منح . و هذا النتي الكريم كان ابتداء أمره ^٢ أنه يذهب
إلى غار حراء فيتعبد الليالي ذوات العدد ، و يتزود لذلك اجتذابا من الحق ١٠
له قبل النبوة بمدد ، تدريبا له و تقوية لقلبه ، فأنته النبوة و هو في مضارها
سائر ^٣ ، و إلى أرجها ^٤ بعزمه صائر بل طائر ^٥ ، و موسى عليه السلام
/ رأى حين أنته النبوة آية "عصا و ليد . و محمد صلى الله عليه و سلم كان
قبل النبوة لا يمر بحجر و لا شجرة ^٦ إلا سلم عليه - كما أسنده ابن إسحاق في
السيرة . و روى مسلم ^٧ و غيره ^٨ عن جابر بن سمرة رضى الله عنه أن النبي ١٥

(١-١) سقط ما بين ابرقين من ظ (٢) من ظ و مد ، و في الاصل : امرأ .
(٣) من ظ و مد ، و في الأصل : سايرا (٤-٤) من ظ و مد ، و في الأصل :
بعزمها سايرا بل طائرا (٥) زيد في الأصل : ولا مدر ، و لم تكن الزيادة في ظ
و مد و لافي السيرة ٨٠/١ فحذفناها (٦) في أول الفضائل (٧) مثل الترمذى في
المنقب و الدارمى في المقدمة .

صلى الله عليه وسلم قال : إني لأعرف حجرا كان يسلم على قبل ان أبعث .
 فقال تعالى مقرر^١ تنبها على أنه يذكر له منه ما يكفي في تسليته وتقوية
 قلبه . و تبكى اليهود الذين توقفوا في أمره صلى الله عليه وسلم ،
 وغشوا قريشا حين تكلفوا طي شقة الدين إليهم ورضوا بقولهم لهم
 ه [و - ٢] عليهم ليكون فائدة الاستفهام أن يفرغ أذنه الشريفة للسمع
 و قلبه للوعى العظم : ﴿ وهل أتاك ﴾ أى يا أشرف الخلق ا
 ﴿ حديث موسى ﴾^٣ نادبا إلى التأسى بموسى عليه السلام في تحمل أعباء
 النبوة و تكليف الرسالة والصبر على مقامات الشدائد^٢ . و شارحا بذكر
 ما في هذه السورة من سياق قصة ما أجمل منها في سورة مريم . و مقرر
 ١٠ بما نظمه في أساليبها ما تقدم أنه مقصد السورة من أنه يسعده ولا يشقيه ،
 ويعزه على جميع شائش^٤ باعزازه على أهل بلده بعد إخراجهم له . كما
 أعز موسى عليه السلام على من خرج^٥ من بلادهم خائفا يترقب ، ترغيا
 في الهجرة ثالثا بعد ما رغب فيها أولا بقصة أصحاب الكهف [و - ٢]
 ثانيا بقصة [آية - ٦] إبراهيم عليه السلام ، وأنه^٦ يعلى قومه على جميع
 ١٥ أهل الأرض ، و ينقذهم به بعد ضعفهم من كل شدة . و يغنى فقرهم
 و يجعلهم ملوك الأرض ، و يذل بهم الجبابرة ، و يهلك من علم شقارته
 منهم كما فعل [بقوم - ٦] موسى . و أشار بانجاء موسى عليه السلام على

(١) العبارة من هنا إلى « لاوعى اعظم » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد .
 (٣) - سقط ما بين الرقبتين من ظ (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : صانعه .
 (٥) بهامش ظ : قاعل 'خرج' ضمير يرجع إلى موسى (٦) زيد من ظ و مد
 (٧) بهامش ظ : معطوف على من أنه يسعده .

يد عدوه وإلقائه المحبة عليه وهداية السحرة دون فرعون وقومه ، وعبادة
 بنى إسرائيل العجل بعد ما رأوا من الآيات والنعم والنقم ، ثم رجوعهم
 عنها إلى عظيم قدرته على التصرف في القلوب لمن كاد^١ يخنع نفسه
 لكفرهم بهذا الحديث أسفا ، وكذا ما في قصة آدم عليه السلام من
 قوله ” فنى ولم يجد له عزما “ وقوله ” تم اجتنبه ربه فتاب عليه ه
 . هدى “ ولعله أشار بقوله ” واحلل عقدة من لساني “ إلى ما أنعم الله
 به عليه من تيسير هذا الذكر^٢ بلسانه ، وأرشد بدعاء موسى عليه السلام
 بشرح الصدر ، وتيسير الأمر وطلب وزير من أهله إلى الدعاء بمثل
 ذلك حتى دعا المنزل عليه هذا القرآن بأن يؤيد الله الدين بأحد الرجلين ،
 فأيده بأعظم وزير : عمر بن الخطاب رضى الله عنه - كما مضى هذا إلى ١٠
 تمام ما اشتمل عليه سياق قصة موسى عليه السلام هنا ، إتماما لتبكيك
 اليهود على تعليمهم قريشا أن يسألوا النبی صلى الله عليه وسلم عن الروح ،
 وما ذكر معها من دقائق ، من أمر قصة نبيهم صلى الله عليه وسلم ،
 لا يعلمها أحد منهم أو إلا حدائقهم . منها أن الموعد كان يوم الزينة ،
 ومنها إيمان السحرة إيمانا كاملا . ومنها التهديد بتصليبهم في جذوع النخل . ١٥
 ومنها إلقاء السامرى لأثر الرسول ، فأنى لم أر أحدا من اليهود يعرف
 ذلك ، وأخبرنى بعض فضلانهم أنه لا ذكر لذلك عندهم .

وقال الإمام أبو جعفر / ابن الزبير في برهانه : لما ذكر سبحانه قصة
 إبراهيم عليه السلام وما منحه وأعطاه . وقصص الأنبياء بعده بما خصهم به ،

(١) بهامش ظ : لمن كاد - موقعه تعليل لقوته : وأشار بانجاء موسى - إلى أن
 ذكر : إلى عظيم قدرته (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : الحديث .

و أعقب ذلك بقوله تعالى " أولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم " وكان ظاهر الكلام تخصيص هؤلاء بهذه المناصب العلية ، والدرجات المنيفة الجليلة . لاسيما وقد اتبع ذلك بقوله " تخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوة و اتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا " كان هـ هذا مظنة إشفاق و خوف . فاتبعه تعالى بملاطفة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ملاطفة المحبوب المقرب [المجتبي - ١] فقال " ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى " و أيضا فقد ختمت سورة مريم بقوله " و كم أهلكنا قبهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا " بعد قوله " و تنذر به يوما لدا " و قد رأى عليه الصلاة و السلام من تأخر قریش عن الإسلام و لددها ما أوجب إشفقة و خوفه عليهم ، و لاشك أنه عليه الصلاة و السلام يحزنه تأخير إيمانهم ، و لذلك قيل له ٢ " فلا تحزن عليهم " فكأنه عليه الصلاة و السلام ظن أن يستعصب المقصود من استجاباتهم ، أو ينقطع الرجاء من إيمانهم فيضول العناء و المشقة . فبشره سبحانه و تعالى بقوله " ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى " فلا عليك ١٥ من لدن هؤلاء و توقفهم . فيستجيب من أضوى على الخشية إذا ذكر و حرك إلى النظر في آيات الله كما قيل [له - ١] في موضع آخر " فلا يحزنك قولهم " ثم أتبع ذلك سبحانه تعريفا و تأنيسا بقوله " الرحمن على عرش استوى " إلى أول قصص موسى عليه السلام . فأعلم سبحانه أن الكل خلقه و ملكه . و تحت قهره و قبضته ، لا يشد شيء من ملكه .

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد بعد في الأصل . سلامهم و . ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحدفاها (٣) من ظ و مد . وفي الأصل : لهم (٤) من ظ و مد . وفي الأصل : .

فاذا شاهد آية من وقفه لم يصعب أمره . ثم اتبع ذلك بقصة موسى عليه
 السلام ، وما كان منه في إلقائه صغيراً في اليم ، وما جرى بعد ذلك
 من عجيب الصنع و هلاك فرعون و ظهور بنى إسرائيل ، و كل هذا
 بما يؤكد ' القصد ' متقدم ، وهذا الوجه الثاني أولى من الأول - والله
 أعلم . انتهى . (اذ) ' أى حديثه حين ' (ناراً) وهو راجع ه
 من بلاد مدين (فقال لاهله امكثوا) أى مكانكم و اتركوا ما أنتم
 عليه من السير ؛ ثم علل أمره بقوله : (انى - است) أى أبصرت فى
 هذا الظلام إبصاراً يبا لا تسهة فيه من إسان تعين لذى تبين به الأشياء .
 و هو مع ذلك مما يسر من الإيس الذين هم ظهرون ما ترك بهم
 (ناراً) فكأنه قيل : فكان ما ذا ؟ فقال معبراً بأداة الترجى لتخصيصه ١٠
 الخبر الذى عبر به ٩ فى النمل بالهدى : (لعلى - اتاكم) أى أترجى أن
 أجيئكم (منها بقبس) أى بشعلة من النار ٢ فى رأس حنطة ٢ فيها جرة
 تعين على برد هذه الليلة - (و اوجد على) مكان (النار هدى ه) أى
 ما ٣ أهتدى به لأن الطريق كانت قد خفيت عليهم (فلما اتها) .
 ٢ ولما كان فى الإيهام ثم تعين تشويق ثم تعظيم ، بنى للفعل ١٥
 قوله ٢ : (نودى) من الهدى الذى لا هدى غيره ؛ ثم بين الذداء بقوله :
 (١) فى مد : يؤيد ٢) بهامش ظ : أى بشارته بقوة : ما أنزلنا (٣ - ٣) سقط
 ما بين الرقعين من ظ (٤) بهامش ظ : قول الشيخ رحمه الله ولا أخذه :
 لتخصيصه الخبر - إلى آخره . فيه نظر فإنه يقول : إنما عبر هنا بالترجى حيث
 قال له : آتيكم منها قبس ، لأن الهدى الذى ذكر هنا حص بالخبر الذى عبر به فى
 سورة النمل ١٥) بهامش : ظ الضمير فى ' به ' راجع إلى الخبر .

(يُؤسَىٰ) ١ ولما كان المقام للتعريف بالأيادي تطفأ، قال 'مؤكدًا،
 تنبيها [له - ٢] على تعرف أنه كلامه سبحانه من جهة / أنه يسمعه من غير
 جهة معينة [و- ٣] على غير الهيئة التي عهدا في مكالمة المخلوقين، مسقطا
 الجار في قراءة ابن كثير و أبي عمرو و أبي حفص بالفتح، و حاكيا
 ه [بقول - ٢] مقدر عند الباقيين: ﴿إني أنا ربك﴾ أى المحسن إليك بالخلق
 و الرزق و غيرهما من مصالح الدارين ﴿فاخلع نعليك﴾ كما يفعل
 بحضرات الملوك أديبا، ٢ و لتالك بركتها و لتكون مهيا للاقامة غير
 ملتفت إلى ما وراءك من الأهل و الولد، و لهذا قال أهل العبارة: النعل
 يدل على الولد ٢.

١٠ ثم علل بما يرشد إلى أنه تعالى لا يحويه مكان و لا يجري ٢ عليه
 زمان فقال: ﴿انك بالواد المقدس﴾ أى المطهر عن كل ما لا يليق بأفنية
 الملوك؛ ثم فسره بقوله: ﴿طوى ٣﴾ و لما كان المعنى: فاني اخترته تشريفا
 له من بين البقاع لمناجاتك، عطف عليه قوله: ﴿و انا اخترتك﴾ أى
 للنبوّة ﴿فاستمع﴾ أى أنصت ملقيا سمعك معملا قلبك للسماع
 ١٥ ﴿لما﴾ أى اخترتك للذي . و قدم ٢ 'استمع' اهتماما به ﴿يوحىء﴾
 أى يقال لك مى سرا مستورا عن غيرك [سماعه - ٢] و إن كان فى
 غاية الجهر، كما يفعل الحبيب مع حبيبه من صيانة حديثهما عن ثالث

(١) العبارة من هنا إلى « عند الباقيين » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) من
 ظ و مد، و فى الأصل: اذبا (٤ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من
 ظ و مد، و فى الأصل: لايجريه (٦) من مد، و فى الأصل: او، و العبارة من
 هنا بما فيها هذه بكلمة إلى « اهتماما به » ساقطة من ظ (٧) من مد، و فى
 الأصل: قلنا .

بما يجعل له من الخلوة إعلاما بعلو قدره ونخامة أمره؛ ثم فسر الموحى بأول الواجبات وهو معرفة الله تعالى، فقال [مؤكدًا لعظم الخبر وخروجه عن العادات - ١]: ﴿ اِنِّى اَنَا اللهُ ﴾ فذكر الاسم العلم لأن هذا مقامه إذ الأنسب لللطوف به - بعد التعرف إليه بالإكرام - الإقامة في مقام الجلال^٢ والجمال^٢.

ولما كان هذا الاسم العلم جامعا لجميع معانى الاسماء الحسنى التى علت عن^٣ أن يتصف بها أو بشيء منها حق الاتصاف غيره تعالى، حسن تعقيبه بقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ ولما تسبب عن ذلك وجوب إفراده بالعبادة، قال: ﴿فَاعْبُدْنِى﴾^٢ أى وحدى^٢: ثم خص من بين العبادات معدن الأنس والخلوة، وآية الخضوع والمراقبة وروح الدين ١٠ فقال: ﴿واقم الصلوة﴾ أى التى أضاءها خلوف السوء، إشارة إلى أنها المقصود بالذات من الدين. لأنها أعلى شرائعه لأنها حاملة على المراقبة، بما فيها من دوام الذكر والإعراض عن كل سوء، وذلك معنى ﴿لذكرى﴾^٥ وذلك أنسب الأشياء لمقام^٤ الجلال، بل هى الجامعة لمظهرى الجلال والجلال؛ ثم عدل الأمر بالعبادة بأنه لم يخلق الخلق سدى، بل لا بد ١٥ من إمامتهم، ثم بعثهم لإظهار العظمة ونصب موازين العدل، فقال [مؤكدًا لإنكارهم معبرا بما يدل على سهولة ذلك عليه جدا - ١]: ﴿ان الساعة آتية﴾ أى لا ريب فى إتيانها، فهى أعظم باعث على الطاعة.

(١) زيد من مد (٢-٢) سقط ما بين الوقين من ظ (٣) سقط من مد (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: بمقام.

و لما كان بيان حقيقة الشيء مع إخفاء شخصه و وقته^١ و جميع أحواله موجبا في الغالب لنسيانه و الإعراض عنه ، فكان غير بعيد من إخفائه أصلا و رأسا ، قال مشيرا إلى هذا المعنى : ﴿ اكاد اخفيها ﴾ [أى أقرب من أن أجدد إخفاءها ، فلذا يكذب بها الكافر بلسانه و العاصي بعصيانه ه فالكافر لا يصدق بكونها و المؤمن لا يستعد غفلة عنها - ٢] ، فراقبني فان الأمر يكون بغتة ، ما من لحظة إلا و هي صالحة للترقب ؛ ثم بين سبب الإتيان بها بقوله : ﴿ لتجزى ﴾^٣ أى بأيسر أمر و أنفذه^٤ ﴿ كل نفس ﴾ كائنة من كانت ﴿ بما تسعى ه ﴾^٥ أى توجد من السعى في كل وقت كما يفعل من ه^٦ أمر ناسا بعمل من النظر في أعمالهم و مجازاة كل بما يستحق^٧

و لما كانت - لما تقدم - في حكم المنسى عند أغلب الناس قال :

﴿ فلا يصدقك عنها ﴾ أى عن إدامة / ذكرها ليثمر^٨ التثمير في الاستعداد لها ﴿ من لا يؤمن بها ﴾ بأعراضه عنها و حمله غيره على ذلك بتزيينه^٩ مما أوتى من المتاع الموجب للكثرة المثمر لامتلاء القلب بالمباهاة ١٥ و المفاخرة ، فان من انصد عن ذلك غير بعيد الحال من كذب بها^{١٠} .

(١-١) من ظ و مد ، و في الأصل : وقته و شخصه (٢) زيد من مد (ج-م) - سقط ما بين الرقین من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « بما يستحق » ساقطة من ظ . (٥) من مد ، و في الأصل : كل من له (٦-٦) ما بين الرقین بياض في الأصل ملأنه من مد (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : يستمر (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : بقرينة (٩) العبارة من بعده إلى « عليه الكشف » ساقطة من ظ .

و المقصود من العبارة نهى موسى عليه السلام عن التكذيب ، فغير عنه
 بنهى من لا يؤمن عن الصد إجلالا لموسى عليه السلام ، و لأن [صد - ١]
 الكافر عن التصديق سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب ،
 و لأن صد الكافر مسبب^١ عن رخاوة الرجل في الدين و لين شكيمة فذكر
 المسبب^٢ ليدل على السبب^٣ ، فكانه قيل : كن شديد الشكيمة صليب المعجم ؛ ه
 لئلا يطمع أحد في صدك و إن كان الصاد هم الجمل الفقير ، فان كثرتهم
 تصل إلى الهوى لا إلى البرهان ، و في هذا حث عظيم على العمل بالدليل ،
 و زجر بليغ عن التقليد ، و إنذار بأن الهلاك و الردى مع التقليد و أهله
 - به عليه الكشاف . ثم بين العلة في التكذيب بها و الكسل عن التشمير
 لها بقوله : ﴿ و اتبع ﴾^٤ أى بغاية جهده^٥ ﴿ هو نه ﴾ فكان حال البهائم ١٠
 التى لا عقل لها ، تنفيرا عن مثل حاله ؛ ثم أعظم التحذير بقوله [مسبب - ٦] :
 ﴿ فتردى ه ﴾ أى فتهلك ، إشارة إلى أن من ترك المراقبة لحظة حاد عن
 الدليل ، و من حاد عن الدليل هلك .

لما كان المقام مرشدا إلى أن يقال : ما جوابك يا موسى عما سمعت ؟
 و كان تعالى عالما بأنه يبادر إلى الجواب بالطاعة في كل ما تقدم ، طوى هذا ١٥
 المقال مؤميا إليه بأن عطف عليه قوله : ﴿ و ما تلك ﴾^٦ أى تعالية المقدار^٧

(١) زيد من مد و الكشاف ٨٤٨ (٢) من مد و الكشاف ، وفي الأصل : سبب .

(٣) من مد و الكشاف ، وفي الأصل : السبب (٤) من مد و الكشاف ، وفي

الأصل : المسبب (٥ - ه) - سقط ما بين الرقنين من ظ (٦) زيد من مد .

(٧-٧) تأخر ما بين الرقنين في الأصل عن ه بيمينك و الترتيب من مد ، و سقط

(ييمينك يـموسى هـ) مريدا - بعد تأنيسه بسؤاله عما هو أعلم به منه - إقامة البينة لديه بما يكون دليلا على الساعة من سرعة القدرة على إيجاد ما لم يكن ، 'بقلب المصى حية بعد تحقق' أنها عصاة تقرب النظر إليها عند السؤال عنها ليزداد بذلك ثباتا و ثبت من يرسل إليهم (قال هـ) هـ أى ظاهرا و باطنا ؛ (عصاى ج) ثم وصل به مستأنسا بلذيد المخاطبة قوله 'يانا لمنافعها خوفا من الأمر بالقائها كالنعل' ؛ (اتوكثوا) ؛ أى أعتد و أرتفق و أتمكن ؛ (عليها) أى إذا أعيت أو عرض لى ما يحوجنى* إلى ذلك من زلق أو هبوط أو صعود ؛ أو طفرة ؛ أو ظلام و نحو ذلك ؛ ثم ثنى بعد مصلحة نفسه بأمر رعيته فقال : (واش) ١٠. أى أخط الورق ، قال ابن كثير : قال عبد الرحمن بن القاسم عن الإمام مالك : و المش أن يضع الرجل المحجن فى الغصن ثم يحركه حتى يسقط ورقة و ثمره و لا يكسر العود و لا يخبط [فهذا المش - ٢] ، قال : و كذا قال ميمون بن مهران ، و قال أبو حيان* : و لأصل فى هذه المادة الرخاوة . يقال : رجل مش . (بها على غنى) .

١٥ و لما كان أكمل [أش - ٢] ذلك الزمن ، خاف التطويل على الملك فقطع على نفسه ما هو فيه من لذة المخاطبة كما قيل : اجلس على

(١) العبارة من هذا إلى «السؤال عنها» - اقطة من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل : تحقيق (٣) من مد . و فى الأصل : عن (٤-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من ظ و مد . و فى الأصل : يخرجنى (٦) من مد ، و فى الأصل و ط : أهبط (٧) زيد من ظ و مد (٨) راجع النهر من البحر المحيط ٢٢٨/٦ ، و فى مد : أبو عمر - خطأ .

البساط و إياك و الانبساط . 'و طمعا في سماع كلامه سبحانه و تعالى' .
 فقال مجحلا : ﴿ ولى فيها مبارب ﴾ 'أى حوائج و منافع يفهمها الآلباء' .
 [و لما كان المحدث عنه لا يعقل . و أخبر عنه بجمع كثرة ، كان الأنسب
 معاملته معاملة الواحدة المؤنثة فقال - ٢] : ﴿ اخرىه ﴾ تاركا للتفصيل ،
 فكأنه قيل : فما ذا قيل له ؟ / قيل : ﴿ قال القها ﴾ أى العصا ، ه ٤٥١ /
 'و أنسه بقوله سبحانه و تعالى ١ : ﴿ يمسوسه فالقنھا ﴾ أى فتسبب عن
 هذا الأمر المطاع انه ألقاها و لم يتلعم ﴾ فاذا هي ﴾ أى فى الحال
 ظاهرا و باطنا ﴾ حيه ﴾ عظيمة جدا يطلق عليها لعظمها 'بنهاية أمرها'
 اسم الثعبان ، 'و الحية اسم جنس يقع * على الذكر و الأنثى و الصغير
 و الكبير ﴾ تسعىه ﴾ سعيا خفيفا' يطلق عليها لأجله ٢ 'فى أول أمرها' ١٠
 اسم الجان ، 'فعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها صارت حية صفراء لها
 عرف كعرف الفرس ، و جعلت تورم حتى صارت ثعبانا - انتهى .
 فهى فى عظم الثعبان و سرعة الجان' .

و لما كان ذلك أمرا مخيفا ، استشرف السامع إلى ما يكون من
 حاله عند مثل هذا بعد ذلك ، فاستأنف إخباره بقوله - ٢] : ﴿ قال ﴾ ١٥
 'أى الله تبارك و تعالى على ما يكون منها عند فرعه ن' 'لأجل التدريب' :

(١ - ١) سقط ما بين الرقيتين من ظ (٢ - ٢) فى ظ : حاجات (٣) زيد من
 مد (٤) العبارة من هنا إلى « و الكبير » ساقطة من ظ (٥) فى مد : تقع .
 (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : خفيا (٧) من ظ و مد . و فى الاصل : لأجلها .
 (٨ - ٨) سقط ما بين الرقيتين من ظ و مد .

﴿خذها ولا تخف منه﴾ مشيراً إلى أنه خاف منها 'على عادة الطبع البشرى'؛
ثم علل له النهي عن الخوف بقوله: ﴿سنعيدها﴾ 'أى بعظمتنا عند
أخذك لها بوعده لاخلف فيه' ﴿سيرتها﴾ 'أى طريقتها' ﴿الاولى﴾
من كونها عصى، فهذه آية بينة على أن الذى يخاطبك هو ربك الذى
ه له الأسماء الحسنى، 'فزلت عليه' السكينة، وبلغ من طمأنينته أن أدخل
يده فى فخما وأخذ بلحيتها، فاذا هى عصاه. و يده بين شعبتيها'.

[ولما أراه آية فى بعض الآفاق، أراد أن يريه آية فى نفسه
فقال - ٢-]: ﴿واضمم يدك﴾ من جيئك الذى يخرج منه عنقك
﴿الى جناحك﴾ 'أى جنبك' 'تحت العضد' تنضم على ما هى^٢ عليه
١٠ من لونها' وما بها من الحريق'، وأخرجها ﴿تخرج﴾ فالآية من باب
الاحتباك، والجناح: اليد، والعضد. والإبط، والجانب - قاله فى
القاموس. فلا يعارض هذا ما فى القصص^٤ لأنه أطلق الجناح هناك
على اليد' وهى أحق به، وهنا على الجنب الذى هو موضعها تسمية
للحلل باسم الحال ﴿بيضاء﴾ 'بباضاً كالشمس'^٥ تعجب منه.

١٥ 'ولما كان البرص ابغض شيء إلى العرب، قال نافياً له ولغيره،
ولم يسمه باسمه لأن أسماعهم له بحاجة، ولأن نبي الأعم من الشيء'

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد، وفى
الأصل: هو (٤) راجع آية ٣٢ (٥) بهامش ظ: حيث قال: و اضمم اليك
جناحك من الرهب (٦) موضعه فى الأصل بباض ملأناه من ظ و مد.
(٧) سقط من ظ.

'أبلغ من نفيه بخصوصه': (من غير سوء) أى مرض لا برص ولا غيره، حال كونها (آية أخرى لا) أفعل ما أمرتك به من إلقاء العصا وضم اليد، أو فعلنا ذلك من إحالة العصا ولون اليد من مناداتك لمناجاتك (لربك) فى جميع أيام^٢ نبوتك (من 'يتنا الكبرى') ليثبت بذلك جنالك، ويزداد إتيانك، فكأنه قيل: لما ذا يفعل بي هذا؟ فقيل: هـ نرسلك إلى بعض المهبات (أذهب إلى فرعون) أى لترده عن عتوه: ثم علل الإرسال إليه بقوله، [مؤكدًا لأن طغيان أحد بالنسبة إلى شيء مما للأك الأعلى مما يستبعد^٣]: (أنه طغى ع) أى تجاوز حده من العبودية فادعى الربوبية، وأشار إلى ما حصل له من الضيق من ذلك بما عرف^٤ من أنه أمر عظيم، وخطب جسيم، يحتاج معه إلى احتمال^٥ ما لا يحتمله إلا ذو جأش رابط و صدر فسيح^٦ [و قلب ضابط^٧] - كما صرح به فى سورة الشعراء - بقوله: (قال رب اشرح) أى وسع (لى) و لما أبهم المشروح ليكون الكلام أوكد بتكرير المعنى فى طريق الإجمال والتفصيل، قال رافعا لذلك الإبهام: (صدرى لا) للاقدام على ذلك، وإلى استصعابه بقوله: (ويسرلى) [ثم بين ذلك الإبهام بقوله^٨]: ١٥ (امرى لا) [و إلى استعجازه نفسه عن الإبانة لهم عن المراد بقوله^٩]:

(١ - ١) سقط ما بين الرأين من ظ (٢) تكرر فى مد (٣) زيد من مد .

(٤) راجع آية ١٣ (هـ) العبارة من هنا إلى «الذك الإبهام» ساقطة من ظ (٦) من

مد، وفى الأصل: من تكرير (٧) زيد من ظ و مد .

﴿واحمل﴾ ولما كان المعنى [هنا -^١] ما لا يحتمل غيره [إذ أنه لم يسأل بقاءه في غير حال الدعوة -^٢]، عدل عن طريق الكلام الماضي فقال: ﴿عقدة من لسان﴾ أي بما فيه من الحبسة عن الإتيان بجميع المقاصد من الجمرة التي وضعها في فيه، هو عند فرعون.^٣ كما نقل عن ابن عباس ه رضى الله عنهما؛ ولما كان سؤاله هذا إما هو الله، ولذلك اقتصر على قدر الحاجة فلم يطلب زوال الحبسة كلها، أجابه بقوله:^٤ ﴿يفقهوا قولي﴾ وإلى اعتقاد صعوبة المقام مع ذلك كله بطلب التأييد بنصير يهمله أمره بقوله:^٥ ﴿واجعل لي﴾ أي [مما -^٦] تخصني به؛ وبين اهتمامه بالإعانة كما يقتضيه الحال فقدم قوله: ﴿وزير﴾ أي ملجأ يحمل عنى بعض ١٠ النقل.^٧ يعاوتى^٨ ﴿من اهلى لا﴾ لأنى^٩ به أوثق لكونه على أشفق؛ ثم أبدل منه قوله: ﴿هون﴾ وبينه بقوله:^{١٠} ﴿أخى لا﴾ [أى -^{١١}] لأنه أجدر أهلى بتمام مناصرتى؛^{١٢} وأجاب الدعاء فى قراءة ابن عامر فقال:^{١٣} ﴿اشدد﴾ [بقطع الهمزة مفتوحة -^{١٤}] ﴿به أزرى لا﴾ أى قوتى أو ظهرى ﴿واشركه﴾ بضم الهمزة مسندا الفعلين إلى ضميره على أنها مضارعان^{١٥}.

(١ - ١) تأخر ما بين الرقن فى لأصل عن «الماضى فقال» والترتيب من ظ و مد (٢) زيد من مد (مم) سقط ما بين الرقن من ظ (٤) من مد. وفى الأصل و ظ: فى قوله (٥) العبارة من هنا إلى «فقدم تولد» ساقطة من ظ. (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: لأنه (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: بقولى (٨) زيد من ظ و مد (٩) العبارة من هنا إلى «على الدعاء» ساقطة من ظ (١٠) من مد، وفى الأصل: مضارع عمل - مصحفاً.

و قراءة الباقيين بوصل الأول و فتح همزة اثنان على أنها أمران . مستندين
إلى الله تعالى على الدعاء ﴿ في امرى ﴾ أى النبوة .
ولما أفهم سؤاله هذا أن له فيه أغراضا ، أشار إلى أنها ليست
مقصودة له لأمر يعود على نفسه بذكر العلة الحقيقية . فقال : ﴿ كي نسبحك ﴾
أى بالقول و الفعل بالصلاة وغيرها ' ﴿ كثيرا ﴾ فأفصح عن أن المراد هـ
بالمعاودة إنما هو التمهيد الطريق إليه سبحانه .

ولما كان التسييح ذكرا خاصا لكونه بالتزنية الذى أعلاه التوحيد ،
أتبعه العام فقال : ﴿ و تذكرك ﴾ أى بالتسييح و التحميد ﴿ كثيرا هـ ﴾ فان
التعاون و التظاهر أعون على تزايد العبادة لأنه مهيج للطلبات ؛ ثم علل
طلبه لآخيه لأجل هذا الغرض بقوله : ﴿ انك كنت بنا بصيرا هـ ﴾ قبل ١٠
الإقامة فى هذا الأمر فى أنك جبلتنا على ما يلائم ذكرك و شكرك ' ، و أن
التعاقد مما يصلحنا ' ، و كل ذلك تدريب لمن أنزل عليه هذا الذكر
على مثله . و تذكير بنعمة تيسيره بلسانه ليزداد ذكرا و شكرا .

ولما تم ذلك ، كان موضع [توقع - ١] الجواب ، فأتبعه قوله :
﴿ قال ﴾ ' أى الله : ﴿ قد اوتيت - ٢ ﴾ بأسهل أمر ' ﴿ سؤلوك ﴾ أى ما ١٥
سألته ﴿ يأموسى - ٣ ﴾ من حل عقدة لسالك و غير ذلك و لو شئت
لم أفعل ذلك . و لكنى فعلته مئة مئة عليك .

ولما كان يجاؤه من سد فرتون حيث ولد فى السنة التى يذبح

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : شكرت .

(٣) بهامش ظ : اسم ' كان ' ضمير يرجع إلى ' ذلك ' (٤) زيد من ظ و مد .

(٥) فى مد . ولد .

ففي الآباء - قالوا: وهي الرابعة من ولادة^٢ هارون عليه السلام -
يد فرعون وفي بيته أمرا عظيما، التفت إلى مقام العظمة مذكرا له
بذلك^٣ تنويرا بصيرته وتقوية لقلبه^٤، إعلاما بأنه ينجيه منه الآن، كما
أنجاه في ذلك الزمان، ويزيده بزيادة السن والنوبة خيرا، فيجعل عزه^٥
ه في هلاكه كما جعل إذ ذاك عزه في وجوده فقال: ﴿ ولقد منّا ﴾ أي
أنعمنا إنعاما مقطوعا^٦ ه على ما^٧ يليق بعظمتنا ﴿ عليك ﴾ فضلا منا
﴿ مرة أخرى ﴾ غير هذه^٨؛ ثم ذكر وقت المنة فقال: ﴿ اذ ﴾ أي^٩
حين^{١٠} ﴿ اوحينا ﴾ [أي بما لنا من العظمة -] ﴿ إلى امك ﴾ أي
بالإلهام ﴿ ما ﴾ يستحق لعظمتها^{١١} أن ﴿ يوحى ﴾ به^{١٢}، ولا يعلمه إلا نبي
١٠ أو من هو قريب من درجة النبوة^{١٣}؛ ثم فسره بقوله: ﴿ ان اقدفيه ﴾
أي ألقى ابنك ﴿ في التابوت ﴾ وهو الصندوق، فعلت من التوب^{١٤} الذي
معناه الرجوع تفاؤلا به^{١٥}، وقال الخراي: هو وعاء ما يعز قدره،
والقذف مجاز عن المسارعة إلى وضعه^{١٦} من غير / تمهل لشيء أصلا، إشارة
إلى أنه فعل مضمون السلامة كيف ما كان، وهو التعريف لأنه نوع من
١٥ الصناديق أشد الناس معرفة به^{١٧} بنو إسرائيل ﴿ فاقذفيه ﴾ أي

/ ٤٥٣

(١) العبارة من هنا إلى « عليه السلام » ساقطة من ظ (٢) في مد: مؤند .
(٣-٤) سقط ما بين الرقنين من ظ (٤) بهامش ظ : الضمير في قوله « عزه »
يرجع لموسى أى يجعل عز موسى في هلاك فرعون (٥) العبارة من هنا إلى
« بعظمتنا » ساقطة من ظ (٦) من مد ، وفي الأصل : مقطوع (٧-٨) في مد :
كما (٨) تقدم في الأصل على « أنعمنا » والترتيب من مد (٩-١٠) من ظ و مد .
وفي الأصل : غيره (١٠) زيد من مد (١١) سقط من ظ (١٢) في ظ : القائه .

[موسى عليه السلام - ١] عقب ذلك بتابوته ، ٢ أو التابوت الذى فيه موسى عليه السلام ٣ ﴿ فى اليم ﴾ أى البحر وهو النيل .

ولما كانت سلامته فى البحر من العجائب ، تعرضه للفرق بقلب الريح للتابوت ، أو بكسره فى بعض الجدر أو غيرها ، أو بحريه مستقيما مع أقوى جرية من الماء إلى البحر المالح وغير ذلك من الآفات ، أشار إلى ٥ تحتم تنجيته بلام الأمر ٦ عبارة عن معنى الخبر ٧ فى قوله ، ٨ جاعلا البحر كأنه ذو تمييز لطيف ٩ مع الأمر ١٠ : ﴿ فليلقه ﴾ أى التابوت الذى فيه موسى عليه السلام أو موسى بتابوته ١١ ﴿ اليم بالساحل ﴾ ١٢ أى شاطئ النيل ، سمي بذلك لأن الماء يسحله ، أى ينشره ١٣ إلى جانب البيت الذى الفعل كله هربا من شر صاحبه ، وهو فرعون ، وهو المراد بقوله : ﴿ ياخذنه ﴾ ١٤ ١٥ جوابا للأمر ، أى موسى ١٦ ﴿ عدو لى ﴾ ونه على محل العجب باعادة لفظ العدو فى قوله : ﴿ وعدوله ﴾ ١٧ فانه ما عادى نبي إسرائيل بالتذيع إلا من أجله ١٨ ﴿ و القيت عليك حجة ﴾ أى عظيمة ؛ ثم زاد الأمر فى تعظيمها إيضاحا بقوله : ﴿ منى ؟ ﴾ [أى - ١] ليحبك كل من ١٩ رآك لما جبلتك عليه من الخلال الحميدة ، والشيم السديدة . لتكون أهلا لما أريدك له ٢٠ ﴿ ولتضع ﴾ ٢١ أى تربي ٢٢ بأيسر أمر تربية بمن هو ملازم لك لا ينفك عن الاعتناء بمصالحك عناية شديدة ٢٣ ﴿ على عيني ؟ ﴾ أى مستعليا على حافظيك غير مستخفي

(١) زيد من مد (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ (٣) سقط من مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ .

في تربيتك^١ من أحد ولا يخوف عليك منه ، وأنا حافظ لك حفظ من
يلاحظ الشيء بعينه^٢ لا يغيب عنها ، فكان كل ما أردته^٣ ، فلما رآك هذا
العدو أجبك^٤ وطلب^٥ لك المراضع ، فلما [لم - °] تقبل واحدة منهم
بالغ في الطلب ، كل ذلك إمضاء لأمري وإيقافا لأمره به نفسه لا بغيره
٥ ليزداد العجب من إحكام السبب ؛ ثم ذكر ظرف الصنع فقال : ﴿ اذ ﴾
أي حين^٦ ﴿ تمشي ﴾ اختك^٧ أي في الموضع الذي وضعتك به ليظروا لك
مرضعة^٨ ﴿ فقول ﴾ بعد إذ رأيتك ، لآل فرعون : ﴿ هل ادلكم على من يكفله ﴾
أي يقوم بمصالحه من الرضاع والخدمة^٩ ، ٢ ناصحاله ، فقالوا : نعم^{١٠}
١ فجاءت بأمك فقبلت ثديها^{١١} ﴿ فرجعنك ﴾ أي قتسب عن قولها
. هذا أن رجعتك ﴿ إلى أمك ﴾ حين دلتهم عليها ﴿ كي تقر ﴾ أي تبرد
و تسكر^{١٢} ﴿ عيناها ﴾ و تربيتك أمة عليك غير خائفة . ظاهرة غير مستخفية
﴿ ولا تحزن ﴾ بفرارك أو بعدم تربيتها [لك - °] و لهذا الجهد في فعلك
﴿ وقتلت نفسا ﴾ أي^{١٣} بعد أن صرت رجلا من القسط دفعا عن رجل من
فرمك فظلت بها و أرادوا قتلك ﴿ فنجيتك ﴾ ثم لنا من العظمة^{١٤} ﴿ من العم ﴾
د الذي كان قد نالت بقتله خيرا من جريرته ، بأن أخرجناك مهاجرا للديارم
نحو من ﴿ وقتلك فتونا ﴾ أي خلصناك من محبة بعد محبة مرة بعد مرة ،

(١) من ظ و مد ، و في الأصل تربيتك من ظ و مد ، و في الأصل :
(٢) من ظ و مد ، و في الأصل : أرادته (٤ - ٤) من ظ و مد ، و في
الأصل : تطلب (٥) يريد من ظ و مد (٦ - ٦) سقط ما بين الرقيين
من ظ ٧ ٧ تأخر ما بين الرقيين في الأصل عن ٨ ثديها ، و اترويب من ظ
و مد (٨) سقط من ظ .

على أنه جمع فتن أو فتنة . [على ترك الاعتداد بالنساء - ٢] ، و يجوز أن يكون مصدرا كالشكور ، إذن الفتون ولادته عام الذبح وإيقاؤه في البحر ثم منعه الرضاع من غير ثدى أمه ثم جره لحية فرعون ، ثم تناوله الجرة بدل الدرة ، ثم قتله القبطي ، ثم خروجه إلى مدين في الطريق المهيح خائفا يترقب ، ثم إبحار / نفسه عشر سنين ، ثم إضلاله الطريق ، ثم تفرق ه / ٤٥٤ غمه في ليلة مظلمة ﴿ فلبلث سنين ﴾ أى كثيرة ﴿ فى - اهل مدين ١٠ ﴾ مقيما عند نبينا شعيب عليه السلام يريك بآدابه ، و صاهرته على ابنته ﴿ ثم جئت ﴾ أى الآن ﴿ على قدر ﴾ أى وقت قدرته فى الازل لتكليمى لك ، و هو بلوغ الأشد و الاستواء ، و إرسالك إلى فرعون لأمضى فيه قدرى الذى ذبح أبناء بنى إسرائيل خوفا منه ، ٢ فجئت غير مستقدم و لا مستأخر ١٠ ﴿ بنموسى ٥ و اصطنعتك ﴾ أى ريتك بصنائع ٣ المعروف تربة من يتكلف تكوين المربى على طريقة من الطرائق ٢ ﴿ لنفسى ٦ ﴾ أى لتفعل من مرضاتى فى تمهيد شرائعى و إنفاذ أوامرى ما ١ يفعل من يصنع للنفس من غير مشارك ، ٢ فهو تمثيل لما حوله من منزلة التقريب و التكريم ٢ .

فلما تمهد ذلك كله بعد علم نتيجه ٦ ، أعادها فى قوله : ﴿ اذهب انت ﴾ ١٥ كما تقدم أمرى لك به ﴿ و اخوك ﴾ كما سألت ﴿ بأينى ﴾ التى أريتك

(١) العبارة من هنا إلى « ليلة مظلمة » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد .

(٣ - ٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) زيد فى الأصل : يصنعه ، و لم تكن

الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : تمهيك - كذا .

(٦) بهامش ظ : أعنى بها قوله : أنرسلك إلى بعض المهمات المتضمن ذلك اذهب إلى فرعون .

وغيرها مما أظهره على يدك ﴿ولا تنيا﴾ أى تقترأ 'وتضعفا'
 ﴿فى ذكرى﴾ الذى تقدم أنك جملة غاية دعائك ، بل لتكن - مع
 كونه ظرفا محيطا بجميع أمرك - فى غاية الاجتهاد فيه وإحضار القلب له ،
 وليكن أكثر ما يكون عند لقاء فرعون أن عبدى كل عبدى للذى
 ٥ يذكرنى عند لقاء قرنه^٢ ، 'فان ذلك أعون شئ على المراد' ، ثم بين المذهب
 إليه بقوله ، 'مؤكدًا لنفس الذهاب لأنه لشدة الخطر لا يكاد طبع البشر
 يتحقق جزم الأمر به فقال' : ﴿اذهباً الى فرعون﴾ ثم علل الإرسال
 إليه بقوله ، 'مؤكدًا لما مضى ، ولزيادة التعجيب من قلة عقله ، فكيف
 بمن تبعه' ﴿انه ظنى عليه﴾ ثم أمرهما بما ينبغي لكل آمر بالمعروف من الأخذ
 ١٠ بالأحسن فالأحسن والأسهل فالأسهل ، 'فقال مسيئاً عن الانتهاء إليه
 ومعقبا' : ﴿فقلوا له قولاً لنا﴾ ثلاثا يبقى له حجة ، ولا يقبل له معذرة
 ﴿لعله يتذكر﴾ ما مر له من^٣ تطوير الله [له - ٧] فى أطوار مختلفة ،
 وحمله فيما يكره على ما لم يقدر على الخلاص منه بحيلة ، فيعلم بذلك أن
 الله ربه ، وأنه قادر على ما يريد منه ، فيرجع عن غيئه فيؤمن^٤
 ١٥ ﴿أو يخشى﴾ أى أو يصل إلى حال من يخاف عاقبة قولكما^٥ 'التوهم الصدق

(١ - ١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) بهامش ظ : حديث سبكه ؟ انشيخ .
 (٣) العبارة من هنا إلى « بمن تبعه » ساقطة من ظ (٤) من مد ، وفى الأصل :
 من (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : تبتنى (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : فى .
 (٧) زيد من ظ ومد (٨) فى مد : على ما (٩) سقط من ظ (١٠) العبارة من
 هنا إلى « بنى إسرائيل » ساقطة من ظ .

[فيكون قولكما تذكرة له -^١] فيرسل معكما بنى إسرائيل ، ومعنى الترجي أن يكون حاله حال من يرجى منه ذلك ، لأنها من ثمرة اللين في الدعاء ، جرى الكلام في هذا و أمثاله على ما يتعارفه العباد في محاوراتهم ، وجاء القرآن على لغتهم و على ما يعنون ، فالمراد : اذهبا^٢ أتيا على رجائكما^٣ و طمعكما و مبلغكما من العلم ، وليس لها أكثر من ذاما لم يعلما ، هـ و أما عليه تعالى فقد أتى من وراء ما يكون - قاله سيويه في باب من النكرة يجرى مجرى ما فيه الألف و اللام من المصادر و الأسماء .

و لما كان فرعون في غاية الجبروت ، و كان حاله حال من يهلكها إلا أن يمنعهما الله ، و أرادا علم ما يكون من ذلك ﴿ قالوا ربنا ﴾ أى أيها المحسن إلينا .^٤ و لما كان مضمون إخبارهما [بالخوف - مع -^٥] ١٠ كونهما^٦ من جهة الله^٧ - من شأنه أن لا يكون و أن ينكر ، أكدا فقلا مبالغين فيه باظهار النون الثالثة إبلاغا في إظهار الشكوى لياتى الجبر على قدر ما يظهر من الكسر : ﴿ اتناخاف ﴾ لما [هو -^٨] فيه من المكنة ﴿ ان يفرط ﴾ أى يعجل ﴿ علينا ﴾ بالعقوبة قبل إتمام البلاغ^٩ عجلة من يظفر و يثب إلى الشيء^{١٠} ﴿ او ان يطغى ﴾ فيتجاوز / إلى أعظم ١٥ / ٤٥٥

نما هو فيه من الاستكبار ﴿ قال لاتخافا ﴾ ثم علل ذلك بما هو مناط النصرة و الحياطة للولى : الإهلاك للعدو . فقال^{١١} مؤكدا إشارة إلى عظم الخبر^{١٢} ،

- (١) زيد من مد (٢) من ظ و مد و كتاب - سيويه ١٦٧/ ، و فى الأصل : هنا .
(٣) من ظ و مد و الكتاب ، و فى الأصل : رجالكما (٤) العبارة من هنا إلى هـ من الكسر هـ ساقطة من ظ (هـ - هـ) ما بين الرقین بياض فى الأصل ملأناه من د .
(٦) زيد من ظ و مد (٧ - ٧) سقط ما بين الرقین من ظ .

و تنديها لمضمونه لأنه خارج عن العوائد^١، و أثبت التون الثالثة على وزان تأكيدهما^٢: ﴿اننى معكآ﴾ لا أغيب كما تغيب الملوك إذا أرسلوا رسلهم ﴿اسمع و ارى﴾ أى لى هاتان الصفتان^٣، لا يخفى على شيء من حال رسولى ولا حال عدوه، و أنتما تعلمان من قدرى ما لا يعلمه غيركما .

ولما تمهد ذلك، تسبب عنه تعليمهما^٤ ما يقولان، فقال مؤكدا للذهاب أيضا لما مضى^٥: ﴿فاتيه فقولا﴾ أى له: «ولما كان فرعون» ينكر ما تضمنه قولهما، أكد سبحانه فقال: ﴿اننى﴾ ولما كان التنيه على معنى الموازنة هنا - كما تقدم - مطلوباً، ثنى فقال: ﴿رسولا ربك﴾ ١٠ الذى رباك فأحسن تربيتك بعد أن أوجدك من العدم، إشارة إلى تحقيره بأنه من جملة عبيد مرسلهما^٦ تكذيباً له فى ادعائه الربوبية؛ ثم سبب [عن -^٧] إرسالكما إليه قولكما: ﴿فارسل معنا﴾ عبيده ﴿بنى إسرائيل﴾ ليعبدوه، فانه لا يستحق العبادة غيره ﴿ولا تعذبهم﴾ بما تعذبهم به من الاستخدام و التذيع؛ ثم علل دعوى الرسالة بما يشبهها، فقال «مفتحاً بحرف التوقع لأن حال السامع لادعاء الرسالة أن يتوقع ١٥ دلالة على الإرسال: ﴿قد جئتكم بآية﴾ أى علامة عظيمة و حجة و برهان» (١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) ما بين الرقمين ياض فى الأصل ملأناه من مد (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: تعالما (٤) العبارة من هنا إلى «سبحانه فقال» ساقطة من ظ (٥) سقط من مد (٦) تقدم فى الأصل على «ولما كان فرعون» و الترتيب من مد (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: من أرسلهما . (٨) العبارة من هنا إلى «قولكما» ساقطة من ظ (٩) زيد من مد .

(من ربك)^١ الذى لا إحسان عليك إلا منه^٢ ، موجبة لقبول ما ادعيته من^٣ العصي واليد وغيرهما ، فأسلم^٤ تسلم ، وفى تكرير مخاطبته بذلك تأكيد لتبكيته فى ادعاء الربوبية ، ونسبته إلى كفران الإحسان . فسلام عليك خاصة إن قبلت هدى الله (و السليم) أى جنسه (على) جميع (من اتبع) 'بغاية جهده' (الهدى) عامة ، وإذا كان هذا الجنس ه عليهم كان من المعلوم أن العطب على غيرهم ، فالمعنى : [و - ٦] إن آيت عذبت (انا) أى لانا (قد اوحى النبأ) من ربنا (ان العذاب) أى كله ، لأن اللام للاستغراق أو الماهية . وعلى التقديرين يقتضى قدر ثبوت هذا الجنس و دوامه لما تفهمه الاسمية (على) كل (من كذب و تولى)^٥ أى أوقع التكذيب والإعراض ، وذلك ١٠ يقتضى أنه إن كان منه شيء على مصدق كان منقضيا ، وإذا انقضى كان كانه لم يوجد^٦ . وفى صرف الكلام عنه تنبيه على أنه ضال مكذب 'و تعليم للأدب' .

ولما كان التقدير : فأتياه فقولا : إنا رسولا ربك - إلى آخر ما أمرا به ، و تضمن قولهما أن لمسلهما القدرة التامة والعلم الشامل ، ١٥ فتسبب عنه سؤاله عن تعيينه ، استأنف الإخبار عن جوابه بقوله : (قال)^٧ أى فرعون مدافعا لها بالمناظرة لا بالبطش ، لئلا ينسب إلى

(١ - ١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) هامش ظ : بيان لقوله « آية » أى التى هى العصي واليد وغيرهما (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : واسلم (٤) من ظ ، وفى الأصل : تأكيد ، وفى مد : تذكير (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ : والمعنى (٦) زيدت الواو من ظ و مد .

'السفه والجهل': ﴿فنم أي تسبب عن كلامكما هذا الذي لا يجترئ على مواجهتي به أحد من أهل الأرض أن أسألكما: من ﴿ربكما﴾ الذي أرسلكما، ولم يقل: ربي، حيدة عن سواء تنظر / و 'صرفا للكلام' على الوجه الموضح لحزيه .

/ ٤٥٦

٥ ولما كان موسى عليه السلام هو الأصل في ذلك، 'وكان ربما طمع فرعون بمكره وسوء طريقه في حبة تحصل في لسانه'، أفرد به بقوله: ﴿يُوسَى﴾ قال له موسى 'على الفور': ﴿ربنا﴾ أي موجودنا ومرتينا ومولانا '﴿الذي اعطى كل شيء﴾ مما تراه في الوجود ﴿خلقه﴾ أي ما هو عليه مما هو به أليق 'في المنافع المتوقعة به، والآثار التي تتأثر عنه' من 'الصورة والشكل والمقدار واللون والطبع، وغير ذلك مما يفوت الحصر، ويحفل عن الوصف .

ولما كان في إفاضة الروح من الجلالة والعظم ما يضمحل عنده غيره من المفاوطة*، أشار إلى ذلك بحرف التراخي فقال: ﴿ثم هدى﴾ أي كل حيوان منه مع أن فيها لعاقل وغيره إلى جميع منافعه فيسعى لها .
١٥ ومضاره فيحذرهما، فثبت بهذه المفاوطة والمفاصلة مع اتحاد نسبة الكل إلى الفاعل أنه واحد مختار، وإن ذلك لو كان بالطبيعة المستندة إلى النجوم أو غيرها كما كان يعتقد فرعون وغيره لم يكن هذا التفاوت

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى «أسألكما من» - نقطة من ظ (٣) من مد، وفي الأصل: من (٤-٤) من ظ ومد، وفي الأصل: صرف الكلام (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: المقارنة (٦) بهامش ظ: الضمير في «منه» يرجع إلى «كل شيء» (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: لمفاوطة .

ولما لم يكن لأحد بالظن في هذا الجواب قبل لأنه لا زلل فيه
ولا خلل - أجمع رشاقته واختصاره وسبقه بالجمع إلى غاية مضارده - صرف
الكلام عنه بسرعة خوف من الاتضاح، بزيادة موسى عليه السلام في الإيضاح .
فيظهر الفساد من الصلاح . إلى شيء يتسع فيه المجال ، ولا يقوم عليه دليل ،
فيمكن فيه الرد ، فأخبر عنه سبحانه على طريق الاستئناف بقوله : هـ :
(قال فإني) أى تسبب عما تضمن هذا من نسبة ربك إلى العلم بكل موجود
أنى أقول لك : فإني (بال) أى خبر (القرون الأولى) الذى هو
في العظمة بحيث أنه ما خالط أحدا إلا أحاله وأماله - [١] . وهو وإن
كان حيدة . هو من أمارات الانقطاع ، غير أنه فعل راسخ القدم في
المكر والخداع .

١٠

ولما فهم عنه موسى عليه السلام ما أراد أن ترتب على الخوض
في ذلك عما لا طائل تحته من الرد والمطالبة . ولم تكن التوراة نزلت
عليه إذ ذاك . وإنما نزلت بعد ملاك فرعون لم يمش معه في ذلك
(قال) قاطعاً له عنه : (علمها عند ربي) أى المحسن إلى بارسالى
و تلقى الحاجاج .

١٥

ولما كانت عادة المخلوقين إثبات الأخبار في الكتب . وكان تعالى
قد وكل بعباده من ملائكته من يضبط ذلك . قال مخاطباً لهم بما يعرفون
من أحوالهم : (في كتب) أى للوح المحفوظ . ولما كان ربما وقع
(١-١) : أخر ما بين الرقيين في الأصل عن * في ذلك ، س ١٢ و ترتيب من
مد (٢-٢) في ظ : أن (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : ما (٤) زيد من مد .
(٥-٥) : فقط ما بين الرقيين من ظ (٦) بهامش ظ : قوله : من ملائكته - متعلق
بيضبط مقدم عليه ومن للتمييز .

في وهم وإهم أن تكتاب لا يكون إلا خوفا من نسيان الشيء أو الجهل
 بالتوصل إليه مع ذكر عينه ، فني ذلك بقوله : ﴿ لا يضل ربى ﴾ أى الذى
 ربانى كما علمت و بجانى من جميع ما قصدتموه لى من الهلاك ولم يضل عن
 وجه من وجوهه ، ولا نسى وجهها يدخل منه شيء من خلل^١ ﴿ ولا ينسى ﴾
 هـ أى لا يقع منه نسيان لشيء أصلا من أخباره ولا لغيرهم^٢ ، وفى ذلك^٣
 إشارة إلى تبكيك اليهود بأن ثبوت النبوة إن كان يتوقف على أن
 يخبر النى عن كل ما يسأل عنه لزم أن يتوقفوا فى نبوة نبيهم عليه
 السلام لأنه لم يخبر فرعون عما سأله عنه من أمر القرون ؛ ثم / وصل
 بذلك^٤ ما كان فيه قبل من الدليل العقلى على وحدة الصانع واختياره
 ١٠ فقال : ﴿ الذى جعل لكم ﴾ أيها الخلائق ﴿ الارض ﴾ أى أكثرها ﴿ مهذا ﴾
 تفرشونها . وجعل بعضها جبالا لا يمكن القرار عليها . وبعضها رخوا
 تسرح فيه الأقدام وبعضها جلدا - إلى غير ذلك مما تشاهدون فيها من
 الاختلاف لموسلك لكم فيها سبلا^٥ أى سهل طرقا تسلكونها فى أراضى
 سهلة و حزنه^٦ وسطها بين الجبال والأودية والرمال^٧ . وهيا لكم فيها
 ١٥ من المنافع من^٨ المياه والمراعى ما يسهل ذلك^٩ ، وجعل فيها ما لا يمكن
 استطراره أصلا . مع أن نسبة الكل إلى الطبيعة واحدة . فلولا أن الفاعل
 واحد مختار لم يكن هذا التفاوت وعلى هذا النظم البديع
 ﴿ و انزل من السماء ماء ﴾ تشاهدونه واحدا فى اللون والطعم .
 ولما كان ما ينشأ عنه أدل على العظمة وأجلى للناس وأظهر للعقول .

/ ٤٥٧

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) بين سطرى ظ : أى قوله : لا يضل ربى
 ولا ينسى (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل « و » ، وبين سطرى ظ : بيان للمنافع .
 (٤) بين سطرى ظ : أى السلوك فى هذه (٥) بهامش ظ : الضمير يرجع إلى الأرض .

استغرق^١ صلى الله عليه وسلم في بحار الجلال ، فاستحضر أن الأمر له بهذا الكلام هو المتكلم به في الحقيقة فانبا^٢ عن نفسه وعن جميع الأكوان ، فعبر عن ذلك^٣ ، عادلا عن الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع بما له من العظمة بقوله : ﴿ فاخرجنا ﴾^٤ أى بما لنا من العظمة التى تنقاد لها الأشياء المختلفة^٥ ﴿ بة ازواجنا ﴾ [أى -] أصنافا متشاكلة ليس فيها شيء يكون واحد لا شبيه له^٦ ﴿ من نبات شتى ﴾ أى مختلفة جدا في الألوان والمقادير والمنافع والطبائع والطعوم ، ثم أشار إلى تفصيل ما فيها من الحكمة بقوله حالا من فاعل " اخرجنا " : ﴿ كلوا ﴾ أى ما دبره لكم بحكمته منها ﴿ وارعوا ﴾ أى سرحوا في المراعى^٧ ﴿ انعامكم ﴾ ما أحكمه لها ولا يصلح لكم ، فكان من متقن تديره أن جعل أرزاق العباد بعملها ١٠ تنعما لهم ، وجعل علفها مما يفضل عن حاجتهم ، ولا يقدررون على أكله^٨ ، وقد دلت هذه الأوصاف على تحققه سبحانه قطعا بأنه لا يضل ولا ينسى من حيث أنه تعالى أبدع هذا العالم شاملا لكل ما يحتاجه من^٩ فيه^{١٠} لما خلقهم له^{١١} من السفر إليه والعرض عليه في جميع تقلباتهم على اختلافها ، وتباين أصنافها ، وتباين أوصافها ، وعلى كثرتهم ، ١٥ وتناي أمرجتهم ، ولم يدعه ناقصا من شيء من ذلك بخلاف غيره ،

(١) بهامش ظ : قول المفسر سبحانه الله ولا تأخذه ، استغرق صلى الله عليه وسلم - إلى أن قال : فعبر عن ذلك ، فيه نظرا ، ويتلوه تعقيب مطول لا يقيده القلم أسوه الخط (٢) بهامش ظ : قوله « فانبا » هو حال من الضمير في « استغرق » أى استغرق حال كونه فانبا (٣) بين سطرى ظ : أى الاستطراق في . . . الجنة . (٤-٤) سقط ما بين الرقعين من ظ (٥) زيد من ظ و مد (٦-٦) يياض في الأصل ملأناه من مد (٧-٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : اكل ما خلقه لهم و خلقه له .

فانه لو عمل شيئا واجتهد كل الاجتهاد في تكيله فلا بد أن يظهر له فيه نقص و يصير يسعى في إزالته وقتا بعد وقت .

ولما كمل هذا البرهان القويم ، دالا على العليم الحكيم ، قال منها على انتشار أنواره ، و جلاله مقداره ، 'مؤكددا لأجل إنكار المنكرين':
 (ان في ذلك) أى الإنشاء على هذه الوجوه المختلفة (لأيت) على منشئه
 (لاولى النهى) أى العقول التى من شأنها أن تنهى صاحبها عن الغى ،
 و من عمى عن ذلك فلا عقل له أصلا ، لأن عقله لم ينفعه ، و ما لا ينفع فى حكم العدم ، و ذكر ابن كثير هنا ما عزاه ابن إسحاق فى السيرة^٢ لزيد بن عمرو بن نفيل ، و ابن هشام لامية بن أبى الصلت^٣:

١٠. و أنت الذى من فضل من^٤ و رحمة بعثت إلى موسى رسولا مناديا
 فقلت 'ألا يا' اذهب و هارون فادعوا إلى الله فرعون الذى كان باغيا^٥
 فقولوا له 'أأنت سويت هذه بلا وتد حتى استقلت^٦ كما هيا
 و قولوا له 'أأنت رفعت هذه بلا عمد أرفق إذن بك بانبا
 و قولوا له 'أأنت سويت وسطها منيرا إذا ما جنه الليل هاديا
 ١٥. و قولوا له من^٧ يخرج الشمس بكرة^٨ فيصبح ما مست من الزرع ضاحيا
 و قولوا له من ينبت الحب فى الثرى فيخرج^٩ منه البقل يهتز رايا
 و يخرج منه حبه فى رؤسه و فى ذاك آيات لمن كان واعيا

ولما أخبر سبحانه و تعالى عما خلق فى الأرض من المنافع الدالة

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) ٧٧/١ و ٧٨ (٣) زيد فى الأصل: فقال هذه الآيات ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٤-٤) فى ظ: له يا ، و فى السيرة: له - كذا (٥) فى السيرة: طغيا (٦) فى السيرة: اطمأنت (٧-٧) فى السيرة: يرسل الشمس غدوة (٨) فى السيرة: فيصبح .

على تمام علمه [و باهر قدرته ، على وجه دال على خصوص القدرة على
 البعث -^١] ، [وكان من الفلاسفة تناحيهم و غيرهم من يقر الله بالوحدانية
 و لا يقر بقول أهل الإسلام : إن الروح جسم لطيف سار في الجسم
 سريان النار في الفحم . بل يقول : إنها ليست بجسم و لا قوة في جسم
 و لا صورة لجسم و ليست متصلة به اتصال انطباع و لا حلول فيه ، بل ه
 اتصال تدبير و تصرف ، و أنها إذا فارقت البدن اتصلت بالروحانيين من
 العالم العقلي الذي هو عالم المجردات و انخرطت في سلك الملائكة المقربين ،
 أو اتصلت ببعض الأجرام السماوية من كوكب أو غيره كاتصالها بالبدن
 الأول و انقطع تعلقها به فلم تعد إليه حتى و لا يوم البعث عند من
 يقول منهم بالحشر -^٢] ، وصل بذلك قوله [تعالى ، يرد عليهم ، معبرا ١٠
 بالضمير الذي يعبر به عن الهيكل المجتمع من البدن و النفس -^٢] : ﴿ منها ﴾
 [أي الأرض لا من غيرها -^٢] ﴿ خلقنكم ﴾ إذ أخرجناكم منها ^٢ بالعظمة
 الباهرة ^٢ في النشأة الأولى بخلق أبيكم آدم عليه السلام ﴿ وفيها ﴾ [لا في
 غيرها كما أنتم كذلك تشاهدون -^٢] ﴿ نعبدكم ﴾ بالموت [كذلك
 أجساما و أرواحا -^٢] ، فتصرون ترابا كما كنتم ، [وللروح مع ذلك ١٥
 و إن كانت في عليين تعلق يدها بوجه ما ، يدرك البدن به اللذة
 بالتذاذها و الألم بتألمها ، و قد صح أن الميت يقعد في قبره و يحجب سؤال
 الملكين عليهما السلام -^٢] ، لا ' يقدر أحد منكم أن يخلص من تلك العظمة

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد ما بين الحائزين من مد (٣ - ٣) سقط ما بين
 الرقمن من ظ (٤) من مد ، و في الأصل : لم ، و العبارة من هنا إلى « بدقيق
 حكته » ساقطة من ظ .

المحيطة بجليل عظمته ولا بدقيق حكمته ﴿ ومنها ﴾ [لا من غيرها - ^١]
 ﴿ نخرجكم ﴾ يوم البعث ^٢ بتلك العظمة بعينها ^٣ ﴿ تارة اخرى ﴾ كما بدأناكم
 [أول مرة - ^١] مثل ما فعلنا في النبات سواء، فقد علم أن هذا فعل
 الواحد المختار، لا فعل الطبايع، فرة جعلكم أحياء من شيء ليس له أصل
 ه في الحيوانية أصلاً، وكرة ^٢ ردمكم إلى ما كنتم عليه قبل الحياة تراباً لا روح
 فيه ولا ما يشبهها، فلا ريب أن فاعل ذلك قادر على أن يخرجكم منها
 أحياء كما ابتدأ ذلك، بل الإعادة أهون في مجارى العادة .

ولما كان ما ذكر ^٤ مما علق ^٥ بالأرض من المرافق ^٦ وغيره على
 غاية من الوضوح، ليس وراءها مطمح، فكان المعنى: أرينا فرعون هذا
 ١٠ الذى ذكرنا لكم من آياتنا وغيره، وكان المقام لتعظيم القدرة، عطف
 عليه ^٦ قوله: ﴿ ولقد اريته ﴾ أى بالعصى واليد وغيرهما ^٧ مما تقدم
 من مقتضى عظمتنا ^٨ ﴿ ايتنا ﴾ [أى التى عظمتها من عظمتنا - ^١]
 ﴿ كما ﴾ [بالعين والقلب - ^١] لأن من قدر على مثل ذلك فهو قادر
 على غيره من أمثاله من خوارق العادات، لأن الممكنات بالنسبة إلى
 ١٥ قدرته على حد سواء، لاسيما والذى ذكر أمهات الآيات كما سيؤما

(١) زيد من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) من ظ و مد، في
 الأصل: مرة (٤) العبارة من هنا إلى « غيره » ساقطة من ظ (٥ - ٥) من مد، وفي
 الأصل: من الأرض من المناق (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: عليها .
 (٧) العبارة من هنا إلى « مقتضى عظمتنا » ساقطة من ظ (٨) من مد، وفي الأصل:
 عظمتها .

إليه 'إن شاء الله تعالى' في سورة الأنبياء ﴿فكذب﴾ أي بها ﴿وإني﴾
 أي أن يرسل بنى إسرائيل؛ وهذا أبلغ من تعديد ما ذكر في الأعراف،
 فكأنه قيل: كيف صنع في تكذيبه وإيائه؟ فقيل: ﴿قال﴾ حين
 لم يجد مطعنا مخيلا للقطب^٢ بما يثيرهم^٣ حية لأنفسهم لأنه علم حقيقة ما
 جاء به موسى و ظهوره، و تقبل العقول له، فخاف أن يتبعه الناس ه
 و يتركوه، و وهن^٤ في نفسه و هذا عظيما بتأمل كلماته مفردة و مركبة
 يعرف مقداره: ﴿اجتئنا لتخرجنا من أرضنا﴾ هذه التي نحن مالكوها
 ﴿بسحرك يموسى﴾^٥ ثقیل إلى أتباعه أن ذلك سحر، فكان ذلك - مع
 ما الفوه من عادتهم في الضلال^٦ - صارقاهم^٧ عن اتباع ما رأوا من
 البيان، ثم وصل به بالفاء السبية قوله 'مؤكدنا إيدانا بعلمه أن ما أتى به ١٠
 موسى ينكر كل من يراه أن يقدر غيره على معارضته': ﴿فلناتينك﴾
 أي^٨ [و الإله الأعظم - أ] 'بوعد لاخلف / فيه' ﴿بسحر مثله﴾
 تأكيد لما خيل به؛ ثم أظهر النصفة و العدل إثباتا لربط قومه فقال:
 ﴿فاجعل بيننا و بينك موعدا﴾ أي من الزمان و المكان ﴿لا نخلفه﴾
 أي لا نجعله خلفنا ﴿نحن و لآنت﴾ بأن تقعد عن إتيانه . ١٥
 و لما كان كل من الزمان و المكان لا ينفك عن الآخر قال:
 ﴿مكانا﴾ و آثر ذكر المكان لأجل وصفه بقوله: ﴿سوى﴾ أي

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢-٢) من ظ . وفي الأصل: بما يغيرهم،
 وفي مد: كما يثيرهم (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: حقيقة (٤) بهامش ظ:
 أي فرعون (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: الضلالة (٦) من ظ و مد، وفي
 الأصل: الحكم (٧) سقط من ظ و مد (٨) زيد من مد .

عدلا يننا ، لاجرج على واحد منا في قصده أزيد من حرج الآخر ،
فانظر هذا الكلام الذى زوقه وصنعه^١ ونمقه فأوقف به قومه عن السعادة
واستمر يقودهم بأمثاله حتى أوردتهم البحر فأغرقهم ، [مم -^٢] فى غمرات
النار أحرقتهم ، فعلى الكيس الفطن أن ينقد الأقوال والأفعال ، والخواطر
هـ والأحوال ، ويعرضها على محك الشرع : الكتاب^٣ والسنة ، فما وافق
لزمه وما لا تركه .

ولما كان مجتمع سرورهم الذى اعتادوه حاويا لهذه الأغراض
زمانا ومكانا وغيرهما ، اختاره عليه السلام [لذلك -^٤] ، فاستوقف الخبر
عنه فى قوله تعالى^٥ : ﴿ قال موعدكم ﴾ أى الموصوف ﴿ يوم الزينة ﴾^٦ أى
١٥ عيدكم^٦ الذى اعتدتم الاجتماع فيه فى المكان الذى اعتدتموه ، فأثر هنا
ذكر الزمان وإن كان يتضمن المكان لما فيه من عادة الجمع كما أثر فيما
تقدم المكان لوصفه^٧ بالعدل ﴿ وان يحشر ﴾ [بناء -^٨] ^٦ للفعول لأن
القصد الجمع . لا كونه من معين^٩ ﴿ الناس ﴾^٩ [أى إغراء ولو بكره -^٩]
﴿ ضحى ﴾^٩ ليستقبل^٩ النهار من أوله . فيكون أظهر لما يعمل وأجلى ،
١٥ ولا يأتى الليل إلا وقد قضى الأمر . وعرف المحق من المبتطل ، وأنتم
أجمع ما تكونون وأفرغ ، فيكل حد المبطلين وأشياعهم ، والمتكبرين^{١٠}

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : سنفه (٢) زيد من ظ ومد (٣) سقط من ظ .
(٤) زيد من مد (٥) العبارة من « اختاره » إلى هنا ساقطة من ظ (٦-٦) سقط
ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : لوصف (٨) تقدم فى الأصل
على « بناء » والترتيب من مد (٩) من ظ ومد ، وفى الأصل : يستقبل ، وزيد
قبله فى مد عبارة لا تتضح أصلا (١٠) العبارة من هنا إلى « الوبر والمدر »
ساقطة من ظ (١١) من مد . وفى الأصل : المنكرين .

على الحق و أتباعهم، و يكثّر المحدث بذلك الأمر العلم في كل بدر
و حضر، و يشيع في جميع أهل الدير و المدر ﴿قولى فرعون﴾ عن
موسى إلى تهينة ما يريد من الكيد بعد توليه عن الاقياد لأمر الله
﴿فجمع كيده﴾ 'أى مكروه و حيلته و خداعه'، الذى دبره على موسى
بجمع من يحصل بهم الكيد. و هم السحرة، حشرهم من كل أوب^٢، ه
و كان أهل مصر أسحر أهل الأرض و أكثرهم ساحرا، و كانوا في ذلك
الزمان أشد اعتناء بالسحر و أمهر ما كانوا و أكثر ﴿ثم أتته﴾ للعباد
الذى وقع القرار عليه بمن حشره من السحرة و الجنود و من تبعهم من
الناس، مع توفر الدواعى على الإتيان للعيد، و النظر إلى تلك المذابة التى
لم يكن مثلها.

١٠

و لما تشوف^٣ السامع إلى ما كان من موسى عليه السلام عند ذلك،
استأنف سبحانه الخبر عنه بقوله: ﴿قال لهم﴾ 'أى لأهل الكيد و هم السحرة
و غيرهم' ﴿موسى﴾ حين رأى اجتماعهم ناصحا لهم: ﴿ويلكم﴾ يا أيها
الناس الذين خلقهم الله لعبادته ﴿لا تقفروا﴾ أى لا تتعمدوا أن تصنعوا
استعلاء^٤ ﴿على الله كذبا﴾ يجعلكم آياته العظام الثابتة سحرا لاحقيقة ١٥
له، و ادعائكم أن ما تخیلون به حق و ليس بخيال، 'و إرشاكم به'؛

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ادب.

(٣) العبارة من هنا إلى «عنه بقوله» مساقطة من ظ (٤) من مد، و فى الأصل:

تشوق (٥) فى ظ: خلقكم.

١. وسبب عنه قوله: ﴿فيسحتكم﴾ أى يهلككم؛ قال الرازى: وأصله الاستئصال ﴿بعذاب ج﴾ أى عظيم تظهر به خبتكم ﴿وقد خاب﴾ / كل ﴿من اقترى ه﴾ أى تعمد كذبا على الله أو على غيره ﴿فتنازعوا﴾ أى تجاذب السحرة ﴿امرهم بينهم﴾ لما سمعوا هذا الكلام، علما منهم بأنه لا يقدر أن يواجه فرعون بمثله فى جميع جنوده وأتباعه لم^٢ يسلم منه [إلا -^٣] من الله معه ﴿واسروا النجوى ه﴾ أى كلامهم^٤ الذى تناجوا به وبالغوا فى إخفائه، فإن النجوى الإسرار، لئلا يظهر فرعون وأتباعه على عوارمهم^٥ [فى -^٦] اختلافهم الذى اقتضاه لفظ التنازع، فكأنه قيل: ما قالوا حين انتهى تنازعهم؟ [فقل -^٧]: ﴿قالوا﴾ أى السحرة بعد النظر وإجالة^٨ الرأى ما خيلهم به فرعون تلقا منه و تقربا إليه بما ينفر الناس عن موسى وهارون عليهما السلام [ويضطهم عن اتباعهما وإن غلبا، لأنه لا ينكر غلبة ساحر على ساحر آخر^٩]: ﴿إن هذين﴾ أى موسى وهارون. وقرئ: هذان - بالأنف، على لغة من يجعل ألف المثنى لازما فى كل حال؛ قال أبوحيان^{١٠}: وهى لغة لطوائف^{١١} من العرب: بنى الحارث بن كعب وبعض كنانة وخثعم وزبيد وبنى النضير

(١) سقط ما بين ارفقين من ظ (٢) زيد فى الأصل: اموره و، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحذفناها (٣) من ظ ومد. وفى الأصل: ثم (٤) زيد من ظ ومد (٥) العبارة من هنا إلى «النجوى الإسرار» ساقطة من ظ (٦) من مد، وفى الأصل: الكلام (٧) بهامش ظ: خللهم (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: انقضى (٩) بهامش ظ: إدارة (١٠) زيد من مد (١١) فى النهر الماد من البحر المحيط ٢٥٠/٦ (١٢) من ظ ومد والنهر، وفى الأصل: طوائف.

ونبي الهجيم و مراد و عذرة . ﴿ لسكرن ﴾ لاشك في ذلك منها
 ﴿ يرذن ﴾ أى [بما - ١] يقولان من دعوى الرسالة وغيرها
 ﴿ ان يخرجكم ﴾ أيها الناس ﴿ من ارضكم ﴾ هذه التى ألفتوها ، وهى
 وطنكم خلفا عن سلف ﴿ بسحرهما ﴾ الذى أظهره لكم وغيره .

[ولما كان كل حزب بما لديهم فرحون قالوا - ٢] : هـ
 ﴿ ويذهبا بطريقتكم ﴾ هذه السحرية التى تعبتم فى تمهيدها ، وافى فيها
 أسلافكم أعمارهم ، حتى بلغ أمرها العاية ، ١ و بدينكم الذى به قوامكم
 ﴿ المثل ٥ ﴾ أى ٥ التى هى أمثل الطرق ، فيكونا آثر بما يظهرانه منها عند
 الناس [منكم - ٦] ، ٢ و يصرفان وجوه الناس إليها عنكم ٣ ، و ينظر ما لكم
 بذلك من الارزاق و العظمة عند الخاص و العام و غير ذلك من الأغراض ١٠
 ﴿ فاجمعوا كيدكم ﴾ ٤ أى لا تدعوا منه شيئا إلا جئتم به ٥ و لا تخافوا تضعفوا
 ﴿ ثم اتوا ﴾ إلى لقاء موسى و هارون لمباراتهما ﴿ صفاج ﴾ أى متسابقين
 متساوين فى السباق ليستعلى أمركم عليهما فتفاجوا ، ٦ و الاصطفاف أهيب
 فى صدور الرائين .

ولما كان التقدير : [فن - ٢] أى كذلك [فقد - ٢] استعلى ، عطف ١٥

- (١) العبارة من إهنا إلى « و غيرها » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) بهامش
 ظ : قوله « و غيره » معطوف على « الذى » أو محله جر على المضد لمباراتهما - فانهم
 ذلك (٤ - ٤) وقع ما بين الرقنين فى الأصل قين « و يذهبا » و الترتيب من مد .
 (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ و مد (٧ - ٧) سقط ما بين الرقنين من ظ .
 (٨) العبارة من هنا إلى « محققا » ساقطة من ظ .

عليه قولهم^١ محققا : ﴿وقد فلع اليوم﴾ في هذا الجمع الذي ما اجتمع
 مثله قط ﴿من استعلى^ه﴾ أى غلب ووجد^د علوه، أى ففعلوا ما تقدم
 و أتوا صفا، فلما أتوا^٢ كانوا خبيرين بأن يقولوا ما ينفعهم في مناصبة
 موسى عليه السلام، استؤنف الإخبار عنه بقوله تعالى^٣ : ﴿قالوا﴾ أى
 هـ السحرة منادين، لأن لين القول مع الخصم إن لم ينفع لم يضر :
 ﴿يموسى^٢ أما ان تلقى﴾ ما معك مما تناظرنا به أولا ﴿و أما ان نكون﴾
 أى نحن ﴿اول من التى^ه﴾ ما معه ﴿قال﴾ أى موسى^٤ مقابلا لأدبهم
 [بأحسن منه - ^٥] ولأنه فهم أن مرادهم الابتداء، وليكون هو الآخر
 فيكون العاقبة بتسليط معجزته على سحرهم فلا يكون بعدها شك : لا التى
 ١٠ أنا أولا ﴿بل القوا﴾ أنتم أولا، فانتهزوا^٦ الفرصة. لأن ذلك كان مرادهم
 بما أفهموه من تعبير السياق والتصریح بالاول، فألقوا ﴿فاذا جالهم وعصيم﴾
 التى ألقوها ﴿يخيل اليه﴾ وهو صفينا [تخيلا مبتدئا - ^٥] ﴿من سحرهم﴾
 الذى كانوا [قر - ^٧] فأقوا به أهل الأرض ﴿انها﴾ لشدة اضطرابها
 ﴿تسمى^د﴾ / سعياء. وإذا كان هذا حاله مع أنه أثبت الناس بصرا
 ١٥ و أنفذهم بصيرة فما ظنك بغيره ! ﴿فارجس﴾ أى أضمر بسبب ذلك.
 و حقيقته : أوقع راجسا أى خائرا و ضميرا .

/ ٤٦١

(١) من مد، وفي الأصل : قوله (٢) بهامش ظ : واستفيد وجود أعلو
 من السين إذ هى تدل على الوجود (٣ - ٢) سقط ما بين الرقین من ظ .
 (٤) العبارة من هنا إلى «بعدها شك» ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) من
 ظ و مد، وفي الأصل : فانتهز (٧) زيد من ظ و مد .

ولما كان المقام لإظهار الخوارق على يديه ، فكان ربما فهم أنه أوقعه في نفس أحد غيره ، كان المقام للاهتمام بتقديم المتعلق ، فقال لذلك لا مراعاة الفواصل : ﴿ في نفسه ﴾ أي خاصة^٢ . [وقدم ما المقام له و الاهتمام به فقال -^٣] : ﴿ خيفة موسى ﴾ مثل ما خاف من عصاه أول ما رآها كذلك على ما هو طبع البشر ، وللنظر إلى الطبع عبره بالنفس لا القلب مثلاً .

ولما كان ذلك ، وكان المعلوم أن الله معه ، وأنه [جدير -^٢] بإبطال سحرهم ، استأنف الخبر عنه بقوله : ﴿ قلنا ﴾ [بما لنا من العظمة -^٢] : ﴿ لا تخف ﴾ من شيء من أمرهم ولا غيره^٥ ، ثم علل ذلك بقوله ، وأكده أنواعاً من التأكيد لاقتضاء الحال^٢ [إنكار أن يغلب أحد ما ١٠ أظهرنا من سحرهم لعظمه^٢] : ﴿ انك انت ﴾ [أي خاصة -^٢] ﴿ الاعلى ﴾ أي الغالب غلبة ظاهرة لاشبهة فيها^٢ ﴿ والقي ﴾^٢ وأشار إلى يمن العصي وبركتها بقوله : ﴿ ما في يمينك ﴾ أي^٥ من هذه العصي التي قلنا لك أول ما شرفناك بالمناجاة " وما تلك يمينك بموسى " ثم أريناك منها ما أريناك ﴿ تلقف ﴾ بقوة واجتهاد مع سرعة لا تكاد تدرك - بما ١٥ أشار إليه حذف التاء^٢ ﴿ ما صنعوا ﴾ [أي فعلوه بعد تدرب كبير عليه

(١) في مد : لتقديم (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ (٣) زيد من مد .

(٤) العبارة من هنا إلى «عنه بقوله» ساقطة من ظ (٥-٥) من مد ، وفي الاصل :

ولا غيرهم ، وسقط ما بين الرقین من ظ (٦-٦) في ظ : وحدك لا غيرك .

(٧) سقط من مد .

و ممارسة طويلة - ' : ثم على ذلك بقوله : ﴿ انما ﴾ [أى أن الذى - ']
 ﴿ صنعوا ﴾ أى ^٢ [أن - '] صنعهم [بما - '] رأيت و هالكة أمره .
 و لما كان المقصود تحقير هذا الجيش أفرد و ' نكر لتكثير
 المضاف و تحقيره فقال : ﴿ كيد سحر ﴾ أى ^٣ كيد سحرى ^٤ لاحقيقة له
 ه و لا ثبات ، [سواء كان واحدا أو جمعا ، و لو جمع لخيّل أن المقصود العدد ،
 و لما كان التقدير - '] : فهم لا يملحون ، عطف عليه قوله ^٥ : ﴿ ولا يفلح السحر ﴾
 أى هذا الجنس ﴿ حيث أتى ﴾ ^٦ أى كيف ما سار و آتته [سلك - '] فانه
 إنما يفعل ما لاحقيقة له . فامثل ما أمره به [ربه - '] من إلقاء عصاه ،
 فكان ما وعده به سبحانه من تلقفها لما صنعوا من غير أن يظهر عليها
 ١٠ زيادة فى ثخن و لا غيره مع أن حبالهم و عصيهم كانت شيئا كثيرا ،
 فلم كل من رأى ذلك حقيقته ^٧ و بطلان ما فعل السحرة ، فبادر السحرة
 منهم إلى الخضوع لأمر الله ساجدين مبادرة من كأنه ألقاه ملق ^٨ على
 وجهه ، و لذلك قال تعالى بعد أن ذكر مكرهم و اجتهدهم فى معارضة
 موسى عليه الصلاة و السلام [و - '] حذف ذكر الإلقاء و ما سببه من

(١) زيد من مد (٢) العبارة من هنا إلى ه و تحقيره فقال ه ساقطة من ظ .

(٣) فى مد ه و (٤) زيد بعده فى الأصل : لكن ، و لم تكن الزيادة فى مد

لحدها (٥) من مد ، و فى الأصل : تكثير (٦-٧) سقط ما بين الرقين من ظ .

(٧-٧) ما بين الرقين سقط من ظ و تقدم فى الأصل على ه فهم ه . و الترتيب

من مد (٨) تأخر فى الأصل عن ه سلك ه و الترتيب من مد (٩) زيد من ظ

و مد (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : حقيقته (١١) فى ظ : احد .

التلقف لأن مقصود السورة القدرة على تليين انقلوب القاسية^١ :
 ﴿فالق السحرة﴾ أى فألقاهم ما رأوا من أمر الله^٢ بغاية السرعة و بأسر
 أمر^٣ ﴿سجدا﴾ على وجوههم : قال الأصمهانى : سبحان الله ! ما أعظم
 شأنهم ! ألقوا حبلمهم و عصيهم للكفر و الجحود ، ثم القوا رؤسهم بعد
 ساعة للشكر و السجود ، فما أعظم الفرق بين الإلفائين^٤ . فكان قائلا ه
 قال : هذا فعلهم فما قالوا ؟ فقل : ﴿قالوا آمنا﴾ أى صدقنا .

ولما كان سياق هذه السورة مقتضيا لتقديم هارون عليه السلام
 قال : ﴿رب هرون و موسى﴾ بـ إشارة للنبي صلى الله عليه و سلم بأنه
 سبحانه لا يشقيه بهذا القرآن بل يهدى الناس [ه - ٣] و يذلهم له ،
 فيجعل العرب على شماعتها^٥ أذل شيء / لوزرائه و أنصاره و خلفائه ١٠ / ٤٦٢
 وإن كانوا أضعف الناس . و قبائلهم أقل القبائل ، مع ما فى ذلك من
 الدليل على صدق إيمانهم و خلوص ادعائهم بتقديم الوزير المترجم ترقيا
 فى درج المعرفة بمن أوصل ذلك إليهم إلى من أمره بذلك ثم إلى من
 أرسله شكرا للنعمين بالتدريج . لا شكر الله من لم يشكر الناس ، و هذا
 لما أوجب تقديمه هنا لا لهذا فقط . و ذكروا اسم الرب إشارة إلى أنه ١٥
 سبحانه أحسن إليهما بأعلاء شأنهما على السحرة ، و على من كانوا يقرون له
 بالربوبية . و هو فرعون الذى لم يغن عنهم شيئا ، فكانوا أذل النهار سحرة ،
 و آخره شهداء بررة ، و هذه الآية فى أمثالها من آى هذه السورة

(١) العبارة من « بعد أن » إلى هنا ساقطة من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقين من
 ظ (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ : سماحتها (٥) فى مد : لا (٦) بهامش ظ : =

و غيرها مما قدم فيه ما يتبادر ان حقه التأخير وبالعكس لانتحاء^١ من المعاني
 دقيقة ، هي التي حملت بعض من لم يرسخ إلى أن يقول : إن القرآن
 يراعى الفواصل كما يتكلف بلغاء العرب السجع ، و تبعه جمع من المتأخرين
 تقليداً ، و قد عاب النبي صلى الله عليه وسلم ذلك^٢ حين قال « سجع كسجع
 الجاهلية » أو قال : الكهان ، و قد علم مما ذكرته أن المعنى الذي
 بنيت عليه السورة ما كان ينظم إلا بتقديم هارون ، و يؤيد ذلك أنه
 قال هنا « انا رسولاً » و في الشعراء « رسول » ، و قد قال الإمام
 غفر الدين الرازي كما حكاه عنه الشيخ أبو حيان في سورة فاطر من
 النهر^٣ : لا يقال في شيء من القرآن : إنه قدم أو أخر لأجل السجع ، لأن
 ١٠ معجزة القرآن ليست في مجرد اللفظ ، بل فيه و في المعنى ، [و -] قال
 القاضي أبو بكر الباقلاني^٤ في كتاب إعجاز القرآن : ذهب أصحابنا^٥ كلهم
 إلى نفي السجع من القرآن و ذكره^٦ أبو الحسن الأشعري في غير موضع
 من كتبه ، ثم رد على المخالف بأن قال : و الذي يقدرونه أنه سجع فهو
 وهم ، لأنه قد يكون انكلام على مثال السجع و إن لم يكن سجعا لأن
 — و مراد الشيخ بالشهادة ليس المقتولين لما ينص عليه بعد ، بل هؤلاء بمنزلة
 الشهادة في العلو و الرفعة فليفهم ذلك .

(١) بين سطرى ظ : نوجوه (٢) بين سطرى ظ - أى السجع (٣) اللاد من
 النهر المحيط ، و هامش ظ : قوله « من النهر » المضاف إليه . . . سورة أى سورة
 فاطر هو النهر - كذا (٤) زيد من ظ و مد (٥) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر
 ابن القاسم البصري ثم البغدادي المتوفى سنة ٤٣٠ هـ - راجع معجم المؤلفين ١٠/١٠٩ .
 (٦) بين سطرى ظ : أى الأشاعرة (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : ذكر .
 السجع

السجع يتبع المعنى فيه اللفظ الذى يودى السجع . وليس كذلك ما اتفق
 بما هو فى تقدير السجع من القرآن . لأن اللفظ يقع فيه تابعا للمعنى ، وفصل^١
 بين أن ينتظم الكلام فى نفسه بألفاظه التى تودى المعنى المقصود فيه
 وبين أن يكون المعنى منتظما دون اللفظ . ومتى ارتبط المعنى بالسجع
 كان إفادة السجع كإفادة غيره . ومتى انتظم المعنى بنفسه دون السجع
 كان مستجلبا لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى ، ثم استدل على ذلك
 بأشياء نفيسة أطال فيها وأجاد - رحمه الله . وقد تقدم فى آخر سورة
 التوبة^٢ ما ينفع جدا فى هذا المرام .

ولما كان موسى عليه السلام هو المقصود بالإرسال [إلى فرعون ،

استأنف تعالى الإخبار عن فرعون عند ما فجئه ذلك فقال -^٣] : ﴿ قال ﴾ أى ١٠
 فرعون للسحرة منكرا عليهم . [و اضمر اسمه هنا ولم يظهره كما فى
 الأعراف لأن مقصود السورة الرق بالمذعومين والحلم عنهم ، وهو غير متأهل
 لذكر اسمه فى هذا المقام -^٤] : ﴿ أنتم ﴾ أى بالله ﴿ له ﴾ أى مصدقين
 أو متبعين لموسى ﴿ قبل أن اذن لكم ﴾ فى ذلك . إيهاما بأنه سيأذن
 [فيه -^٥] ليقف الناس عن المبادرة إلى الاتباع بين خوف العقوبة ١٥

ورجاء الإذن ؛ ثم استأنف قوله ملاملا مخيلا لاتباعه صدا لهم عن الاقتداء
 بهم : ﴿ انه لكبيركم ﴾ أى فى العلم الذى عليكم السحرة فلم تبعوه
 لظهور الحق ، بل لإرادتكم شيئا من المسكر وافقتموه عليه قبل حضوركم
 ٤٦٣ :

(١) بين - طرى ظ : فرق (٢) فى ظ و مد : براءة (٣) زيد من مد (٤-٤) - فقط
 ما بين الرقيين من ظ (٥) زيد من ظ و مد .

في هذا الموطن ، وهذا على عادته في تحييل أتباعه فيما يوقفهم عن اتباع الحق .

ولما خيلهم ، شرع يزيدهم حيرة بتهديد السحرة فقال : ﴿ فلا قطعن ﴾^١
 أي بسبب ما فعلتم^٢ ﴿ ايديكم ﴾ على سبيل التوزيع ﴿ وارجلكن ﴾^٣
 أي من كل يدا ورجلا ﴿ من خلاف ﴾ فإذا قطعت اليد اليمنى قطعت
 الرجل اليسرى ﴿ ولا وصلكن ﴾ [وعر عن الاستعلاء بالظرف إشارة
 إلى تمكينهم من المصلوب فيه تمكين المظروف في ظرفه فقال -^٤ :
 ﴿ في جذوع النخل ﴾ تبشيعا لقتلكم ردعا لأمثالكم ﴿ وتعلن اينآ ﴾^٥
 أنا ورب موسى الذي قال : إنه اوحى إليه أن العذاب على من كذب
 ١٠ وتولى ﴿ اشد عذابا وابق ﴾^٦ أي من جهة العذاب ، أي أينما عذابه
 أشد واطول زمانا^٧ .

ولما علموا ما خيل به على عقول الضعفاء . فهوهم^٨ [فأخبر تعالى
 عن ذلك بقوله مستأنفا -^٩] : ﴿ قالوا لن نؤترك ﴾ أي [نقدم اترك -^{١٠}]
 بالاتباع [لك -^{١١}] لنسلم من عذابك الزائل ﴿ على ما جاءنا ﴾^{١٢} به
 ١٥ موسى عليه السلام ﴿ من بيننا ﴾ التي عايناهما وعلينا أنه لا يقدر
 أحد على مضاهاتها . ولما بدأوا بما يدل على الخالق [من الفعل -^{١٣}]
 الخارق . ترفوا إلى ذكره بعد معرفته بفعله ، إشارة إلى على قدره فقالوا :

- (١) من ظ و مد ، وفي الأصل : تهديد (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ .
 (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : رجل (٤) زيد من مد (ه) زيد في ظ : بأن .
 (٦-٦) سقط ما بين الرقنين من ظ ، وفي مد : أي على لسان موسى عليه السلام .
 (٧) زيد من ظ و مد .

(والذى) أى ولا تؤثر بالاتباع على الذى (فطرنا) أى ابتداء خلقنا، إشارة إلى شمول 'ربوبيته سبحانه' و تعالى لهم وله^٢ و لجميع الناس، و تنبئها على 'عجز فرعون' عند من استحقه، و فى جميع أقوالهم هذه من تعظيم الله تعالى عبارة و إشارة و تحقير فرعون أمر عظيم .

ولما تسبب عن ذلك أنهم لا يبالون به . علما بأن ما فعله فهو ه باذن الله ، قالوا : (فاقض ما) أى فاصنع فى حكمك الذى (انت قاض) ثم علموا ذلك بقولهم : (انما تقضى) أى تصنع بنا ما تريد [إن قدرك الله عليه -^٤] (هذه الحياة الدنيا) أى إنما حكمك 'فى مدتها' على الجسد خاصة ، فهى ساعة تعقب راحة^٥ ، ونحن لا نخاف إلا من يحكم على الروح و إن فنى الجسد ، فذاك هو الشديد العذاب ، الدائم الجزاء ١٠ بالثواب^٦ أو العقاب ، [و اعلمهم أسقطوا الجار تنزلا إلى أن حكمه لو فرض أنه يمتد إلى آخر الدنيا لكان أهلا لأن لا يخشى لأنه زائل و عذاب الله باق -^٤] . ثم عللوا تعظيمهم لله و استهانتهم بفرعون بقولهم : (أنا 'أما ربنا') أى المحسن إلينا طول أعمارنا^٨ مع إساءتنا بالكفر وغيره (ليغفر لنا) [من غير نفع يلحقه بالفعل أو ضرر يدركه بالترك -^٩] ١٥

(١-١) فى ظ و مد : ربوبية الله (٢) بين سطرى ظ : فرعون (٣-٢) فى ظ : عجزه ، و بين - طويه : فرعون (٤) زيد من مد (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : دارحة (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بان الثواب (٨) من ظ و مد و فى الأصل : الاعمار .

(خطينا) الى قائلنا بها احسانه: ثم خصوا بعد العموم فقالوا:
 (وما اكرهتنا عليه) [ويبنوا ذلك بقولهم -^١]: (من السحر)
 لتعارض به المعجزة، فانه كان الاكمل لنا عصيانك فيه لان الله احق بان
 يبقى. روى أن الذي كان من القبط من السحرة اثنان فقط، والباقيون
 ه من بني اسرائيل. اكرههم فرعون على تعلم السحر، وروى أنهم رأوا
 موسى عليه السلام قائما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون: إن الساحر إذا
 نام بطل سحره، فهذا لا يقدر على معارضته، فأبى عليهم وأكرههم
 على المعارضة.

[ولما كان التقدير: فربنا أهل التقوى وأهل المغفرة، عطفوا
 ١٠ عليه مستحضرين لكمالهم -^١]: (والله) أى الجامع لصفات الكمال
 (خير) جزاء منك فيما وعدتنا به (وابقى) ثوابا وعقابا،
 والظاهر أن الله تعالى سلمهم من فرعون، ويؤيده قوله تعالى "انما
 ومن اتبعكما الغلبون" - قاله أبو حنيفة^٢. [وسأني في آخر الحديد ما
 هو صريح في نجاتهم -^٢]: ثم عللوا هذا الختم بقولهم: (انه من يات ربه)
 ١٥ أى لذى ربه وأحسن إليه بأن أوجده وجعل له جميع ما يصلحه
 (مجرما) أى قاطعا ما أمره به أن يوصل (فان له جهنم) / دار الإهانة
 (لا يموت فيها) أبدا مع شدة عذابها. بخلاف عذابك الذى [إن -^٣]

/ ٤٦٤

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: الذى (٢) زيد من مد (٣) العبارة من هنا إلى
 "على المعارضة" ساقطة من ظ (٤) في مد: قائما (ه - ه) من مد، وفي الأصل:
 لا ينبغي (٦ - ٦) - فقط ما بين الرمين من ظ (٧) من ظ ومد، وفي الأصل:
 قال (٨) في البحر المحيط ٢٦٢/٦ (٩) تكرر في الأصل فقط بعد "ره" ه.
 (١٠) زيد من ظ ومد.

اشتد ألمات فزال سريعا، وإن خف ثم يُخَفُّ وكان آخره الموت وإن طال ﴿ولا يحيي﴾ فيها حياة ينفع بها ﴿ومن يات﴾ أى ربه الذى أوجده^٢ ورباه ﴿مؤمنا﴾ أى مصدقا به .

[ولما قدم أن مجرد الكفر يوجب العذاب . كان هذا محلا يتوقع فيه الإخبار عن الإيمان بمثل ذلك فقال - ٢ : ﴿قد﴾ [أى - ٢] ٥ ضم [إلى ذلك تصديقا لإيمانه أنه ﴿عمل﴾ أى فى الدنيا] ﴿اصلحت﴾ التى أمر بها - ٥ [فكان [صادق - ٢] الإيمان مستلزما لصالح الأعمال^٦ ﴿فاوآلتك﴾ أى العالو الرتبة] ﴿لهم﴾ [أى لتداعى ذواتهم بمقتضى الجلبة - ٢] ﴿الدرجت العلى لا﴾ التى لانسبة لدرجاتك التى وعدتنا بها منها؛ ثم بينوها بقولهم: ﴿جنت عدن﴾ أى أعدت للاقامة وهى ١٠ فيها أسبابها ﴿تجرى من تحتها الانهر﴾ أى من تحت غرفها وأسرتها وأرضها؛ فلايراد موضع منها لأن يجرى فيه نهر إلا جرى؛ ثم بين بقوله: ﴿تخلدين فيها﴾ أن أهلها هموا أيضا للاقامة .

^٨ولما أرشد السياق [و - ٢] العطف على غير [معطوف عليه - ٢] ظاهر إلى أن التقدير: ذلك الجزاء العظيم . ونعيم المقيم جزاء الموصوفين ١٥ لتزكيتهم أنفسهم، عطف عليه قوله: ﴿وذلك جزاؤا﴾ كل ﴿من تزكى﴾ أى طهر نفسه بما ذكر من الإيمان والأعمال الصالحة، وفى هذا تبليغ للصحة رضوان الله عليهم فيما كان يفعل بهم عند زول
(١) العبارة من هنا إلى «و رباه» ساقطة من ظ (٢) من مد، وفى الأصل: أوعده (٣) زيد من مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقین من ظ (٥) زيد من ظ ومد (٦) العبارة من «فكان» إلى هنا ساقطة من ظ (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: نسبتك (٨) العبارة من هنا إلى «أن التقدير» ساقطة من ظ .

هذه السورة إذا كانوا مستضعفين .

ولما بين سبحانه استكبار فرعون المدعى في قوله " فكذب واني " و ختمه سبحانه بأنه يهلك العاصي كائنا من ^٢ كان ، و ينجي الطائع . أتبع ذلك ^٣ شاهدا محسوسا عليه ؛ كفيلا ببيان أنه لم يغش عن فرعون شيء من قوته ولا استكباره ، فقال عاطفا على " ولقد ارينه آيتنا " : ﴿ ولقد اوحينا ﴾ ^٤ أي بعظمتنا لتسهيل ما يأتي من الأمور الكبار ^٥ ﴿ الى موسى ﴾ ^٦ غير مكترئين ^٧ لشيء من أقوال فرعون ولا أفعاله ، وهذا الإيحاء بعد ما تقدم من أمر السحرة بمدة مديدة جرت فيها خطوب طوال كانت بسببها الآيات الكبار ، وكأنها حذفت لما تدل عليه من قساوة القلوب ، والمراد هنا الانتهاء لما تقدم من مقصود السورة ^٨ ﴿ ان امر ﴾ ^٩ أي ليلا ، لأن السرى سير الليل ؛ و شرفهم بالإضافة إليه فقال : ﴿ بعبادى ﴾ أي بنى إسرائيل ^{١٠} الذين ^{١١} لفث قلب فرعون حتى أذن في مسيرهم بعد أن كان قد ^{١٢} أبى ^{١٣} أن يطلقهم أو يكف عنهم العذاب ، فأنصد بهم ناحية بحر القلزم ﴿ فاضرب لهم ﴾ أي ^{١٤} اعمل

(١) من مد ، و في الأصل و ظ : ادا (٢) من ظ ومد ، و في الأصل : بمن .
(٣) بين سطرى ظ : الحتم بالإهلاك و الإنجاء (٤) بين سطرى ظ : الإهلاك و الإنجاء (٥ - ٥) - فقط ما بين الرقين من ظ (٦) بهامش ظ : الاكترات : الاهتمام (٧) زيد في الأصل : إلى ، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفناها .
(٨) زيد في ظ : فرعون (٩) من مد ، و في الأصل : ولما ان ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة في ظ إلى « ضربا » .

بضرب البحر بعصاك ، ولذلك سماه ضربيا .

ولما كان ضرب البحر بالعصا سيبا لوجود الطريق الموصوفة ،
أوقع الفعل عليها فقال : ﴿ طريقا في البحر ﴾^١ أو وصفها بالمصدر [مبالغة -^٢]
فقال : ﴿ يبسالا ﴾ حال كونها أو كونك^٣ ﴿ لا تخف ﴾ و المراد بها
الجنس ، فانه كان لكل سبط طريق ﴿ دركا ﴾ أى أن يدركك شيء^٤ ه
من طغيان البحر أو بأس العدو [أو غير ذلك -^٥] .

ولما كان الدرك مشتركا بين اللحاق والتبعة ، اتبعه بقوله :
﴿ ولا تخشىه ﴾ أى شيئا غير ذلك أصلا إنفاذا^٦ لأمرى وإنفاذا لمن
أرسلتك لاستنقاذهم ، و سوقه على هذا الوجه من^٧ إظهار القدرة والاستهانة
بالمعاند مع كبريائه ومكنته استدلالا شهوديا على ما قرر أول السورة ١٠
من شمول القدرة وإحاطة العلم للبشارة باظهار هذا الدين بكثرة الاتباع
وإبارة^٨ الخصوم والإسعاد برد^٩ الأضداد وجعل بغضهم ودا ، وإن
كانوا قوما / لذا : ثم أتبع ذلك قوله [عطفا على ما تقديره : فبادر
٤٦٥ /

(١) العبارة من هنا إلى ﴿ فقال ﴾ ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) بهامش
ظ : قوله « حال كونها أو كونك ، أى لا تخاف إما أن تجعلها حالا من المفعول أعنى
طريقا أو من الفاعل وهو الضمير فى اضرب - فافهم (٤-٤) سقط ما بين الرقين
من ظ (٥) فى ظ : ولا (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : ايقانا (٧) بين سطرى
ظ : بيان هذا الوجه (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : نارة (٩) من ظ و مد ،
وفى الأصل : « و » .

امثال الامر في الاسراء وغيره - [: (فاتبعهم) أى [أوجد التبع
والمسير وراء - '] بنى إسرائيل على ذلمهم و ضعفهم (فرعون بجنوده)
على كثرتهم وقوتهم و علومهم و عزتهم^١ ، فكانوا^٢ كالتابع الذى لا معنى
له بدون متبوعه (فنشيتهم) أى فرعون وقومه (من اليم) أى البحر
ه [الذى من شأنه أن يؤم ، وأوجز فهو ل فقال - '] : (ما غشيتهم^٣)
أى أمر لا تحتمل العقول وصفه حق وصفه ، فأهلك أولهم وآخرهم ؛
وقطع دابرهم ، لم يبق منهم أحدا ، وما شاكت أحدا من عبادنا
المستضعفين شوكه (واضل فرعون) على تحذلقه (قومه) مع
ما لهم من قوة الأجساد ومعانيها .

١٠ ولما كان إثبات الفعل لا يفيد العموم ، نفى ضده ليفيده مع كونه
أوكد و أوقع في النفس و أروع لها فقال : (وما هدى^٤) أى ما
وقع منه شيء من الهداية ، لأنفسه و لا لأحد من قومه . فتم الدليل
الشهودى على تمام القدرة على إنجاء الضائع وإهلاك العاصى .

ولما كان هذا موجبا للتشوف إلى ما وقع لبنى إسرائيل بعده ،
١٥ قال تعالى شافيا لهذا الغليل ، أقبلنا على بنى إسرائيل بممتين بما مضى و ما يأتى
قائلين : (يئسوا إسرائيل) معترفين لهم أننا نظرنا إلى السوابق فأكرمناهم^٥

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : غرهم (٣) من مد ، وفى
الأصل وظ : وكانوا (٤-٤) سقط ما بين الرقنين من ظ (٥) العبارة من هنا
إلى « المنافع قال » ساقطة من ظ (٦) من مد . وفى الأصل : قاتلناهم .

لأجل أيهم .

ولما كان دره المفسد وإزالة الموانع قبل جلب المصالح واستدرار
المنافع قال : ﴿ قد انجيتكم ﴾ بقدرتنا الباهرة ﴿ من عدوكم ﴾ الذى
كنتم أحقر شيء عنده .

٥ 'ولما تفرغوا لإتفاذ ما يراد منهم من الطاعة قال : ' ﴿ و وعدتكم ﴾ ه
أى ' كلكم - كما مضى فى البقرة عن نص التوراه - للثول بمحضرتنا
والاعتزاز بمواطن رحمتنا ﴿ جانب الطور الايمن ﴾ أى الذى على أيمانكم
فى توجيهكم هذا الذى وجوهكم فيه إلى بيت [أيكم - ٢] لإبراهيم عليه
السلام ، [وهو جانبه الذى إلى البحر وناحية مكة واليمن - ٢] .

١٠ 'ولما بدأ بالمنفعة الدينية ، ثنى بالمنفعة الدنيوية [فقال - ٢] : ١٠
﴿ ونزلنا عليكم ﴾ بعد إزال هذا الكتاب فى هذه المواعدة لإنعاش
أرواحكم ﴿ المن والسلوى ﴾ لإبقاء أشباحكم ، فبدأ بالإنجاء الممكن من
العبادة ، ثم اتبعه بنعمة الكتاب الدال عليها ، ثم بالرزق المقوى ، 'ودل
على [نعمة - ٢] الإذن فيه بقوله : ﴿ كلوا ﴾ 'ودل على سعته بقوله :
﴿ من طيبت ما ﴾ 'ودل على عظمته بقوله : ﴿ رزقكم ﴾ من ذلك ١٥
ومن غيره .

'ولما كان الغنى والراحة سبب السباحة ، قال : ﴿ ولا تنظفوا فيه ﴾

(١ - ١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من مد .
(٤) بين سطرى ظ : العبادة (٥) العبارة من هنا إلى « فيه بقوله » ساقطة
من ظ .

بالادخار إلى غد في غير يوم الجمعة ولا بغير ذلك من البطر وإغفال
الشكر بصرفه في غير الطاعة ﴿ فيحل به ^١ أى ينزل [ويحب في حينه
الذى هو أولى الأوقات به - ^٢] - على قراءة الجماعة بالكسر . ونزولا ^٣
عظيما وبروكا شديدا - على قراءة الكسائي بالضم ﴿ عليكم غضبي ع ﴾
ه فتعلموا لذلك ﴿ و ﴾ كل ﴿ من يحلل عليه غضبي ﴾ منكم ومن غيركم
﴿ فقد هوى به ﴾ أى كان حاله حال من سقط من علوه .

ولما كان الإنسان محل الزلل وإن اجتهد ، رجاء ^٤ واستعطفه ^٥
بقوله : ﴿ وانى لغفار ﴾ أى ستار بأسبال ذيل العفو ﴿ لمن تاب ﴾ أى
رجع عن ذنوبه من الشرك وما يقاربه ﴿ وامن ﴾ بكل ما يجب
١٠ الإيمان به ﴿ وعمل صالحا ﴾ تصديقا لإيمانه .

ولما كانت رتبة الاستمرار على الاستقامة في غاية العلو ، عبر عنها
بآداة التراخي فقال : ﴿ ثم اهتدى به ﴾ أى استمر على العمل الصالح متحررا
به إيقاعه على حسب أمرنا وعلى أقرب الوجوه / المرضية لنا ، له إلى
ذلك ^٦ غاية التوجه كما يدل ^٧ عليه صيغة افتعل ، وكأنه لما رتب الله سبحانه
١٥ منازل قوم موسى عليه السلام عامة والسبعين المختارين منهم خاصة في
الجبن - كما مضى عن نص التوراة في سورة البقرة ، وواعده الكلام

/ ٤٦٦

- (١) العبارة من هنا إلى « بالضم » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) من مد ،
وفي الأصل : نزول (٤ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من ظ و مد ،
وفي الأصل : نزبة (٦) سقط من مد (٧) بين سطرى ظ : أى العمل الصالح .
(٨) في مد : تدل (٩) سقط من ظ .

بعد ثلاثين ليلة ولم يعين له أبها^١، وكأنه لاشتياقه إلى ما رأى من التعرف إليه بمقام الجلال لم يتوقف على خصوص إذن من الله تعالى في أول وقت الإتيان اكتفاءً بمطلق الأمر السابق في الميعاد، فتعجل بعشرة أيام عن الوقت الذي علم الله أن الكلام يقع فيه^٢ بعد الثلاثين التي^٣ ضربها لذلك، وأمر موسى عليه السلام قومه [عند -^٤] نهوضه،^٥ وتقدم إليهم في اتباعه والكون في أثره للحلول في الأماكن التي حدها الله لهم وأمر السبعين المختارة بمثل ذلك، وكأنهم لما مضى تلبثوا لما رأوا من مقام الجلال، فلما مضت الثلاثون بعد ذهاب موسى لم يكن أنى الوقت الذي أراد الله أن تكون المناجاة فيه، فزاده عشرة فظن بنو إسرائيل الظنون في تلك العشرة، ووقع لهم^٦ ما وقع من اتخاذ العجل.^{١٠}

ولما كان ذلك - والله أعلم بما كان، وكان أعظم ما مضى في آية الامتتان عليهم والتعرف بالنعمة إليهم الموعدة لهدايتهم بالآيات المرئية والمسموعة، وختم ذلك بالإشارة إلى الاجتهاد في الإقبال^٧ على الهدى، أتبع ذلك ذكر ضلالهم بعد رؤية ما يبعد [معه -^٨] كل البعد إلام من رآه^٩ بشيء من الضلال. كل ذلك لإظهار القدرة التامة^{١٥} على التصرف في القلوب بضد ما يظن بها، و^٩ كان تنجز المواعيد الذي شيء للقلوب وأشهاه إلى النفوس. وكان السياق مرشداً حتماً إلى أن

(١) بين سطرى ظ : اثلاثين (٢) في مد : به (٣) من ظ و مد، وفي الأصل : الذي (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، وفي الأصل : بهم (٦-٦) من ظ و مد، وفي الأصل : الإقبال (٧) زيد من مد (٨) من ظ و مد، وفي الأصل : تراه (٩) زيد في ظ : لا .

التقدير: فأتوا إلى الطور لميعادنا، و تيمموا جانبه الأيمن بأمرنا ومرادنا،
و تعجل موسى صفينا الصعود فيه [١- مبادرا لما عنده من الشوق إلى ذلك
المقام الشريف و تأخر مجيء قومه عن الإتيان معه، فقلنا: ما أخر قومك
عن الإتيان معك؟ فعطف عليه قوله^٢]: ﴿وَمَا أَجْعَلُكَ﴾^٢ أى أى شئ
هـ أوجب لك العجلة^٣ فى المجيء^٤ ﴿عن قومك﴾ و إن كنت بادرت بمبادرة
المبالغ فى الاسترضاء، [أما علمت أن حدود الملوك لا ينبغي تجاوزها بتقدم
ولا تأخر-١]؟ ﴿يَمُوسَى ه﴾ فهلا أتيت جملة و انتظرتم أمرا جديدا
بخصوص الوقت الذى استحضركم فيه ﴿قال﴾ موسى ظنا منه أنهم أسرعوا
وراءه: ﴿هم﴾ [و أتى باسم الإشارة و أسقط منه هاء التنبيه لأنه لا يليق
بخطاب الله، قال ابن هيرة: ولم أر أحدا من الأصفياء خاطب ربه بذلك، وإنما
١٠ خاطب به الكفار إخبارتهم] قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا
من دبرك فى أمثاله رآ آخر الزئرف ثم ذكر مر التفسير بها فى رضاء^٦]
﴿اولاء﴾ أى هم فى القرب بحيث يسار إليهم، كائنين ﴿على ثرى﴾
أى ماشين على آثار^٧ مشي قبل أن ينطمس^٨ لم أسبقهم إلا بشئ جرت
عادة فى السبق [بمثله - ٦] بين الرفاق، هذا بناء منه على ما كان
١٥ عهد إليهم، و أكد فيه عليهم: ثم اعتذر عن فعله فقال: ﴿وَعَجِلْتُ﴾

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد؛ و زيد قبله فى ظ: كان كأنه قيل:
فأتى موسى لميعادنا (٢-٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) من ظ و مد، و فى
الأصل: شئ (٤) زيد من ظ (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: منهم،
(٦) زيد من مد (٧) من مد، و فى الأصل: أثر (٨) فى الأصل يياض ملأناه
من مد، و العبارة من: أى ماشين، إلى هنا نقطة من ظ.

أنا بالمبادرة (إليك) 'و جرى على عادة أهل القرب كما يحق له فقال':
 (رب) أى أيها المسارع فى إصلاح شأنى والإحسان إلى (لترضىه)
 عنى 'رضا أعظم مما كان (قال) الرب سبحانه : (فانا) أى [قد -^٢]
 تسبب عن عجلتك عنهم أنا (قد فتنا) أى خالطنا بعظمتنا مخالطة 'ميلة
 محيلة' (قومك) بتعجلك .

٥

ولما كانت الفتنة لم تستغرق / جميع الزمن الذى كان بعده، وإنما
 كانت فى بعضه، أدخل الجار فقال : (من بعدك) [أى خالطناهم
 بأمر من أمرنا مخالطة أحوالهم عما عهدتهم عليه -^٢] ، وكان ذلك بعد
 تمام المدة التى ضربتها لهم ، وهى الثلاثون بالفعل و بالقوة فقط ، من
 أول ما فارقتهم [بضربك لتلك المدة -^٨] [باعتبار أن أول إتيانك -^٢] ١٠
 هو الذى كان سبب الفتنة لزيادة أيام الغيبة بسببه 'لأننا زدنا فى آخر'
 المدة بمقدار ما عجلت به فى أولها ، فلما تأخر رجوعك إليهم حصل
 لهم الفتون بالفعل ، فظنوا مرجحات الظنون .

'ولما عمتهم الفتنة إلا اثنى عشر ألفا من أكثر من ستمائة ألف'

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : عن .
 (٣) زيد من ظ (٤) سقط من مد (ه-ه) ما بين الرقين يابض فى الأصل ملأناه
 من مد ، و العبارة من 'أى خالطنا' إلى هنا ساقطة من ظ (٦) بين سطرى ظ :
 بالقوة ، و العبارة من بعده إلى 'نقط من' ساقطة من ظ (٧) من مد . وفى
 الأصل : ضربناها (٨) زيد من مد (٩) بين سطرى ظ : بالفعل (١٠) فى مد :
 زيادة .

أطلق الضلال على الكل فقال: ﴿واضلهم السامري﴾ أي عن طريق
 الرشد بما سبب لهم؟ روى النسائي في التفسير من سننه، وأبو يعلى
 في مسنده، وابن جرير، وابن أبي حاتم في تفسيريهما عن ابن عباس
 رضى الله عنهما في حديث الفتون أن موسى عليه السلام لما وعده ربه
 ه. أن يكلمه استخلف على قومه أخاه هارون عليه السلام، وأجلهم ثلاثين
 يوما، وذهب فصامها ليلها ونهارها، ثم كره أن يكلم ربه وريح فيه
 متغير، فضغ شيئا من نبات الأرض فقال له ربه: أو ما علمت أن
 ريح الصائم أطيب من ريح المسك؟ ارجع فصم عشرة، فلما رأى قوم
 موسى أنه لم يرجع إليهم ساءم ذلك. وكان هارون قد خطبهم وقال:
 ١٠. إنكم خرجتم من مصر، ولقوم^١ فرعون عندكم عواري وودائع، ولكم
 فيها مثل ذلك، وأنا أرى أن تحسبوا ما لكم عندهم، ولا أحل لكم
 وديعة^٢ استودعتموها ولا عارية، ولسنا برادين إليهم شيئا من ذلك
 ولا نمسكه لأنفسنا. فخر حفيرا وأمر كل قوم عندهم من ذلك من
 'متاع أو حلية أن' يتذفوه في ذلك^٣ الحفير، ثم أوقد عليه النار فأحرقه

(١ - ١) سقط ما بين الرقعين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) في مد: في.
 (٤) ص ١٦٧ ب من نسخة خطية محزونة بالدائرة (هـ - هـ) من مد، وفي الأصل
 وظ: بن خزيمة؛ ورواه ابن جرير في مناسبة آية الفتون مختصرا (٦) من ظ
 ومد ومسند أبي يعلى، وفي الأصل: ثلاثون (٧) من وظ مد والمسند،
 وفي الأصل: فصام (٨) من ظ ومد والمسند، وفي الأصل: تقوم (٩) في
 مد: وديعة (١٠ - ١٠) من ظ ومد والمسند، وفي الأصل: حلية أو متاع و.
 (١١) من ظ ومد والمسند، وفي الأصل: تلك.

فقال: لا يكون^١ لنا ولا لهم، وكان السامري من قوم يعبدون البقر،
 جيران لبني إسرائيل ولم يكن من بني إسرائيل، فاحتل مع موسى
 و بني إسرائيل حين احتملوا، فقصى له أن رأى أثرا فقبض منه [قبضة -^٢
 فر بهارون فقال له هارون عليه السلام: يا سامري! ألا تلتقي ما في
 يدك - وهو قابض عليه لا يراه أحد طوال ذلك اليوم، فقال: هذه
 قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر، [و -^٣] لا ألقيتها لشيء
 إلا أن تدعوا لله إذا ألقيتها أن يكون ما أريد، فألقاها ودعا له هارون،
 فقال: أريد أن يكون عجلا، فاجتمع ما كان^٤ في الحفرة من متاع
 أو حلية أو نحاس أو حديد، فصار عجلا أجوف ليس فيه^٥ روح، له
 خوار، قال ابن عباس رضى الله عنهما: لا والله! ما كان له صوت ١٠
 قط، إنما كانت الريح تدخل في^٦ دبره فتخرج من فيه، فكان ذلك
 الصوت من ذلك، ففترق بنو إسرائيل فرقا، فقالت فرقة: يا سامري!
 ما هذا و أنت أعلم به؟ قال: هذا ربكم، ولكن موسى أضل^٧ الطريق،
 فقالت فرقة: لا نكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى. فان كان ربنا
 لم نكن ضيعناه و عجزنا فيه حين رأيناه. وإن لم يكن ربنا فانا تتبع قول ١٥
 موسى، وقالت فرقة: هذا عمل الشيطان، وليس ربنا /، ولن يؤمن ٤٦٨ /

(١) زيد في الأصل: لا، ولم تكن الزيادة في ظ و مد و المسند لحذفناها.
 (٢) زيد من ظ و مد و المسند (٣) سقط من مد (٤) من المسند، وفي
 الأصول «و» (٥) في مد: له (٦) في المسند: من (٧) بهامش ظ: الهمة في
 أضل للصيرورة.

به ولن نصدق، وأشربا فرقة في قلوبهم الصدق بما قال السامري في العجل، وأعلنوا التكذيب به^٢ - الحديث .

^٣ ثم سبب عن إخباره سبحانه له بذلك قوله: (فرجع موسى^٢)
 أى لما أخبره ربه بذلك (إلى قومه)^٣ أى الذين لهم قوة عظيمة على
 ما يحاولونه^٤ (غضبنا أسفاً) أى شديد الحزن أو الغضب؛
 [و استأنف قوله - ^٥]: (قال) لقومه لما رجع إليهم مستعظفا لهم:
 (يقوم) وأنكر عليهم بقوله: (الم يعدكم ربكم) الذى طال إحسانه
 إليكم (وعدا حسناً)^٦ أى بأنه ينزل عليكم كتاباً حافظاً، ويكفر عنكم
 خطاياكم، وينصركم على أعدائكم - إلى غير ذلك من إكرامه^٧.

١٠. ولما جرت العادة بأن طول الزمان ناقض للعزائم، مغير للعهود،
 كما قال أبو علاء أحمد بن سليمان المعري^٨ في هذا البيت:

لا أنسينك إن طال الزمان بنا وكم حبيب تمادى عهده فنى
 وكان عليه الصلاة والسلام قريب العهد بهم، أنكر طول العهد بقوله،
 مستانفاً^٩ عما تقدمه: هل ترك ربكم مواعيده لكم وقطع معروفه عنكم -^{١٠}
 ١١. (افطال عليكم العهد^{١١} أى [زمن - ^{١٢}] لطفه بكم، فتغيرتم عما

(١) بهامش ظ: من الشرب، أى كأن صدقهم به شرب (٢) بين سطرى ظ: بما
 قال هارون، أو بسبب ما قال السامري (٣-٤) سقط لما بين الرقيين من ظ .
 (٥) سقط من مداه من ظ و مد، وفي الأصل «و» (٦) زيد من مد .
 (٧) سقط من ظ .

فارقكم عليه كما يعترى أهل الرذائل الانحلال في العزائم لضعف العقول^١
 وقلة التدبر (أم اردتم) بالنقض مع قرب العهد و ذكر الميثاق
 (إن يحل عليكم) بسبب عبادة العجل (غضب من ربكم) [أى -^٢
 المحسن إليكم^٣، وكلا الأمرين لم يكن. أما الأول فواضح، و أما الثانى
 فلا يظن بأحد إرادته^٤، و الحاصل أنه يقول: إنكم فعلتم ما لا يفعله عاقل ه
 (فاخلفتم) أى فتسبب عن فعلكم ذلك أن أخلفتم (موعدى ه) فى
 إجلال الله و الإتيان إلى الموضع الذى ضربه لكم للكلامه لى و إزال
 كتابه على إحسانا إليكم و إقبالا عليكم، وكأنه أضاف الموعد إليه
 أدبا مع الله تعالى و إعظاما له،^٥ أو أنه لما كان إخلاف الموعد المؤكد
 المعين الذى لا شبهة فيه. لما نصب عليه من الدلائل الباهرة^٦، و أوضحه من ١٠
 البراهين الظاهرة، لا يكون إلا بنسيان أطول عهد، أو عناد بسوء قصد،
 و كان من أبلغ المقاصد و أوضح التقرير إلقاء الخصم بالسؤال إلى الاعتراف
 بالمراد، سألهم عن تعيين أحد الأمرين مع أن طول العهد لا يمكن ادعائه،
 فقال ما معناه: أطل عليكم العهد بزيادة عشرة أيام فتسيتم فلم يكن
 عليكم فى الإخلاف^٧ جناح؟ أم اردتم أن يحل عليكم الغضب فعاندم؟ ١٥
 فكانت الآية من الاحتباك: ذكر طول العهد الموجب للنسيان أولا دليل

(١) بهامش ظ: لضعف العقول تعليل يعترى أهل الرذائل (٢) زيد من مد.

(٣) زيد فى ظ: أى (٤) بين سطرى ظ: أى حلول غضب ربه (ه) العبارة من

ها إلى «ذكره فقال» ص ٣٢٨ س ه ساقطة من ظ (٦) فى مد: الواضحة.

(٧) من مد، و فى الأصل: الاخلاق.

على حذف العناد ثانياً، وذكر حلول الغضب ثانياً دليل على اتقاء الجناح أولاً، وسر ذلك أن ذكر السبب الذي هو طول العهد أدل على النسيان الذي هو المسبب، وإثبات الغضب - [و -] هو المسبب - أنكأ^٢ من إثبات سببه الذي هو العناد .

٥ ولما تشوف السامع إلى جوابهم، استأنف ذكره فقال: ﴿ قالوا ﴾ :
[لم يكن شيء من ذلك - ٤] .

ولما كان المقصود من هذا السياق - كله إظهار عظيم القدرة، عبر عن ذلك بقوله، حكاية^٥ عنهم للاعتراف بما قرره موسى عليه السلام به من العناد^٦ معتذرين عنه بالقدرة^٧، والاعتذار به لا يدفع العقوبة المرتبة / على الذنب: ﴿ ما أخلفنا موعدك بملكنا ﴾ أى لقد صدقت فيما قلت، ولكننا لم نفعل ذلك ونحن بملك أمرنا -^٨ هذا على قراءة الجماعة بالكسر، وعلى قراءة نافع وعاصم بالفتح المعنى: ولنا ملكة تصرف بها في أنفسنا، وعلى قراءة حمزة والكسائي بالضم كأنهم قالوا: ولنا سلطان قاهر^٩ لا نورنا - على أنهم قد ذكروا أن القراءات الثلاث لغات ١٥ لمعنى واحد، قال في القاموس: ملكة يملكه ملكاً مثله: احتواه قادراً

(١) زيد في الأصل: نفي، ولم تكن الزيادة في مد لحذفها (٢) زيد من مد .
(٣) من مد، وفي الأصل: انكار (٤) زيد من ظ (٥) العبارة من هنا إلى « على الذنب » ساقطة من ظ (٦) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في مد لحذفها (٧) في مد: بالقدر (٨) العبارة من هنا إلى « من عبده » ص ٣٢٩ س ٤ ساقطة من ظ (٩) من مد، وفي الأصل: ظاهر .

على الاستبداد به ، و المعنى أن السامرى زين لهم ذلك ، و وسوس به
الشیطان فبادروا^١ إلا وقد تبعوه حتى [كانوا -] كأنهم يقادون إليه
بالسلاسل ، و قيل : هذا كلام من لم يعبه ، اعتذروا بأنهم كانوا قليلا ،
لا قدرة لهم على مقاومة من عبده^٢ ، و هذا كله إشارة إلى أنه تعالى هو
المتصرف فى القلوب ، فهو قادر على أن يرد كفار قريش و العرب من
بعد عنادهم ، و لددم و فسادهم ﴿ و لكننا ﴾ كنا ﴿ حملنا اوزارا ﴾
أى أثقالا من التقدين^٣ هى أسباب الآثام ، كما تقدم فى الاعراف أن الله
أمرهم فى التوراة أن يستعبروها من القبط فخر يوم بها ، و كأن هذا ما
كان خيانة فى ذلك الشرع ، أو^٤ أن الله تعالى أباح لهم ذلك فى القبط
خاصة ﴿ من زينة القوم ﴾ الذين لم تكن نعرف قوما غيرهم ، و غيرهم^٥
ليس حقيقا باطلاق هذا اللفظ [عليه - ^٦] و هم القبط ، فقضى لنا^٧
أن نقذفها فى النار ، و توفرت الدواعى على ذلك و اشتدت بحيث لم نمالك
﴿ فخذفناها فكذلك ﴾ أى فتعقب^٨ هذا [انه - ^٩] مثل ذلك الإلقاء

(١-١) من مد ، و فى الأصل : فبادروا (٢) زيد من مد (٣) من مد . و فى
الأصل : مقارنة (٤) من مد ، و فى الأصل : يعبه (٥) سقط من ظ .
(٦) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فخذفناها (٧) من ظ
و مد ، و فى الأصل « و » (٨) زيد من ظ و مد (٩-٩) موضعه فى ظ :
فسولت لنا أنفسنا (١٠) بهامش ظ : إنما جعل الشيخ الفاء هنا للتنقيب لأن
« فخذفنا » لا يصح أن يكون سببا لإلقاء السامرى فليفهم ذلك .

(القي السامري^١) وهو لصيق انضم إليهم من قبط مصر . أتى ما كان معه . إما من المال وإما من أثر الرسول ، كما 'مضى' و'يأتى' ، وكان إلقاه كان آخره .

ولما كان خروج التمثال عقب إلقائه ، جعل كأنه المتسبب في ذلك^٢ ، فقليل مع العدول عن أسلوب التكلم استهجانا لنسبة أمر العجل إلى المتكلم : (فاخرج لهم) [أى لمن شربه وعده - ^٣] ، 'و جعل الضمير للنية يؤيد قول من جعل هذا كلام من لم يعبد العجل ، والمعنى عند من جعله من كلام العابدين أنهم دلوا بذلك على البراءة منه والاستفذار له^٤ .

١٠. ولما كان شديد الشبه للعجول ، قيل : (عجلا) و قدم^٥ قوله - : (جسدا) المعروف أن مجليته صورة لامعنى - على قوله : (له خوار) لئلا يسبق إلى وهم أنه حى^٦ ، فتمر عليه لمحة على اعتقاد الباطل (فقالوا) أى فتسبب عن ذلك^٧ أن 'سامرى قال^٨ فتابعه عليه من أسرع فى الفتنة 'أول ما رآه^٩ : (هذآ) مشيرين إلى العجل الذى هو على صورة [ما هو - ^{١٠}]

(١-١) - سقط ما بين الرقنين من سقط (٢) بين سطرى ظ : إخراج التمثال .
(٣) زيد من ظ ومد (٤) بهامش ظ : قوله و قدم 'جسدا' على 'له خوار' أى 'له خوار' صفة ، و 'جسدا' كذلك ، فإحكمة تقديم أحد الوصفين ، والجواب ما قرره الشيخ (٥) من ظ ومد . وفى الأصل : هى (٦) سقط من ظ (٧) بين سطرى ظ : قالسبب هو قوله والمتسبب متابعتهم له .

مثل في الغبارة ﴿إلهكم﴾ و إله موسى لا قنسى هـ ﴿أى قسب [عن - ٢]﴾
أنه إلهكم أن موسى نسى - بعدوله عن هذا المكان - موضعه فذهب يطلبه
في مكان غيره ، او نسى أن يذكره لكم .

ولما كان هذا سببا للانكار على من قال هذا ، قال : ﴿افلا يرون﴾
أى أقالوا ذلك ؟ قسب عن قولهم عمائم عن رؤية ﴿ان﴾ أى أنه هـ
﴿لا يرجع اليهم قولا﴾ و الإله لا يكون أبكم ﴿ولا يملك لهم ضرا﴾
فيخافوه كما كانوا يخافون فرعون فيقولوا ذلك خوفا من ضره ﴿ولا نفعا﴾
فيقولوا ذلك رجاء له . ٤٧٠ /

ولما كان الذنب مع العلم 'أشع ، و الضلال 'بعد البيان أشنع ،
قال عاطفا على قوله " قال يقوم الم بعدكم " أو على قوله " قالوا ما
أخلفنا " : ﴿ولقد قال لهم هرون﴾ أى مع أن من لم يعبد له لم يملكوا
رد من عبده .

ولما كان قولهم^٥ في بعض ذلك الزمان . قال : ﴿من قبل﴾ أى من
قبل رجوع موسى . مستعظفا لهم : ﴿يقوم﴾^٨ ثم حصر أمرهم ليجمع فكرهم

(١) العبارة من هنا إلى « هذا المكان » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) بين
سطرى ظ : أى هذا إلهكم وإله موسى (٤-٥) من ظ و مد ، وفي الأصل :
أشع و الضلالة (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) العبارة من هنا إلى
« الزمان قال » ساقطة من ظ (٧) من مد ، وفي الأصل : قوله لهم (٨) العبارة
من هنا إلى « فقال » ص ٣٣٢ س ١ ساقطة من ظ .

[وَنظَرُمْ - ١] فقال: ﴿ إِنَّمَا فَتَّمْ ﴾ أى [وقع اختباركم - ١] فاختبرتم^١ فى صحة إيمانكم وصدقكم فيه وثباتكم عليه ﴿ بِدَعِ ﴾ أى بهذا التمثال فى إخراجكم لكم على هذه الهيئة الخارقة للعادة. وأكد لأجل^٢ إنكارهم فقال: ﴿ وَإِنْ رَبِّكُمْ ﴾ أى الذى أخرجكم من العدم ربكم بالإحسان^٣ ﴿ الرِّحْمَنِ ﴾ وحده
 ٥ الذى فضله عام ونعمه شاملة، فليس على بر ولا فاجر نعمة إلا وهى منه قبل أن يوجد العجل. وهو كذلك بعده. ومن رحمته قبول التوبة، تخافوا نزاع^٤ نعمه بمعصيته. وارجوا إسباغها بطاعته ﴿ فَاتَّبِعُونِى ﴾ بقاية جهركم^٥ فى الرجوع إليه ﴿ وَاطِيعُوا أَمْرِى ﴾ فى دوام الشرف بالخضوع لديه، ودوام الإقبال عليه. يدفع عنكم ضيره^٦. ويفيض عليكم خيره.
 ١٠ ولما كان هذا [موضع أن يسأل من جوابهم لهذا - ١] الأمر الواضح الذى لا غبار عليه. قيل: ﴿ قَالُوا ﴾ بفظاظة وجود: ﴿ لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ ﴾ أى على هذا العجل ﴿ عَاكِفِينَ ﴾ أى مقيمين^٧ مستديرين مجتمعين^٨ وإن حاربنا فى ذلك^٩ ﴿ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾ فدافعهم.

(١) زيد من مد (٢) من مد. وفى الأصل وظ: اختبرتم؛ وبها: شظ: إن قيل: كيف للشيخ أن يقول فيما تقدم حيث فسر الفتنة: خالطناهم من امرأة - إلى آخره، وقال هنا: اختبرتم فى صحة إيمانكم - إلى آخره، وكلا التفسيرين غير الآخر، فينبأ قاص. فالجواب أن التفسير الاول مبدأ الفتنة والآخر غايتها. فليفهم ذلك (٣) من مد، وفى الأصل: لاجز (٤) العبارة من «وأكد» إلى هنا ساقطة من ظ (٥ - ٥) - سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: نوع (٧) من ظ و مد. وفى الأصل: ضره (٨) زيد من ظ و مد (٩) سقط من ظ.

فهموا به ، وكان معظمهم قد ضل ، فلم يكن معه من يقوى بهم ، تخاف
 أن يجاهد بهم الكافرين فلا يفيد ذلك^١ شيئا ، ويقتل^٢ بعضهم فيحتمى
 له آخرون من ذوى رحمه الأقربين ، فيصير بين بنى إسرائيل فرقة يبعد
 ضم شتاتها و تلافى دهمائها ، وكانوا قد غيوا الرجوع [رجوع -^٣]
 موسى عليه السلام مع أنه لم يأمره بجهاد من ضل ، إنما قال له ه
 ” واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين “ فرأى من الإصلاح اعتزالهم إلى
 أن يأتى ، فلما ذكر ما قال هارون عليه السلام ، [التفتت النفس إلى
 علم ما قال له موسى عليه السلام -^٤] لأنه خليفته عليهم ، مع كونه^٥
 رأسا في نفسه ، فدفع هذا العناء بقوله ، ” مسقطا [أخذه -^٦] برأس أخيه
 لما تقدم من ذكره و يأتى هنا من^٧ الدلالة عليه ، ولم تدع إليه ضرورة ١٠
 في هذه السورة التى من أعظم مقاصدها الدلالة^٨ على تليين القلوب :
 (قال) أى موسى : (يلهون) أنت نبى الله و أخى و وزيرى
 و خليفتى فأنت أولى الناس بأن ألومه ، و أحقهم بأن أعاتبه (ما منعك إذ^٩
 أى حين^{١٠}) (رأيتهم ضلوا) عن طريق الهدى ، و اتبعوا سبيل الردى ،
 من اتباعى فى سيرتى فيهم من^{١١} الأخذ على يد الظالم طوعا أو كرها ، ١٥

(١) بين سطرى ظ : الجهاد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقبل (٣) زيد
 من ظ و مد (٤) بين سطرى ظ : هارون (٥) العبارة من هنا إلى « تليين القلوب »
 ساقطة من ظ (٦) زيد من مد (٧) من مد ، و فى الأصل : فى (٨) من مد ،
 و فى الأصل : الدال (٩ - ١٠) سقط ما بين الرقین من ظ (١٠) بين سطرى ظ :
 بيان سيرتى .

اتباعاً لا زيف^١ فيه عما نهجته لك بوجه من الوجوه شيئاً من زيف، و عبر
عن هذا التأكيد بزيادة 'لا' في قوله: ﴿الَّا تَتَّبِعُنِي﴾ كما تقدم غير
مرة أن النافي إذا زيد في كلام كان نافياً لصد مضمونه فيفيد إثباتاً
للضمون ونفيًا لصدّه، فيكون ذلك في غاية التأكيد ﴿افصيت﴾ أى
ه أنتكبرت عن^٢ اتباعى فتسبب عن ذلك أنك عصيت ﴿امرى﴾ و أخذ
بلحيته و برأسه يحمره إليه غضبا لله تعالى، فكأنه / قبل: ما قال له؟ قليل:

٤٧١ /

﴿قال﴾ مجيئاً له مستعطفًا بذكر أول وطن ضمها بعد نفخ الروح مع
ماله من الرقة و الشفقة: ﴿ينثوم﴾ فذكره بها خاصة وإن كان
شقيقه^٣ لأنه يسوءها ما يسوءه، و هى أرق من الأب^٤
١٠ ﴿لا تأخذ بلحيتى و لا براسى﴾ أى بشعره، ثم علل ذلك بقوله:
﴿انى خشيت ان تقول﴾ إن اشتدت عليهم حتى يصل الأمر إلى القتال
﴿فرقت بين بنى اسرائيل﴾ بفعلك هذا الذى لم يُحْدِ شيئاً لقله من كان معك
و ضعفك عن ردّهم ﴿و لم ترقب قولى﴾ "اخلفنى فى قومى و اصلح
و لا تتبع سبيل المفسدين" و لم تقل: و ارددهم و لو أدى الأمر إلى
١٥ السيف، و هذا كما كان النبي صلى الله عليه و سلم مأموراً بالصفح و الحلم
و المدافعة باللين عند ضعف الناصر و قلة المعين.

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لا تراعى (٢) فى مد: على (٣ - ٢) سقط ما
بين الرقين من ظ (٤) بهامش ظ: أى كونه لم يأخذ بسيرته التى هى الأخذ
على يد الظالم.

ولما فرغ من نصيحة أقرب الناس إليه وأحقهم بنصيحته وحفظه
على الهدى إذ كان رأس الهداة، تشوف السامع إلى ما كان من
غيره، فاستأنف تعالى ذكره بقوله: ﴿ قال ﴾ ^٢ أي موسى عليه السلام
لرأس أهل الضلال معرضاً عن أخيه بعد قبول عذره. ^٣ جاءلاً ما نسب
إليه سبياً لسؤاله عن الحامل له عليه ^٤: ﴿ فما خطبك ﴾ أي أمرك هذا
العجيب العظيم الذي ^٥ حملك على ما صنعت ^٦ وأخبرني العزيز العليم أنك
[أنت - ^٧] أضلتهم به ﴿ يسامري ﴾ قال ^٨ السامري مجيئاً له: ﴿ بصرت ﴾
من البصر والبصيرة ﴿ بما لم يبصروا به ﴾ من أمر الرسول الذي أجاز بنا
البحر ﴿ فقبضت ﴾ ^٩ أي فكان ذلك [سبياً - ^{١٠}] لأن قبضت ﴿ قبضة ﴾
^{١١} أي مرة من القبض، أطلقها على المقبوض تسمية للفعول بالمصدر ^{١٢}.
﴿ من أثر ﴾ ^{١٣} فرس ذلك ^{١٤} ﴿ الرسول ﴾ ^{١٥} أي المعهود ^{١٦} ﴿ فنبذتها ﴾ في
الحلى الملقى في النار. ^{١٧} أو في العجل ^{١٨} ﴿ وكذلك ﴾ أي وكما سولت لي
نفسى أخذ أثره ﴿ سولت ﴾ أي حسنت وزينت ﴿ لي نفسى ﴾ بذهابها
في الحلى فنبذتها. فكان منها ما كان ^{١٩}، ولم يدعى إلى ذلك داع
ولا حملى عليه حامل غير التسويل ^{٢٠}.

١٥

ولما كان فعله هذا مفارقاً لبني إسرائيل عن طريق الحق

- (١) من مد، وفي الأصل: تشرف، والعبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة إلى
« ذكره بقوله » ساقطة من ظ (٢-٣) - فقط ما بين الرقيين من ظ (٣) زيد من
مد (٤) العبارة من هنا إلى « قبضت » ساقطة من ظ.

التي^١ كانوا عليها ، وجامعا لهم على تمثال حيوان هو من أخس الحيوانات ،
و على نفسه بكونه صار متبوعا في ذلك الضلال ، لكونه كان سيئه ، عوقب
بالنفرة من الإنسان الذي هو أشرف الحيوان ، ليكون ذلك سببا لصد
ما تسبب عن^٢ فعله ، فيعاقب في الدنيا بعقوبة لا شيء أشد منها و ذلك
ه أنه منع من^٣ مخالطة الناس منعا كلياً فلا يتصل بأحد ولا يتصل به
أحد ، بل يكون وحيدا طريدا ما دام حيا ، فاذلك^٤ استوقف الإخبار
عن هذا بقوله تعالى : ﴿ قال ﴾ أي^٥ له موسى عليه السلام : ﴿ فاذهب ﴾
أي تسبب عن فعلك أني أقول لك : اذهب [من بيننا . أو - ^٦] حيث
ذهبت^٧ ﴿ فان لك في الحيوة ﴾ أي ما دمت حيا ﴿ ان تقول ﴾ لكل
١٠ من رأيت : ﴿ لا مساس ﴾ أي لا تمسني ولا أمسك ، فلا تقدر أن
تنفك عن ذلك لإرادة الإله الحق ذلك بك^٨ وترغيبك فيه - بما أفادته
اللام^٩ ، لتعلم أنت ومن تبعك أنكم كنتم على أعظم ضلال في ترك
القادر على كل شيء . و اتباع ما لا قدرة له على شيء ﴿ وان لك ﴾
بعد الملمات ﴿ موعدا ﴾ للثواب إن تبت ، وللعقاب إن آيت

(٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : الذي (٢) بهامش ظ : الذي تسبب عن فعله
هو الاجتماع عليه فعوقب بضده ، أي النفرة من الإنسان (٣) سقط من مد .
(٤) العبارة من « فيعاقب » إلى هنا ساقطة من ظ (٥ - ه) سقط ما بين الرقيين
من ظ (٦) سقط من ظ و مد (٧) زيد من مد (٨) بهامش ظ : إنما قال الشيخ
« حيث ذهبت » لأن الفعل فكيده التعميم .

(لن تخلفه) مبني للفاعل وللفعول^١ . أى لا يكون خلك ولا تكون أنت خلفه ، بل يكون كل منكما^٢ مواجهها لصاحبه ، لا انفكاك له عنه ، كما أنك في الحياة لا تقدر أن تنفك عن النفرة / من الناس ، فاختر لنفسك ما يحلو^٣ .

ولما ذكر ما للاله الحق من القدرة التامة في الدارين ، أتبعه ه
عجز العجل فقال : (وانظر الى الهك) أى بزعمك (الذى ظلت)
أى دمت [فى مدة بسيرة جدا - بما أشار إليه تخفيف التضعيف -^٤]
(عليه عاكفا^٥) أى مقبلا مقاربا مواظبا [جهازا -^٦] (لنحرقنه)
أى بالنار و بالمبرد - كما سلف عن نص التوراة ، وكان معنى ذلك أنه
أحماه حتى لان فهان على المبارد (ثم لننفسنه)^٧ أى لنذرينه^٨ [إذا ١٠
صار سمالة -^٩] (فى اليم) أى البحر الذى^{١٠} [أغرق الله فيه آل
فرعون و -^{١١}] هو أهل لأن يقصد^{١٢} [فيجمع الله سماته التى هى من
حليهم و أموالهم فيحميمها فى نار جهنم و يكويهم . يجعلها من أشد العذاب
عليهم ، و أكد الفعل إظهارا لعظمة الله الذى أمره بذلك ، وتحقيقا
للصدق فى الوعد فقال -^{١٣}] : (نسفاه) .

١٥

ولما أراهم بطلان ما هم عليه بالعيان ، أخبرهم بالحق على وجه الحصر

(١) بين سطرى ظ : ذكر على الترتيب : الأول للفاعل والثانى للفعول .
(٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : منها (ب) بهامش ظ : و اختر لنفسك ما يحلو
- مثل من الأمثال : أى قد تبين لك الحق وغيره فاختر لنفسك أيها شئت ،
و أصل هذا المثل لابن العارض حيث قال : نصحتك علما فى الهوى ... أرى
مخالفتي فاختر لنفسك ما يحلو (٤) زيد من مد (ه) سقط من مد (٦-٧) سقط
ما بين الرقين من ظ (٧) زيد من ظ ومد (٨) سقط من ظ .

فقال: ﴿انمّا الهكم﴾ جميعا ﴿الله﴾^١ أى الجامع لصفات الكمال؛
ثم كشف المراد من ذلك وحققه بقوله^١: ﴿الذى لا اله الا هو﴾ أى
لا يصلح لهذا المنصب أحد غيره لأنه ﴿وسع كل شيء علما﴾^٢ يتميز
محول عن الفاعل، أى أحاط علمه بكل شيء^٣، فكان على كل [شيء-^٢]
هـ ممكن قديرا، فكان^٢ كل شيء إليه فقيرا، وهو غنى عن كل شيء،
وجوده يبين وجود غيره، وذاته تباين ذات غيره، وصفاته تباين
صفات غيره^١، وأما العجل الذى عبده^٤ فلو كان حيا كان مثلا فى
الفؤة، فلا يصلح للالهية بوجه ولا [فى-^٦] عبادته شيء من حق،
وكان القياس^٧ على ما^٥ يتبادر إلى الذهن حيث نفي عنه^٥ العلم بقوله "الا
يرجع اليهم قولا" و القدرة بقوله "ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا"
أن يثبتا هنا للاله الحق، ولكنه اعتنى بإثبات العلم الواسع
لاستلزامه للقدرة على كل ما يمكن أن يتعلق به . بافادة الأسباب
للشيء المراد، ومنع الموانع عنه فيكون لا محالة، ولولم يكن^٥ كذلك
لكان التخلف للجهل إما^١ بما يفيد مقتضيا أو يمنع مانعا^١، وأدل دليل على
١٥ ذلك قوله تعالى "ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى
السوء"^{١٢} ولا يستلزم إثبات القدرة المحيطة العلم الشامل لخروج قسم

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد من مد (٣) زيد فى
الأصل: على . ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فخذوها (٤) من ظ و مد .
وفى الأصل: عبده (٥) العبارة من هنا إلى «من حق» ساقطة من ظ .
(٦) زيد من مد (٧-٧) فى مد: كما (٨) بين سطرى ظ: العجل (٩) زيد فى
مد: الكل (١٠) بين سطرى ظ: تفصيل للجهل (١١) العبارة من هنا إلى
«مسنى السوء» ساقطة من ظ (١٢) سورة ٧ آية ١٨٨ .

الحال الذى ليس من شأن القدرة أن تتعلق به .

ولما تمت هذه القصة^١ على هذا الأسلوب الأعظم ، و السيل
 الأقوم ، متكفلة^٢ بالدلالة على القدرة على ما وقعت إليه الإشارة من
 البشارة أول السورة بتكثير هذه الأمة و رد العرب عن غيهم بعد طول
 التمادى فى العناد ، و التنكب عن سبيل الرشاد ، إلى ما تخللها من
 التسلية بأحوال السلف الصالح و التأسية ، مفصلة من أدلة التوحيد
 و البعث ، و غير ذلك من الحكم ، بما يبعث الهمم ، على^٣ معالى الشيم ،
 كان كانه قيل : هل يعاد شيء من القصص على هذا الأسلوب البديع
 و المثال الرفيع ؟ فقيل : نعم ! (كذلك) أى مثل هذا القصص 'عالى ،
 فى هذا النظم العزيز الغالى ، لقصة موسى و من ذكر معه (نقص عليك) ١٠
 أى بما لنا من العظمة التى لا يعجزها شيء ؛ و أشار إلى جلالة علمه
 بقوله^٤ : (من أنباء) أى أخبار (ما قد سبق) من الأزمان
 و الكوائن الجليلة ، زيادة فى علمك ، و إجلالا لمقدارك ، و تسلية لقلبك ،
 و إذهابا لحزنك ، بما اتفق للارسل من قبلك [و تكثيرا لاتباعك
 و زيادة فى معجزاتك ، و ليعتبر السامع و يزداد المستبصر فى دينه بصيرة ١٥
 و تأكد الحجة على من عابه - ٥] : (و قد أتيتك) من عظمتنا^٥

(١) بين سطرى ظ : أى قصة موسى و هارون (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 متكلفة (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : عن (٤-٥) - فقط ما بين الرقین من
 ظ (٥) زيد من مد .

تشریفاً لك و تعظيماً لقدرک ﴿من لدنا﴾ أى من عندنا من الأمر
الشریف بمزید خصوصيته بنا و لطیف اتصاله^١ بحضرتنا [من - ٢] غیب
غيباً ﴿ذكرنا﴾ عظیماً جلیلاً جامعاً لما أظهرناه من أمرنا فی التوراة،
و ما أبطناه من سرنا / فی الإنجیل، و ما أودعناه من سكينتنا فی الزبور،
مع ما خصصناه^٢ به من اطائف المزايا، و عظام الأسرار، يعرف بمجرد
تلاوته أنه من عندنا لما يُشَهِدُ له من الروح، و يُذَاقُ له من الإخبات
و السكون. و يرى له من الجلالة فی الصدر مسح^٣ القطع بأن أحداً
لا يقدر أن يعارضه، و ضمنه تلك القصص مع ما زدنا فيه على ذلك
من المواعظ و الأحكام و دقائق إشارات الحقائق، متكفلاً بسعادة الدارين
١٠. و حسنى الحسينين، فمن أقبل عليه كان مذكراً له بكل ما يريد من العلوم النافعة.
ولما اشتمل هذا الذكر على جميع أبواب الخير، فكان كل ما
ليس له^٤ فيه أصل شقاوة محضة و ضللاً بعيداً، قال يقص عليه من
أبناء ما يأتي كما قص من أبناء ما قد سبق: ﴿من اعرض عنه﴾ أى
عن ذلك الذكر، و هو عام فی جميع من يمكن دخوله فی معنى 'من'
١٥ من العالمين ﴿فانه يحمل﴾^٥ و لما كان المراد استغراق الوقت قال^٦:

(١) من ظ و مد، و فی الأصل: خصوصية (٢) من ظ و مد، و فی
الأصل: اتصال (٣) زيد من مد (٤ - ٥) تقدم من بين الرقین فی الأصل على
'و قد أتيتك' و الترتيب من مد مع سقوطه عن ظ (٥) من ظ و مد، و فی
الأصل: خصصنا (٦) بين سطرى ظ: متعلق بيعرف (٧) سقط من مد.
(٨-٨) سقط ما بين الرقین من ظ.

{ يوم القيمة وزرا لا } أى حملا ثقيلًا من العذاب الذى سببه الوزر وهو الذنب ، جزاء لمعارضه عنه [و اشتغاله بغيره - ٢] { خلدن فيه ٣ } و جمع هنا حملا على المعنى بعد الإفراد للفظ ، تنديها على العموم لئلا يغفل عنه بطول الفصل . أو يظن أن الجماعة يمكنهم المدافعة ، ويمكن أن يراد بالوزر الحمل الثقيل من الإثم ، و يكون الضمير فى ' فيه ' للعذاب المسبب ه عنه فيكون استخداما كقوله :

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه^١ وإن كانوا غضابا
و لما كانوا منكربن ليوم القيامة ، صرح بذكره ثانيا مع قرب العهد ، قارعا لآسماهم به ، مجريا له إجراء ما هو به جدير من^٢ أنه متحقق لا مرية فيه فقال : { وساء^٣ } أى وئس :^٤ و بين أصحاب السوء ١٠ فقال^٥ : { لهم^٦ } أى ذلك الحمل^٧ { يوم القيمة حملا لا } ثم شرح لهم بعض أحوال ذلك اليوم من ابتدائه ، فقال مبدلا من " يوم القيمة " : { يوم ينفخ^٨ } أى بعظمتنا - على قراءة أبى عمرو بالنون مبنيًا للفاعل ، و دل على تنهى العظمة بطريقة كلام القادرين فى قراءة الباقيين بالياء^٩ .

(١) بهامش ظ : فأطلق السبب على المسبب (٢) زيد من ظ و مد (٣-٢) تأخر ما بين الرقين فى الأصل عن " مرية فيه فقال " و الترتيب من ظ و مد (٤) البيت لمعود الحكماء معاوية بن مالك - راجع لسان العرب [ممو] (٥) من مد و اللسان ، و فى الأصل و ظ : دعيناه (٦) بين سطرى ظ : بيان ما هو جدير (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٨) بهامش ظ : و إجراء مجرى " ما هو به جدير من أنه متحقق " حيث قال : ساء لهم - بصيغة الماضى غير مؤكد ذلك كأنه قال : قد فرغ الأمر من ذلك فلا بد منه (٩) من مد ، و فى الأصل : الحميل ، و فى ظ : الوزر .

'مبنيًا للفعول' (في الصور) فيقوم الموتى من القبور (ونحشر) أى بعظمتنا (المجرمين) منهم الذين قطعوا ما أمر الله به أن يوصل ، وعدل عن أن يقول : ونحشرهم - لبيان الوصف الذى جره لهم : الإعراض عن الذكر (يومئذ) أى يوم القيامة ، ويكون لهم ما تقدم (زرقا) أى زرق العيون والجسوم على هيئة من ضرب فتغير جسمه ، حال كونهم (يتخافتون) .

ولما كان التخافت - وهو المسارة بالكلام - قد يكون بين اثنين من قبيلتين ، فيكون كل منهما خائفا من قومه أقل عارا ، مما لو كانا من قبيلة واحدة ، لأنه يدل على أن ذلك الخوف طبع لازم ، قال ١٠ دالا على لزومه وعمومه : (بينهم) أى يتكلمون خافضى أصواتهم من الهيبة والجزع .

ولما كانت الزرقة أبغض ألوان العيون إلى العرب [لعدم ألفهم لها - ٧] ، والخافة أبغض الأصوات إليهم لأنها تدل عندهم على سفول الهمة والجن ، [وكانوا من الزرقة أشد نفرة لأن المخافة قد يتعلق بها غرض . رتبها سبحانه كذلك - ٧] ، ثم بين ما يتخافتون به فقال : ١٥

(١ -) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) بهامش ظ : يتخافتون حال من المجرمين .
(٣) العبارة من هنا إلى « وعمومه » - ساقطة من ظ (٤ - ٤) من مد . وفى الأصل : من كان - كذا (٥) العبارة من هنا إلى « والجن » - ساقطة من ظ .
(٦) من مد . وفى الأصل : بعض (٧) زيد من مد .

(ان)^١ أى يقول بعضهم لبعض : ما^١ (لبثتم) أى فى الدنيا
[استقصارا لمدة إقامتهم فى غيب ما بدا لهم من المخاوف ، أو غلطا ودهشة -^٢]
(الا عشراء)^٢ أى عقدا واحدا ، لم يزد على الآحاد إلا بواحد ، وهو
- [لو أنه سنون -^٣] - سن من لم يبلغ الحلم ، [فكيف إذا كان شهورا
أو أياما -^٤] فلم يعرفوا لذة العيش بأى تقدير كان .
هـ

ولما كان / علم ما يأتى اخفى من علم ما سبق ، أتى [فيه -^٥]
بمظهر العظمة فقال : (نحن اعلم)^٥ من كل أحد^٦ (بما يقولون)
أى فى ذلك اليوم (اذ يقول امثلهم طريقة)^٦ فى الدنيا فيما يحسبون ،
[أى أقربهم إلى أن تكون طريقته مثل ما يطلب منه -^٧] :
(ان)^٨ [أى ما -^٩] (لبثتم)^٩ [ودل على أن المعداد المحذوف من الأول ١٠
الأيام بقوله -^{١٠}] : (الا يوما)^{١٠} أى مبدأ الآحاد ، لا مبدأ العقود^{١١}
كما قال فى الآية الأخرى " قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم " ، " يقسم
المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون " ، فلا يزالون فى
إفك و صرف عن الحق فى الدارين ، لأن الإنسان يموت على ما عاش
عليه ، ويبعث على ما مات عليه ، ويجوز أن يكون المراد [أن -^{١٢}] ١٥
من قال : إن لبثهم يوم واحد ، امثلهم فى نفس الأمر^{١٢} ، لأن الزمان
وإن طال إنما هو يوم متكرر ، ليس مرادا لنفسه ، وإنما هو مراد

(١ - ١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) زيد من مد (٣) العبارة من هنا إلى
" تقدير كان " ساقطة من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) سورة ٢٣ آية ١١٣ .
(٦) سورة ٣٠ آية ٥٥ (٧) بين سطرى ظ : فى الحقيقة .

لما يكون فيه ، فإن ^١ كان خيرا كان صاحبه محمودا [و -] لم يضره قصره ، وإن كان ^٢ شرا كان مذموما ولم ينفعه طوله ، [ويجوز أن يكون أنت أولا إرادة للبالى ، لأنها محل الراحة المقصودة بالذات ، فكان كأنهم قالوا : لم يكن لنا راحة إلا بزمان يسير جدا أكثر أول العقود ، ونص الأمل على اليوم الذى يكون الكد فيه للراحة فى الليل إشارة إلى أنهم ما كان لهم فى اللبث فى الدنيا راحة أصلا ، ولم يكن سعيهم إلا نكدا كله كما يكون السعى فى يوم لا ليلة يستراح فيها ، وإن كانت فيه راحة فهى ضمنية لا أصلية - ^٣] .

ولما أخبر عن بعض ما سبق ثم عن بعض ما يأتى من أحوال المعرضين ١٠ عن هذا الذكر فيما ينتجه لهم إعراضهم عنه ، وختم ذلك باستقصارهم مدة لبثهم فى هذه الدار ^٤ . أخبر عن بعض أحوالهم فى الإعراض فقال : ﴿ ويسألونك عن الجبال ﴾ ^٥ ما يكون حالها يوم ينفخ فى الصور؟ شكاً منهم فى البعث وقوفاً مع الوهم فى أنها تكون موجودة على قياس جمودهم لا محالة ، لأنها أشد الأشياء قوة ، وأطولها لبثاً ، ١٤ وابعدها مكثاً . فتمنع بعض الناس من سماع النفخ فى الصور ، وتخيل لبعضهم بحكم رجوع الهواء الحامل للصوت أنه آت من غير جهته فلا يستقيم ^٦ المقصد إلى الداعى ﴿ فقل ﴾ أى قسب عن علمنا بأنهم يسألونك هذا

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : لما (٢) زيد من مد (٣) زيد فى مد : عماد - كذا (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : المدار (هـ) - سقط ما بين الرقين من ظ (٦-٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : المقصد إلى المداهى - كذا .

السؤال أنا نقول لك : قل ، أو يكون على تقدير شرط ، أى فاذا ' سألوك
 فقل لهم ، [و - ٢] هذا بخلاف ما نزل بعد وقوع السؤال عنه مثل
 الروح [و - ٢] قصة ذى القرنين فإن الأمر بجوابه على طريق الاستئناف
 لما هناك من استشراف النفس للجواب ﴿ ينسفها ﴾ أى يقلعها من أما كنها
 و يذريها بالهواء ﴿ ربى ﴾ المحسن إلى نصرى فى [يوم - ٢] القيامة نصرا ه
 لا يبلغ كنهه ﴿ نسفا لا ﴾ عند النفخة الاولى ﴿ فيذرها ﴾ أى أما كنها
 ﴿ قاعا ﴾ أى أرضا ملساء ﴿ صفصفا لا ﴾ أى مستويا ، كأنه صف واحد
 [لا أثر للجبال فيه - ٢] ﴿ لا ترى ﴾ أى بالبصر [و - ٢] لا بالبصرة ﴿ فيها ﴾ أى
 مواضع الجبال ﴿ عوجا ﴾ بوجه من الوجوه ، وعبر هنا بالكسر وهو للعانى ،
 ولم يعبر بالفتح الذى يوصف [به - ٢] الأعيان ، و مواضع الجبال أعيان ١٠
 لا معانى ، نفا للاعوجاج على أبلغ وجه . بمعنى أنك لو جمعت أهل الخبرة
 بتسوية الاراضى لا تفقوا على الحكم باستوائها ، ثم لو جمعت أهل الهندسة
 فحكوا مقاييسهم العلية فيها لحكموا بمثل ذلك ﴿ ولا امانا ﴾ أى شيئا
 مرتقا كالكدية ، أو توا سيرا أو شقا [أو اختلافا - ٢] ؛ وقال البيضاوى
 والزحشرى : الامت التواء السير ، قال الغزالي فى الدرة الفاخرة : ١٥

- (١) من ظ و مد ، وفى الأصل : فان (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ و مد .
 (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) بياض فى الأصل ، ملأناه من ظ و مد .
 (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : مستوا - كذا (٧) العبارة من هنا إلى « بالبصرة »
 ساقطة من ظ (٨) زيد فى مد : هو (٩) العبارة من « و عبر هنا » إلى هنا ساقطة
 من ظ (١٠) من مد و الكشف ، وفى الأصل و ظ : النمو .

ينفخ في الصور فتطير الجبال ، و تفجر الانهار بعضها في بعض ، فيمتلئ
 عالم الهواء [ماء - ١] ، و تنتثر الكواكب و تتغير ^٢ السماء و الأرض ،
 ويموت العالمون فتخلو ^٣ الأرض و السماء ^٤ ، قال : ثم يكشف سبحانه
 عن بيت في سقر فيخرج لهيب النار فيشتعل في البحور فتكشف ، و يدع
 ٥ الأرض جرة سوداء ، و السموات كأنها عكر الزيت و النحاس المذاب ،
 ثم يفتح تعالى خزائنه من خزائن العرش فيها بحر الحياة ، فيمطر به
 الأرض ، و هو كمن الرجال / فتبت الاجسام على هيئتها ، الصبي صبي ،
 و الشيخ شيخ ، و ما بينها ، ثم تهب من تحت العرش نار لطيفة فبرز
 الأرض ليس فيها جبل و لا عوج و لا أمت ، ثم يحيي الله لاسرافيل فينفخ
 ١٠ في الصور من صخرة القدس ، فتخرج الارواح من ثقب في الصور
 بعددها كل روح إلى جسدها حتى الوحش و الطير فاذا هم بالساهرة .
 و لما أخبر سبحانه بزوال ما يكون منه العوج في الصوت قال :
 ﴿ يومئذ أي إذ ينفخ في الصور فتنسف ^٦ الجبال ﴾ (يتبعون) أي
 أهل المحشر [بغاية جهدم - ^٨] ﴿ الداعي ﴾ أي بالنفخ منتصبين إليه
 ١٥ على الاستقامة ﴿ لا عوج له ﴾ أي الداعي ^٩ في شيء من قصدهم إليه ،

/ ٤٧٥

(١) زيد من ظ و مد (٢) يرض في الأصل ، ملأناه من ظ و مد (٣-٢) في مد :
 انشاء و الأرض ؛ و زيد بعده في الأصل و ظ : ثم ، و لم تكن الزيادة في مد
 لخذفناها (٤) من ظ و مد و في الأصل : سواد (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين
 من مد (٦) بين سطرى ظ : الارواح (٧) في ظ : بعد نسف (٨) زيد من مد .
 (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : النفخ (١٠-١٠) سقط ما بين الرقين من ظ .

لأنه ليس في الأرض ما يوجههم إلى التعرج^١ ولا يمنع الصوت من النفوذ على السواء^٢، وقال أبو حيان^٣ : أى^٤ لا عوج لدعائه، بل يسمع جميعهم فلا يميل إلى ناس دون ناس .

ولما أخبر بخشوعهم في الحديث و الانقياد للدعوة، أخبر بخشوع غير ذلك من الأصوات التي جرت العادة بكونها عن الاجتماع فقال : هـ
(وخشعت الأصوات) أى ارتخت وخفيت و [خفضت و -^١]
تطامنت^٥ لخشوع أهلها^٦ (للرحمن) أى [الذى -^٦] عمت نعمه،
فيرجى كرمه، ويخشى تقمه (فلا) أى فيتسبب^٧ عن رخاوتها أنك
لا (تسمع الا همسا) أخفى ما يكون من الأصوات، [وقيل : أخفى
شيء من أصوات الأقدام -^٨] .

[ولما تقرر ما للأصوات -^٦] من الانخفاض، وكان قد أشير
[فيما مضى -^٨] إلى وقوع الشفاعة من بعض أخصائه بأذنه، وكان
الحشر للحساب بمعرض التقريب لبعض والتباعد لبعض، وكانت العادة
جارية بأن المقرب يشفع للبعد، لما بين أهل الجمع من الوصل والأسباب
المقتضية لذلك^٩، وكان الكفار يزعمون أن آلهتهم تشفع لهم ١٥

(١) من ظ و مد، وفي الأصل : التعرج (٢) في البحر المحيط ٢٨٠/٦ .

(٣) سقط من ظ و مد (٤) زيد من مد (هـ-هـ) سقط ما بين الرقين من ظ .

(٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، وفي الأصل : تسبب (٨) زيد من

ظ و مد، وبهامش ظ : أى في سورة مريم حيث قال "لا يملكون الشفاعة

الا من اتخذ عند الرحمن عهدا" (٩) بهامش ظ : أى الشفاعة .

قال نافيا لأن تقع شفاعه [بغير إذنه -^١] ، [معظما ذلك اليوم بالإنذار
 منه مرة بعد مرة -^٢] : ﴿يومئذ﴾ [أى إذ كان ما تقدم -^٣]
 ﴿لا تنفع الشفاعه﴾ أى لا تكون شفاعه^٤ ليكون لها نفع ، لأنه
 قد ثبت بما مضى أنه لا صوت ، وتقرر^٥ فى تحقيق المحصورات من
 علم الميزان أن السالبة^٦ الحقيقية لا تستدعى وجود الموضوع فى الخارج ،
 وإنما حول العبارة لأن المقصود بالذات النفع ، ففيه بادئ بدأ أقطع ،
 وقرع السمع به أولا أهول وأفرع ﴿الا﴾ أى إلا شفاعه ﴿من اذن
 له الرحمن﴾ العام النعمة ﴿ورضى له قولا﴾ و لو^٧ الإيمان المجرد .
 ولما نفي أن تقع الشفاعه بغير إذنه . علل ذلك^٨ - كما سلف فى
 ١٠ آية الكرسي - بقوله : ﴿يعلم ما بين ايديهم﴾^٩ أى الخلاق^{١٠} [وهو
 كل ما يعلونه -^{١١}] ﴿وما خلفهم﴾^{١٢} وهو كل ما غاب عنهم عليه^{١٣} ،
 أى عليه [سبحانه -^{١٤}] محيط بهم ، فهو بمنح قلوبهم فى ذلك اليوم
 بما يوجد من الأسباب أن تهمل بما لا يرضاه ﴿ولا يحيطون به علماء﴾
 ليحترزوا عما^{١٥} يقدره عليهم ، و "علما" تمييز منقول من الفاعل ،

(١) زيد من ظ ومد (٢) زيد من مد (٣) العبارة من هنا إلى « أهول
 وأفرع » متكررة فى الأصل فقط قبل « يومئذ » (٤) من مد ، وفى الأصل
 وظ : يقرر (هـ) فى ظ : الكلية (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : لولا (٧) بين
 سطرى ظ : علم وقوع الشفاعه (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ (٩) من مد ،
 وفى الأصل : من ، والعبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ إلى
 « اليوم » (١٠) من مد ، وفى الأصل وظ : بما .

[أى - ١] ولا يحيط عليهم به - قاله أبو حيان ٢ . والاقرب عندى ٣

كونه متغولا عن المفعول الذى تعدى إليه الفعل بحرف الجر، أى ولا

/ يحيطون بـله؛ فيكون ذلك أقرب إلى ما فى آية الكرسي ٤ . ٤٧٦/

ولما ذكر خشوع الأصوات، أتبعه خضوع ٥ دونها فقال :

(وعنت الوجوه) أى ذلت ٦ وخضعت واستسلمت ٧ [وجوه الخلاق ٥

كلهم - ٧]، وخصها لشرفها ولأنها أول ما يظهر فيه الذل (للحي)

الذى هو مطلع على الدقائق والجلائل ، وكل ما سواه جماد حيث ما

نسبت حياته إلى حياته (القيوم ٨) الذى لا يغفل عن التدبير ومجازاة

كل نفس بما كسبت (وقد خاب) أى خسر [خسارة ظاهرة - ٧]

(من حل) منهم [أو من غيرهم - ٧] (ظلماء) ٩ . ١٠

ولما ذكر الظالم، أتبعه الحكيم ١٠ فقال : (ومن يعمل) ولما كان

الإنسان محل العجز وإن اجتهد، قال : (من الصلحت) أى التى

أمره ١١ الله بها بحسب استطاعته ، لأنه «لن يقدر الله أحد حق قدره ،

« ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، (وهو مؤمن) ليكون بناؤهما على

الأساس ، [وعبر بالفاء إشارة إلى قبول الأعمال وجعلها سببا لذلك الحال ١٥

فقال - ٧] : (فلا يخف ظلما) [بأن ينسب إليه سوء لم يقتضه - ٧]

(١) زيد من ظ ومد (٢) فى البحر المحيط ٢٨٠/٦ (٣) وبهامش ظ : تعقيب

مطول على ما وصفه المؤلف بالأقرب (٤) وبهامش ظ : أعنى "ولا يحيطون

بشيء من علمه" (٥) فى مد : خشوع (٦ - ٦) سقط ما بين الرقيين من ظ .

(٧) زيد من مد (٨) فى مد : الحليم ، وبهامش ظ : وهو من يضع الأشياء فى

محلها والظالم عكسه (٩) من مد ، وفى الأصل وظ : امر .

لأن الجزاء من جنس العمل: ' وقراءة ابن كثير بلفظ النهى محققة للبالغة في النفي ' (ولا هضماء) أى نقصا من جزائه وإن كان هو لم يوف المقام حقه لأنه لا يستطيع ذلك '، ' وأصل الهضم الكسر، وأما غير المؤمن فلو عمل أمثال الجبال من الأعمال لم يكن لها وزر '.

و لما اشتملت هذه الآية على الذروة من حسن المعاني، فبشرت وبسرت، وأنذرت وحذرت، وبينت الخفايا، وأظهرت الخبايا^٢، مع ما لها من جلالة السبك وبراعة النظم. كان كأنه قيل 'تنبيهها على جلالتها': أرلناها على هذا المتوال العزيز المثال (وكذلك) أى ومثل هذا الإنزال (أرلنه) أى هذا الذكر كله بعظمتنا (قرانا) جامعا ١٠ لجميع المعاني المقصودة (عربيا) مبينا لما أودع فيه لكل من له ذوق في أساليب العرب.

ولما كان أثر هذه الآيات محذرا، قال: (وصرفنا) أى بما لنا من العظمة (فيه من الوعيد) أى ذكرناه مكررين له محولا في أساليب مختلفة، و أفانين متنوعة مؤلفة.

١٥ ولما ذكر الوعيد. أتبعه نمرته فقال: (لعلهم يتقون) أى ليكون الناظر لهم بعد ذلك على رجاء من أن يتقوا^٣ ويكونوا به في عداد من يحدد التقوى كل حين، بأن تكون [له - ٦] وصفا مستمرا، وهى الحذر الحامل

(١-١) - فط ما بين الرقمن من ظ (٢) بين سطرى ظ: توفية المقام حقه (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: الخفايا (٤) سقط من ظ (٥) من مد، وفى الأصل: تبقى، وانعبارة من 'ليكون' إلى هنا ساقطة من ظ (٦) زيد من مد.

على اتخاذ الوقاية بما يحذر ﴿ او ﴾ في عداد من ﴿ يحدث ﴾ أى يجدد هذا التصريف^١ ﴿ لهم ذكراه ﴾ أى ما يستحق أن يذكر من طرق الخير ، فيكون سببا للخوف الحامل على التقوى ، فيردم عن بعض ما تدعو إليه النفوس من النقائص والبؤس .

ولما بلغت هذه الجمل نهاية الإعجاز ، فاشتملت على غاية الحكمة ، هـ دالة على أن لقائلها تمام العلم والقدرة والعدل في أحوال الدارين ، تسبب عن سوقها كذلك أن بان له من العظمة ما أفهمه^٢ قوله ، ^٢معظما لنفسه [الأقدس بما هو له أهل - ^٤] بعد تعظيم كتابه [تعليما لعباده ما يجب له من الحق - ^٤] دالا بصيغة التفاعل على مزيد العلو : ﴿ فتعلّى الله ﴾ أى [بلغ - ^٤] الذى لا يبلغ الواصفون وصفه ^٥حق وصفه من العلو^{١٠} أمرا لا تختمه العقول ، فلا يلحقه شيء من إلحاد الملحدين ووصف المشركين ﴿ الملك ﴾ الذى لا يعجزه / شيء . فلا ملك في الحقيقة غيره ﴿ الحق ج ﴾ أى الثابت الملك . فلا زوال لكونه ملكا في زمن ما ؛ [و - ^٤] لعظمة ملكه وحقية^٦ ذاته وصفاته صرف خلقه على ما هم عليه من الأمور المتباعدة^٨ .

٤٧٧ /

١٥

(١) في الأصل بياض ملأناه من مد ، و العبارة من « أى يجدد » إلى هنا ساقطة من ظ (٢) زيد في الأصل : من ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفناها . (٣) العبارة من هنا إلى « مزيد العلو » ساقطة من ظ (٤) زيد من مد (هـ) العبارة من هنا إلى « وصف المشركين » ساقطة من ظ (٦) من مد ، وفي الأصل : الظواهر (٧) من مد ، وفي الأصل : حقيقة (٨) العبارة من « لعظمة » إلى هنا ساقطة من ظ .

ولما كانت هذه الآيات في ذم من أعرض عن هذا الذكر، كان
التقدير: فلا تعرض عنه، [بل أقبل عليه - ١] لتكون من المتقين
الذاكرين، ولما كان هذا الحث^٢ [العظيم - ٢] ربما اقتضى^٣ للسابق في
التقوى المبالغة في المبادرة إليه فيستعجل بتلقفه قبل الفراغ من إيجائه،
ه قال عاطفا على هذا المقدر^٤: ﴿ولا تعجل بالقرآن﴾ أى بتلاوته .
ولما كان النهى عاما لجميع الاوقات القبلية، دل عليه بالجار
ثلاثا يظن أنه خاص بما يستغرق زمان القبل [جملة واحدة - ١] فقال:
﴿من قبل ان﴾^٥ ولما كان النظر هنا إلى فراغ الإيجاء لا إلى موح
معين، بنى للجهول قوله^٦: ﴿يقضى^٧﴾ أى ينهى ﴿إليك وحيد﴾ من
١٠ الملك النازل إليك من حضرتنا به كما أنا لم نجعل بانزاله عليك جملة،
بل رتلناه لك ترتيلا، و نزلناه^٨ إليك تنزيلا مفصلا تفصيلا، وموصلا
توصيلا - كما أشرنا إليه أول السورة^٩، فاستمع له ملقيا جميع تأملك
إليه^{١٠} ولا تسأقه بالقراءة^{١١}، فاذا فرغ^{١٢} فاقراء فانا بجمعه في قلبك ولا
نسقيك بانسائه وأنت مصنع إليه، ولا بتكليفك للساوقة^{١٣} بتلاوته
(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: الحديث (٣) زيد من ظ
ومد (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: افضى (٥) من ظ و مد، وفي الأصل:
المقدار (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: نزلنا .
(٩) بهامش ظ: حيث قلنا « تنزيلا من خلق الارض » (١٠) بين سطرى ظ:
أى الملك (١١) بهامش ظ: أى تساوى الملك في التافظ بحيث تكونان حال
اللفظ سواء .

(و قل رب)^١ أى المحسن إلى بافاضة العلوم على^٢ (زدنى علماء)
 أى بتفهم ما أنزلت إلى منه^٣ وإنزال غيره كما زدتنى بانزاله وتحفيظه ،
 لتتمكن^٤ من معرفة الأسباب المفيدة لتبع الخلق لك ، فانه كما تقدم على
 قدر إحاطة العلم يكون شمول القدرة ، وفى هذا^٥ دليل على أن الثانى
 فى العلم بالتدبر وبالقائه^٦ السمع أنفع من الاستعجال المتعب للبال المكدر^٧
 للحال ، وأعون على الحفظ ، [فن وعى شيئاً حق الوعى حفظه غاية
 الحفظ - ٦] ؛ وروى الترمذى^٨ وابن ماجه^٩ والبزار عن أبى هريرة
 رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم
 انفعنى بما علمتنى وعلمنى ما ينفعنى وزدنى علماً والمجد لله على كل حال ،
 وأعوذ بالله من حال أهل النار - أفاده ابن كثير فى تفسيره . ١٠

ولما قرر سبحانه بقصة موسى عليه السلام ما أشار إليه أول السورة
 بما هو عليه من الحلم والثبات على عباده ، وإمهالهم فيما هم عليه من
 النقص بالنسيان للعهود والنقض للوائق ، وأتبعها [ذكر - ٩] مدح

(١ - ١) سقط ما بين الرتين من ظ (٢) بين سطرى ظ : الذكر (٣) من ظ
 ومد ، وفى الأصل : ليتمكن (٤) بين سطرى ظ : أى قوله « فلا تعجل »
 (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ : القاء (٦) زيد من ظ ومد (٧) فى الدعوات ؛
 وبهامش ظ : قوله « وروى الترمذى » موقعه دليل على الدعوى التى ادعاها
 الشيخ من كون الثانى فى العلم بالتدبر إلى آخره ، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم
 سأل ربه فى أن ينفعه بما علمه فأرشدته إلى قوله « فلا تعجل » - والواو فى « وروى »
 للعطف ، أغنى عطف الدليل على الدعوى (٨) فى المقدمة (٩) زيد من مد .

هذا الذكر الذى تأدت^١ إلينا به ، و ذم من أعرض عنه ، و ختمه بما
عهد إليه صلى الله عليه و سلم فى أمره نهيا و أمرا ، أتبع ذلك سبحانه
قصة آدم عليه السلام تحذيرا من الركون إلى ما يسبب النسيان ، و حثا
على رجوع من نسى إلى طاعة الرحمن ، و يانا لأن ذلك الذى قوره من
حلله و إمهاله عادته سبحانه من القدم ، و صفته التى كانت و نحن فى حيز
العدم ، و أنه جبل الإنسان على النقص ، فلو أخذهم^٢ بذنوبهم ما ترك
عليها من دابة ، فقال عاطفا على قوله ” و كذلك انزلته حكما عريا“

أو ” كذلك نقص عليك من انباء ما قد / سبق“ مؤكدا لما تقدم فيه و عهد
به من أمر القرآن ، و محذرا من الإخلال بذلك و لو على وجه النسيان ،
١٠ و منجزا لما وعد به من قصص أنباء المتقدمين بما يوافق هذا السياق :

(و لقد عهدنا) • بما لنا من العظمة • (إلى آدم) • أبى البشر الذى^٣
أطلعناه على كثير منها فى النهى عن الأكل من الشجرة (من قبل)
أى فى زمن • من الأزمان الماضية • قبل هؤلاء الذين تقدم فى هذه
السورة ذكر نسيانهم و إعراضهم (فنسى) عهدنا و أكل منها مع^٤ عليه
١٥ من تلك العظمة بما لا ينبغى أن ينسى معه ذلك العهد المؤكد بذلك الجلال ،
فعددنا عليه وقوعه فى ذلك المنهى ناسيا ذنبا لعلو رتبته عندنا ، فهو

(١) بين سطرى ظ : وصلت القضية (٢) بهامش ظ : الضمير فى • أخذهم •
يرجع إلى المعنى الذى يفهمه الإنسان ، أى لو أخذ جميع الناس (٣) العبارة من هنا إلى
• هذا السياق • ساقطة من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل : بما (• •) سقط ما
بين الرقيين من ظ (٦) فى ظ : بمظمتنا التى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : به •
من

من^١ باب « حسنات الأبرار » سيئات المقربين ، فكيف بما فوق ذلك^١
 (ولم نجد) بالنظر^٢ إلى ما لنا من العظمة^٣ (له عزما) أي
 [قصدا صلبا ماضيا وإرادة نافذة لا تردد فيها كإرادات الملائكة عليهم
 السلام ، والمعنى أنه -^٤] لم يتعلق علينا بذلك^٥ موجودا ، ومع ذلك^٦
 عفونا عنه ولم نزجره^٧ عن رتبة الاصطفاء .

وما كان المقصود من السورة - كما سلف - الإعلام بالحلم والآثام
 والتلطف بالناس^٨ والقدرة على المعرض ، ذكر فعلة^٩ آدم عليه السلام
 هذه في هذه السورة بلفظ المعصية مع التصريح بأنها على وجه النسيان ،
 وذكر ذلك أولا بجملة ثم أتبعه تفصيله ليكون ذلك مذكورا مرتين ،
 تأكيداً للمعنى المشار إليه ، تقريراً وتحذيراً من الوقوع في منهى ، وإرشاداً^{١٠}
 لمن " غلب عليه " طبع النقص إلى المبادرة إلى الندم و تعاطى أسباب
 التوبة ليتوب الله عليه كما فعل بآدم عليه السلام فقال : (واذا) أي
 اذكر هذا و اذكر حين^{١١} (قلنا) بما لنا من العظمة ، أي اذكر
 قولنا في ذلك الوقت^{١٢} (للآن) أي المجولين على مضى العزم

- (١) من ظ و مد ، وفي الأصل : في (١) بهامش ظ : أي فوق المقربين وهم
 الأنبياء (٣ - ٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من مد .
 (٥) زيد قبله في الأصل : فيه ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٦) من
 مد ، وفي الأصل و ظ : به (٧) بين سطرى ظ : أي ومع عدنا وقوعه في
 ذلك ذنباً (٨) في مد : لم يزجره (٩) من ظ و مد ، وفي الأصل : بالثاني ؛
 وبين سطرى ظ : البعيد (١٠) من مد ، وفي الأصل : قوله ، وفي ظ : زلة .
 (١١ - ١١) في مد : غلبه (١٢) في ظ : اذ (١٣) العبارة من هنا إلى « فتور »
 ساقطة من ظ .

والتصميم^١ على القصد^٢ من غير مانع تردد^٣ ولا عائق قور^٤ (اسجدوا لآدم)
الذى خلقته يدي ، فلم فأمرهم بذلك إلا بعد أن اصطفيه^٥اه ونحن عالمون
بما سيقع منه ، وأنه لا يقدح في رتبة اصطفائه ، فان الحلم والكرم
من صفاتنا ، والرحمة من شأنا ، فلا تيأس من عودنا بالفضل والرحمة
على من بالغ في مقاطعتنا من قومك الذين وصفناهم بالدد (فسجدوا)
[أى الملائكة - ٦] (آ ابليلس^٧) الذى نسب الله إلى الجور
والإخلال بالحكمة^٨ فكفر فأيس من الرحمة و سلب الخير فأصر على
إضلال الخلق بالتليس ، فكأنه قيل : ما كان من حاله^٩ فى عدم سجوده^{١٠} ؟
فقيل : (ابن^{١١}) أى تكبر على آدم فعصى أمرا الله (قتلنا) بسبب
ذلك^{١٢} بعد أن حلينا عنه ولم نعالجه بالعقوبة : (يأام ان هذا)
الشیطان الذى تكبر عليك (عدو لك) دائما لأن الكبير^{١٣} الناشئ
عن الحسد لا يزول (ولزوجك) لأنها منك (فلا يخرجكما) أى
لا تصفيا إليه بوجه فيخرجكما ، ووجه النهى^{١٤} إليه والمراد : هما ، تنبها
على أن لها من الجلالة [ما ينبغي أن تصان عن أن يتوجه إليها نهى ، وأسند
الإخراج إليه لزيادة التحذير والإبلاغ في التنفير ، وزاد - ١٥] فى

(١) من مد ، وفى الأصل : التعميم (٢) من مد ، وفى الأصل : المقصد (٣) زيد
بعده فى الأصل : مانع ، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها (٤) زيد من مد .
(٥) العبارة من هنا إلى « بالتليس » ساقطة من ظ (٦) من مد ، وفى الأصل :
بالحكم (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل :
التكبر (٩) العبارة من هنا إلى « التنبية بقوله » ساقطة من ظ (١٠) من مد ،
وفى الأصل : النهى .

التفيه بقوله : (من الجنة) أى ' فانه لا يقصر فى شركا وإرادة
إنزالهما عنها .

ولما نص سبحانه على شركتها له^١ فى الإخراج فكان من المعلوم
شركتها له فى آثاره ، وكانت المرأة تابعة للرجل ، فكان هو المخصوص
فى هذه الدار بالكل فى الكد والسعى ، والذب والرعى ، وكان أغلب ه
تعبه فى أمر المرأة . أفرد بالتحذير من التعب لذلك وعدا لتعبها / بالنسبة
إلى تعبها عدما ، و تعريفا بأن أمرها يده ، وهو إن تصلب قاعها^٢ إلى
الخير ، وإلا قاداته إلى الضير . وعبر عن التعب بالشقاء زيادة فى التحذير
[منه -^٣] فقال : (فتشقى^٤) أى فتعب ، ولم يرد شقاوة الآخرة ، لأنه
لو أرادها ما دخل الجنة بعد ذلك^٥ ، لأن الكلام المقدر بعد الفاء خبر ، ١٠
والخبر لا يخلف . ثم علل شقاوته على تقدير الإخراج بوصفها بما لا يوجد
فى غيرها^٦ من الأقطاب التى يدور عليها كفاف الإنسان ، وهى الشبع
والرى والكسوة والكن ، ذاكر^٧ لها بلفظ النفي لنقائضها لطرق سمعه
بأسماء أصناف الشقوة التى حذر منها ليصير^٨ بحيث يتحامى السبب الموقع
فيها كراهة لها ، فإذا مضت عليه القدرة الباهرة علم أنه لا يفتى حذر من ١٥
قدر ، فقال : (ان لك) أى علينا (الانجوع فيها) أى يوما ما
(ولا تعزى^٩) فلا يتجرد باطنك ولا ظامرك (وانك لا تظمؤا)
(١) سقط من ظ (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : قارها (٣) زيد من مد .
(٤) بين سطرى ظ : أى الله (٥) بين سطرى ظ : الإخراج (٦) العبارة من
هنا إلى « من قدر » ساقطة من ظ (٧) من مد ، وفى الأصل : ذكر (٨) من مد ،
وفى الأصل : ليصيره (٩) سقط من مد .

'بالتهاب القلب' ﴿ فيها ولا تضحيه ﴾ أى لا يكون بحيث يصيبك حر الشمس ، و المعنى أنه لا يصيبك حرفى الباطن ولا فى الظاهر ﴿ فوسوس ﴾ أى فتعقب تحذيرنا هذا من غير بعد فى الزمان أن وسوس ﴿ اليه الشيطان ﴾ المحترق المطرود ، وهو إبليس . أى ألقى إليه على وجه الخفاء بما مكناه ه من الجرى فى هذا النوع مجرى الدم ، وقذف المعانى فى قلبه ، وكأنه عبر به ، الى ، لأن المقام لبيان سرعة قبول هذا النوع للنقاىس وإن آتته من بعد ، أو لأنه ما أنهى إليه ذلك إلا بواسطة زوجه ، لذلك عدى الفعل عند ذكرهما باللام ، وكأنه قيل : ما دس إليه ؟ فقيل : ﴿ قال ينادم ﴾ ثم ساق له الغش مساق العرض ، إبعادا لنفسه ١٠ من التهمة 'و الغرض' ؛ وشوقه إليه أولا بقوله : ﴿ هل ادلك ﴾ فان النفس شديدة الطلب لعلم ما تجهله ؛ وثانيا بقوله : ﴿ على شجرة الخلد ﴾ أى التى من أكل منها خلد ، فان الإنسان أحب شىء فى طول البقاء ؛ وثالثا بقوله : ﴿ و ملك لا يلى ﴾ أى لا يخاق أصلا ، فكأنه قال له بلسان الحال أو القال : نعم ، فقال : شجرة الخلد هذه - مشيرا إلى التى ١٥ نهى عنها - ما بينك وبين الملك الدائم إلا أن تأكل منها . ﴿ فاكلا ﴾ أى فتسبب عن قوله و تعقب أن أكل ﴿ منها ﴾ هو و زوجته ، متبعين لقوله ناسيين ما عهد إليهما ﴿ فبدت لهما ﴾ لما خرقا من ستر النهى و حرمة

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : من .
 (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : لانه (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ : شرعة .
 (٥) فى مد : المقال (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : زوجته .

(سواتهما) وقوعا لما حذرا منه من إخراجها عما كانا فيه
 (وظفقا) أى شرعا (يخصفن) [أى - ١] يخطان^٢ أو يلصقان^٣
 (عليهما من ورق الجنة) ليسترا عوراتهما (وعصى^٤ آدم) وإن
 كان إنما فعل المنهى نسيانا، لأن عظم^٥ مقامه وعلو رتبته يقتضيان له
 مزيد الاعتناء ودوام المراقبة مع ربط الجأش وبقظة الفكر (ربه) هـ
 أى المحسن إليه بما لم ينله^٦ أحدا من نبيه من تصويره له يده وإسجاده
 ملائكته له ومعاداة من عاداه (فغوى^٧ من) [من - ١] الغواية^٨ وهى
 الضلال، ولذلك قالوا: المعنى: فضل^٩ - ١ [عن طريق السداد، فأخطأ^{١٠}
 طريق التوصل إلى الخلد^{١١} بمخالفة أمره، وهو صفيه، لم ينزله عن
 رتبة الاصطفاء، لأن رحمته / واسعة، وحله عظيم، وعفوه شامل، ١٠ / ٤٨٠
 فلا يهملك أمر القوم اللد، فانا قادرون على أن تقبل بقلوب من شئنا
 منهم فتجعلهم من أصفى الاصفياء، ونخرج من أصلاب من شئنا منهم
 من نجعل قلبه معدن الحكمة والعلم .

ولما كان الرضى عنه - مع هذا الفعل الذى أسرع^{١٢} فيه فى اتباع
 العدو وعصيان الولي^{١٣} بشيء لا حاجة به إليه - مستبعدا^{١٤} جدا، أثبت ١٥

(١) زيد من مد (٢-٣) فى مد : أو يلترقان، وما بين الرقين ساقط من ظ (٣) فى
 مد : عظيم (٤) بين سطرى ظ : يعطه (٥) سقط من ظ (٦) زيد من مد ،
 وزيد فى ظ موضعه : أى فضل (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٨) بهامش
 ظ : يقال : أسرع الشيء : أى جد فيه فيكون متعديا (٩) من ظ و مد ، وفى
 الأصل : المولى (١٠) من مد ، وفى الأصل و ظ : مستبعد .

ذلك تعالى مشيراً إليه بأداة التراخي فقال : ﴿ ثم اجتنبه ربّه ﴾ أى المحسن إليه ﴿ فتاب عليه ﴾ أى ' بسبب الاجتناء ' بالرجوع إلى ما كان عليه من طريق السداد ' ﴿ وهدىه ﴾ بالحفظ فى ذلك كما هو الشأن فى أهل الولاية و القرب .

• ولما كانت دور الملوك لا تحتل مثل ذلك ، وكان قد قدم سبحانه عنايته بآدم عليه السلام اهتماماً به ، وكان الخبر عن زوجه وعن إبليس لم يذكر ، فكانت نفس السامع لم تسكن عن تشوفها إلى سماع بقية الخبر . أجاب عن ذلك بأنه أهبط من داره المقدسة الحامل على المخالفة و المحمول^٢ وإن كان قد هياه بالاجتناء لها ، فقال على طريق الاستئناف : ﴿ قال ﴾ أى الرب الذى انتهكت حرمة داره : ﴿ اهبطا منها ﴾ أيها الفريقان : آدم و تبعه ، وإبليس ﴿ جميعاً ﴾ .

ولما كان السياق لوقوع النسيان و انحلال العزم بعد أكيد العهد ، حرك^١ العزم و بعث الهم بايقاع العداوة التى تنشأ عنها المغالبة ، فتبعث الهمم و تثير العزائم ، فقال فى جواب من كأنه قال : على أى حال ١٥ يكون الهبوط^{*} : ﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾ وهو صادق بعداوة كل من الفريقين للفريق^٣ الآخر : فريق إبليس - الذين^٤ هم الجن - بالإضلال ، وفريق

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد فى الأصل : وهدى الرشاد فقال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٣) بهامش ظ : الحامل على المخالفة لإبليس ، و المحمول آدم و زوجه (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : حرام لى . (٥) زيد فى ظ : قيل (٦) ونسخة مد يعثورها من ههنا سقطت قنتهى إلى ما سنبه عليه (٧) فى ظ : الذى .

الإنس بالاحتراز منهم بالتعاون والرقى وغير ذلك ، وبمداوة بعض كل فريق
 لبعضه^١ (فاما) أى قسب عن ذلك العلم بأنه لا قدرة لأحد منكم على
 التحرز من عدوه إلا بى ولا حرز لكم من قبل إلا اتباع أمرى ، [فاما -^٢]
 (ياتينكم)^٣ أى أيها الجماعة الذين هم أضل ذوى الشهوات من المكلفين^٤
 (منى هدى^٥) تحترزون به عن استهواء العدو واستزلاله (فمن اتبع)^٥
 عبر بصيغة ' افعل ' التى فيها تكلف وتعيم للتبع الناشئ عن شدة
 الاهتمام (هدى) الذى أسعفته به من أوامر الكتاب^٦ والرسول
 المؤيد بدلالة العقل ، وللتعبير بصيغة ' افعل ' قال : (فلا يضل) أى
 بسبب ذلك^٢ ، عن طريق السداد فى الدنيا ولا فى الآخرة أصلا
 (ولا يشق^٧) أى فى شىء من سعيه فى واحدة منها ، فان الشقاء عقاب ١٠
 الضلال ، ويلزم^٨ من فيه^٩ نفي الخوف والحزن بخلاف العكس ، فهو
 أبلغ^٦ بما فى البقرة^٧ ، فان^٨ المدعو إليه فى تلك مطلق العبادة ، والمقام
 فى هذه للخشية والبعث على الجِد بالعداوة " : الا تذكرة لمن يخشى "
 والاقبال على الذكر " من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا "
 والتحفظ من المخالفة ولو بالنسيان " فنى / ولم نجد [له عزما -^٩] . ١٥ / ٤٨١
 قال الرازى فى اللوامع : والشقاء : فراق العبد من الله ، والسعادة وصوله
 (١) زيد فى الأصل : قال ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذفناها (٢) زيد من ظ .
 (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) بهامش ظ : أعنى " فن تبع هدى
 فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون " (٥-٥) فى ظ : منه (٦) فى ظ : انفع (٧) راجع
 آية ٣٨ (٨) فى ظ : لان (٩) زيد من ظ والقرآن الكريم .

إليه ؛ 'و قال الأصهباني عن ابن عباس رضى الله عنهما : ضمن الله عز وجل لمن اتبع القرآن أن لا يبطل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة'. (ومن اعرض) أى فعل دون فعل الرضيع بتعمد الترك لما ينفعه بالمجاورة' (عن ذكرى) الذى هو الهدى (فان له) ضد ذلك (معيشة) 'حقرها سبحانه

٥ بالتأنيث ثم وصفها بأفزع وصف وهو مصدر يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع وغيره فقال: (ضنكا) أى ذات ضنك أى ضيق، لكونه على ضلال وإن رأى أن حاله على غير ذلك فى السعة والراحة، فان ضلاله لا بد أن يرديه، فهو ضنك لكونه سببا للضيق وآثلا إليه، من تسمية السبب باسم المسبب، منع أن المعرض عن الله لا يشبع

١٠ ولا يبطل إلى أن يقنع، 'مستولى عليه الحرص الذى لا يزال أن يطيح يال من يريد الازدياد من الدنيا، مسلط عليه الشح الذى يقبض يده عن الإنفاق'، عن مناواة الخصوم، وتعاقب الهموم، مع أنه لا يرجو ثوابا، ولا يأمن عقابا، فهو لذلك فى أضيق الضيق، لا يزال همه أكبر من وجده ولو كان لابن آدم واد من ذهب لا تبغى إليه ثانيا، ولو أن له

١٥ واديين لا تبغى لهما ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب، - متفق عليه عن أنس رضى الله عنه، وهكذا حال من أتبع نفسه هواها، وأما المقبل^٢ على الذكر بكليته فهو قانع بما هو فيه، مستكثر من ذكر الله الشارح للصدور الجالى للقلوب فهو فى أوسع سعة، فلا تغتر بالصور^٢ وانظر إلى المعانى .

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : القبل (٣) من

ظ ، وفى الأصل : بالفتور .

ولما ذكر حاله في الدنيا، أتبعه قوله: ﴿ ونحشره يوم القيمة اعمى ٥ ﴾
وكان ذلك في بعض أوقات ذلك اليوم، قال ابن عباس^١ رضى الله عنهما:
إذا خرج من القبر خرج بصيرا، فإذا سيق إلى المحشر عمى، أو يكون
ذلك - ٢ - وهو أقرب مفهوم العبارة^٢ - في بعض أهل الضلال ليجتمع
مع قوله " اسمع بهم و ابصر يوم ياتوننا " وحديث عبد الله بن عمر^٣
رضى الله عنهما في الصحيح^٤ من هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
الظلم ظلمات يوم القيامة . ثم استأنف قوله: ﴿ قال ﴾ مذكرا بالنعمة
السابقة استعطافا لأن من شأن مسلف نعمة أن يريها وإن قصر المنعم
عليه، وغاية ذلك إنما يكون مهما بقي للصلح موضع: ﴿ رب ﴾ أى^٥
أيها المحسن إلى المسبغ نعمه على ﴿ لم حشرتنى ﴾ في هذا اليوم ١٠
﴿ اعمى وقد كنت ﴾ أى في الدنيا، أو في أول هذا اليوم ﴿ بصيرا ٥ ﴾
فكأنه قيل: بم أجيب؟ فقيل: ﴿ قال ﴾ له ربه: ﴿ كذلك ﴾ أى
مثل هذا الفعل الشنيع^٦ فعلت في الدنيا، والمعنى: مثل ما قلت كان؛
ثم فسر على الأول، و علل على الثانى، فقال: ﴿ اتك 'ايتنا ﴾ على
عظمتها التى هى من عظمتنا^٧ ﴿ فنسيتهاج ﴾ أى فعاملتها^٨ باعراضك عنها ١٥
معاملة المنسى الذى لا يبصره صاحبه، فقد جعلت نفسك أعمى البصر

(١) العبارة من هنا إلى ٥ يكون ذلك ٥ ساقطة من ظ (٢) راجع البحر ٦/ ٢٨٧ .
(٣ - ٢) في ظ : أو (٤) كتاب المظالم باب الظلم ظلمات يوم القيامة .
(٥ - ٥) سقط ما بين الرقین من ظ (٦) سقط من ظ (٧ - ٧) في ظ : ذلك .
(٨) من ظ ، وفي الأصل : فعاملتك .

و البصيرة عنها ، كما قال تعالى " الذين كانت / اعينهم في غطاء عن
 ذكرى " (وكذلك) أى ومثل ذلك النسيان^١ القطيع ، وقدم الظرف
 ليسد سوقه للظروف و يعظم اختباره لفهمه فقال^٢ : (اليوم تنسى^٣)
 ' أى ترك على ما أنت عليه بالعمى و الشقاء بالنار^٤ ، فتكون كالشيء
 ٥ الذى لا يبصره أحد و لا يلتفت إليه (وكذلك) أى ومثل [ذلك -^٥]
 الجزاء الشديد^٦ (تجزى من اسرف) فى متابعة هواه فتكبر^٧ عن متابعة
 أوامرنا (ولم يؤمن بأيت ربه^٨) ' فكفر إحسانه^٩ إما بالتكذيب
 و إما بفعله فعل المكذب .

ولما ذكر أن هذا الضال كان^{١٠} فى الدنيا معذبا بالضنك^{١١} ، وذكر
 ١٠ بعض ما له فى الآخرة ، قال مقسما لما له من التكذيب : (ولعذاب الآخرة)
 بأى^{١٢} نوع كان (اشد) من عذاب الدنيا (و اتقى^{١٣}) منه ، فان الدنيا
 دار زوال ، و موضع قلعة^{١٤} و ارتحال .

ولما كان ما مضى من هذه السورة و ما قبلها من ذكر مصارع
 الأقدمين ، و أحاديث المكذبين ، بسبب العصيان على الرسل ، سببا عظيما
 ١٥ للاستبصار و البيان ، كانوا أهلا لأن ينكر عليهم لزومهم لعاهم^{١٥} فقال
 تعالى : (اقل يهد) أى يبين (لهم كم اهلكنا قبلهم) أى كثرة إهلاكنا

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من
 ظ ، وفى الأصل : للتكبر (٥) من ظ ، وفى الأصل : كافه (٦-٦) ما بين
 الرقين بياض فى الأصل ملأاه من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : اى (٨) من
 ظ . وفى الأصل : قطعة (٩) من ظ ، وفى الأصل : لنعيم .

لمن تقدمهم^١ (من القرون) بتكذيبهم لرسالتنا، حال كونهم
 (يمشون في مسكنهم)^٢ و يعرفون خبرهم بالتوارث خلفا عن سلف أنا
 تنصر أوليائنا ونهلك أعداءنا و نفعل ما شئنا^٣ و الأحسن ان لا يقدر
 مفعول، و يكون المعنى: أولم يقع لهم البيان^٤ الهادى، و يكون
 منه بعده استئنافا عينا كما وقع البيان^٥ بقوله استئنافا: (ان فى ذلك)^٥
 أى الإهلاك^٦ العظيم الشأن^٧ المتوالى فى كل أمة (لايت) عظيما
 البيان (لاولى النهى^٨) أى العقول التى من شأنها النهى عما لا ينفع
 فضلا عما يضر، فانها تدل بتواليها على قدرة الفاعل، و بتخصيص الكافر
 بالهلاك و المؤمن بالنجاة على تمام العلم [مع -^٩] عموم القدرة،
 و على أنه تعالى لا يقر على الفساد و إن أمهل - إلى غير ذلك من له ١٠
 وازع من عقله .

و لما هددهم باهلاك الماضين، ذكر سبب التأخير عنهم، عاطفا
 على ما أرشد إلى تقديره السياق، و هو مثل ان يقال: فلو أراد سبحانه
 لعجل عذابهم: (ولو لا كلمة)^١ أى عظمة ماضية نافذة^٢ (سبقت)^٣
 'أى فى الأزل'^٤ (من ربك) الذى عودك بالإحسان بأنه يعامل ١٥
 بالحلم^٥ و الأناة، و أنه لا يستأصل مكذيك، بل يمد لهم، ليرد من شاء

(١) من ظ، و فى الأصل: تقدم (٢) من ظ، و فى الأصل: البيئات .
 (٣-٢) موضع ما بين الرقين فى ظ: ثم عظم ما فى ذلك (٤-٤) سقط ما بين
 الرقين من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: اصلا (٦) زيد من ظ (٧) من ظ،
 و فى الأصل: بالحكم .

منهم ويخرج من أصلاب بعضهم من بعده ، وإنما ذلك إكراما لك
ورحمة لأمك لأننا كما قلنا أول السورة "ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى"
بإملاهم وإن كانوا قوما لدا ، ولا بغير ذلك ، وما أنزلناه إلا لتكثر
أتباعك ، فيعملوا الخيرات ، فيكون ذلك زيادة في شرفك ، وإلى ذلك
الإشارة بقوله ' صلى الله عليه وسلم ' وإنما كان الذي أوتيته وحيا أو حاه
الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا ' (لكن) أى العذاب
(لأما) أى لازما أعظم لزوم لكل من أذنب عند أول ذنب يقع
منه لشرفك عنده وقربك لديه (و) لو لا (أجل مسمى) ضربه لكل
شئ. لكان الأمر كذلك أيضا ، لكنه سبقت رحمته غضبه فهو لا يعجل ،
٤٨٣ / ١٠ و ضرب الأجل فهو لا يأخذ قبله ، وكل من سبق / الكلمة وتسمية
الأجل مستغل بالإمهال فكيف إذا اجتماعا ، فتسبب عن العلم بأنه
لا بد من استيفاء الأجل وإن زاد العاضى فى العصيان تسليم الأمور إلى
الله وعدم القلق فى انتظار الفرج فقال : (فاصبر على ما يقولون)
لك من الاستهزاء وغيره .

١٥ ولما كان الصبر شديدا على النفس منافرا للطبع ، لأن النفس
مجبولة على النقائص ، مشحونة بالوساوس ، أمر منه لأجل من يحتاج
إلى الكمال بما ينهض بها من حضيض الجسم إلى أوج الروح بمقامى

(١) رواه البخارى فى صحيحه - باب كيف نزل الوحي ، من كتاب فضائل
القرآن (٢) زيد فى الصحيح : يوم القيامة (٣-٢) سقط ما بين الرقین من ظ .
(٤) ومن هنا استأنفت نسخة مد (هـ) من ظ ومد ، وفى الأصل : فهو مستقبل .

التحلى [بالكمالات و التخلي عن الرعونات ، و بدأ بالاول لأنه العون
على الثانى، و ذكر أشرف الحلى - ١] فقال : ﴿ و سبح بحمد ربك ﴾
أى اشتغل بما ينجيك من عذابه ، و يقربك من جنابه ، بأن تنزه من
أحسن إليك عن كل قصص ، حال كونك حامدا له بالبات كل كمال . و ذلك
بأن تصلى له خاصة ^٢ و تذكره بالذكرين ^٣ ، غير ملتفت إلى شيء سواه .
﴿ قبل طلوع الشمس ﴾ صلاة الصبح ﴿ و قبل غروبها ﴾ صلاة العصر
و الظهر ؛ و غير السياق فى قوله : ﴿ و من أتى الليل ﴾ أى ساعاته ،
[جمع إنو - بكسر ثم سكون ، أى ساعة - ١] ، [لأن العبادة حيثئذ أفضل
لاجتماع القلب و هدوء الرجل و الخلو بالرب ، و لأن العبادة إذ ذاك أشق
و أدخل فى التكليف فكانت أفضل عند الله - ١] ﴿ فسبح ﴾ أى بصلاة ^٤ ١٠
المغرب و العشاء ، إيدانا بمظنة صلاة الليل ، و كرر الأمر بصلاتي الصبح
و العصر لإعلاما بمزيد فضلها . لأن ساعتها أثناء الطى و البعث فقال :
﴿ و اطراف النهار ﴾ و يؤيد ما فهمته من أن ذلك تكرير لهما ما فى
الصحيحين ^٥ عن جرير بن عبدالله البجلي رضى الله عنه قال : كنا جلوسا عند

- (١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢-٢) من ظ و مد ، و فى الأصل :
جناه بل (٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل :
الظهر و العصر (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ساعته (٦) زيد من مد (٧) من
مد ، و فى الأصل و ظ : صلاة (٨) البخارى فى عدة مناسبات بما فيها المواقيت ،
و إليها يرجع السياق ، و مسلم فى باب بيان أن أول وقت المغرب عند غروب
الشمس - كتاب المساجد .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فتظر إلى القمر ليلة البدر فقال : إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون^١ في رؤيته ، فان استطعتم أن لاتقلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا^٢ ، ثم قرأ هذه الآية . وإلا لم يكن في الآية مزيد حث عليها خاصة ، على أن لفظ ' آناء و أطراف ' صالح لصلاة التطوع من الرواتب وغيرها ليلا ونهارا ، و أفاد بذكر الجار في الآناء التبعض ، لأن الليل محل الراحة ، ونزعه من الأطراف لتيسر استغراقها بالذكر ، لأن النهار موضع النشاط واليقظة ، ويجوز - وهو أحسن - أن يكون المراد بما قبل [الطلوع -^٣] الصبح ، وما قبل الغروب العصر فقط ، ويمض الآناء المغرب والعشاء ، وأدخل الجار ١٠ لكونها وقتين ، و بجميع الأطراف الصبح والظهر والعصر ، لأن النهار له أربعة أطراف : أوله ، وآخره ، و [آخر -^٣] نصفه الأول ، و [أول -^٣] نصفه الثاني ، والكل مستغرق بالتسيح ، ولذلك نزع الجار ، أما الأول والآخر فالصبح والعصر ، وأما الآخران فبالتهوؤ للصلاة ثم الصلاة نفسها ، وحيث تكون الدلالة على فضيلة الصبح والعصر ١٥ من وجهين : التقديم^٤ والتكرير ، إلى ذلك الإشارة بالحديث ، وإذا أريد إدخال النوافل حملت الأطراف على الساعات - والله الهادي .

(١) بهامش ظ : روى : تضامون - بفتح التاء وتخفيف الضاد مع تشديد الميم من التضام ، و بضم التاء وتخفيف الضاد مع تخفيف الميم من الضيم (٢) تكرر في الأصل فقط (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : وجهي . (٥) زيد في الأصل : والتاخير ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها .

ولما كان الغالب على الإنسان النسيان فكان^١ الرجاء عنده أغلب ،
 ذكر الجزاء بكلمة الإطاع لئلا يأمن فقال : ﴿ لعلك ترضى^٢ 〉 أى افعل
 هذا لتكون على رجاء^٣ من أن^٤ يرضاك ربك فيرضيك في الدنيا
 والآخرة^٥ ، باظهار دينك وإعلاء أمرك ، ولا يجعلك في عيش ضحك
 في الدنيا ولا في الآخرة - هذا على قراءة الكسائي وأبي بكر عن عاصم ه
 بالبناء للمفعول ، والمعنى على قراءة الجماعة بالبناء للفاعل : لتكون / على رجاء
 من أن تكون راضيا دائما في الدنيا والآخرة . ولا تكون كذلك
 إلا وقد أعطاك ربك جميع ما تؤمل^٦ .

[^٧ - ولما كانت النفس ميالة إلى الدنايا ، مرهونة بالحاضر من فاني
 العطايا ، وكان تخليها عن ذلك هو الموصل إلى حريتها المؤذن بعلو همتها ،
 قال 'مؤكد' [بذانا بصعوبة ذلك^٨] : ﴿ ولا تمدن^٩ 〉 مؤكدا [له - ^{١٠}
 بالنون الثقيلة ﴿ عينك 〉 أى لا تطول نظرهما بعد النظرة الأولى المعفو
 عنها قاصدا^{١١} النظر للاستحسان ﴿ الى ما متعابة^{١٢} 〉 بما لنا من العظمة
 التى لا ينقصها^{١٣} تعظم أعدائنا^{١٤} به في هذه الحياة الفانية ﴿ ازواجا 〉
 أى أصنافا متشاكلين^{١٥} ﴿ منهم 〉 أى من الكفرة ﴿ زهرة 〉 أى تمتيع^{١٦}

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : وكان (٢ - ٢) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 بان (٣) فى مد : الأخرى (٤ - ٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) زيد ما بين
 الحازرين من ظ و مد (٦) من ظ و مد . وفى الأصل : هذا (٧) العبارة من هنا
 إلى « أعدائنا » ساقطة من ظ (٨) من مد ، وفى الأصل : تنقصها .
 (٩) من مد ، وفى الأصل : أعدا (١٠) سقط من ظ .

﴿الحياة الدنيا﴾ لا يتفعلون به في الآخرة لعدم صرفهم^١ له في أواسر الله .
فهو مصدر من المعنى مثل جلست قعوداً ؛ ثم علل تمتيعهم بقوله تعالى :
﴿لنفتنهم فيه﴾ أى لنفعل بهم فعل المختبر ، فيكون سبب عذابهم في الدنيا
بالعيش الضئيل لما مضى^٢ ، وفي الآخرة بالعذاب الآليم ، فصورته
٥ تفر^٣ من لم يتأمل^٤ معناها حتى التأمل ، فما أنت فيه خير مما هم فيه
﴿ورزق ربك﴾ الذى عود به أوليائه - وهو^٥ في دار السفر -
الكفاف الطيب المقرون بالتوفيق ﴿خير﴾ من زهرتهم ، لأنه يكفى
ولا يطغى وزادك ما يدنى إلى جنبه فيعلى ﴿وابقى^٦﴾ فانه وفقك
لصرفه في الطاعة فكتب لك من أجره ما توفاه يوم الحاجة^٧ على وجه
١٠ لا يمكن أحداً من الخلق حصره ، ويكون الدنيا كلها^٨ فضلاً عما في
أيديهم [أقل من قطرة - ^٩] بالنسبة إلى بحره^٩ ، وإضافة رزقه دون رزقهم
إليه سبحانه - وإن كان الكل منه - للتشريف ، ^{١٠} وفي التعبير^{١٠} بالرب
إبذان^{١١} بالحل ؛ وفيه^{١٢} إشارة إلى ظهوره عليهم وحياته بعدهم كما هو
الشان في الصالحين والطلحين .

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : مصرفهم (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل :
خير (٣) في الأصل بياض ملائناه من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل :
لم يتالم (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) العبارة من هنا إلى «بحره» ساقطة
من ظ (٧) في الأصل بياض ملائناه من مد (٨) زيد من مد (٩) في مد : بحر
(١٠) العبارة من هنا إلى «بالحل» ساقطة من ظ (١١) من مد ، وفي الأصل :
التقيد (١٢) من مد ، وفي الأصل : الايقان (١٣) بين سطرى ظ : الكلام
السابق .

ولما أمر بتزكية النفس أتبعه الإعلام بأن منها تزكية الغير ، لأن ذلك أدل على الإخلاص ، وأجدر بالخلاص ، كما دل عليه مثل السفينة^١ الذى ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن يأمر بالمعروف ومن يتركه فقال : ﴿ و امر اهلك بالصلوة ﴾ كما كان أبوك إسماعيل عليه السلام ، ليقودهم إلى كل خير ” ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر “ ولم يذكر ه الزكاة لدخولها فى الترهيد بالآية^٢ التى قبلها .

ولما كانت شديدة على^٣ النفس عظيمة^٤ النفع . قال : ﴿ و اصطر ﴾ بصيغة الافتعال ﴿ عليها^٥ ﴾ [أى -^٦] على فعلها ، مفرغا نفسك لها وإن شغلتك عن بعض [أمر -^٧] المعاش ، لانا ﴿ لانسئلك رزقا^٨ ﴾ أى لا نكلفك طلبه لنفسك ولا لغيرك ، فان ما لنا من العظمة [بأبى -^٩] ١٠ أن نكلفك أمرا ، و لانكفيك ما يشغلك عنه .

ولما كانت النفس بكليتها مصروفة إلى أمر المعاش ، كانت كأنها تقول : فمن أين يحصل الرزق ؟ فقال : ﴿ نحن ﴾ بنون العظمة ﴿ نرزقك^{١٠} ﴾ لك ولهم ما قدرناه لكم من أى^{١١} جهة شئنا من ملكنا الواسع وإن كان يظن أنها^{١٢} بعيدة ، ولا ينفسع فى الرزق حول محتال ، فاتقوا الله ١٥ و أجهلوا فى الطلب ، ولا تدأبوا فى تحصيله والسعى فيه ، فان كلا من الجاد فيه والمتهاون به لا يناله أكثر مما قسمناه^{١٣} له فى الازل ولا أقل ،

(١) راجع مسند الإمام أحمد ٢٦٩/٤ (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : فى الآية .

(٣ - ٣) تكرر ما بين الرقین فى الأصل فقط (٤) زيد من مد (ه) زيد من ظ

ومد (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : آية (٧) بين سطرى ظ : أى الجهة .

(٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : قسمنا .

فالتقى الله المقبل على ذكره واثق بوعده^١ قانع راض فهو في أوسع سعة،
والمعرض متوكل على سعيه فهو في كد و شقاء و جهد و عناء أبدا
﴿و العاقبة﴾^٢ أى الكاملة، وهى التى لا عاقبة / فى الحقيقة غيرها، وهى
الحالة الجميلة المحموده التى تعقب الأمور، أى تكون بعدها^٣ ﴿للقوى ه﴾
هـ أى لأهلها، ولا معولة^٤ على الرزق وغيره توازى^٥ الصلاة، فقد كان
[رسول الله -^٦] صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة -
أخرجه أحمد^٧ عن حذيفة وعلقه البغوى فى [آخر -^٨] سورة الحجر^٩،
و قال الطبرانى فى معجمه الأوسط^{١٠}: ثنا أحمد - هو ابن يحيى الحلوانى -
ثنا سعيد - هو ابن سليمان - عن عبد الله بن [المبارك عن معمر عن
١٠ محمد بن حمزة عن عبد الله بن -^{١١}] سلام رضى الله عنه قال: كان النبی
صلى الله عليه وسلم إذا نزل بأهله الضيق^{١٢} أمرهم بالصلاة، "ثم قرأ" وأمر
أهله بالصلوة^{١٣} - الآية. لا يروى هذا الحديث عن عبد الله بن سلام إلا بهذا
الإسناد، "تفرد به معمر، و قال الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير فى
تفسيره: و قال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن أبى زياد
١٥ القطران نا سيار نا جعفر عن ثابت قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: بوحده (٢ - ٣) سقط ما بين الرقین من ظ
(٢) من مد، وفى الأصل وظ: معوته (٤) من مد، وفى الأصل وظ: يوازى.
(٥) زيد من مد (٦) راجع المسند ٣٨٨/٥ (٧) زيد من ظ و مد (٨) راجع معالم
التنزيل على هامش باب التأويل ٦٤/٤ (٩) راجع مجمع الزوائد ٦٧/٧ (١٠) فى
المجمع: الضيف (١١) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و مد فخذناها.

إذا أصابته خصاصة نادى أهله : يا أمهلاء ! صلوا صلوا ، قال ثابت : وكان
الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة ، وقد روى الترمذى^١ وابن
ماجه^٢ كلاهما فى الزهد - وقال الترمذى : حسن غريب - من حديث
عمران بن زائدة عن أبيه عن أبي خالد الوالى عن أبي هريرة
رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : ه
تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك ، وإن لم تفعل ملأت
صدرك شغلا ولم أسد فقرك . وروى ابن ماجه^٣ من حديث الضحاك
عن الأسود عن ابن مسعود رضى الله عنه : سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم
يقول : من جعل الهموم هما واحداً هم المعاد ، كفاه الله هم دنياه ، ومن
تشعبت به الهموم^٤ أحوال الدنيا لم يبال الله فى أى أوديتها^٥ هلك . ١٠
وروى^٦ أيضاً من حديث عمر بن سليمان عن عبد الرحمن بن أبان عن
أبيه عن زيد بن ثابت رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه
ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب^٧ له ، ومن كانت الآخرة نيته جمع
الله له أمره ، وجعل غناه فى قلبه ، وأتته الدنيا وهى راغمة . ١٥
ولما قدم فى هذه السورة ما ذكر من قصص الأولين^٨ وأخبار

(١) ٢٩٨/١ (٢) باب الهم بالدنيا (٣) زيد فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة
فى ظ ومد وسنن ابن ماجه لحذفناها (٤) فى السنن : اوديته (ه) بين سطرى ظ :
لى ابن ماجه (٦-٧) من مد والسنن : وفى الأصل وظ : نبيكم (٧) من
ظ ومد والسنن ، وفى الأصل : كتبت (٨) زيد فى الأصل : والآخرين ،
ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحذفناها .

الماضين ، مبكتا بذلك من أمر قرشا بالتحت من اليهود ، فلم يقدروا
على إنكار شيء منه ولا توجيه طعن إليه ، وخله يدائع الحكم ، وغرائب
المواعظ في أرشق الكلم ، وختم ذلك بأعظم داع إلى التقوى ، عجيب
منهم في كونهم لا يدعون للحق آفة من المجاهرة بالباطل ، أو خوفا من
هـ سوء "عواقب ، فقال : ﴿ وقالوا ﴾ ولعله عطف على ما يقدر في حين
قوله "افلم يهد لهم - [إلى قوله : ان في ذلك لايت] من أن يقال : وقد
أبوا ذلك ولم يعدوا شيئا منه آية -^١] : ﴿ لولا ﴾ [أى هلا ولم لا -^٢]
﴿ ياتينا ﴾ [أى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم -^٣] ﴿ بآية ﴾
[أى مثل آيات الأولين -^٤] ﴿ من ربه ﴾ المحسن إليه ، دالة
١٠ على صدقه .

ولما تضمن هذا أنهم لم يعدوا شيئا من هذه اليناث -^٢ التى أدلى
بها على من تقدمه - آية مكابرة^٣ ، استحقوا الإنكار ، فقال : ﴿ اولم ﴾
أى ألم يأتهم من الآيات في هذا القرآن مما خصصتك به من الاحكام
والحكم في أبلغ المعاني بأرشق النظم ما أعجز بلغاهم ، وأبكم فصحاءهم ،
٤٨٦ / ١٥ فدل^٤ / قطعاً على أنه كلامى ، أو لم ﴿ تاتهم بينة ما ﴾ أى الاخبار التى
﴿ في الصحف الاولى هـ ﴾ من صحف إبراهيم وموسى وعيسى وداود عليهم
السلام في التوراة والإنجيل والزبور وغير ذلك من الكتب الإلهية
(١) زيد من ظ ومد (٢) زيد من مد (٣-٢) ما بين الرقيين يياض في الأصل
ملأناه من مد ، وما في ظ إلا : آية (٤) في مد : خصصك (هـ) من ظ ومد ،
وفي الأصل : قدلت .

كقصتي آدم و موسى المذكورتين في هذه السورة وغيرهما مما تقدم قصه لها^١ كما هي عند أهلها على وجوه^٢ لا يعلمها إلا قليل من حذاقهم من غير أن يخالط عالما منهم أو من غيرهم، و من غير أن يقدر أحد منهم على معارضة ما أتى به في قصتها من النظم المنتج قطعاً أنه^٣ [لا -^٤] معلم له إلا الله المرسل له، و أن ما أتى به منها شاهد لما في الصحف الأولى من ذلك^٥ بالصدق، لأنه كلام الله، فهو بينة على غيره لإعجازه، فجميع الكتب الإلهية مفتقرة إلى شهادته افتقار المحتج عليه إلى شهادة الحجة، و لا افتقار له بعد العجز عنه إلى شيء أصلاً، فهو أعظم من آيات جميع [الأنبياء -^٦] اللاتي يطلبون مثلها بما لا يقايس.

و لما تبين بذلك أنهم يطعنون بما لاشبهة^٧ لهم فيه^٨ أصلاً، أتبعه ما^٩ كان لهم فيه نوع شبهة^{١٠} لو وقع، فقال عاطفاً [على -^{١١}] "ولولا كلمة:"
 ﴿ولو انآ اهلكنهم﴾ معاملة لهم في عصيانهم بما يقتضيه مقام العظمة^{١٢}
 ﴿بعذاب من قبله﴾ أي من قبل هذا القرآن [المذكور في الآية الماضية^{١٣}]

(١) من مد، و في الأصل و ظ : لها (٢) من ظ و مد، و في الأصل : وجوحها.
 (٣) من مد، و في الأصل و ظ : لانه (٤) زيد من ظ و مد (٥) العبارة من
 هنا إلى « لا يقايس » ساقطة من ظ (٦) زيد من مد (٧-٧) من ظ و مد، و في
 الأصل : له عليه (٨) من مد، و في الأصل و ظ : شبهته (٩) بين سطرى ظ :
 كقوله : من اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا، فان الذكر يصدق على القرآن.
 (١٠) بهامش ظ : أعنى : بينة ما في الصحف الأولى، لأن هذا يدل على أن
 القرآن أتى بذلك.

وما قاربها. وفي قوله "ولا تعجل بالقرآن" صريحاً، وكذا في مبنى السورة
 "فما انزلنا عليك القرآن - [لتشقى' " (لقالوا) 'يوم القيامة':
 (ربنا) يامن هو متصف بالإحسان إلينا (لولا) 'أى هلا ولم لا'
 (ارسلت) 'ودلوا على عظمتهم وعلو رتبته بحرف الغاية فقالوا':
 (الينا رسولا) 'أى يأمرنا بطاعتك' (فتبع) أى فيتسبب عنه أن
 تتبع (إيتك) التى يمحينا بها .

'ولما كان اتباعهم لا يستغرق زمان القبل قالوا': (من قبل ان نذل)
 بالعذاب هذا الذل (ونخزى) بالمعاصى التى عملناها على جهل هذا الخزى
 فلاجل ذلك أرسلناك إليهم وأقنا بك الحجة عليهم، ونحن نترقق
 ١٠ بهم، ونكشف عن قلوب من شئنا منهم ما عليها من الرين بما نزل
 من الذكر ونجدد من الآيات حتى نصدق أمرك ونعلى شأنك [ونكثرو
 أتباعك - [ونصر أسياك .

ولما علم بهذا أن إيمانهم كالممتنع، وجدالهم لا ينقطع، بل إن
 جاءهم الهدى طعنوا فيه، وإن عذبوا قبله تظلموا، كان كأنه قيل:
 ١٥ فما الذى أفضل معهم؟ فقال: (قل كل) أى منى ومنكم (متربص)
 أى منتظر حسن عاقبة أمره ودوائر الزمان على عدوه
 (فتربصوا) فانكم كالبهائم ليس لكم تأمل، ولا تجوزون

(١) زيد من ظ ومد (٢ - ٢) -قط ما بين الرقين من ظ (٣-٣) تكرر ما
 بين الرقين فى الأصل فقط بعد ما عليها .

الجارز إلا عند وقوعه (فستملون) 'أى عما قريب' بوعد لا خلف فيه عند كشف الغطاء (من اصحب الصراط) [أى الطريق الواضح (الواسع - ٢)] (السوى) أى الذى 'الاعوج فيه ولا تتو، فهو' من شأنه أن يوصل إلى المقاصد .

ولما كان صاحب الشيء قد لا يكون عالما بالشيء ولا عاملا به بما يعلم منه ، قال : (ومن اهتدى) أى 'من الضلالة' فحصل على جميع ما ينفعه واجتنب جميع ما يضره . نحن أم أنتم ؟ ولقد علموا يقينا ذلك يوم فتح مكة المشرفة ، واشتد اغتباطهم بالإسلام ، ودخلوا رغبة فى الحلم والكرم ، ورهبة من السيف والنقم^١ ، وكانوا بعد ذلك يعجبون من توقعهم عنه ونفرتهم منه ، وهذا معناه أنه صلى الله عليه وسلم ١٠ ومن اتبعه هم السعداء الأغنياء الراضون فى الدنيا والآخرة ، وهو عين قوله تعالى " ما انزلنا عليك القرآن لتشقى " فقد / انطبق الآخر على الأول ، ودل على أن العظيم يعامل بالحلم فلا يعجل -^٦ والله أعلم^٦ .

٤٨٧ /

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) سقط من مد (٣) زيد من مد .
(٤) بهامش ظ : أى طائفة منهم دخلت رغبة وأخرى راهبة فعل هذا الواو فى قوله « ورهبة من السيف » بمعنى « أو » والمراد منه التقسيم (٥) بين سطرى ظ : أى قوله « من اصحب الصراط السوى » (٦-٦) سقط ما بين الرقين من مد .

* * * * *

سورة الأنبياء

عليهم الصلاة والسلام

مقصودها الاستدلال على تحقق الساعة وقربها ولو بالموت ، و وقوع الحساب فيها على الجليل والحقير ؛ لأن موجدتها لا شريك له يعوقه عنها ، وهو من لا يبدل القول لديه ، والدال على ذلك أوضح دلالة ه مجموع قصص جماعة ممن ذكر فيها من الأنبياء عليهم السلام ، ولا يستقل قصة منها استقلالا ظاهرا بجميع ذلك كما سنبين ، ولا يخلو قصة من قصصهم عن دلالة على شيء من ذلك فنسبت^٢ إلى الكل - والله الموفق .

(بسم) الحكيم العدل الذي تمت قدرته وعم أمره (الله)

١٠ * الملك الذي لا كفوء له * (الرحمن) الذي ساوى بين خلقه في رحمة [إيجاد - ١] (الرحيم) الذي ينجي من شاء من عباده في معاده .

لما ختمت طمة^١ بآذارهم بأنهم سيعلمون الشقى والسعيد ، وكان هذا العلم تارة يكون في الدنيا بكشف الحجاب بالإيمان ، وتارة بمعاينة ظهور الدين ، وتارة باحلال العذاب بازهاق الروح بقتل أو غيره ،

١٥ وتارة بيعتها يوم الدين ، افتتحت هذه بأجل ذلك وهو^٢ اليوم الذي

(١) الحادية والعشرون من سور القرآن ، مكية مع الخلاف ، وهى مائة واثنان عشرة آية في عدد الكوفى وإحدى عشرة فى عدد الباقين كما قاله الطبرسى والدانى - روح المعانى ٣٢٣/٥ (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : قسب ، وبين سطرى ظ : أى السورة (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : عن (٤) تقدم فى ظ ومد على * الحكيم * (هـ-هـ) سقط ما بين الرقنين من ظ ومد (٦) زيد من ظ ومد (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : هم .

يتم فيه كشف الغطاء فينتقل فيه الخبر من علم اليقين إلى عين اليقين
و حق اليقين وهو يوم الحساب ، فقال تعالى : ﴿ اقرب للناس ﴾ أى
عامّة أنتم وغيركم ﴿ حسابهم ﴾ أى فى يوم القيامة ؛ وأشار بصيغة
الافتعال إلى مزيد القرب لأنه لا أمة بعد هذه ينتظر أمرها ،^١ وآخر
الفاعل تهويلا لتذهب النفس فى تعيينه^٢ كل مذهب ، ويصح أن يراد ه
بالحساب الجزاء ، فيكون ذلك تهديدا بيوم بدر والفتح ونحوهما ،
و يكون المراد بالناس حيثنذ قريشا أو جميع العرب ، والحساب : إحصاء
الشيء و المجازاة عليه بخير أو شر ﴿ وهم ﴾ أى و الحال أنهم^٣ من أجل
ما فى جبلاتهم من النوس ، وهو الاضطراب الموجب لعدم الثبات على
حالة الأمن ، أنفذه الله منهم من هذا النقص و هم قليل جدا^٤ ﴿ فى غفلة ﴾ ١٠
فهى^٥ تعليل لآخر تلك على ما تراه ، لأنهم إذا نشروا علموا ، وإذا
أبادتهم الوقائع علموا هم بالموت ، و من بقى منهم بالذل المزيل لشماخة^٦
الكبر ، أهل الحق من [أهل -^٦] الباطل ، وقوله : ﴿ معرضون ﴾^٧
كالتعليل للغفلة ، أى أحاطت بهم الغفلة بسبب إعراضهم عما يأتهم منا ،
و سأتى [ما يؤيد -^٦] هذا فى قوله^٨ آخرها " بل كنا ظالمين " ١٥
و إلا فالعقول قاضية بأنه لا بد من جزاء المحسن و المسىء^٩ .

و قال الإمام أبو جعفر [ابن -^٦] الزبير فى برهانه : لما تقدم قوله

- (١) العبارة من هنا إلى « كل مذهب » - ماقطة من ظ (٢) من مد ، وفى الأصل :
تكيفه - كذا (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) بين - طرى ظ : أى
السورة (هـ) من مد ، وفى الأصل و ظ : الشماخة (٩) زيد من مد (٧) زيد فى
الأصل : وهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

سبحانه " لا تمدن عينيك - إلى قوله : فستعلون من اصحب الصراط
 سوى و من اهتدى " قال تعالى " اقرب للناس حسابهم و هم في غفلة
 معرضون " أى لا تمدن عينيك إلى ذلك فانى جعلته فتنة لمن فاله بغير
 حق ، و نسأل عن قليل ذلك و كثيره " [و - '] لتستلن يومئذ عن
 النعيم " و الامر قريب " اقرب للناس حسابهم " و أيضا فانه تعالى لما
 قال " و تنذر به قوما لدا " و هم الشديدو / الخصومة في الباطل ، [ثم - ٢]
 قال " و كم اهلكنا قبلهم من قرن " - إلى آخرها ٢ ، استدعت هذه الجملة
 بسط حال ، فابتدئت بتأنيسه عليه الصلاة و السلام و تسليته . حتى لا يشق
 عليه لددهم ، فتضمنت سورة طه من هذا الغرض بشارته بقوله " ما
 ١٠ انزلنا عليك القرآن لتشتق " و تأنيسه بقصة موسى عليه السلام و ما كان
 من حال بنى إسرائيل و انتهاء أمر فرعون و مكابدة موسى عليه السلام
 لرد فرعون و مرتكبه إلى أن وقصه الله و أهلكه ، و أورث عباده أرضهم
 و ديارهم ، ثم اتبعت بقصة آدم عليه السلام [ليرى نبيه صلى الله عليه
 و سلم سنته في عباده حتى أن آدم عليه السلام - ٢] - و إن لم يكن امتحانه
 ١٥ بذريته و لا مكابدته من * أبناء جنسه - فقد كابد من إبليس ما قصه الله
 في كتابه ، و كل هذا تأنيس للنبي صلى الله عليه و سلم ، فانه إذا
 تقرر لديه أنها سنة الله تعالى في عباده هان عليه لدد قریش

(١) زيدت الواو من ظ و القرآن الكريم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من
 ظ و مد ، وفي الأصل : آخره (٤) في ظ : استوفت (هـ) من ظ و مد ، وفي
 الأصل : في .

ومكابدتهم ، ثم ابتدئت سورة الانبياء ببقية هذا التأنيس ، فبين اقتراب الحساب ووقوع يوم الفصل المحمود فيه ثمرة ما كابد في ذات الله ، والتمنى فيه أن لو كان ذلك أكثر والمشقة أصعب لجليل الثمرة وجميل الجزاء ، ثم اتبع ذلك سبحانه بعظات ، ودلائل وبسط آيات ، وأعلم أنه سبحانه قد سبقت سنته باهلاك من لم يكن منه الإيمان من متقدمي ه القرون وسالفي الامم ” ما امنت قبلهم من قرية اهلكناها “ وفي قوله ” افهم يؤمنون “ تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر قريش ومن قبل ما الكلام بسيله . وقد تضمنت هذه السورة إلى ابتداء قصة إبراهيم عليه السلام من المواعظ والتنبية على الدلالات وتحريك العباد إلى الاعتبار بها ما يعقب لمن اعتبر به التسليم والتفويض^١ لله سبحانه ١٠ والصبر على الابتلاء وهو من مقصود السورة ، وفي قوله ” ثم صدقتهم الوعد فابحيثهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين “ إجمال لما فسره النصف الأخير من هذه السورة^٢ من تخلص الرسل عليهم السلام من قومهم وإهلاك من أسرف [وأفك - ٤] ولم يؤمن ، وفي ذكر تخلص الرسل وتأيدهم^٣ الذي تضمنه النصف الأخير من لدن قوله ” ولقد اتينا إبراهيم رشده “ ١٥ إلى آخر السورة كمال الغرض المتقدم من التأنيس وملازمة ما تضمنته سورة طه وتفسير لمجمل ” وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : من (٢) من مد ، وفي الأصل : وظ : التعريض .
(٣) زيدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ و مد فحذفناها (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد . وفي الأصل : تأيدهم .

من احد او تسمع لهم ركزا^١ - [انتهى -]^١ .

ولما أخبر سبحانه عن غفلتهم وإعراضهم ، علل^٢ ذلك بقوله :
 ﴿ ما ياتيههم ﴾^٣ وأغرق في النفي بقوله^٤ : ﴿ من ذكر ﴾ أي وحى
 يذكر^٥ بما جعل في العقول من الدلائل عليه سبحانه^٦ أو يوجب^٧ الشرف
 لمن اتبعه^٨ ﴿ من ربههم ﴾ المحسن إليهم بخلقهم وتذكيرهم ، قديم^٩ لكونه
 صفة له ﴿ محدث ﴾ إزاله ﴿ الا استمعوه ﴾ أي قصدوا سماعه^{١٠} وهو
 أجد الجد وأحق الحق^{١١} ﴿ وهم ﴾ أي والحال أنهم ﴿ يلعبون ﴾^{١٢}
 أي يفعلون فعل اللاعبين بالاستهزاء به ووضع^{١٣} [في -]^{١٤} غير مواضعه
 وجعلهم استماعهم له لإرادة الطعن فيه ، فهو^{١٥} قريب من قوله ” لا تسمعوا
 ١٠ لهذا القرآن والغوا فيه^{١٦} “ ﴿ لاهية قلوبهم ﴾ أي غارقة^{١٧} قلوبهم في
 اللهو ، مشغولة به عما حذاها إليه القرآن ، ونهبها عليه^{١٨} الفرقان ،
 وحذرها منه البيان ؛ قال الرازي في اللوامع : لاهية / : مشغلة من لهيت
 ألهى ، أو طلبة للهو ، من لهوت ألهو - انتهى . ويمكن أن يراد بالناس مع
 هذا كله العموم ويكون من باب قوله تعالى ” وما قدرُوا الله حق قدره “

/ ٤٨٩

(١) زيد من ظ و مد (٢) في مد : دل على (٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ .
 (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : مذكر (ه-ه) ما بين الرقين بياض في الأصل
 ملأناه من مد (٦) بهامش ظ : قول الشيخ ” قديم “ إشارة لقول من قال :
 يجوز أن الله تعالى تكلم بالقرآن غير مرتب الحروف دفعة واحدة فيكون قديما
 بحروفه (٧) زيد من مد (٨) من مد ، وفي الأصل و ظ : وهو (٩) سورة ٤١
 آية ٢٦ (١٠) من ظ و مد ، وفي الأصل : فارقة (١١) في مد : اليه .

و قوله

و قوله صلى الله عليه وسلم « لا أحصى ثناء عليك ، و أن يخص بالكفار .
ولما ذكر ما يظهرونه^١ في حالة الاستماع من اللهو و اللعب ، ذكر
ما يخفونه من التشاور في الصد عنه^٢ وإعمال الحيلة في^٣ التفسير منه
و التوثق من بعضهم لبعض في الثبات على المجانبة له فقال عاطفاً على
” استمعوا “ : ﴿ واسرؤا ﴾^٤ أي الناس المحدث عنهم^٥ ﴿ النجوى ﴾^٦ هـ
أي بالغوا في إسرار كلامهم بسبب الذكر ، لأن المناجاة في اللغة السر -
كذا في القاموس ، و قال الإمام أبو عبد الله القزاز في ديوانه : و النجوى :
الكلام بين اثنين كالسر و التشاور^٧ .

٧ ولما أخبر بسوء ضمائرهم ، أبدل من ضميرهم ما دل على العلة^٨
الحاملة لهم على ذلك فقال : ﴿ الذين ظلموا ﴾^٩ ثم بين ما تناجوا به فقال : ١٠
﴿ هل ﴾ أي فقالوا في تناجهم هذا ، معجيين من ادعائه النبوة مع مماثلته^{١٠}
لهم في البشرية : هل ﴿ هذا ﴾ الذي أتاكم بهذا الذكر ﴿ الا بشر مثلكم ﴾^{١١}
أي في خلقه و أخلاقه من الأكل و الشرب و الحياة و الموت ، فكيف
يختص عنكم بالرسالة ؟ ما هذا الذي جاءكم به بما لا تقدرون على مثله
(١) من ظ و مد ، و في الأصل : يظهرون (٢) العبارة من هنا إلى « المجانبة له »
ساقطة من ظ (٣) من مد ، و في الأصل « و » (٤) في مد : عطفاً ، و العبارة
من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة في ظ إلى « استمعوا » (٥ - ٥) فقط ما بين
الرفين من ظ (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : اتساول (٧-٧) ما بين الرفين
في ظ : ثم وصفهم بالعلة (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : مماثلة .

إلا سحر لاحقيقة له ، فحيثئذ تسبب عن هذا الإنكار في قولهم :
 ﴿ افقتون السحر واتم ﴾ أى و الحال أنكم ﴿ تبصرونه ﴾ بأعينكم أنه
 بشر مثلكم ، و يبصائركم أن هذه الخوارق التى يأتى بها يمكن أن تكون
 سحرا ، فيا لله العجب من قوم رأوا ما أعجزهم فلم يجوزوا أن يكون عن
 الرحمن الداعى إلى الفوز بالجنان^٢ و جزموا بأنه من انشيطان الداعى إلى
 الهوان ، باصطلاح^٣ النيران ، و العجب أيضا أنهم أنكروا الاختصاص
 بالرسالة مع مشاهدتهم لما يخص الله به بعض الناس عن بعض من الذكاء
 و الفطنة ، و حسن الخلائق و الأخلاق ، و القوة و الصحة ، و طول
 العمر و سعة الرزق - و نحو ذلك ثم القيافة و العياقة و الرجز و الكهانة ،
 ١٠ و يأتون أصحابها لسؤالهم عما عندهم من ذلك من العلم .

و لما كان الله تعالى لا يقر من كذب عليه ، فضلا عن أن يصدقه
 و يؤيده ، و لا يخفى عليه كيد حتى يلزم منه^٤ نقص ما أراده ، قال
 'دالاهم على صدقه و منبها على موضع الحجة فى أمره - على قراءة
 حمزة و الكسائى و حفص عن عاصم ، و جوابا لمن كأنه قال : فماذا
 ١٥ يقال لهؤلاء؟- على قراءة الباقيين : ﴿ قل ربى ﴾ المحسن إلى^٦ بتأيدى
 بكل ما بين صدقى و يحمل على اتباعى ﴿ يعلم القول ﴾ سواء كان^٧

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : يكون (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ :
 الجدن (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : باصلا (٤ - ٤) - سقط ما بين الرقين
 من ظ (٥) فى مد : عليه (٦) زيد فى الأصل : بتأيدى و ، و لم تكن الزيادة فى
 ظ و مد فخذها (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : كأنه .

سرا أو جهرا .

و لما كان من " يسمع من هاتين " المسافتين يسمع من أى مسافة
فرضت غيرهما قطعا ، لم يحتج إلى جمع على أنه يصح إرادة الجنس فقال :
(في السماء والارض) على حد سواء . لأنه لا مسافة بينه وبين
أشياء من ذلك (وهو) أى وحده (السميع العليم) يسمع ٥ / ٤٩٠
كل ما يمكن سماعه . ويعلم كل ما يمكن عليه من القول وغيره . فهو
يسمع سركم . ويطلع مكركم . ويسمع ما أنسبه إليه من هذا الذكر ،
فلو لم يكن عنه لزول " نى " ، وقد جرت سنته القديمة في الأولين ، باهلاك
المكذبين . وتأيد الصادقين ، وإنجائهم من زمن " نوح عليه السلام
إلى هذا الزمان ولعله بحال الفريقين . وستعلمون لمن تكون له " العاقبة . ١٠
وقد أشار إلى هذا في هؤلاء الأنبياء عليهم السلام : الذين دل بقصصهم
في هذه السورة على ما تقدمها من الأحكام والقضايا " وكنا به
علمين " " اذ قال لآلئيه وقومه وكنا لحكمهم شهدين " و " كنا بكل
شيء علمين " " وان ادري اقريب ام يبعد ما توعدون " " انه يعلم
الجهر من القول ويعلم ما تكتمون " " ان الارض يرثها عبادى ١٥
الصلحون " " ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم " .

(١) العبارة من هنا إلى « الجنس فقال » ساقطة من ظ (٢-٢) من مد ، وفي
الأصل : يستمع ما بين (٣-٣) من ظ و مد ، في الأصل : لم يكن (٤) من مد ،
وفي الأصل وظ : تزل (ه) ساقطة من مد (٦) زيدت او او بعده في الأصل .
ولم تكن في ظ و مد لحدوثها .

ولما كانت أقوالهم في أمر القرآن قد اضطربت، والاضطراب من أمارات الباطل، وكان وصفهم له بأنه محرما يهول السامع ويعلم منه^١ أنه معجز، فرمما أدى إلى الاستبصار في أمره، أخبر أنهم نزلوا به عن رتبة السحر على سبيل الاضطراب فقال: ﴿بل قالوا﴾ أى عن هذا الذكر الحكيم أنه ﴿اضغات احلام﴾ أى تخاليط قائم مبناه الباطل وإن كان ربما صدق بالإخبار ببعض المغيبات التى كشف الزمان عن أنها كما أخبر القرآن، ثم نزلوا عن ذلك إلى وصف موجب لأعظم النفرة عنه [و-^٢] عمن ظهر عنه فقالوا: ﴿بل اقترابه﴾ [أى-^٣] ^٢تعمد وصفه^٢ من عند نفسه ونسبه إلى الله.

١٠ ولما كان ذلك^٤ لا ينافى كون مضمونه^٥ صادقا في نفسه، قالوا: ﴿بل هو شاعر مج﴾ أى يخيل ما لا حقيقة له كغيره من الشعراء، تربص^٦ به ريب المتون لأنه بشر كما تقدم، فلا بد أن يموت ونستريح بعد موته، وإليه أشار في^٧ آخر التى قبلها "قل كل متربص" إلى آخره، فاضطربت أقوالهم وعولوا أخيرا على قريب من السحر فى نقي الحقيقة.

١٥ ولما كانوا يصفون القرآن بجميع هذه الأوصاف جملته، يقولون لكل شخص ما رآه أنسب له منها، به الله سبحانه كل من له لب على طلائنها كلها^٨ بتناقضها بحرف الإضراب^٩ إشارة إلى أنه كان يجب على

(١) سقط من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣-٢) سقط ما بين الرقين من ظ .
(٤) بين سطرى ظ : أى كونه مفترى (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: مضمون.
(٦) من مد، وفى الأصل: يتربص، وفى ظ غير منقوط (٧) فى ظ : الاضطراب.

من قالها على قلة عقله و عدم حياته أن لا ينتقل إلى قول منها إلا بعد الإعراض عن الذى قبله ، و أنه بما يضرب عنه لكونه غلطاً ، ما قيل إلا عن سبق لسان و عدم تأمل^١. سترنا لعناده و تدليسا لفجوره ، و لو فعل ذلك لكانت جديرة بانكشاف بطلانها بمجرد الانتقال فكيف عند اجتماعها^٢. و لما كانت نسبتة إلى الشعر أضعفها شأنًا ، و أوضحها بطلانًا ، ه لم يحتج إلى إضراب^٣ عنه ، و عبروا فى الأضغاث بوصف القرآن تأكيداً لعيبه^٤ ، و فى الافتراء و الشعر بوصفه صلى الله عليه و سلم لذلك^٥ .

و لما أنتج لهم ذلك على زعمهم القدح فى أعظم المعجزات ، سيوا عن هذا القدح طلب آية فقالوا : ﴿ فلياتنا ﴾ أى دليلاً على رسالته

/ ﴿ بآية ﴾ أى لانا قد بينا بطلتنا أن القرآن ليس بآية ؛ ثم خيلوا النصفة ١٠ / ٤٩١

بقولهم : ﴿ كما ﴾^٦ أى مثل ما ، و بنوا الفعل للفعل إشارة إلى أنه متى

صحّت الرسالة كان ذلك بزعمهم من غير تخلف لشيء أصلاً فقالوا^٧ :

﴿ ارسل الاولون ﴾^٨ أى بالآيات مثل تسييح الجبال ، و تسخير الريح ،

و تفجير الماء ، و إحياء الموتى ، و هذا تناقض آخر فى اعترافهم برسالة

الاولين مع معرفتهم أنهم بشر ، و إنكارهم رسالته صلى الله عليه و سلم ١٥

لكونه بشراً ، و لم يستحيوا^٩ بعد التناقض^{١٠} من المكابرة فيما أتاهم به من

(١) قد مد : التامل (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اجتماعها (٣) من ظ و مد ،

و فى الأصل : اضطراب (٤) بين سطرى ظ : القرآن (٥) من ظ و مد ، و فى

الأصل : بذلك ؛ و بين سطرى ظ : للتأكيد (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ .

انشقاق القمر، وتسيح الحصى، ونبع الماء. و القرآن المعجز، مع كونه أميا - إلى غير ذلك .

ولما أشار سبحانه إلى فساد طعنهم بما جعله هباء مشورا، وتضمن قولهم الذى سبوه عنه^٥ القرار بالرسل البشريين وآياتهم، أتبعه بيان ما عليهم فيه، فبين أولا أن الآيات تكون سببا للهلاك، فقال جوابا لمن^٥ كأنه قال: رب أجهم^٦ إلى ما^٧ اقترحوه ليؤمنوا: ﴿ مَا آمَنْتَ ﴾ أى بالإجابة إلى الآيات المقترحات .

ولما كان المراد استغراق الزمان، جرد الظرف عن الخافض فقال:
﴿ فبلمهم ﴾ أى قبل كفار مكة المقترحين عليك، وأغرق في النفي فقال:
﴿ من قرية ﴾^{١٠} ولما كان المقصود التهويل في الإهلاك، وكان إهلاك القرية دالا على إهلاك أهلها من غير عكس^{١١}، دل على إهلاك جميع المقترحين تحديرا من مثل حالهم بوصفها بقوله في مظهر العظمة [المقتضى -^٧] لإهلاك المعاندين: ﴿ اهْلِكْنَاهَا ﴾ أى على كثرتهم "وكم اهْلِكْنَا من القرون من بعد نوح"، "وما اهْلِكْنَا من قرية الا لها منذر" ١٥ "وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا" ١٦ ما من الأنبياء

(١) بين سطرى ظ: الطعن (٢) زيد في الأصل: كان، ولم تكن الزيادة في ظ ومد لخدفتاها (٣-٢) من ظ و مد، وفي الأصل: لما (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥-٥) ما بين الرقين في ظ: ثم (٦) العبارة من هنا إلى «المعاندين» ساقطة من ظ (٧) زيد من مد (٨) سقطت الواو من مد، والحديث رواه البخارى وقد مر عليه التعليق .

نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وأشار بذلك^١ إلى أنه لم يسلم عند البأس إلا قرية واحدة وهم قوم يونس لأنهم آمنوا عند رؤية المخايل^٢ وقيل الشروع في الإهلاك ، [وهو إشارة إلى أن سبب الإيمان مشيئته سبحانه لا الآيات -^٣] .

ولما كانوا كمن قبلهم إن لم يكونوا دونهم ، حسن الإنكار في قوله : هـ (افهم يؤمنون هـ) أى كلا بل لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الآليم حين لا ينفع الإيمان ،^٤ وقد قضينا في الأزل أن لا نستأصل هذه الأمة إكراما لنيها ، فتحن لا يجيهم إلى المقترحات لذلك^٥ .

ولما بين أولا أن الآيات تكون سببا للإهلاك ، فلا فائدة [لهم -^٦] في الإجابة إلى ما اقترحوه منها بعد بطلان ما قدحوا به [في -^٧] القرآن ، بين ١٠ ثانيا بطلان ما قدحوا به في الرسول بكونه بشرا ، بأن الرسل الذين كانوا من قبله كانوا باقراهم من جنسه ، فما لهم أن ينكروا رسالته وهو مثلهم ، بل عليهم أن يعترفوا^٨ له عند ما أظهر من المعجز كما اعترفوا لأولئك ، كل ذلك فطما^٩ عن أن يتمنى أحد إجابتهم إلى التأييد بملك ظاهر ، فقال عاطفا على " ما^{١٠} امت^{١١} " : (و ما أرسلنا) . ١٥

ولما كان السياق لإنكار أن يكون النبي بشرا ، وكان الدهر كله ما خلا قط جزء منه^{١٢} من رسالة^{١٣} ، إما برسول قائم . ولما بتناقل أخباره ،

(١) بين سطرى ظ : أى بتقييدها بالإهلاك (٢) بين سطرى ظ : المظان (٣) زيد من مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : يعترفوا (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : عظيما ؛ وبين سطرى ظ : منعا (٨) سقط من مد (٩-٩) من ظ و مد ، وفي الأصل : برسالة .

كان تعميم الزمان أنسب فقال من غير حرف [جر - '] : ﴿ قبلك ﴾
 أى فى جميع الزمان الذى^١ تقدم زمانك فى جميع طوائف البشر
 ﴿ الارجالا نوحى اليهم ﴾ بالملائكة سرا من غير أن يطلع / على ذلك
 الملك غيرهم^٢ كما اقتضته العظمة من التخصيص والاختيار^٣ و الإسرار
 ه عن الأغيار ، وذلك من نعم الله على خلقه ، لأن جعل الرسل من البشر
 أمكن للتلق منهم و الأخذ عنهم .

/ ٤٩٢

ولما لم يكن لهم طريق فى علم هذا إن لم يقبلوا خبره عن القرآن
 إلا سؤال من كانوا يفزعون إليهم من أهل الكتاب ليشايعهم^٤ على
 ما هم عليه من الشك و الارتياب ، قال : ﴿ فسلوا أهل الذكر ﴾ ثم نبه
 ١ على أنهم غير محتاجين فيه^٥ إلى السؤال بما كان قد بلغهم على الآجال من
 أحوال موسى و عيسى و إبراهيم و إسماعيل و غيرهم عليهم الصلاة و السلام
 بقوله ، معبرا بأداة الشك محركا لهم إلى المعالى : ﴿ ان كنتم ﴾^٦ أى بجلالتكم^٧
 ﴿ لا تعلمون ﴾ أى لا أهلية لكم فى اقتناص علم ، بل كنتم أهل تقليد
 محض و تبع صرف .

١٥ ولما بين أنه على سنة من مضى من الرسل فى كونه رجلا ، بين

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى الأصل بعده : تقدم زمان ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٣) العبارة من هنا إلى « الأغيار » ساقطة من ظ .
 (٤) من مد ، وفى الأصل : الاختيار (٥) من مد ، وفى الأصل : ليتابعوهم ،
 و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ إلى « و الارتياب » (٦) بين
 سطرى ظ : العلم (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ .

أنه على سنتهم في جميع الأوصاف التي حكم بها على البشر من العيش
والموت فقال: ﴿ وما جعلتهم ﴾ ١ أى الرسل الذين اخترنا بعثهم إلى
الناس ليأمرهم بأوامرنا . ولما كان السبب في الأكل ترتيب هذا
الهيكال الحيوانى على ما هو عليه لا كونه متكثرا ، وحد فقال: ﴿ جسدا ﴾
[أى ذوى جسد لحم ودم - ٢] متصفين بأنهم ﴿ لا ياكلون الطعام ﴾ ٥
بل جعلناهم أجسادا يأكلون ويشربون ، وليس ذلك بمانع من إرسالهم ؛
قال ابن فارس في المجمل: [و - ٢] فى كتاب الخليل: إن الجسد
لا يقال لغير الإنسان من خلق الأرض . ثم عطف على الأول قوله :
﴿ وما كانوا خالدين ﴾ ٥ أى بأجسادهم ١ ، بل ماتوا كما مات الناس
قبلهم وبعدهم . ١ أى لم يكن ذلك فى جبلتهم ١ وإنما تميزوا عن الناس ١٠
بما يأتيهم عن الله سبحانه ، ورسولكم صلى الله عليه وسلم ليس بخالد ،
فتربصوا كما أشار إليه ختم طه فانه متربص بكم وأنتم عاصون للملك الذى
اقرب حسابه لخلقته وهو مطيع له ، فأياكم أحق بالامن ؟

ولما بين أن الرسل كالمُرسل إليهم بشر غير خالدين ، بين سنته
فيهم وفى أهمهم ترغيبا لمن اتبع . وترهيبا لمن امتنع ، فقال عاطفا بأداة ١٥
التراخى فى مظهر العظمة على ما ٢ أرشد إليه ٣ التقدير من مثل : بل جعلناهم

(١-١) سقط مسابين الرقين من ظ (٢) ريد من مد (٣) العبارة من هنا إلى
« خلق الأرض » ساقطة من ظ (٤) من مد ، وفى الأصل : لان (٥) من مد ،
وفى الأصل : بغير (٦) بين سطرى ظ : أى الكلام الأول (٧-٧) من ظ ومد ،
وفى الأصل : ارسل عليه .

جسدا يأكلون و يشربون . و يعيشون إلى انقضاء آجالهم و يموتون ،
 و أرسلناهم إلى أمهم فخذروهم و أنذروهم و كلوهم^١ كما أمرناهم ، و وعدناهم
 أن من آمن بهم أسعدناه ، و من كفر و استمر أشقيناه ، و أنا نهلك
 من أردنا من المكذبين ، فآمن بهم بعض و كفر آخرون ؛ فلم نعالجهم
 ٥ بالأخذ بل صبرنا عليهم ، و طال بلاء رسلنا بهم (ثم صدقناهم)^٢ بما
 اقتضت عظمتنا ، و أكد الأمر بتعدية الفعل من غير حرف الجر فقال^٣ :
 (الوعد)^٤ أى باجرائهم^٥ ؛ و أشار بأداة التراخي إلى أنهم طال بلاؤهم
 بهم و صبرهم عليهم ، ثم أحل بهم سطوته ، و أراهم عظمتهم ، و لذا قال
 مسييا عن ذلك : (فانجيئهم) أى الرسل بعظمتنا^٦ ، [و لكون السياق
 ١٠ لأنهم فى غاية الغفلة التى نشأ عنها التكذيب البليغ الذى اقتضى تنويع
 القول به إلى سحر و أضغاث و افراء و شعر ، فاقضى مقابلته بصدق الوعد
 منه سبحانه ، عبر بالإنجاء الذى هو إقلاص من وجدة العذاب فى غاية
 السرعة -]^٧ (و من نشأ) أى من تابعيهم .^٨ [إشارة إلى أن سبب
 الإنجاء المشيئة لا أن^٩ التصديق موجب له ، لأنه لا يجب عليه سبحانه
 ١٥ و تعالى شئ^{١٠} (و اهلكنا) [أى بما يقتضيه الحكمة -]^{١١} (المسرفين)^{١٢}
 كلهم الذين علمنا أن الإسراف لهم وصف لازم لا ينفكون / عنه .

/ ٤٩٣

(١) من مد ، وفى الأصل و ظ : علوهم (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ .
 (٣) سقط من ظ (٤) زيد من مد (٥) العبارة من هنا إلى « و تعالى شئ » .
 ساقطة من ظ (٦-٦) من مد ، وفى الأصل : لاف (٧) مب من مد ، وفى
 الأصل : شيب .

و لما انقضى ما لزمهم بسبب الإقرار برسلية البشر من الإقرار برسلية
رسولهم صلى الله عليه وسلم لكونه مساويا لهم في النوع و الإتيان بالمعجز ،
و ما فعل بهم و بأئمتهم ترغيبا و ترهيبا . و ختم ذلك بأنه أباد المسرفين ،
و محاذركم إلا بالبشر ، التفت إلى الذكر الذى طعنوا فيه . فقال مجيبا
لمن كأنه قال : هذا الجواب عن الطعن فى الرسول قد عرف ، فإ الجواب ه
عن الطعن فى الذكر ؟ معرضا عن جوابهم لما تقدم من الإشارة بحرف
الإضراب^١ إلى أن ما طعنوا به فيه لا يقوله عاقل ، مبينا لما^٢ لهم فيه من
الغبطة التى هم لها رادون ، و النعمة التى هم بها كافرون : ﴿ لقد ﴾ أى و عزتنا
أقد^٣ ﴿ انزلنا ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ اليكم ﴾ يامعشر قريش بل العرب
قاطبة ﴿ كتبنا ﴾ أى جامعا لجميع المحاسن لا يغسله الماء و لا يحرقه^٤ النار .
﴿ فيه ذكركم ﴾ طوال الدهر بالخير إن أطعتم ، و الشر إن عصيتم ، و به
شرفكم على سائر الأمم بشرف ما فيه من مكارم الاخلاق التى كنتم
تتفاخرون بها^٥ و بشرف نبيكم الذى تقولون عليه الأباطيل ، و تكثرون
فيه القال و القيل .

و لما تم ذلك^٦ على هذا الوجه ، نه أنه يتعين على كل ذى لب ١٥
الإقبال عليه و المسارعة إليه . فحسن جدا قوله منكرا عليهم منها على أن
علم ذلك لا يحتاج إلى غير العقل المجرد عن الهوى : ﴿ افلا تعقلون ﴾ .

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاضطراب (٢) فى مد : ما (٣) سقط من
مد (٤) بين سطرى ظ : لرسوخه فى انقلوب (٥ - ٥) سقط ما بين الرقنين من
ظ (٦) بين سطرى ظ : أى الجواب عن القرآن .

ولما كان التقدير: فان عدلتم بقبوله^١ شرفناكم. وإن ظلمتم برده عنادا
 أهلكناكم كما أهلكنا من كان قبلكم، عطف عليه قوله: ﴿وكم قصمنا﴾
^٢ أى بعظمتنا^٢ ﴿من قرية﴾ جعلناها كالشيء اليابس الذى كسر قبايئت
 أجزاءه، والإناء الذى فت فانكسب ماؤه؛ وأشار بالقصم^٣ الذى هو^٤ أظنع
 هـ الكسر إلى أنها كانت باجتماع الكلمة وشدة الشكيمة كالحجر الرخام فى
 الصلابة والقوة. و'كم' فى هذا السياق يقتضى الكثرة، ثم علل إهلاكها
 [واتقأها - °] بقوله: ﴿كانت ظالمة﴾ ثم بين الغنى عنها بقوله:
 ﴿وانشأنا﴾^٥ أى بعظمتنا.

ولما كان الدهر لم يخل^٦ قط بعد آدم من إنشاء^٧ وإفناء^٨، فكان
 ١٠ المراد أن الإنشاء بعد الإهلاك يستغرق الزمان على التعاقب، بيانا لأن
 المهلكين ضروا أنفسهم من غير افتقار إليهم، أسقط الجار فقال:
 ﴿بعدها قوما﴾^٩ أى أقوياء، وحقق أنهم لاقاربة قرية بينهم بقوله^{١٠}:
 ﴿الآخرين هـ﴾ ثم بين حالها عند إحلال البأس بها فقال: ﴿فلما احسوا﴾
 أى أدرك أهلها بجوارحهم ﴿باسنا﴾ أى بما فيه^{١١} من العظمة ﴿إذا هم﴾

(.) زيد فى الأصل: بقوله، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٢-٢) سقط
 ما بين الرتين من ظ (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: بالقصى، والعبرة من
 بعده إلى: أظنع الكسر. ساقطة من ظ (٤) زيد فى الأصل: اعظم، ولم تكن
 الزيادة فى مد فحذفناها (٥) زيد من مد (٦) العبرة من هنا إلى «الجار فقال»
 ساقطة من ظ (٧) من مد، وفى الأصل: لم يخلوا (٨-٨) بياض فى الأصل،
 ملأناه من مد (٩) زيد فى الأصل: أهلاكها، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد
 فحذفناها (١٠) سقط من مد.

'أى من غير توقف' أصلا (منها) 'أى القرية' (يركضون هـ)
 هارين عنها 'مرعين' كن يركض الخيل - أى يحركها - للعدو، بعد
 تجبرهم على الرسل وقولهم لهم " لنخرجكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا "
 فنأداهم لسان الحال 'تقريبا و تبشيعا لحالهم و تفضيعا': (لا تركضوا)
 'و صور التهمك بهم بأعظم صورته فقال': (و ارجعوا) إلى قريبتكم ه
 (إلى ما) .

و لما كان التأسيف إنما هو على العيش الرافه لا على كونه من
 معط معين، بنى للفعول قوله: (اترقتم فيه) أى^٦ منها،^٧ و يجوز أن
 يكون بنى للجهول إشارة إلى [غفلتهم عن العلم لمن أترفهم أو إلى -^٨]
 أنهم كانوا ينسبون [نعمتهم -^٩] إلى قواهم، و لو عدوها من الله ١٠
 لشكروه فنفعمهم^{١٠} / و لما كان أعظم ما يؤسف عليه بعد العيش الناعم
 المسكن، قال -^٨ : (و مسكنكم) أى^٦ التى كنتم تفتخرون بها على
 الضعفاء من عبادى بما^{١١} أنقتم من بنائها، و أوسعتم من فنائها، و علمتم
 من مقاعدها، و حسنتم من مشاهدتها و معاهدها (لعلكم تسئلونه) فى
 (١) العبارة من هنا إلى « أصلا » ساقطة من ظ (٢) بياض فى الأصل، ملأناه
 من مد (٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٤-٤) ما بين الرقين بياض فى الأصل
 ملأناه من مد (٥) العبارة من هنا إلى « للفعول قوله » ساقطة من ظ (٦) سقط
 من ظ (٧) العبارة من هنا إلى « فنفعمهم » ساقطة من ظ (٨) زيد من مد .
 (٩-٩) من مد، و فى الأصل: يشكروه فنفعمهم؛ و العبارة من « بنى للجهول »
 إلى هنا متكررة فى الأصل فقط (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: ما .

الإيمان بما كنتم تسألون . فتابوا بما عندكم من الآتفة ومزيد الحية
و العظمة ، أو تسألون في الحوائج والمهمات ، كما يكون الرؤساء في مقاعد
العية ، ومراتبهم البهية ، فيجيئون سائلهم بما شاؤوا على تودة وأحوال
مهل تخالف أحوال الراكض العجل " أو لم تكونوا اقستم من قبل ما لكم
ه من زوال " .

و لما كان كأنه قيل : بما اجابوا هذا المقال ؟ قيل : ﴿ قالوا ﴾ حين
لا نفع لقولهم عند نزول البأس : ﴿ يويلنا ﴾ إشارة إلى أنه حل بهم
لأنه لا ينادى إلا القريب ، وترفعاله كما يقول الشخص لمن يضربه :
يا سيدي - كأنه يستغيث به ليكف عنه ، وذلك غباوة منهم ، وعى عن
١٠ الذى أحله بهم ، لأنهم كالبهايم لا ينظرون إلا السبب الأقرب ، ثم عللوا
حلوله بهم تأكيذا لترفعهم بقولهم : ﴿ انا كنا ﴾ أى جبلة [لنا -^٨
وطبعا ﴾ ﴿ ظلمين ه ﴾ حيث كذبنا الرسل ، وعصينا أمر ربنا ، فاعترفوا
حيث لم ينفعهم الاعتراف لفوات محله ^٩ ﴿ فإ ﴾ أى قتسب عن
إحلالنا ذلك البأس بهم أنه ما ﴿ زالت تلك ﴾ أى الدعوة البعيدة عن
د الخير والسلامة . وهى قولهم : يا ويلنا ﴿ دعواهم ﴾ " يرددونها لا يكون

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : كما (٢-٣) تكرر ما بين الرقين فى الأصل
فقط بعد « جبلة لنا وطبعا » (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : حربه (٤) من ظ
و مد ، وفى الأصل : الاقربون (٥-٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : حلولهم
به (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : لتوقفهم (٧) العبارة من هنا إلى « وطبعا »
ساقطة من ظ (٨) زيد من مد (٩-٩) سقط ما بين الرقين من ظ (١٠) العبارة
من هنا إلى « غيرها » ساقطة من ظ .

[دعوى - '] لهم غيرها ، لأن الويل ملازم لهم غير منفك عنهم ، وترفعهم له غير نافعهم (حتى جعلتهم)^٢ بما لنا من العظمة^٣ (حصيدا) كالزرع المحصود .

و لما كان هذا وما بعده [مثل - '] حلو حامض في الرمان ، جملا خبرا واحدا ليكون ' جعل ' مقتصرا على مفعولين فقال : ه (خامدين *)^٤ أى جامعين^٥ للانقطاع والخفوت ، لاحتكاكهم ولاصوت ، كالنار المضطربة^٦ إذا بطل لهيئتها ثم جبرها وصارت رمادا ، ولم يك^٧ ينفعهم إيمانهم واعترافهم بالظلم وخضوعهم لما رأوا بأسنا .
و لما ذمهم باللعب و بين أنه يفعل في^٨ إهلاك الظالم وإجاء العدل فعل الجاذ^٩ باحقاق الحق بالانتقام لأهله ، وإزهاق الباطل باجتثاثه^{١٠} من أصله ، فكان التقدير : وما ينبغي لنا أن تفعل غير ذلك من أفعال الحكمة العرية عن اللعب ، [فلم نخلق الناس عبثا يعصوتنا ولا يؤاخذون - '] ، عطف عليه قوله : (وما خلقنا)^{١١} أى بعظمتنا التي تقتضى الجد ولا بد .
و لما كان خلق سماء واحدة يكفى في الدلالة على الحكمة فكيف بأكثر منها ! و حد فقال :^{١٢} (السماء) أى على علوها وإحكامها^{١٥}

- (١) زيد من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) العبارة من هنا إلى « مفعولين فقال » ساقطة من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « والخفوت » ساقطة من ظ (٥) من مد ، وفي الأصل : جامعة (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : المضربة .
(٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : لم يكن (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : بي .
(٩) بهامش ظ : أى الرجل العدل (١٠) من ظ و مد ، وفي الأصل : الجار .
(١١) بين سطرى ظ : انتطاعه .

(و الارض) على عظمتها واتساعها (و ما بينهما) مما دبرناه تمام
 المنافع من أصناف البدائع و غرائب الصنائع (لعين ه) غير مردين
 بذلك تحقيق الحقائق و إبطال الأباطيل ، بل خلقنا [لكم - ٢] ذلك آية
 عظيمة كافية في الوصول إلينا ليظهر العدل في جزاء كل بما يستحق ،
 ه مشحونة بما يقوت الأجسام ، و يهيج النفوس ، و يشرح الصدور . و يروح
 الأرواح و يبعث إلى الاعتبار . كل من له استبصار ، للدلالة على حكمتنا
 و وجوب وحدانيتنا فاتخذتم أنتم ما زاد على الحاجة لها صاددا عن
 الخير ، داعيا إلى الضير .

/ ٤٩٥

و لما نفى عنه اللعب ، أتبعه دليله فقال : (لو اردنا) / ٦ أى [على - ١]
 ١٠ عظمتنا (ان نتخذ لها) يكون لنا و منسوباً في لهوهِ إلينا ، ٨ و اللهو
 - قال الأصمهباني : صرف الهم عن النفس بالقبيح . (لا نخذه) أى
 بما لنا من العظمة (من لدنا) أى مما يليق أن ينسب إلى حضرتنا
 ٤ بما لنا من تمام القدرة و كمال العظمة ، و باهر الجلالة و الحكمة ، و ذلك
 بأن يكون محض لهو لا جد فيه أصلاً ، و لا يخلطه شيء من الكدر ،

(١) من مد . وفي الأصل : المنافع ؛ و العبارة من « من أصناف » إلى هنا ساقطة
 من ظ و متكررة في الأصل « مد » ولا يؤخذون ص ٣٩٧ س ١٢ (٢) بين سطرى
 ظ : أى خلق السواوات و الأرض و ما بينهما (٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٥) - فقط
 ما بين الرقيين من ظ (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : ما زال (٦) العبارة
 من هنا إلى « عظمتنا » ساقطة من ظ (٧) زيد من مد (٨) العبارة من هنا إلى
 « بالقبيح » ساقطة من ظ (٩) من مد ، وفي الأصل : الاصمهباني .

ولا يتوقف من براه في تسميته لهوا^١ . لا يكون له عنده اسم غير ذلك كما لو أن شمسا أخرى وجدت لم يتوقف أحد في تسميتها شمسا كما قال تعالى في السورة الماضية " وقد أتيناك من لدنا ذكرا " أى فهو بحيث لا يتوقف أحد في أنه من عندنا . وأنه ذكر و موعظة كما مضى ، لكننا لم نرد ذلك فلم يكن . وما اتخذتموه لهوا فانا خلقناه لغير ذلك بدليل ، ما فيه من الشواغل و المنغصات و القواطع فاتخذتموه أنتم من عند أنفسكم لهوا . مكان أكثره لكم ضرا و عليكم شرا ، و خص الحرالى "عند" بما ظهر . و "لدن" بما بطن . فعلى هذا يكون المراد : من حضرتنا الخاصة بنا الحفية التى لا يطالع عليها غيرنا . لأن ما لملك لا يكون مبتدلا ، و كذلك لم يذكر إلا ما يتحقق المكذبون بالبعث رؤيته^٢ فوحد ١٠ السماء هنا وجمعها في غير هذا الموضع لاقتضاء الحال ذلك .

ولما كان هذا مما ينبغى أن تنزه الحضرة القدوسية عنه وعن مجرد ذكره ولو على سبيل "فرض" ، أشار إلى ذلك بأداة شرط أخرى فقال : (ان كنا فعلاين) أى له . ولكنه لا يليق بجناتنا فلم تفعله و لا نكون فاعلين له (بل)^٣ و إشعار لهذا المعنى بالقذف و الدمغ تصويرا للحق ١٥ يجعل الحق كأنه جرم صلب كالصخرة قذف بها على جرم رخو^٤

(١) زبدت الواو في الأصل ، ولم تكن في ظ و مد فخذناها (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : برويته (٣) العبارة من هنا إلى « أجوف فقال » - انقطة من ظ . (٤) في مد : بالقذف (هـ) من مد ، وفي الأصل : حزم (٦ - ٧) ما بين الرقيين بياض في الأصل ملأناه من مد .

يف قال: ﴿نقذ﴾ أى إنما شأننا أن نرمى رميا شديدا ﴿بالحق﴾ الذى هو هذا الذكر الحكيم الذى أنزلناه جدا كله واثبتا جميعه لا هو فيه ولا باطل . ولا هو مقارب لشيء منها ، ^١ ولا تقدرُونَ أن تتخذوا شيئا منه ^٢ لهُوا اتخذوا يطابقكم عليه منصف ، فنحن نقذف به ﴿على الباطل﴾ الذى أحدثموه من عند أنفسكم ﴿فيدمغه﴾ أى فيمحقه محق المكسور الدماغ ﴿فاذا هو﴾ فى الحال ﴿زاهق ^٣﴾ أى ذاهب الروح أى هالك ؛ ثم عطف على ما أفادته 'إذا' قوله : ﴿ولكم﴾ أى وإذا لكم ^٤ أيها المبطلون ^٥ ﴿الويل لما تصفون ^٥﴾ أى من وصفكم لكل شيء ^٦ بما تهوى أنفسكم من غير إذن منا ^٧ [لكم - ^٨] ، لأنكم لا تقفون على حقائق الأمور . فان وصفتم القرآن بشيء مما تقدم ثم قذفنا عليه بما بين ^٩ بطلانه ، بان لكل عاقل أنه يجب عليكم ان تنادموا الويل بملككم ^{١٠} كل الليل ، وإن وصفتم الله أو الدنيا أو غيرهما فكذلك إنما أنتم متعلقون بقشور و ظواهر لا يرضاها إلا بعيد عن العقل محجوب عن الإدراك ^{١١} ثم عطف أيضا على ما لزم من ذلك القذف قوله : ﴿وله من فى السموات﴾ أى الاجرام العالية وهى ^{١٢} ما تحت العرش . و جمع السهام هنا ^{١٣} لاقتضاء تعميم الملك ذلك .

ولما كانت عقولهم لا تدرك تعدد الأراضى ، وحدث فقال ^{١٤} :

(١-١) من ظ و مد ، وفى الأصل : لا يقدرُوا ان يتخذوا منه شيئا (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) زيد من مد (٤) من ظ و مد . وفى الأصل : تبين . (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : يميل بكم (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : غيرها . (٧) سقط من ظ (٨) زيد فى مد : معيدا للوصول تأكيداً للإشارة إلى ما يلزمهم من ادعاء أن ما دعوه شريكا إما أن لا يكون له ، وإما أن يكون المملوك شريكا . وكلاهما لا يعقل ، ومن فى .

(و الارض^١) [أى ومن فيها -^١] ، وذلك شامل - على أن التعبير [بمن -^٢] لتغليب العقلاء - للسموات والارض ، لأن الارض فى السموات ، / وكل سماء فى التى فوقها ، والعليا فى العرش وهو سبحانه ذو العرش العظيم - كما سيأتى قريبا ، فدل ذلك دلالة عقلية على أنه مالك الكل وملكه^٣ .

و لما كانوا يصفون الملائكة بما لهم^٤ الويل من وصفه ، خصهم بالذكر معبرا عن خصوصيتهم وقربهم بالعندية^٥ تمثيلا بما نعرف من أصفاء الملوك عند التعبير بعند من مجرد القرب فى المكاة لا فى المكان^٦ فقال : (ومن عنده^٧) أى [هم له -^٨] حال كونهم لا (يستكبرون عن عبادته) بنوع كبر طلبا ولا إيجادا (ولا يستحشرون^٩) أى ولا يطلبون أن ١٠ يقطعوا عن ذلك فأتج ذلك قوله : (يسبحون) أى يزهون^{١١} المستحق للتنزيه بأنواع التنزيه من الأقوال والأفعال^{١٢} [التى هى عادة ، فهى مقتضية مسح نفي النقائص إثبات الكمال -^{١٣}] (الليل والنهار) أى [فى جميع آناهما -^{١٤}] دائما . [ولما لم يصرح هنا بانكار منهم ، ولا ما يستلزمه^{١٥} من الاستكبار ، لم يؤكد ولا عطف ١٥ بالواو فقال -^{١٦}] : (لا يفترون^{١٧}) عن ذلك فى وقت من الاوقات [بخلاف ما فى "فصلت"^{١٨} ، فان الامر فيها مبنى على حد استكبارهم المستلزم

(١) زيد من ظ (٢) زيد من ظ ومد (٣) زيد فى ظ : ملكها (٤) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحدفناها (٥ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) زيد من مد (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : يسبحون . (٨) آية ٣٨ .

لأنكارهم المقتضى للتأكيد - [١] ، وكل هذا في حيز 'إذا' أى إذا أنزلنا
 شيئا من القرآن منها على أقاويلكم مينا لا باطل لكم ، فاجأه ظهور الزهوق
 للباطل ، والويل لكم والملك له سبحانه منزها عن كل نقص [ثابتا له
 بالعبادة كل كمال - [١] ، ويجوز أن يعطف على "نقذف" .

و لما كانوا عند هذا اليان جديرين بأن يادروا إلى التوحيد
 فلم يفعلوا ، كانوا حقيقين - بعد الإعراض عنهم - بالتوبيخ والتهكم والتعنيف
 فقال تعالى : ﴿ ام اتخذوا ﴾ أى أعلوا أن كل شيء تحت قهره نافذ
 فيه أمره فرجعوا عن ضلالهم ، أم لم يعلوه ، أو علوا ، ما ينافيه فاتخذوا
 ﴿ الهة ﴾ .

١٠. و لما كانت معبوداتهم أصناما أرضية من حجارة ونحوها قال :

﴿ من الارض ﴾ [أى - ١] التى هم مشاهدون لأنها وكل ما فيها طوع
 مشيئة ﴿ هم ﴾ أى خاصة ٢ ﴿ ينشرون ﴾ أى يحيون شيئا مما فيها من
 الاجسام النامية حتى يستحقوا بذلك صفة الإلهية ، وإفادة السياق
 المحصر تفيد أنه لو وقع الإنشاء لاحد على وجه يجوز مشاركة غيره له

١٥ لم يستحق العبادة ، وفى هذا الاستفهام تهكم بهم بالإشارة إلى أنهم عبدوا

ما هو ٤ [من - ١] أدنى ما فى الأرض مع أنه ليس فى الأرض
 ما يستحق أن يعبد ، لأن الإنسان أشرف ما فيها ، ولا يخفى ما له من

(١) زيد من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقنين من ظ (٣) من ظ و مد ، وفى
 الأصل : التضييق (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : علوه (٥) العبارة من هنا
 إلى ٥ الرتبة الشله ، ساقطة من ظ (٦) من مد ، وفى الأصل : افاد (٧) من
 مد ، وفى الأصل : بمشاركة (٨) من مد ، وفى الأصل : هم .

الحاجة المبددة من تلك الرتبة الشيء .

ولما كان الجواب قطعا : لم يتخذوا آلهة بهذا الوصف ، ولا شيء غيره سبحانه يستحق وصف الإلهية ، أقام البرهان القطعى على صحة نفي إله غيره ببرهان التامع ، وهو أشد برهان لأهل الكلام فقال :
 (لو كان فيهما) أى [فى - ١] السماوات والأرض ، أى فى تدبيرهما . ٥
 ٢ ولما كان الأصل فيما بعد كل من 'إلا' و 'غير' أن يكون من جنس ما قبلها وإن كان مغايرا له فى العين ، صح وضع كل منهما موضع الآخر ، واختير هنا التعبير بأداة الاستثناء والمعنى للصفة إذ هى تابعة لجميع منكور غير محصور الإفادة لإثبات الإلهية له سبحانه مع النفي عما عداه ، لأن 'لولا' - لما فيها من الامتناع - مفيدة للنفي ، فالكلام فى قوة أن يقال « ما فيهما » ١٠
 ('الهة الا الله) أى مدرون غير من تفرد بصفات الكمال ، ولو كان فيهما آلهة غيره / (فسد تاج) لقضاء العادة بالخلاف بين المتكاثرين المؤدى إلى ٤٩٧ /
 ذلك ، و لقضاء العقل بإمكان الاختلاف اللازم منه [إمكان التامع اللازم منه إمكان عجز أحدهما اللازم منه - ٥] أن لا يكون إلهها ل حاجته ، [وإذا اتقى الجمع ، اتقى الاثنان من باب الأولى ، لأن الجمع كلما زاد حارب ١٥ بعضهم بعضا فقل الفساد كما نشاهد - ١] .

٢ ولما أفاد هذا الدليل أنه لا يجوز أن يكون المدبر لها إلا واحدا ، وأن ذلك الواحد لا يكون إلا الله قال : (فسبحن الله) أى قسب عن

(١) زيد من مد (٢ - ٢) . سقط ما بين الرقعين من ظ (٣) العبارة من هنا إلى « غيره » ساقطة من ظ (٤) من مد ، وفى الأصل : لما (٥) زيد من ظ ه مد .

ذلك تنزه المتصف^١ بصفات الكمال ﴿رب العرش﴾ [أى -^٢]
 الذى هو نهاية المعلومات من الأجسام^٣، [و رب ما دونه من السموات
 والاراضى وما فيها -^٤] المتفرد بالتدبير، كما يتفرد الملك الجالس على
 السرير ﴿عما يصفون هـ﴾ مما^٥ يوم نقصا ما، ثم علل ذلك بقوله:
 ﴿لا يسئل﴾^١ أى من سائل^٦ [ما -^٧] ﴿عما يفعل﴾ أى لا يعترض
 عليه لأنه لا كفوء له فى علم ولا حكمة ولا قدرة [ولا عظمة -^٨] ولا غير
 ذلك، [فليس فى شيء من أفعاله لإتقانها موضع سؤال -^٩]، فهما أراد أن
 ومهما قال فالحسن الجميل، فلو شاء لعذب أهل سمواته وأهل أرضه،
 ١٠. وكان ذلك منه عدلا حسنا، وهذا مما يتباح به أولو الهضم العوال،
 كما قال عامر الحصنى^{١٠} فى هاشم بن حرمة بن الأشعر:

أحيا أباه هاشم بن حرمله يوم الهباءات ويوم اليعمله

ترى الملوك عنده مغربله^{١١} يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

قال ابن هشام فى مقدمة السيرة^{١٢} قبل «أمر البسل»^{١٣} بقليل: أنشدنى

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: المنعم (٢) زيد ما بين الحاجزين من مد .
 (٣) العبارة من هنا إلى «نهاية الأجسام» ساقطة من ظ (٤) من مد، وفى
 الأصل: الاجساد (هـ) من ظ و مد، وفى الأصل: عما (٦-٧) سقط ما بين
 الرقمين من ظ (٧) زيد من ظ و مد (٨) فى سيرة ابن هشام ٣٥/١: خصفة بن
 قيس بن عيلان، وراجع أيضا تعليق المعلى فى الأنساب ١٥٠/٥ (٩) من ظ
 و مد والسيرة، وفى الأصل: مغربه (١٠-١١) من مد، وفى الأصل و ظ:
 قتل الله الشاعر - كذا .

أبو عبيدة هذه الآيات وحدثني أن هاشما قال لعامر: قل في بيتا جيدا
 أنبك عليه، فقال عامر البيت الأول فلم يعجب هاشما، ثم قال البيت^١
 الثاني فلم يعجبه،^٢ ثم قال الثالث فلم يعجبه^٣، فلما قال [الرابع - ٢]
 «ويقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له» أعجبه فأثابه عليه، [ومن أعجب
 ما رأيت في حكم الأقدمين أن الشهرستاني قال في الملل: وقد سأل ه
 بعض الدهرية أرسطاطاليس فقال: إذا كان لم يزل ولا شيء غيره
 ثم أحدث العالم فلم أحده؟ فقال: «لم» غير جائز عليه، لأن 'لم' تقتضي
 علة و العلة محمولة فيما هي علة له من معلّ فوقه ولا علة فوقه، وليس
 بمركب فتحمل ذاته الملل، فلم عنه منفية - ١] . («وهم يسألون»)
 ١ من كل سائل لما في أفهامهم^٤ من الاختلال^٥ بل يمنعون^٦ عن أكثر ١٠
 ما يريدون .

ولما قام الدليل، ووضح السيل، واضمحل كل قال وقيل .
 فأنمحت الأباطيل، قال منبها لهم على ذلك: («ام») أي أرجعوا عن
 ضلالهم لما بان [لهم - ١٠] غيهم فيه فوجدوا الله أم («انخذوا») «ونه»^٧
 على أن كل شيء دونه وأثبت أن آلتهم بعض من ذلك باثبات ١٥

- (١) سقط من السيرة (٢-٢) سقط ما بين الرقين من مد (٣) زيد من السيرة .
 (٤) زيد ما بين الحاجزين من مد (٥-٥) تأخر ما بين الرقين في الأصل عن «من
 الاختلال» و الترتيب من مد (٦) العبارة من هنا إلى «الاختلال» ساقطة من ظ .
 (٧) من مد، وفي الأصل: حالهم (٨) من مد، وفي الأصل: الاختلاف .
 (٩) من ظ و مد، وفي الأصل: يعفون (١٠) زيد من ظ و مد (١١) العبارة
 من هنا إلى «التهديد» ساقطة من ظ (١٢) من مد، وفي الأصل: فيه .

الجار فقال [منبها لهم -'] مكررا لما مضى على وجه أعم ، طالبا البرهان
تلويا إلى التهديد : ﴿من دونه 'الهة'﴾ من السماء أو^٢ الأرض وغيرهما .
ولما كان جوابهم : اتخذنا^٣ ، ولا يرجع أمره بجوابهم فقال :
﴿قل هاتوا برهانكم ج﴾ على ما ادعيتموه من عقل أو نقل كما أثبت أنا
برهان النقل المؤيد بالعقل .

و لما كان الكريم سبحانه لا يؤاخذ بمخالفة العقل ما لم ينضم إليه
دليل النقل ، أتبعه قوله 'مشيرا إلى ما بعث الله به الرسل من الكتب' :
﴿ هذا ذكر ﴾ أى موعظة [و شرف -'] ﴿ من معى ﴾ بمن آمن بي
وقد ثبت^٤ أنه كلام الله بعجزكم عن معارضته فانظروا هل تجدون فيه شيئا
١٠ يؤيد أمركم ﴿ و ذكر ﴾ أى و هذا ذكر ﴿ من قبل ﴾ فاسألوا أهل
الكتابين هل فى كتاب منهما برهان لكم .

و لما كانوا لا يجدون شبهة لذلك فضلا عن حجة اقتضى^٦ الحال
الإعراض عنهم غضبا ، فكان كأنه قيل : لا يجدون لشيء من ذلك برهانا
﴿ بل اكثروهم ﴾ [أى هؤلاء المدعويين -'] ﴿ لا يعلمون لا الحق ﴾ بل هم جهلة
١٥ و الجهل أصل الشر و الفساد^٧ ، [٨- فهم يكفرون تقليدا ﴿ فهم ﴾ أى قدسبب
عن جهلهم ما افتتحنا به السورة من أنهم ﴿ معرضون ه ﴾ عن ذكرك و ذكر
(١) زيد من مد (٢) من مد ، وفى الأصل « و » (٣) من ظ و مد ، وفى
الأصل : اتخذوا (٤ - ٤) - سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) من ظ و مد ، وفى
الأصل : أثبت (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : اقتضت بذلك (٧) من مد ،
وفى الأصل : المساواة ، و العبارة من « بل هم » إلى هنا ساقة من ظ (٨) زيد
ما بين الحاجزين من ظ و مد .

من قبلك غفلة منهم عما يراد بهم و فعلا باللعب فعل القاصر عن درجة العقل ، و بعضهم معاند مع عليه الحق] ، 'و بعضهم يعلم فيفهم - كما أفهمه التقيد بالاكثرا'.

ولما كان التقدير [بيانا لما في الذكرين - ٢] : ولو أقبلوا على الذكر لعلوا أنا أوحينا إليك في هذا الذكر أنه لا إله إلا أنا ، ٣ ما أرسلناك هـ إلا لنوحى إليك ذلك ، عطف عليه قوله : ﴿ وما أرسلناك هـ أى بعظمتنا . و لما كان الإرسال بالفعل ٤ غير مستغرق للزمان المتقدم لأنه كما أن الرسالة لا يقوم بها كل ٥ أحد ، فكذلك الإرسال لا يصلح له كل زمن ، أثبت الجار فقال : ﴿ من قبلك ٦ ﴾ و أعرق في النفي فقال : ﴿ من رسول ٧ ﴾ في شيع الأولين ﴿ الا يوحى ٨ إليه ﴾ من عندنا ١٠ ﴿ انه لا إله الا انا ٩ ﴾ ولم يقل : نحن ، لئلا يجعلوها وسيلة إلى شبهة ، ولذا قال : ﴿ فاعبدون هـ ﴾ بالافراد ، و ترك التصريح بالأمر / بالتخصيص ٤٩٨ / بالعبادة لفهمه من المقام و الحال ، فانهم كانوا قبل ذلك يعبدونه و لكنهم يشركون ٩ تنبيها على أن كل عبادة فيها شوب شرك عدم .

و لما دل على نفي مطلق الشريك عقلا و نقلا ، فأتى بذلك كل فرد ١٥ ؛ يطلق عليه هذا الاسم ، عجب من ادعائهم الشراكة المقيدة بالولد ، فقال

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ ، و تأخر في الأصل عن « كان التقدير » ، و الترتيب من مد (٢) زيد من مد (٣) العبارة من هنا إلى « إليك ذلك » ساقطة من ظ (٤) من مد ، و في الأصل : إليه (٥) سقط من ظ (٦) سقط من مد (٧-٧) سقط ما بين الرقنين من ظ (٨) و قراءة عاصم : نوحى (٩-٩) ما بين الرقنين متكرر في الأصل فقط .

عاطفا على قوله "واسروا النجوى" : ﴿ وقالوا ﴾ ^١ قيل : الضمير
لخزاعة حيث قالوا : الملائكة بنات الله ، وقيل : لليهود [حيث - ^٢]
قالوا : إنه سبحانه صاهر الجن فكانت منهم الملائكة : ﴿ اتخذ ﴾ ^٣ أى
تكلف كما يتكلف من يكون له ولد ^٤ ﴿ الرحمن ﴾ [أى - ^٥] الذى كل
ه موجود ^٦ من فيض نعمته ﴿ ولدا ﴾ .

^٧ ولما كان ذلك أعظم الذنب ، نزه نفسه سبحانه عنه بمجمع
التنزيه فقال : ﴿ سبحانه ^٨ ﴾ أى تنزهه [عن - ^٩] أن يكون له ولد ،
فإن ذلك يقتضى المجانسة بينه وبين الولد ، ولا يصح مجانسة النعمة للنعمة
الحقيقى ^{١٠} ﴿ بل ﴾ الذين جعلهم له ولدا وهم الملائكة ﴿ عباد ﴾
١٠ من عباده ، أنعم عليهم بالإيجاد كما أنعم على غيرهم ^{١١} لا أولاد ، فإن
العبودية تنافى الولدية ^{١٢} ﴿ مكرمون ^{١٣} ﴾ بالعصمة من الزلل ، ولذلك فسر
الإكرام بقوله : ﴿ لا يسبقونه ﴾ [أى لا يسبقون إذنه - ^{١٤}] ﴿ بالقول ﴾
أى [بقولهم ، لأنهم - ^{١٥}] لا يقولون شيئا لم يأذن لهم فيه ويطلقه لهم .
ولما كان الواقع عما لم يؤذن له فيه قد ^{١٦} لا يفعل ما أمر به قال :
١٥ ﴿ وهم بأمره ﴾ ^{١٧} أى خاصة ^{١٨} إذا أمرهم ﴿ يعملون ^{١٩} ﴾ لا بغيره ^{٢٠} لأنهم

(١) العبارة من هنا إلى « منهم الملائكة » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد .
(٣-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من مد ، وفى الأصل وظ : شىء .
(٥) العبارة من هنا إلى « انتزيه فقال » ساقطة من ظ (٦) من مد ، وفى الأصل :
ليجمع (٧) زيد من ظ و مد (٨) بهامش ظ : وجه العجز أنه سبحانه نفى
المطلق فلم منه نفى المقيد ، فكيف يثبت المقيد مع نفى مطلقه (٩) من ظ و مد ،
وفى الأصل « و » (١٠) بهامش ظ : فالخصر استفيد من تقديم الجار أعنى « بأمره » .
فى (١٠٢)

في غاية المراقبة له 'الجمعوا في الطاعة بين القول والفعل و ذلك غاية الطاعة' ؛ ثم علل 'إخباره بذلك' بعله بما هذا المخبر به مندرج فيه فقال :
 ﴿ يعلم ما بين أيديهم ﴾ أي مما [لم - '] يعملوه * ﴿ وما خلفهم ﴾ بما عملوه ، 'أو يكون' الأول لما عملوه والثاني لما لم يعملوه ، لأنك تطلع على ما قدامك ويخفى عليك ما خلفك . أي أن عمله محيط بأحوالهم ه ماضيا وحالا ومآلا . لا يخفى عليه خافية ؛ ثم صرح بلازم الجملة الأولى فقال : ﴿ ولا يشفعون لا ﴾ [أي - '] في الدنيا ولا في الآخرة ' ﴿ الا لمن ارتضى ﴾ فلا تطمعوا في شفاعتهم لكم بغير رضاه ، وبلازم الجملة الثانية ' فقال : ﴿ وهم من خشيته ﴾ أي لا من غيرها ' ﴿ مشفقون ه ﴾ أي دائما ' .

١٠

ولما نفى الشريك مطلقا ثم مقيدا بالولدية ، أتبعه التهديد " على ادعائه بتعذيب المتبوع الموجب لتعذيب التابع فقال : ﴿ ومن يقل منهم ﴾ أي من كل من قام الدليل على أنه لا يصلح للالهيّة " حتى العباد المكرمون الذين وصف كرامتهم " وقرب منزلتهم عنده وأثنى عليهم كما رواه البيهقي في الخصائص من الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما : ١٥
 (١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد في الأصل : له ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٣) بهامش ظ : الإشارة في قواه " بذلك " يرجع إلى " وهم بأمره يعملون " (٤) زيد من ظ و مد (هـ) من ظ . وفي الأصل و مد : يعملوه (٦) العبارة من هنا إلى " ما خلفك " ساقطة من ظ (٧) من مد ، وفي الأصل : ان (٨) بهامش ظ : أعني " لا يسبقونه بالقول " (٩) زيد من مد . (١٠) بهامش ظ : أي " وهم بأمره يعملون " (١١) في مد : لتهديب (١٢) العبارة من هنا إلى " عنهما " ساقطة من ظ (١٣) من مد ، وفي الأصل : كرمهم .

(انى اله) 'ولما كانت الرتب' التى تحت رتبة الإلهية كثيرة، بعض
 ليدل على 'من استغرق' بطريق الأولى فقال: (من دونه) أى من
 دون الله (فذاك) [أى - °] اللعين الذى لا يصلح للتقريب أصلا
 ما دام على ذلك (نجزه) [أى - °] بعظمتنا (جهنم) لظلمه،
 ه فأنهم تعذيب مدعى الشرك تعذيب أتعاءه من باب الأولى، 'وهو على
 سبيل الفرض و التمثيل فى الملائكة من إحاطة عليه بأنه لا يكون .
 وما ذاك إلا لقصد تفضيع أمر الشرك و تعظيم شأن التوحيد .
 [وفى دلائل النبوة لليهقى فى باب التحدث بالنعمة و الخصائص أن هذه
 الآية مع قوله تعالى "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك" دليل على
 ١٠ فضله صلى الله عليه وسلم على أهل السماء - °] .

ولما كان مقتضيا للسؤال عن "غير هذا من الظلمة ، قيل :

(كذلك) أى مثل هذا الجزاء الفظيع جدا (يجزى الظالمين) / ٤٩٩
 ما داموا على ظلمهم .

ولما أنكر سبحانه اتخاذهم آلهة من دونه تارة بقيد كونها أرضية .

١٥ و تارة "بقيد كونها" سماوية ، و تارة مطلقة ، لتعم كلا من القسمين

(١) العبارة من هنا إلى «الأولى فقال» ساقطة من ظ (٢) من مد ، وفى الأصل :
 المراتب (٣) من مد ، وفى الأصل : يجب (٤ - ٤) من مد ، وفى الأصل :
 الاستغراق (٥) زيد من مد (٦) سقط من مد (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل :
 لظلمه (٨) بهامش ظ : لأن العظيم إذا عذب فكيف بأتباعه ؟ (٩ - ٩) سقط ما بين
 الرقيين من ظ (١٠) من ظ ومد ، وفى الأصل : من (١١ - ١١) من ظ ومد ،
 وفى الأصل : بكونها .

وغيرهما، واستدل على ذلك كله بما لم يبق معه شبهة، فدل تفرده على أنه لا مانع له مما يريد من بعث ولا غيره، وكان عليهم لا يتجاوز ما في السموات والأرض، قال مستدلاً على ذلك أيضاً مقرراً بما يعلمونه، أو ينبغي أن يسألوا عنه حتى يعلموه لتمكنهم من ذلك " فاستلوا أهل الذكر " جالياً له في أسلوب العظمة: ﴿ ا ولم ﴾ أى ألم يعلموا ذلك بما أوضحناه من أدلته^٢ ولم يربوا، ولكنه أظهر للدلالة على أنهم يفتنون^٣ أنوار الدلائل عناداً فقال: ﴿ ير ﴾ أى يعلم علماً هو كالمشاهدة ﴿ الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما يعلمون من قدرة الله فأدى ذلك إلى الاستهانة والتقص^٤ فصار ذنبهم غير مغفور^٥، وسعيهم غير مشكور، وحذف^٦ ابن كثير^٧ الواو العاطفة على ما قدرته بما هدى إليه "سياق أيضاً، لا للاستفهام بما ١٠ دل عليه ختام الآية التى قبل من "البعث" والجزاء المقتضى للانكار على من أنكره، فكان المعنى على قرأته^٨: "يجزى كل ظالم بعد البعث، ألم ير المنكرون لذلك قدرتنا عليه بما أبدعنا من الخلاق، وإنما أنكر عليهم عدم الرؤية بسبب أن الأجسام وإن تباينت لا ينفصل بعضها عن بعض إلا بقادر يفصل بينها، فمن البديهي الاستحالة أن يرتفع شيء منها ١٥

- (١) من ظ و مد، وفي الأصل: (٢) تكرر في مد (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: دلالاته (٤) من مد، وفي الأصل و ظ: او (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: يعظمون (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: النقص (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: مقصور (٨) في ظ: اسقط (٩) بين سطرى ظ: الملقى (١٠) في مد: ما قرأته.

عن الآخر منفصلا عنه بغير رافع 'لا سيما إذا كان المرتفع ثابتا' عن غير عماد، فكيف وهو عظيم الجسم كبير الجرم؟ وذلك دال على تمام القدرة والاختيار والتزه عن كل شائبة نقص من مكافئ وغيره، فصح الإنكار عليهم في عدم علم ذلك بسبب أنهم عملوا بخلاف ما يعلمونه^٢ . (ان السنوت و الارض) .

٢ ولما كان المراد الإخبار عن الجماعتين لا عن الأفراد قال^٣ : (كاتا) ٤ ولما كان المراد^٥ شدة الاتصال والتلاحم، أخبر عن ذلك بمصدر مفرد وضع موضع الاسم فقال : (رتقا) ٦ أى ملتزقتين زبدة واحدة على وجه الماء، والرتق في اللغة : السد، والفتق : الشق^٧ . ١٠ (فتقنهما) ٨ أى بعظمتنا^٩ [أى -^{١٠}] بأن ميزنا إحدیهما عن الأخرى بعد التكوين المتقن وفتقنا السماء بالمطر، والأرض بأنواع النبات بعد أن لم يكن شيء من ذلك، ولا كان مقدورا على شيء منه لأحد غيرنا ؛ عن ابن عباس^{١١} رضى الله عنهما و عطاء و الضحاك و قتادة : كاتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله تعالى بينهما بالهواء . وعن مجاهد و أبى صالح ١٥ والسدى . كاتا مؤلفة طبقة^{١٢} واحدة فتقنها فجعلها سبع سماوات، وكذلك

(١ - ١) تكرر ما بين الرقمين في الأصل فقط بعد تمام القدرة (٢) من ظ و مد، وفي الأصل : يعلمون (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٤) العبارة من هنا إلى «الاسم فقال» ساقطة من ظ (٥ - ٥) في مد : كاتا (٦) من ظ و مد، وفي الأصل : ملتصقين (٧) من ظ و مد، وفي الأصل : الشد . (٨) زيد من مد (٩) العبارة من هنا إلى «طبقات» ساقطة من ظ (١٠) راجع البحر المحيط ٦/٣٠٨ (١١) من مد والبحر، وفي الأصل : طينة .

الأرض^١ كانت مرتقة طبقة واحدة ففتتها فجعلها سبع - [طبقات .

ولما كان خلق الماء سابقا على خلق السماوات والأرض . قال :

(وجعلنا) [أى بما اقتضته عظمتنا - ^٢] (من الماء) أى الهامر

ثم الدافق^٣ (كل شيء حتى^٤) مجازا من النبات وحقبة من الحيوان ،

خرج الإمام أحمد وغيره عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال للنبي هـ

صلى الله عليه وسلم : أخبرني عن كل شيء ، / فقال : كل شيء خلق من

ماء^٥ . ولذلك أجاب النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الذى وجده على

ماء بدر^٦ وسأله^٦ : بمن هو؟ بقوله : نحن من ماء .

ولما كان هذا من تصرفه فى هذين الكونين ظاهرا ومنتجا لانهما

وكل ما فيهما^٧ ومن فيهما بصفة المعجز عن أن يكون له تصرف ما ، ١٠

تسبب عنه إنكار عدم إيمانهم فقال : (افلا يؤمنون هـ) أى بأن شيئا

منهما أو فيهما لا يصلح للالهية ، لا على وجه الشراكة^٨ ولا على وجه الانفرد ،

وبأن صانعهما ومبدع النامى من حيوان ونبات منهما بواسطة الماء قادر

على البعث للحساب للثواب أو العقاب ، بعد أن صار الميت ترابا بماء

يسيه لذلك .

١٥

ولما كان من القدرة الباهرة ثبات الأرض من غير حركة ،

وكان الماء أدل دليل على ثباتها ، وكانت الأرض أقرب فى

(١) فى البحر : الأرضون (٢) زيد من مد والبحر إلا أن فى البحر «سبعاء» مع

حذف «طبقات» (٣) زيد من مد (٤) بهامش ظ : أى للثى (٥) من ظ و مد ،

وفى الأصل : الماء (٦-٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : فسأله (٧) من ظ و مد ،

وفى الأصل : عنهما (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : الشرك .

الذكر من السماء ، أتبع ذلك قوله : ﴿ وجعلنا ﴾ ^١ بما لنا من العظمة
 ﴿ في الارض ﴾ جبالا ﴿ رواسي ﴾ أى ثوابت ، كراهة ﴿ ان تميد بهم ﴾
 و تضطرب فتهلك المياه كل شيء حتى فيعود نفعها ضرا وخيرها شرا .
 ولما كان المراد من المراسي ^٢ الشدة والحزونة لتقوى على الثبات
 ه و التثبيت ، وكان ذلك مقتضيا لإبعادها وحفظها عن [الذلة و - ^٣]
 اللبوة ، بين أنه خرق فيها العادة ليعلم أنه قادر مختار لكل ما يريد فقال :
 ﴿ وجعلنا ﴾ ^١ بما لنا من القدرة الباهرة والحكمة البالغة ^١ ﴿ فيها ﴾ أى
 الجبال مع حوزتها ﴿ فجاجا ﴾ أى مسالك واسعة سهلة : ثم أبدل منها
 قوله : ﴿ سبلا ﴾ أى مذلة للسلوك ، ولولا ذلك لتعسر أو تعذر
 ١٠ الوصول إلى بعض البلاد ﴿ لعلهم يهتدون ﴾ إلى منافعهم ^١ فى ديارهم
 وغيرها ، وإلى ما فيها من دلائل الوجدانية وغيرها ^١ فيعلوا أن
 وجودها لو كان بالطبيعة كانت على نمط واحد مساوية للأرض متساوية
 فى الوصف ، وأن كونها على غير ذلك دال على أن صانعها قادر مختار
 متفرد بأوصاف الكمال .

١٥ ولما دلهم بالسموات والأرض على عظمته ، ثم فصل بعض ما فى
 الأرض لملاستهم ^٢ له ، وخص الجبال لكثرتها فى بلادهم ، أتبعه

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ و مد : وفى الأصل : المواشي .
 (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : خرن (ه) من مد ، وفى
 الأصل : لقصر ، وفى ظ : ليعسر (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : مساوية .
 (٧) بين سطرى ظ : لمخالطتهم .

السما فقال : ﴿ وجعلنا ﴾ 'أى بعظمتنا' ﴿ السماء ﴾ وأفردها ' بارادة الجنس ' لأن أكثر الناس لا يشاهدون منها إلا الدنيا ' ولأن الحفظ للشيء الواحد أتقن ' ﴿ سقفا ﴾ 'أى للأرض لا فرق بينها وبين ما يبعد من السقوف إلا أن ما يبعد منها لا يسقط منه إلا ما بضر ، وهذه مشحونة بالمنافع فأكثر ما ينزل منها ما لا غنى للناس عنه من آلات ه الضياء وعلامات الاهتداء والزينة التى لا يقدر قدرها ٢ .

ولما كان ما يعرفون من السقوف على صغرهما لا تثبت إلا بالعمد ، 'ويمكن منه المفسدون' ، وتحتاج كل قليل إلى إصلاح وتعهد ، بين أن هذا السقف على سعته وعلوه على غير ذلك فقال : ﴿ محفوظا ﴾ 'أى عن السقوط بالقدرة وعن الشياطين بالشهب' ، فذكر باعتبار السقف ، ١٠ وأشار إلى كثرة ما حوى من الآيات مؤثرا باعتبار السماء أو العدد الدال عليه الجنس ، 'لأن العدد أولى بالدلالة على كثرة الآيات' [والنجوم مفرقة فى الكل - '] فقال : ﴿ وهم ﴾ 'أى أكثر الناس' ﴿ عن ابتها ﴾ 'أى من الكواكب الكبار والصغار ، والرياح والأمطار ، ٥٠١ / وغير ذلك من الدلائل التى تفوت الاحصار' ، أى ' الدالة على قدرتنا ١٥ على كل ما نريد من البحث وغيره [و - ٦] على عظمتنا بالتفرد بالإلهية

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢-٢) فى مد : مع ارادة الجنس ، وما بين الرقين ساقط من ظ (٣-٣) ما بين الرقين تأخر فى الأصل عن ' على كثرة الآيات ' والترتيب من مد ، وسقط من ظ (٤) زيد من مد (٥) سقط من مد . (٦) زيد من ظ و مد .

و غير ذلك من أوصاف الكمال ، من الجلال و الجمال ﴿ معرضون ﴾^١
 'لا يتفكرون فيما فيها من التسيير و التدبير بالمطالع' و المغارب و الترتيب
 القويم الدال على الحساب الدائر عليه سائر المنافع .

و لما ذكر السماء ، ذكر ما ينشأ عنها فقال : ﴿ و هو ﴾ أى لا غيره
 ٥ ﴿ الذى خلق الليل و النهار ﴾ ثم أتبعها آيتين فقال : ﴿ و الشمس ﴾
 التى هى آية النهار و بها وجوده ﴿ و القمر ﴾ الذى هو آية الليل . ٢ و لما
 ذكر أعظم آياتها فأفهم بقية الكواكب ، استأنف لمن كأنه قال : هل
 هى كلها فى سماء واحدة ؟ : ﴿ كل ﴾ [أى - ٤] 'من ذلك' ﴿ فى فلك ﴾
 فكأنه قيل : ما ذا تصنع ؟ فقل ١ [تغلبا لضمير العقلاء ... و نقلهم
 ١٠ إليها - ٤] : ﴿ يسبحون ﴾ [أى كل واحد يسبح فى الفلك الذى جعل
 به - ٤] .

و لما ذكر الصارم البتار^٢ ، للأعمار الطوال و القصار ، من الليل
 و النهار ، [كان كأنه - ٤] قيل : فيفنيان كل شديد ، و يلبيان كل جديد .
 فعطف^٣ عليه قوله : ﴿ و ما جعلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة التى اقتضت
 ١٥ تفردنا بالبقاء ﴿ لبشر ﴾ [و حقق عدم هذا الجعل باثبات الجار فقال - ٤] :
 ﴿ من قبلك الخلد ﴾ ناظرا^٤ إلى قوله " و ما كانوا نخلدن " بعد قوله

(١) العبارة من هنا إلى « سائر المنافع » ساقطة من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل :
 و المطالع (٣-٢) من مد ، و فى الأصل : ثم ؛ و العبارة من هنا إلى « سماء واحدة »
 ساقطة من ظ (٤) زيد من مد (٥-٥) فى ظ : منها (٦-٦) سقط ما بين الرقين
 من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : النهار (٨) زيد من ظ و مد (٩) من
 ظ و مد ، و فى الأصل : عطف (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : ناظر .

”هل هذا الا بشر مثلكم“ وهذا من أقوى الأدلة على أن الخضر عليه السلام مات ، ويحاج بأن الحياة الطويلة ليست خلدا كما في حق عيسى عليه السلام ، لكن قوله صلى الله عليه وسلم ^٢ « اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض بعد اليوم ، وقوله ^٣ « لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو على ظهر الأرض اليوم أحد ، وقوله ^٤ « وددنا أن موسى عليه السلام صبر ققص علينا من أمرهما ، في أمثال ذلك ، يدل على موته دلالة لا تقبل ادعاء حياته بعدما إلا بأظهر منه » .

ولما كان قولهم ”بل هو شاعر“ مشيرا إلى أنهم قالوا نربص به ريب المتنون كما اتفق لغيره من الشعراء ، وكان ينبغي أن لا ينتظر أحد لآخر من الأذى إلا ما يتحقق سلامته هو منه . توجه الإنكار عليهم ١٠
 ١ [والتسليية له - ٢] بمنع شمتاتهم في قوله : (افائن) أى ^٥ « أيتمنون موتك فان »
 (مت فهم) ^٦ أى خاصة ^٧ (الخلدون) ^٨ فالمنكر تقدير خلودهم على تقدير موته الموجب لإنكار تمنيمهم لموته ، ^٩ فحق الهمة دخولها على الجزاء ،
 و هو : فهم ، وإنما [قارنت الشرط لأن - ٢] الاستفهام له الصدر .

(١) العبارة من هنا إلى « بأظهر منه » ساقطة من ظ (٢) راجع سيرة ابن هشام ١٧/٢ و مسند الإمام أحمد ٣٠/١ (٣) راجع مسند الإمام أحمد ٨٨/٢ (٤) زيد في مد : لو ، و راجع حديث موسى في كتاب الأنبياء من صحيح البخارى .
 (٥ - ٥) بياض في الأصل ملائاة من مد (٦) العبارة من هنا إلى « شمتاتهم » ساقطة من ظ (٧) زيد من مد (٨ - ٨) سقط ما بين الرقيين من ظ (٩) العبارة من هنا إلى « له الصدر » ساقطة من ظ .

ولما تم ذلك ، أنتج قطعا : (كل نفس) أى منكم ومن غيركم
 (ذاتقة الموت) أى فلا يفرح أحد ولا يحزن بموت أحد ، بل يشتغل
 بما يهمه ، وإليه الإشارة بقوله : (ونبلوكم) أى [نعاملكم - ٢] معاملة
 المبتلى المختبر [المظهر فى عالم الشهادة الشاكر والصابر والمؤمن والكافر
 ه كما هو عندنا فى عالم الغيب - ٢] بأن نخالطكم (بالشر) الذى هو طبع
 النفوس ، فهى أسرع شئ إليه ، فلا ينجو منه إلا من 'أخلصناه لنا'
 (والخير) مخالطة كبيرة ، [و أكد فعل البلاء بمصدر من معناه مقرون
 بالهاء تعظيما له فقال - ٢] : (فتنة) أى [كما يفتن الذهب إذا أريدت
 تصفيته بمخالطة النار له ، على حالة عظيمة - ٢] بحيلة مائلة لكم لايثبت لها
 ١٠ إلا الموفق (والينا) أى بعد الموت لا إلى غيرنا (ترجعون ه) للجزاء
 حيث لاحكم لاحد أصلا لا ظاهرا ولا باطنا [كما - ٢] فى هذه الدار
 'بنفوذ الحكم فلا يكون إلا ما نريد' فاشتغلوا بما ينجيكم منا ، ولا تلتفتوا
 إلى غيره ، فان الأمر صعب ، وجدوا فان الحال جد .

ولما أخبر سبحانه عن إعراضهم عن الساعة تكذيبا ، واستدل على^٨
 ١٥ كونها منزهة عن الغيب فى خلق هذا العالم و تعاليه عن^٩ [جميع - ١]
 صفات النقص واتصافه بأوصاف الكمال إلى أن ختم ذلك بمثل / ما
 ابتداء به على وجه أصرح . 'وكان فيه تبيهم على الابتلاء'^{١٠}

٢٠٥/

(١) من مد ، وفى الأصل : غيرهم ، و العبارة من 'أى منكم' إلى هنا ساقطة
 من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من مد (٤ - ٤) من ظ و مد ، وفى
 الأصل : اخلصنا لك (٥ - ٥) سقط ما بين الرقعين من ظ (٦) سقط من ظ
 (٧ - ٧) ما بين الرقعين بياض فى الأصل ملأناه من مد (٨) من ظ و مد ، وفى
 الأصل : عن (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : من (١٠) العبارة من هنا إلى
 ومن آياته ساقطة من ظ (١١) من مد ، وفى الأصل : الامتنى - كذا .

[وكان الابتلاء - ١] على قدر النعم^١، فكان صلى الله عليه وسلم اعظم شيء ابتلوا به لانه لانعمة أعظم من النعمة به، ولا شيء أظهر من آياته عطف على قوله " واسروا النجوى " قوله: ﴿ واذا رآك ﴾^٢ أى وأنت أشرف الخلق [وكلك - ١] جد و جلال و عظمة و كمال ﴿ الذين كفروا ﴾ فأظهر منبها^٣ على أن ظلمهم الذى أوجب لهم ذلك هو الكفر^٤ وإن ه كان فى أدنى رتبة، تبشيعا له و تنبيها على أنه يطمس الفكر مطلقا^٥.

ولما كان من المعلوم أنه صلى الله عليه وسلم فى غاية البعد عن الهزء، قال منبها على أنهم أعرقوا فى الكفر حتى بلغوا الذروة: ﴿ ان ﴾^٦ أى ما^٧ ﴿ يتخذونك ﴾ أى حال الرؤية، و سيعلم من يبق^٨ منهم عما قليل أنك جد كلك^٩ ﴿ الا هزوا ﴾^{١٠} أى جعلوك^{١١} بحمل أنفسهم على ١٠

ضد ما يعتقد^{١٢} عين^{١٣} ما ليس فيك شيء منه؛ ثم بين استهزاءهم به بأنهم يقولون إنكارا و استصغارا: ﴿ اهذا الذى يذكر ﴾ [أى - ١] بالسوء ﴿ الهتكم ﴾ [قال أبو حيان - ١٠]: و الذكر " يكون بالخير و الشر، فاذا لم يذكر متعلقه فالقرينة تدل عليه - ١٢] - [انتهى - ١٣] . فاذا^{١٤}

(١) زيد من مد (٢) من مد، وفى الأصل: للمنع (٣) العبارة من هنا إلى « عظمة و كمال » ساقطة من ظ (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: تنبيها . (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) من مد . وفى الأصل: بقى (٧) بياض فى الأصل ملأناه من مد، و العبارة من « أى حال » إلى هنا ساقطة من ظ (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: غير (٩) زيد من ظ و مد (١٠) زيد من ظ، و راجع البحر المحيط ٦ / ٣١٢ (١١) من ظ و مد و البحر، وفى الأصل: فالذى . (١٢) زيد من ظ و البحر (١٣) زيد من ظ (١٤) من مد، وفى الأصل: فما، و العبارة من ها بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ إلى « أطلق عليه » .

دلت القرينة على أحدهما أطلق عليه ﴿وهم﴾ أى و الحال أنهم 'على حال كانوا بها أصلا فى الهزء، و هى أنهم ' ﴿بذكر الرحمن﴾ الذى لا نعمة عليهم و لا على غيرهم إلا منه ، 'وكرر الضمير تعظيما بما أتوا به من القباحة فقال : ﴿هم﴾ 'أى بطواهم و بواطنهم' ﴿كفرونه﴾
 ه أى ساترون لمعرفتهم به ، فلا أعجب بمن 'هو محل للهزء لكونه' أنكر ذكره من لا نعمة منه و لا نقمة أصلا بالسوء ، و هو يذكر من كل نعمة منه بالسوء 'و يهزأ به' .

و لما كان من آيات الأولين التى 'طلبوها العذاب بأنواع الهول، وكانوا هم أيضا قد طلبوا ذلك و استعجلوا به "عجل لنا قطنا" و نحو ذلك ، و كان الذى جرأهم على 'هذا حلم' الله عنهم بامهاله لهم ، قال معللا 'لذلك : ﴿خلق﴾ 'و بناه للفعول لأن المقصود بيان ما جبل عليه و الخالق معروف' ﴿الانسان﴾ 'أى هذا النوع .

و لما كان مطبوعا على العجلة قال : ﴿من عجل﴾ 'فلذا يكفر ، لأنه إذا خولف بادر إلى الانتقام عند القدرة فظن بجعله أن خالفه كذلك ،
 ١٥ و أن التأخير ما هو إلا عن عجز' 'او عن رضى : ثم قال تعالى مهددا

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « بواطنهم » ساقطة من ظ (٣) فى مد : ضمائرهم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذلك (ه) فى ظ : الذين (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذلك علم (٧) بين سطرى ظ : أى بطراتهم على ذلك بسبب إمهاله (٨) العبارة من هنا إلى « العجلة قال » ساقطة من ظ (٩) من مد ، و فى الأصل : العجل (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : عجل (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ممهدا .

للكذابين : ﴿ ساوريكم ﴾ حقا ﴿ ايتى ﴾ القاصمة و العاصمة . ' بهجرة
النبي صلى الله عليه و سلم و من عندكم من أتباعه المستضعفين و خلافتهم
بين أيديكم و جعلهم شجا في حلوكم حتى يتلاشى ما أنتم عليه و غير ذلك
من العظام ' ﴿ فلا تستعجلون ﴾ ' أى تطلبوا أن أوجد العجلة بالعذاب
أو غيره ' ، فأنى منزعه عن العجلة [التى هى من جملة نقائصكم . ٥

و لما ذم العجلة و هى إرادة شىء قل أوأنه ، و نهى عنها ، قال
دالا عليها عاطفا على عامل " هذا " ٢ : ﴿ و يقولون ﴾ [أى - ٢] فى
استهزائهم بأوليائه الله : ﴿ متى هذا ﴾ ' و تهكوا بقولهم : ﴿ الوعد ﴾ [أى - ٢]
بآيات الآيات من الساعة و مقدماتها و غيرها ، و زادوا ٢ فى الإلهاب
و التهيج تكذيبا فقالوا : ﴿ ان كنتم صدقين ﴾ ' أى عريقين فى هذا ١٠
الوصف جدا - بما دل عليه الوصف و فعل تكون .

و لما غلوا فى الاستهزاء فكانوا أجهل الجهلة باستحالة الممكن ،
استأنف الجواب عن كلامهم بنى العلم عنهم / فى الحال و المآل دون ٥٠٣ /
المعانة على طريق التهكم و الاستهزاء بهم : ﴿ لو يعلم الذين كفروا ﴾
' و ذكر المفعول به فقال : ﴿ حين ﴾ أى لو تجدد لهم علم ما بالوقت الذى ١٥
' يستعجلون به : و ذكر ما أضيف إليه ذلك الوقت فقال : ﴿ لا يكفون ﴾

(١-١) - سقط ما بين الرقین من ظ (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل :
زاد (٤) من مد ، و فى الأصل : فقال ، و العبارة من « و زادوا » إلى هنا ساقطة
من ظ (٥) العبارة من هنا إلى « انوقت فقال » ساقطة من ظ (٦) من مد ،
و فى الأصل : أكد .

أى^١ فيه بأنفسهم [(عن وجوههم)] التى هى أشرف أعضائهم
 (النار) استسلاما و - ^٢ [ضعفوا وعجزوا] (ولا عن ظهورهم) التى هى
 أشد أجسادهم ، فعرف من هذا أنها قد أحاطت بهم ، وأنهم لا يكفون
 عن غير هذين من باب الأولى (ولا هم ينصرون) أى ولا يتجدد لهم
 نصر^٣ ظاهرها ولا باطنها بأنفسهم ولا بغيرهم ، لم يقولوا شيئا من ذلك
 الكفر والاستهزاء والاستعجال^٤ ، ولكنهم لا يعلمون ذلك بنوع من
 أنواع العلم إلا عند الوقوع^٥ ، لأنه لا أمانة لها قاطعة بتعين وقتها ، لا تأتى
 بالتدرج كغيرها^٦ ، وهذا معنى (بل تأتيهم) [أى - ^٧] "ساعة" التى
 هى ظرف لجميع تلك الأحوال ، وهى معلومة لكل أحد ، وهى مستحضرة
 ١٠ فى كل ذهن^٨ (بفترة قبضتهم) أى تدعهم باعترين حائرين^٩ ، ثم تسبب
 عن^{١٠} قبضتهم قوله^{١١} : (فلا يستطيعون ردها) - أى لا يطلبون طوع ذلك
 لهم^{١٢} فى ذلك الوقت ، لأنهم عنه^{١٣} (ولا هم ينظرون) - أى يمهلون
 [من مهمل ما - ^{١٤}] ليتداركوا ما أعد لهم فيها ، فبأشدة أسفهم على
 التفريط فى الأوقات التى أمهلوا فيها فى هذه الدار ، و صرفهم إياها فى
 ٥ لذات أكثرها اكدار .

ولما كان التقدير 'حاق بهم' هذا ، باستهزائهم بك ، تبع ما يدل

(١) - سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 عن (٤) - سقط ما بين الرهين من ظ (٥) زيد من مد (٦) - فى ظ : عل .
 (٧) فى ظ : بقوله (٨) - بن سطرى ظ : أى كونهم لا يكفون عن وجوعهم
 النار و هم لا ينظرون .

على أن الرسل في ذلك شرع واحد، تسلية له صلى الله عليه وسلم
وتأسية، فقال [عاطفا على " وإذا رآك " - ١] : ﴿ ولقد ﴾ مؤكدا له
لمزيد التسلية ^٢ بمساواة إخوانه من الرسل وبتعذيب أعدائه . ولما كان
المخوف نفس الاستهزاء لا كونه من معين ، بى للفعول قوله ^٣ :
(استهزئ برسلى) [أى ١] كثيرين .

٥

ولما كان معنى التذكير عدم الاستغراق ، أكدده بالخافض فقال ^٤ :
(من قبلك لحاق) أى فأحاط (بالذين سخروا منهم) لكفرهم
(ما كانوا) بما هو لهم كالجبل ^٥ (به يستهزئون) من الوعود الصادقة
كبعض من ^٦ سألوه الإتيان بمثل آياتهم كيقوم نوح ومن بعدهم .
ولما هددهم بما مضى مما قام الدليل على قدرته عليه ، وختمه ^٧ - لوقوفهم ^٨ :
مع المحسوسات - بما وقع لمن قبلهم ، وكان الأمان عن مثل ذلك
لا يكون إلا بشئ يوثق به . أمره أن يسألهم عن ذلك بقوله :
﴿ قل من يكلمكم ﴾ أى يحفظكم أو يؤخركم ويكثر رزقكم ^٩ . وهو
استفهام توبيخ .

ولما استوى بالنسبة إلى قدرته حذرهم وغفلتهم . قال : ﴿ بالبين ﴾ ١٥

(١) زيد من مد (٢ - ٣) سقط ما بين الرقبتين من ظ (٤) زيد و مد : أحال
ونزل (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : ما (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل :
كتمه (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : غفلهم .

أى^١ وأتم فأنمور .^٢ ولما كانت مدافعة عذابه سبحانه غير ممكنة لأنهم
ولا يقظان قال^٣ : ﴿ والنهار ﴾ [أى -^٤] وأتم مستيقظون .^٥ ولما
كان لا منعم^٦ بكلاية ولا^٧ غيرها سواه^٨ سبحانه . ذكرهم بذلك بصفة
الرحمة فقال : ﴿ من الرحمن^٩ ﴾ الذى لا نعمة بحراسة ولا غيرها إلا منه
ه حتى أمتهم مكره^{١٠} ولو بقطع إحسانه . فكيف إذا ضربكم بسوط جبروته
وسطوة قهره وعظموته^{١١} .

ولما كان الجواب قطعاً : ليس لهم من يكلؤهم منه^{١٢} وهو معنى
الاستفهام الإنكارى ، قال مضرباً عنه : ﴿ بل هم ﴾ أى فى أمنهم من
سطواته ﴿ عن ذكر ربهم ﴾ الذى لا يحسن إليهم غيره ﴿ معرضون ه ﴾
فهم لا يذكرون أصلاً فضلاً عن أن يخشوا بأسه وهم يدعون أنهم
أشكر / الناس للإحسان^{١٣} .

/ ٥٠٤

ولما أرشد السياق إلى أن "التقدير : أصحيح^{١٤} هذا الذى أشرنا إليه
من أنه لا مانع لهم منا . عادله بقوله "إنكاراً عليهم^{١٥} : ﴿ ام لهم الهة ﴾
موصوفة بأنها ﴿ تمنعهم ﴾ "نوب الدهر .^{١٦} ولما كانت جميع الرتب

(١) سقط من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقنين من ظ (٣) زيد من مد .
(٤) العبارة من هنا إلى « الرحمة فقال » ساقطة من ظ (٥) من مد ، وفى
الأصل : منعهم (٦ - ٦) من مد ، وفى الأصل : غيرها إلا هو (٧) العبارة من هنا
إلى « وعظموته » ساقطة من ظ (٨) فى مد : عظمت (٩) سقط من مد ؛ والعبارة
من بدء إلى « الإنكارى » ساقطة من ظ (١٠ - ١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل :
تقدير الصحيح (١١) زيد فى الأصل و ظ : من ، ولم تكن الزيادة فى مد
لحذفها (١٢) العبارة من هنا إلى « الابتداء فقال » ساقطة من ظ .

تحت

تحت رتبته^١ سبحانه ، أثبت^٢ حرف الابتداء فقال [محقرا لهم - ٣] :
 ﴿ من دوننا^٣ ﴾ أى [من - ٤] * مكروه هو تحت^٥ إرادتنا و من جهة
 غير جهتنا .

و لما كان الجواب قطعاً : [ليس - ٤] لهم ذلك ،^٦ و هو بمعنى الاستفهام^٦ ،
 استأنف الإخبار بما يؤيد هذا الجواب ، و يجوز أن يكون تعليلاً . فقال : هـ
 ﴿ لا يستطيعون ﴾ أى الآلهة التى يزعمون أنها تنفعهم ، أو هم - لأنهم
 لا مانع لهم من دوننا - ﴿ نصر افسهم ﴾ من دون إرادتنا فكيف بغيرهم ،
 أو يكون ذلك صفة لآلهة على طريق التهكم ﴿ و لا هم ﴾^٧ أى الكفار
 أو^٨ الآلهة ﴿ منا ﴾^٩ أى بما لنا من العظمة^{١٠} ﴿ يصحبون هـ ﴾ [بوجه من
 وجوه الصحبة - ٢] حتى يصير لهم استطاعة بنا ، فانسدت عليهم ابواب ١٠
 الاستطاعة أصلاً و رأساً .

و لما لم يصلح^٩ هذا لأن يكون سبباً لاجترائهم ، أضرب^{١١} عنه قائلا
 فى مظهر العظمة ، إشارة إلى أن اغترارهم به سبحانه - مع ما له من
 دلائل الجلال - من أعجب العجب ، [بأننا على نحو لا كالى^{١٢} لهم منه
 و لا مانع هـ - ٢] : ﴿ بل متعنا ﴾^{١٣} أى بعظمتنا^{١٤} ﴿ قهولاه ﴾^{١٥} أى الكفار ١٥

(١) بياض فى الأصل ملأناه من مد (٢) من مد ، وفى الأصل : اشهر .
 (٣) زيد من مد (٤) زيد من ظ و مد (هـ-هـ) من مد ، وفى الأصل : يمكروه
 هو عن ، وفى ظ : دون (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) العبارة من
 هنا إلى « الآلهة » ساقطة من ظ (٨) من مد ، وفى الأصل « و » (٩) من ظ
 و مد . وفى الأصل : يلم يصح (١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل : ضرب .

'على حقارتهم'، أو الإضراب عن عدم استطاعتهم للنصر،^٢ والمعنى أن ما هم فيه من الحفظ إنما هو منا لأجل تمتيعهم بما لا يفتقر به إلا مغرور،^٣ [لا من مانع يمنعهم -^٤] (و'آباءهم') من قبلهم بالنصر وغيره (حتى طال عليهم العمر) فكان طول سلامتهم غارا لهم بنا، 'فظنوا' ه أنه لا يغلبهم على ذلك 'التمتع شيء، ولا ينزع عنهم ثوب النعمة' .

ولما أقام الأدلة ونصب الحجج على أنه لا مانع لهم من الله، تسبب عن ذلك الإنكار عليهم في اعتقاد غيره فقال: (افلا يرون) أى يعلمون علما هو في وضوحه مثل الرؤية بالبصر (انا) بما لنا من العظمة . وصور ما كان يحربه من عظمتهم على أيدي أوليائه فقال: ١٠ (نأى الارض) [أى -^٢] إلى أهلها كفار، 'إتيان غلبة لهم' بتسليط أوليائنا [عليهم -^٥] . ولما كان الإتيان على ضرر شتى، بينه بقوله: (تنقصها من أطرافها) بقتل بعضهم ورد^٦ من بقى عن دينه إلى الإسلام، فهم في نقص، وأوليائونا في زيادة .

ولما كانت مشاهدتهم لهذا مرة بعد مرة قاضية بأنهم المغلوبون، ١٥ تسبب عنه إنكار غير ذلك فقال: (افرهم) أى خاصة (الغلبون) أى مع مشاهدتهم لذلك أم أوليائنا .

(١-١) سقط ما بين برقين من ظ (٢-٢) ما بين الرقين في ظ : أى بل متعناهم . (٣) زيد من مد (٤) من ظ و مد . وفى الأصل : اعتقادهم (ه) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد . وفى الأصل : برد (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : عن .

ولما تبين [الخلف - ١] في قولهم على كثرته وادعائهم الحكمة
والبلاغة، وفعلهم على كثرتهم وزعمهم القوة والشجاعة، ثبت أن أقواله
الناقضة^٢ لذلك من عند الله بما ثبت^٣ من استقامة معانيها وإحكامها،
بعد ما اتضح من إعجاز نظومها وحسن الثامها، فأمره أن يبين لهم ذلك
بقوله: ﴿ قل إنما أنذركم ﴾^٤ أيها الكفار ﴿ بالوحي نزل ﴾ أي الآتى به
الملك [عن الله - ١] فلا قدح في شيء من نظمه ولا معناه والحال أنكم
لا تسمعون - على قراءة الجماعة، والحال، أنك لا تسمعهم^٥ - على قراءة ابن
عامر بضم الفوقانية وكسر الميم^٦ ونصب الصم خاصة^٧، ولكنهم لما كانوا
لا ينتفعون بأنذاره^٨ لتصاتهم وجعلهم أصابعهم في آذانهم وقت الإنذار^٩
عدم صما. أظهر الوصف لتعليق الحكم به فقال: ﴿ ولا يسمع الصم الدعاء ﴾^{١٠}
أي ممن يدعوهم، أو يكون معطوفا على ما تقديره: فإن كانت أسماعكم صحيحة
سمعتهم فأجبت^{١١}، ونبه بقوله: ﴿ إذا ما يندرون ﴾ على أن المانع لهم مع
الصمم كراهة الإنذار، وبالبناء للفعول على منذر - ١٠ .

ولما كان المنذر لا يترك الاستعداد لما ينذر به من العذاب

- (١) زيد من ظ و مد (٢-٢) من ظ و مد، وفي الأصل: أقوالهم المناقضة .
(٣) من ظ و مد، وفي الأصل: ثبتت (٤-٤) سقط ما بين الرقین من ظ .
(٥) العبارة من هنا إلى « خاصة » ساقطة من ظ (٦) من مد، وفي الأصل:
تسمع (٧) من مد، وفي الأصل: بكسر (٨-٨) سقط ما بين الرقین من مد.
(٩) من مد، وفي الأصل: فاصبتم، والعبارة من « أو يكون » إلى هنا ساقطة
من ظ (١٠) زيد من مد .

إلا إذا كان قويا على دفعه . بين أنهم على غير ذلك فقال : (ولئن) أى لا يسمعون والحال أنه لا قوة بهم ، بل إن (مستهم) أى لاقتهم أدنى ملاقات (نفحة) أى رائحة يسيرة مرة من المرات (من عذاب ربك) المحسن إليك بنصرك عليهم (ليقولن) وقد أذهلهم أمرها عن نخوتهم . وشغلهم قدرها عن كبرهم وحميتهم : (يؤولن) الذى لا يرى الآن بحضرتنا غيره (انا كنا) [أى - '] بما لنا بما ' هو فى ثباته كالجلبات ' (ظلين) ' أى عريقين فى الظلم ' فى إعراضه و تصامنا ' ترفقا و تذلا لعله يكف عنهم .

ولما بين ما افتتحت السورة من اقتراب الساعة بالقدرة عليه ١٠ . واقتضاء الحكمة له ، و ان كل أحد ميت لا يستطيع شيئا من الدفع عن نفسه فضلا عن غيره . وختمت الآيات باقرار الظالم بظلمه ، وكانت عادة كثير من الناس الجور عند القدره ، بين انه سبحانه بخلاف ذلك فذكر بعض ما يفعل فى حسب الساعة من العدل فقال عاطفا على قوله " بل تأتيهم بغتة " : (و نضع) فأبرزه فى مظهر " عظمة إشارة إلى هوانه " عنده وإن كان لكثرة الخلائق وأعمال كل منهم متعددا عندنا (الموازين) المتعددة لتعدد الموزونات أو أنواعها . ولما كانت الموازين آلة العدل ، وصفها به مبالغة فقال (القسط) أى العدل ' المميز للاقسام على السوية .

(١) ريد من مد (٢) من مد ، وفى الأصل : بما (٣) العبارة من « بما لده » إلى هنا ساقطة من ظ (٤) عبارة من هنا إلى « يكف عنهم » ساقطة من ظ (٥-٥هـ) ما بين الرئين بياض فى الأصل ملأاه من مد (٦) فى ظ : اضراب (٧) فى ظ : واحد . (٨-٨) سقط ما بين الرئين من ظ (٩) العبارة من هنا إلى « فيه فقال » ص ٤٢٩ من ٢ ساقطة من ظ .

ولما كان يوم الجزاء علة في وضع المقادير ، عبر باللام ليشمل
 - مع ما يوضع [فيه - '] - ما وضع الآن لأجل الدينونة فيه^١ فقال :
 ﴿ ليوم القيامة ﴾ الذى أنتم عنه - لإعراضكم عن الذكر - غافلون .
^٢ ولما جرت العادة بأن الملك قد يكون عادلا فظلم بعض أتباعه . بين
 أن عظمته في إحاطة علمه وقدرته تآني ذلك ، فبى الفعل للجهول فقال : ه
 ﴿ فلا ﴾ أى فتسبب عن هذا الوضع أنه لا ﴿ تنظم ﴾ [أى من ظالم
 ما - '] ﴿ نفس شيئا ﴾ من عملها ﴿ وان كان ﴾ أى العمل ﴿ مثقال حبة ﴾
 هذا على قراءة الجماعة بالنصب . والتقدير على قراءة نافع بالرفع : وإن
 وقع أو وجد ﴿ من خردل ﴾ أو أحقر منه ، وإنما مثل به لأنه غاية
 ندنا في القلة ، [وزاد في تحقيره بضمير التأنيث لإضافته إلى المؤنث ١٠
 فقال - '] : ﴿ اتينا بها ﴾ بما لنا من العظمة في العلم والقدرة وجميع صفات
 الكمال فحاسبناه / عليها ، والميزان حقيقى . ووزن الأعمال على صفة يصح
 ٥٠٦/ وزنها معها بقدرة من لا يعجزه شئ .

ولما كان حساب الخلائق كلهم على كل ما صدر منهم أمرا باهرا
 للعقل ، حقره عند عظمته فقال^١ : ﴿ وكفى بنا ﴾^٢ أى بما لنا من العظمة^٣ ١٥

(١) زيد من مد (٢) تقدم فى الأصل على « لأجل » والترتيب من مد (٣) العبارة
 من هنا إلى « للجهول فقال » ساقطة من ظ (٤) من مد ، وفى الأصل : ف .
 (٥) سقط من ظ (٦) العبارة من هنا إلى « أو وجد » ساقطة من ظ (٧) من
 مد ، وفى الأصل : أى (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : أى (٩ - ٩) سقط
 ما بين الرقيين من ظ ، و تقدم فى الأصل على « اتينا بها » والترتيب من مد .
 (١٠ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ .

('حسين') أى لا يكون فى الحساب أحد مثلنا . فقيه [توعد من جهة
أن معناه أنه لا يروج عليه شئ من خداع ولا يقبل - '] غلطاً ، ولا يضل
ولا ينسى . إلى غير ذلك من كل ما يلزم منه نوع لبس أو شوب نقص ،
[و وعد من جهة أنه يطلع على كل حسن فقيد وإن دق وخفى - '] .
و لما قدم [فى قوله - '] " ما ياتيهم من ذكر من ربهم " - الآية
و غيره^٢ أنهم أعرضوا عن هذا الذكر تعطلاً بأشياء منها طلب آيات
الاولين ، و نبه على إفراطهم فى الجهل بما ردوا من الشرف بقوله " لقد
انزلنا اليكم كتباً فيه ذكركم " و مر إلى أن ختم بالتهديد بعذابه ، و أنه
يحكم بالقسط ، و كان كتاب موسى عليه السلام بعد القرآن أعظم
١٠ الكتب السماوية ، و كان أهل الكتاب قد أعرضوا عنه غير مرة على
زمن موسى عليه السلام بعبادة العجل وغيره و بعد موته مع كون^٣
المرسل . به اثنان تعاضداً على إبلاغه و تقرير أحكامه بعد أن بهرا العقول^٤
بما أتيا به من الآيات التى منها - كما بين فى سورة البقرة و الإعراف -
التصرف فى العناصر الأربع التى هى أصل الحيوان الذى بدأ الله منها
١٥ خلقه . و مقصود اسررة الدلالة على إعادته^٥ ، و منها ما عذب به من
أعرض عن ذكر موسى و هارون عليهما السلام الذى هو ميزان العدل
لما نشر من النضياء المورث للتقصير الماحقة للظلام ، فلا يقع متبعه فى

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من مد م فى ظ : غيرها (٤) فى مد : تعليلاً .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : كونه (٦) من ظ م مد ، و فى الأصل :
المقصود (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : عذبتها .

ظلم^١، وكان الحساب تفصيل الأمور ومقابلة كل منها بما يليق به،
وذلك بعينه هو الفرقان، قال سبحانه بعد آية الحساب عاطفا على "لقد
انزلنا": ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ أى^٢ بما لنا من العظمة^٣ (موسى وهرون)
أى أخاه الذى سأل^٤ أن يشد أزره به ﴿الفرقان﴾ الذى تعاضدا
على إبلاغه والإلزام بما دعا إليه حال كونه مبينا لسعادة الدارين، لا يدع^٥
لبسا فى أمر من الأمور ﴿وضياء﴾ لا ظلام معه، فلا ظلم للمستبصر
به، لأن من شأن من كان فى ضياء أن لا يضع شيئا إلا فى موضعه
﴿وذكرنا﴾^٦ أى وعظا وشرفا.

ولما كان من لا ينتفع بالشيء لا يكون له منه شيء، قال^٧:
﴿للتقين﴾^٨ أى الذين صار [هذا -] الوصف لهم شعارا حاملا [لهم -]^٩ ١٠
على التذكر لما يدعوا إليه الكتاب من توحيد الذى هو أصل المراقبة؛
ثم بين التقوى [بوصفهم -]^{١١} بقوله: ﴿الذين يخشون﴾^{١٢} أى يخافون
خوفا عظيما^{١٣} ﴿ربهم﴾^{١٤} أى المحسن إليهم بعد الإيجاد بالربة وأنواع
الإحسان^{١٥} ﴿بالغيب﴾^{١٦} أى فى أن يكشف لهم الحجاب يوم من الساعة
الآتية نضع فيها الموازين. وقد اعرض عنها الجاهلون مع كونها أعظم^{١٧}
حامل على كل خير. ^{١٨} مبدء من كل ضير^{١٩} ﴿مشفقون﴾^{٢٠} لأنهم لقيامها
متحققون، وبنصب الموازين فيها عالمين.

(١) زيد فى الاصل: ظلام، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فخدماءها.

(٢-٣) فى ظ: عظمتنا (٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) سقط من ظ.

(٥) زيد من ظ ومد (٦) زيد من مد.

ولما ذكر فرقان موسى عليه السلام . وكان العرب يشاهدون
إظهار اليهود للتمسك به و المقاتلة على ذلك و الاغتيال ، حثهم على
كتابهم الذى هو أشرف منه فقال : ﴿ هذا ﴾ فأشار إليه بأداة القرب
[إيماء - ٢] إلى سهولة تناوله عليهم ﴿ ذكر ﴾ أى عظيم . و دلهم على
٥ / ٥٠٧ أنه أثبت الكتب و أكثرها فوائد / بقوله : [﴿ مبارك ﴾] و دلهم على
زيادة عظمتة بما له من قرب الفهم و الإعجاز و غيره بقوله - [:
﴿ انزلنه ﴾] ثم أنكر عليهم رده و وجبهم في سياق دال على أنهم
أقل من أن يجترئوا على ذلك ، منه على أنهم أولى بالمجاهدة في هذا
الكتاب من أهل الكتاب و كتابهم فقال : ﴿ افاتم له ﴾ أى لتكونوا
١٠ دون أهل الكتاب برد ما أنزل لتشريفكم عليهم و على غيرهم مع أنكم
لا تنكرون كتابهم ﴿ منكروا ﴾ أى أنه لو أنكره غيركم لكان ينبغي لكم
مناصبته . فكيف يكون الإنكار منكم ؟

ولما كان مقصود^١ السورة الدلالة على القدرة على ما استبعده
العرب من إعادة الحيوان بعد كونه تراثا ، وبدأ ذكر الانبياء بمن صرفه
١٥ في العناصر الأربعة كما تقدم قص ذلك من التوراة في سورتي البقرة
و الاعراف إشارة إلى أن من استعد عليه ما جعله إلى بعض عبيده
(١) من ظ و مد ، : في الأصل : المقابلة (٢) يريد من ظ و مد (٣ - ٤) سقط
بين الرقيين من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « كتابهم » ساقطة من ظ .
(٥) من مد ، و في الأصل : عيوبهم (٦) في مد : مقصد (٧) من مد ، و في
الأصل و ظ : سورة .

أعمى الناس ، تلاه من الأنبياء بمن سخر له واحدا من تلك العناصر ،
مرتباهم على الاخف في ذلك فالاخف على سبيل الترقى ، فبدأهم بذكر
من سخر له عنصر النار ، مع التنبيه للعرب على عمام عن الرشد بانكاره
للشرك بعبادة الأوثان على أيه وغيره ، ودعائهم إلى التوحيد ، و المجاهدة
في الله على ذلك حق الجهاد ، وهو أعظم آباء الرايين لهذا الذكر ، ه
و المستمسكين بالشرك تقليدا للآباء ، إثباتا للقدرة الباهرة الدالة على التوحيد
الداعى إليه جميع هؤلاء الأصفياء ، هذا مع مشاركته بانزال الصحف
عليه لموسى و محمد عليهما الصلاة و السلام و مشاركته لهما^٢ في الهجرة ،
و إذا تأملت ما في سورتي^٣ الفرقان و الشعراء ازداد ما قلته وضوحا ،
فانه لما أخبر تعالى أنهم قالوا ” لو لا نزل عليه القرآن جملة واحدة “ ١٠
بدأ بقصة موسى الذى كتب له ربه فى الألواح من كل شيء ، و قومه
مقرؤون بعظمة كتابه و أنه أوتى من الآيات ما بهر العقول ، و كفر به
مع ذلك [كثير منهم - ٦] . و لما قال فى الشعراء ” ما يأتهم من ذكر
من الرحمن محدث “ - الآية^٥ كما هنا ، صنع كما صنع هنا من البداءة
بقصة موسى عليه السلام و لإيلائها ذكر إبراهيم عليه السلام فقال تعالى : ١٥
﴿ و لقد آتينا ﴾ [بما لنا من العظمة - ٨] ﴿ إبراهيم ﴾ أى صلاحه
(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : التمسكين (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل :
لها (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : سورة (٤) فى ظ : انزل (٥) سقط من
ظ (٦) زيد من ظ و مد (٧) آية ه (٨) زيد من مد .

وإصابته وجه الأمر و إهتداه^١ إلى عين الصواب و أدل الدلالة و أعرف
 العرف و أشرف القصد^٢ الذى جبلناه عليه^٣؛ و قال الرازى فى اللوامع :
 و الرشد قوة بعد الهداية - انتهى . و أضافه^٤ إليه إشارة إلى أنه رشد
 يليق به على علو مقامه و عظم شأنه لا جرم ظهر عليه أثر ذلك من بين
 ه أهل ذلك الزمان كلهم فآثر الإسلام على غيره من الملل (من قبل)
 أى قبل موسى و هارون عليهما السلام (و كنا) [بما لنا من العظمة -^٥]
 (به) (ظاهره و باطنا) (علين) بأنّه جملة خير يدوم على الرشد
 و يترقى فيه إلى أعلى درجاته لما طبعناه عليه بعظمتنا من طبائع الخير ؛
 و تعليق (اذ قال) [أى إبراهيم -^٦] (لايه و قومه) بـ " علين "
 ١٠ / ٥٠٨ إشارة إلى أن قوله لما كان باذن منا / و رضى لنا نصرناه^٧ - و هو وحده -
 على قومه كلهم ، و لو لم يكن^٨ يرضينا لمنعناه^٩ منه بنصر قومه عليه و تمكين
 النار منه ، فهو مثل ما مضى فى قوله " قل ربى يعلم القول فى السماء
 و الارض " و مفهوم هذا القيد لا يضر لأنه لا يحصى ما ينفيه من المنطوقات ،
 و إن شئت فعلقه^{١٠} بـ " ايتنا " ؛ ثم ذكر مقول القول فى قوله منكرا
 ١٥ عليهم محقرا لأصنامهم فى أسلوب التجاهل^{١١} الإثبات دعوى جهلهم بدليل^{١٢} :

- (١) من مد ، و فى الأصل و ظ : اهتدا (٢ - ٣) سقط ما بين الرقنين من ظ .
 (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اضاف (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد ،
 و فى الأصل : فنصرناه (٦ - ٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : مرضيا لمنعناه - كذا .
 (٧) العبارة من هنا إلى « بآيتنا » - ساقطة من ظ (٨) من مد ، و فى الأصل :
 فعلت - كذا (٩ - ١٠) سقط ما بين الرقنين من مد (١٠ - ١٠) سقط ما بين
 الرقنين من ظ و مد .

(ما هذه التماثيل) أى الصور التى صنعتوها تماثيل^١ بها ما فيه روح ،
 'جاعلين بها ما لا يكون إلا لمن لا مثل له^٢ ، وهى الأصنام
 (التى اتهم لها)^٣ أى لأجلها^٤ وحدها ، مع كثرة ما يشابهها وما هو
 أفضل منها (عكفون هـ) أى 'موقعون الإقبال' عليها مواظبون على
 ذلك ، فبأى معنى استحققت منكم هذا الاختصاص ، وإنما هى 'مثال للحى' هـ
 فى الصورة وهو أعلى منها بالحياة التى أفاضها الله عليه .

ولما أنام بهذا القاصم^٥ ، استأنف الخبر سبحانه عن جوابهم بقوله^٦ :
 (قالوا) مسوين أنفسهم^٧ بالبهائم التى تقاد ولا علم لها بما قيدت له :
 (وجدنا آباءنا لها) خاصة (عبيد هـ) فاقتدينا بهم لا حجة لنا غير
 ذلك . ولما غلوا فى الجهل غير محتشمين^٨ من إقرارهم على أنفسهم به ، ١٠
 بالاستناد إلى محض التقليد بعد إفلاسهم من أدنى شبهة فضلا عن دليل^٩ ،
 استأنف الله تعالى الإخبار عن جوابه بقوله : (قال) أى^{١٠} منها لهم
 بسوط التقريع على أن الكلام مع آباءهم كالكلام معهم : (لقد كنتم)
 و أكد بقوله : (اتهم)^{١١} 'لأجل صحة العطف لأن الضمير [المرفوع - ']
 المتصل حكمه حكم " جزء الفعل " ، هذا مع الإشارة إلى " الحكم على " ١٢ ١٥

- (١) من ظ و مد ، وفى الأصل : تماثيل (٢ - ٣) سقط ما بين الرقنين من ظ .
 (٣ - ٣) فى ظ : مقبلون (٤ - ٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : تماثل الحى .
 (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : أنفسهم (٦) العبارة من هنا إلى « جوابه بقوله »
 ساقطة من ظ (٧) من مد ، وفى الأصل : الميل (٨) سقط من ظ (٩) العبارة
 من هنا إلى « وأبواطنهم » ساقطة من ظ (١٠) زيد من مد (١١ - ١١) من
 مد . وفى الأصل : الجزء للفعل (١٢ - ١٢) من مد ، وفى الأصل : حكم الى .

ظواهرهم وبواطنهم ﴿ وَاَبَاؤُكُمْ ﴾ أى من قبلكم ﴿ فى ضلل ﴾ قد أحاط
بكم إحاطة الظرف بالمظروف والمسلك بالسلك ﴿ مبين ﴾ ليس به
نوع من الخفاء .

ولما لم تكن عادته مواجهة أحد بما يكره .^١ استأنف الإخبار عنهم
بما يدل عليه فقال :^٢ ﴿ قَالُوا ﴾ ظنا منهم أنه لم يقل ذلك على
ظاهره : ﴿ اجتئنا ﴾ فى هذا الكلام ﴿ بالحق ﴾ الذى يطابقه الواقع
﴿ ام انت من اللعين ﴾ فظهر كلامك غير حق ﴿ قال ﴾ [بانيا
على ما تقديره -^٣] : ليس^٤ كلامى لعبا^٥ . بل هو جد ، وهذه التماثيل
ليست أربابا ﴿ بل ربكم ﴾ الذى يستحق منكم اختصاصه بالعبادة
١٠ ﴿ رب السموت والارض ﴾ أى مديروها القائم بمصالحهن ﴿ الذى فطرهن ﴾^٦
أى أوجدهما^٧ وخلق بهما^٨ ظلمة^٩ العدم ، وأتم وتماميلكم بما^{١٠} فيها
من مصنوعات^{١١} أتم تشهدون بذلك إذا رجعتن إلى عقواكم مجردة عن
الهُوى ﴿ وانا على ذاكم ﴾ الامر اليين من أنه ربكم وحده فلا تجوز
عبادة غيره ﴿ من الشهدين ﴾^{١٢} أى الذين يقدرون^{١٣} على إقامة الدليل

() من ظ ومد ، وفى الأصل : فيه (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ .
(٣) زيد من مد (٤-٤) من ظ ومد . وفى الأصل : كلام اعم (٥) العبارة
من هنا إلى « خلق بهما » ساقطة من ظ (٦-٦) من مد ، وفى الأصل : سواهما .
(٧) من مد ، وفى الأصل و ظ : من (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : بما .
(٩) زدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن و ظ ومد فحذفنا (١٠) العبارة
من هنا إلى « إلى الضلاله » ساقطة من ظ (١١) من مد ، وفى الأصل : يقررون .

على ما يشهدون به لأنهم لم يشهدوا 'إلا على' ما هو عندهم مثل 'شمس' .
لا كما فعلتم أنتم حين اضطركم السؤال إلى 'ضلال' .

ولما أقام البرهان على إثبات الإله الحق ، أتبعه البرهان على إبطال
الباطل [فقال - ٢] : ﴿ و تالله ﴾ 'و هو قسم' . و الأصل في القسم الباء

الموحدة ، و الواو بدل منها ، و التاء بدل من الواو ، و فيها - مع كونها هـ
بدلاً - زيادة على التأكيد بالتعجب : قال الأصمعي : كأنه تعجب من تسهل

الكيد على يده انتهى . و فيها أيضاً تدل على رجوع التسبب
باطناً ، فكأنها إشارة إلى أنه بعد أن نسب في ردهم عن عبادتها ظاهراً

بما خاطبهم به . تسبب من ذلك ثانياً [باطناً - ٣] بإفسادها ﴿ لا كيدن ﴾

٨ أكد لآلهه ١ بنكر أشدة عسره ؛ و الكيد : الاحتيال ؛ في الضرر ١٠

﴿ اصنامكم ﴾ أى هذه التى عكستم عليها ناسين الذى خلقكم و إياها . أى
لأفعلن بها ما يسوءكم بضرب من الحيلة .

١١ لما كان عزمه على إيقاع الكيد في جميع الزمان الذى يقع فيه

توليهم في أى جزء تيسرله منه ، أسقط الجار فقال : ﴿ بعد ان تولوا ﴾

أى 'توقعوا' 'تولى' عنها . 'و حقق مرده بقوله' '﴿ مدبرين ﴾ ١٥

١-١ من مد . و في الأصل : الى (٢) زيد من ظ و مد (٣) العبارة من هنا

إلى 'بإفسادها' ساقطة من ظ (٤) في مد . بـ 'تعجب' (٥) من مد ، و في الأصل :

يعد ١٦ في مد : خاطبهم (٧) زيد من مد ١٨ العبارة من ها إلى 'في الضرر'

ساقطة من ظ (٩) من مد و في الأصل : الاختيار أسقط ما بين

أرة من ين ظ .

لأنزلكم من الدليل العقلى على تحقيق الحق إذ لم تكونوا من أهله
إلى الدليل الحسى على إبطال الباطل .

ولما كانوا فى غاية التعظيم لأصنامهم لرسوخ أقدامهم فى الجهل ،
لم يقع فى أوهامهم قط أن إبراهيم عليه السلام يقدم على ما قال ، وعلى
٥ تقدير إقدامه الذى هو عندهم من ' قيل المحال لا يقدر على ذلك ، قتلوا
إلى عيديم ، وقصد هو ما كان عزم عليه فشر فى إنجازهم تسميرا يلىق
بتعليقه^٢ اليمين بالاسم الأعظم (فجعلهم) [أى -] ' عقب توليهم ' (جذذا)
قطعا مهشمة مكسرة مفتة ، من الجذ وهو القطع (الا كبيرا) واحدا (لهم)
أى للأصنام^٣ ، أو لعبادها^٤ ، فانه لم يكسره وجعل القاس معه (لعلمهم)^٥ أى
١٠ أهل الضلال^٦ (إليه) وحده (يرجعون^٧) عند إلزامه لهم بالسؤال فتقوم
عليهم الحجة ، إذ لو ترك غيره معه لربما زعموا أن كلاً يكلم الكلام إلى الآخر
عند السؤال لغرض من الأغراض ، فلما عادوا إلى أصنامهم فوجدوها
على تلك الحال علم^٨ أنه لا بد لهم عند ذلك من أمر هائل ، فاستأنف^٩
الإخبار عنه بقوله : (قالوا)^{١٠} ' أى أهل الضلال^{١١} : (من فعل هذا)^{١٢}

(١) من ظ و مد . وفى الأصل : فى (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : بتعليق .
(٣) زيد من مد (٤-٤) - قط ما بين ارفقين من ظ (٥) من ظ و مد ، وفى
الأصل : الاصنام (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : كل (٧) من مد ، وفى
الأصل : ثم ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة - سائطة فى ظ إلى «عنه بقوله» .
(٨) من مد ، وفى الأصل : فاستأنف (٩) زيد فى الأصل بعده : أى ، ولم تكن
الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

الفعل الفاحش ﴿بالهتاء﴾ ثم استأنفوا الخبر عن الفاعل فقالوا "مؤكدين
لعلهم أن ما أقامه الخليل عليه السلام على بطلانها يميل القلوب إلى
اعتقاد أن هذا الفعل حق" : ﴿انه لمن الظلمين﴾ حيث وضع الإهانة
في غير موضعها، فان الآلهة حقها الإكرام، لا الإهانة و الانتقام ﴿قالوا﴾
"أى بعضهم لبعض" : ﴿سمعنا﴾ ولم يريدوا تعظيمه مع شهرته وشهرة
أبيه وعظمتها فيهم ليجترأ عليه من لا يعرفه فنكرهه [بقولهم -] :
﴿قئ﴾ [أى -] شابا من الشبان ﴿يذكركم﴾ أى بالنقص والعيب
﴿يقال له ابراهيم﴾ "يعنون : فهو الذى يظن أنه فعله" ﴿قالوا﴾ "مسيبين
عن هذا" كارهين لأن يأخذوه سرا فيقال : أخذ بغير بينة ، وهم كفرة
وهو قد خالفهم في دينهم فالى الله المشتكى من قوم يأخذون أكابر أهل
دينهم بغير بينة بل ولا ظنة ﴿فاتوا به﴾ إلى هنا أى إلى بيت الأصنام
﴿على آعين الناس﴾ أى جهرة . والناس ينظرون إليه نظرا لا خفاء معه
حتى كانه ما يش على أبصارهم ، متمكنا منها تمكن الراكب على المركوب ،
وعبر بالعين عن البصر ليفهم الأكابر . و يجمع القلة لإفادة السياق
الكثرة ، يفيد الأمران قلة ما ، ثلاثتهم من جمع الكثرة جميع ١٥
الناس مطلقا ﴿لعلهم﴾ إذا راوه ﴿يشهدون﴾ أى أنه فعل بالآلهة هذا

(١) من ظ ومد ، وفي الأصل : استأنف (٢-٢) سقط ما بين الرمين من ظ .
(٣) من مد . وفي الأصل : ليجترأ (٤) من مد . وفي الأصل : فنكره ،
والعبارة من « ولم يريدوا » إلى هنا - انقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) زيد
من ظ و مد (٧) سقط من مد .

الفعل، أو أنه ذكرها بسوء. فيكون ذلك مسوغا لأخذه بذلك،
أو يشهد بفعله بعضهم، لأن / الشيء إذا حضر كانت أحواله بالذكر
أولى منها إذا كان غائبا، وكان هذا عين ما قصده الخليل عليه السلام
أن بين - في هذا المحفل - الذي لا يوجد مثله - ما هم عليه من واضح
الجهل المتضمن قلة العقل .

ولما كان إحضاره معلوما أنهم لا يتأخرون عنه ، استأنف
أخبار لما يقع "تشوف له فقال" : ﴿ قالوا ﴾ منكرين عليه "مقررين ،
له بعد حضوره على تلك الهيئة " : ﴿ انت فعلت هذا ﴾ الفعل
الفاحش ﴿ رالھتھا یابرھیم ؑ قال ﴾ متعكفا بهم^٦ ولملما بالحجة :
١٠ ﴿ بل فعلة کبیرھم ﴾ غيره من أن يعبد معه من هو دونه ،^٧ وهذا على
طريق إلزام^٨ . لحجة ؛ وتقيدده بقوله : ﴿ هذا ﴾ إشارة إلى الذي تركه
بغير كسر بدل على أنه كان فيهم كبير غيره . وكذا التكرير فيما مضى
من قوله " الا كبيراً لهم " وهذا - مع كونه تهكماً بهم^٩ وكناية عن أنهم
لا عقر لهم لعبادتهم من يعلمون أنه لا يقدر على فعل ما^{١٠} - تنبيه على
١٥ قباحة الشرك ، وأنه لا يرضى به إله بل يهلك من عبد غيره وكل
ما عبد من دونه إن كان قادراً . غيره على مقامه العظيم ، ومنصبه الجسيم .
ولما أخبرهم بذلك ، ولم يكن أحد رآه حتى يشهد على فعله . وكالوا

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : كانه (٢) بين سطرى ظ : المجتمع (٣) من ظ
و مد ، وفي الأصل : اوضح (٤-٤) في ظ : فلما احضروه (ه-ه) سقط ما بين
الرقين من ظ (٦) من مد ، وفي الأصل : لهم ، والكلمة ساقطة من ظ .
(٧) العبارة من هنا إلى « الحجة » ساقطة من مد (٨) من ظ ، وفي الأصل :
الزمام - كذا (٩) بين سطرى ظ : أى قوله " بل فعلة كبيرهم " .

قد أحلوم بعبادتهم و وضع الطعام لهم محل من يعقل ، سبب^١ عنه أمرهم
 بسؤالهم فقال : ﴿ فستلوم ﴾^٢ أى عن الفاعل ليخبروكم به^٣
 ﴿ ان كانوا ينطقون ٥ ﴾ على زعمكم أنهم آلهة يضرون و ينفعون ، فان قدروا
 على النطق أمكنت منهم القدرة و إلا فلا^٤ ، أما سؤال الصحيح فواضح ،
 و أما غيره فكما يسأل الناس من جرح أو قطعت يده أو رجله أو ضرب ٥
 وسطه و بقيت فيه بقية من رفق ، و إسناده الفعل إلى ما لا يصح إسناده إليه
 و أمره بسؤاله بعد الإضراب عن فعله^٥ متضمن لأنه هو الفاعل .

و لما كان روح الكلام إقراره بالفعل^٦ و جعلهم موضع الهزء
 لأنهم عبدوا ما لا قدرة له على دفاع أصلا ، تسبب عنه^٧ قوله تعالى
 الدال على خزيهم^٨ : ﴿ فرجعوا ﴾^٩ أى الكفرة^{١٠} ﴿ الى انفسهم ﴾ ١٠
 بمعنى أنهم فكروا فيما قال فاضطرم الدليل إلى أن تحققوا أنهم على
 محض الباطل و أن هذه الشرطية الممكنة عقلا غير ممكنة عادة ﴿ فقالوا ﴾
 يخاطب بعضهم بعضا [مؤكدين لأن حالهم يقتضى إنكارهم لظلمهم - ١١] :
 ﴿ انكم اقم ﴾ خاصة ﴿ الظلمون لا ﴾ لكونكم وضعتم العبادة في غير
 موضعها ، لا إبراهيم فانه أصاب في إهاتهم سواء المحز و وافق عين الغرض^{١٢} ، ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تسبب (٢-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ .
 (٣) من مد ، و فى الأصل : عن (٤) فى الأصل بياض ملأناه من مد ، و اعبارة
 من ٥ و لما كان ، إلى هنا ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) بياض فى الأصل
 ملأناه من ظ و مد .

'وفى أنكم بعد أن عبدتموها ولا قدرة لها تركتموها بلا حافظ' .

ولما كان رجوعهم إلى الضلال بعد هذا الإقرار الصحيح الصريح في غاية البعد^٢ ، عبر بأداته مشيرا إلى ذلك فقال : ﴿ ثم نكسوا ﴾ أى انقلبوا^٣ فى الحال غير مستحيين مما يلزمهم من الإقرار بالسفه حتى كأنهم قلبهم قالب لم يمكنهم دفعه ﴿ على رؤوسهم ﴾ فصار أعلام أسفلهم يرجوعهم عن الحق إلى الباطل ، من قولهم : نكس المريض - إذا رجع إلى حاله الأول ، قائلين فى مجادلته عن شركائهم : ﴿ لقد علمت ﴾ يا إبراهيم ! ﴿ ما هؤلاء ﴾ ' لا صريحهم و لا جريحهم ' ﴿ ينطقون هـ ﴾ فكانوا بما فاهوا به ظانين أنه ينفعهم ، يمكنين لإبراهيم عليه السلام من جلائل المقاتل .

١٠ / ٥١١ ولما تسبب / عن قولهم هذا إقرارهم بأنهم لا فائدة فيهم ، فاتجهت

لإبراهيم عليه السلام الحجة عليهم ، ' استأنف سبحانه الإخبار عنها بقوله ' : ﴿ قال ﴾ منكرا عليهم ومخالفا لهم ' مسليا عن إقرارهم هذا ' : ﴿ اقتعبدون ﴾ ونبههم على أن جميع الرتب تضاهل دون رتبة الإلهية بقوله : ﴿ من دون الله ﴾ - ' أى من أدنى رتبة من تحت رتبة الملك ' الذى لا ضرر ولا نفع إلا بيده ١٥ لاستجاءه صفات الكمال^٦ . ولما كانوا فى محل ضرورة بسبب تكسير

(١-١) - سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) من ظ و مد . وفى الأصل : البصر .

(٣) العبارة من هنا إلى « دفعه » ساقطة من ظ (٤) من مد ، وفى الأصل :

بالسقيم (٥) زيد فى مد : بلجميع (٦) العبارة من « لاستجاءه » إلى هنا

ساقطة من ظ .

أصنامهم ، راجين من ينفعهم في ذلك^١ ، قدم النفع فقال :
 ﴿ ما لا ينفعكم شيئا ﴾ لرجوه ﴿ ولا يضركم^٢ ﴾ شيئا لتخافوه .
^٣ ولما أثبت أن معبوداتهم هذه في حيز العدم ، فكانوا لعبادتها دونها ،
 استأنف تبكيتهم لذلك بأعلى كلمات التحقير التي لا يقال إلا لما هو غاية في
 القذارة فقال^٤ : ﴿ اف ﴾ أي تقذر وتحقير مني . ^٥ وفي الإحقاف^٦ ما يتعين ه
 استحضاره هنا ، ثم خص ذلك بهم بقوله : ﴿ لكم ولا تعبدون ﴾ [و لما
 كانت - ^٧] عبادتهم على وجه الإشراك ، ^٨ وكانت^٩ [جميع الرتب تحت
 رتبته تعالى ، وكانت أصنامهم هذه في رتب منها سافلة جدا أثبت الجار
 فقال - ^{١٠}] : ﴿ من دون الله^{١١} ﴾ أي الملك الأعلى^{١٢} لدناه تم وقذار تم .
 و لما تسبب عن فعلهم هذا وضوح أنه لا يقربه عاقل ، أنكر عليهم ^{١٣}
 و وبخهم على ترك الفكر^{١٤} تنبيها على أن فساد ما هم عليه يدرك بيديهه
 العقل فقال : ﴿ افلا تعقلون^{١٥} ﴾ أي وأنتم شيوخ قد مرت بكم الدهور
 و حنكتكم التجارب^{١٦} .

و لما وصل بهم إلى هذا الحد من البيان ، فدحضت حجتهم ، و بان
 عجزهم ، و ظهر الحق ، و اندفع الباطل ، فانقطعوا انقطاعا قاضيا ، ^{١٧} أشار ^{١٨}
 سبحانه إلى الإخبار عن ذلك بقوله استئنافا^{١٩} : ﴿ قالوا ﴾ عادلين إلى

(١) زيد في الأصل : اليوم ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفناها (٢-٣) سقط
 ما بين الرقين من ظ (٤) العبارة من هنا إلى «هنا» ساقطة من ظ (٥) راجع آية ١٧ .
 (٥) زيد من ظ و مد (٦-٧) في ظ : قال (٧) زيد من مد (٨) من ظ و مد ،
 و في الأصل : الذكر (٩) بهامش ظ : التجارب بكسر الراء جمع تجربة .

العناد واستعمال القوة الحسية: ﴿ حرقوه ﴾ بالنار لتكونوا قد فعلتم فيه
 فعلا هو أعظم مما فعل بآلهتكم ﴿ وانصروا آلهتكم ﴾ التي جعلها جذازا؛
 وأشار التعبير - بأداة الشك وفعل الكون واسم الفاعل إلى أن أذاه
 لا يسوغ، وليس الحامل عليه إلا حيلة غلبت على الفطرة الأولى السليمة
 ه - في قوله ١: ﴿ ان كنتم فعلين ﴾ أى النصر لها، فان النار أهول
 المعاقبات ٢ وأفظعها، فهي أزجر لمن يريد مثل هذا الفعل، وتركوا
 الجدال فانه يورث ضد ما يريدون، ويؤثر عكس ما تطلبون، فعزموا
 على ذلك فجمعوا الحطب شهرا ووضعوه في جوبة ٢ من الأرض ٣ أحاطوا
 بها جدارا كما ٤ في الصافات ٦ حتى كان ٥ ذلك الحطب ١ كالجلل، وأضرموا
 ١٠ فيه النار حتى كان على صفة لم يوجد في الأرض قط مثلها، حتى أن
 كان الطائر ليمر بها في الجو فيحترق ٧، ثم ألقوه فيها بالمنجنيق فقال:
 حسبي الله ونعم الوكيل - أخرجه البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما،
 ولابن يعلى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
 لما ألقى إبراهيم عليه السلام في النار قال: اللهم! إنك في السماء واحد وأنا
 ١٥ في الأرض واحد، عبدك ٨، وقال البغوى ٩: أتاه خازن المياه فقال: إن

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) بهامش ظ: المعاقبات بفتح القاف جمع
 معاقبة وهى مصدر (٣) أى حفرة (٤) العبارة من هنا إلى « الصافات » ساقطة
 من ظ (٥) من مد، وفى الأصل: كل (٦) راجع آية ٩٧ (٧) حسب قول
 ابن إسحق - راجع معالم التنزيل على هامش لباب التأويل ٤ / ٢٤٣ (٨) فى ظ:
 اعبدك (٩) فى المعالم - راجع الباب ٤ / ٢٤٣ -

أردت أخدم النار ، وأناه خازن الرياح فقال : إن شئت طيرت النار
 في الهواء ، فقال إبراهيم : لا حاجة [١ - لى] إليكم / " حسي الله ونعم
 الوكيل " . فأراد الله الذى له القوة جميعا سلامته منها ، فعبر عن ذلك
 بقوله سبحانه ^٢ استئنافا لجواب من زاد تشوفه إلى ما كان من ^٣ أمره
 بعد الإلقاء فيها : ﴿ قلنا ﴾ ^٤ أى بعظمتنا ﴿ ينار كوفى ﴾ بارادتنا التى
 لا يتخلف عنها مراد ﴿ بردا ﴾ . ولما كان البرد قد يكون ضارا قال :
 ﴿ وسلمنا ﴾ فكانت كذلك ، فلم تحرق ^٥ [منه - ١] إلا وثاقه .
 ولما كان المراد اختصاصه عليه السلام بهذا قيده به ، ولما كان
 المراد حياته ولا بد ، عبر بحرف الاستعلاء فقال : ﴿ على إبراهيم ﴾ أى
 فكان ما أردنا من سلامته ، وروى البغوى ^٦ من طريق البخارى عن ١٠
 أم شريك رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل
 الوزغ وقال : كان ينفخ [النار - ١] على إبراهيم . وقال ابن كثير :
 وقال ابن [أبى - ١] حاتم : حدثنا عبيد الله بن أخى ابن وهب [ثنا
 عمى - ١] عن جرير بن حازم أن نافعا حدثه قال : حدثنى مولاة الفاكه
 ابن المغيرة المخزومي قالت ^٧ : دخلت على عائشة رضى الله عنها فرأيت فى ١٥

(١) زيد من ظ ومد والعالم (٢) العبارة من هنا إلى «الإلقاء فيها» ساقطة من ظ .

(٣) من مد ، وفى الأصل : عن (٤ - ٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من

ظ ومد ، وفى الأصل : فلم نحر - كذا (٦) زيد من ظ ومد (٧) حسب ما

قال كعب - راجع المعالم (٨) راجع المعالم على هامش الباب ٤ / ٢٤٣ (٩) زيد

من المعالم (١٠) من ظ ومد ، وفى الأصل : قال .

بيتها رحا فقلت : يا ام المؤمنين ! ما تصنعين بهذا الرمح ؟ فقالت : نقتل به هذه ' الاوزاغ ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار لم يكن في الأرض دابة إلا تطفئ عنه غير الوزغ ، فانه كان ينفخ على إبراهيم فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله .

٢ ولما قدم ما نبه على شدة الاهتمام به [لإفهامه - ٢] أنه حكم بسلامته من كيدهم عند مهمهم به فكيف بما بعده ! قال عاطفا على ما تقديره : فألقوه فيها : ﴿ و أرادوا به كيدا ﴾ [أى مكرا باضراره - ٢] بالنار و بعد خروجه منها ﴿ فجعلتهم ﴾ [أى - ٢] بما لنا من الجلال .

١٠ [ولما كانوا قد أرادوا بما صنعوا له من العذاب أن يكون أسفل منهم أهل ذلك الجمع ، وكان السياق لتحقيق أمر الساعة الذى هو مقصود السورة ، وكان الصائر إليها المفرط فيها بالتكذيب بها قد خسر خسارة لا جبر لها لقوات محل الاستدراك ، قال - ٢ : ﴿ الاخيرين ٤ ﴾ لأن فضيحتهم فى الدنيا الموجبة للعذاب فى الأخرى كانت بنفس فعلهم الذى كادوه به . ولم يذكر سبحانه شعبيا عليه السلام مع أنه سخر له النار فى يوم الظلة فأحرقت من عصاه . لأن فعل النار بقومه كان على ما هو المعهود من أمرها بخلاف فعلها مع إبراهيم عليه السلام . فانه على خلاف

(١-١) من ظ و مد ، وفى الأصل : بهذه (٢) العبارة من هنا إلى « فألقوه فيها » ساقطة من ظ (٣) زيد من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ .

المعتاد ، 'و قد وقع مثل هذا' لبعض أتباع نبينا^٢ صلى الله عليه وسلم ،
 وهو أبو مسلم الخولاني ، طلبه الأسود العنسي لما ادعى النبوة فقال له :
 أتشهد أني رسول الله ؟ قال : ما أسمع ، قال : 'أتشهد أن محمدا رسول الله ؟
 قال : نعم ! فأمر بنار فألقى فيها فوجدوه قائما يصلي فيها وقد صارت عليه
 بردا وسلاما ، وقدم المدينة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فأجلسه ه
 عمر بينه وبين أبي بكر رضى الله عنهما ، قال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى
 أراي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل إبراهيم خليل الله .
 ولما كان إنجازؤه - وهو وحده - ممن أرادوا به هذا^١ الأمر العظيم
 من العجائب فكيف إذا انضم إليه غيره ، ولم يكن في ذلك الغير آية
 تمنعهم [عنه -^٦] كما كان في إبراهيم عليه السلام ، قال : (ونجيتني) ١٠
 'أى بعظمتنا' (ولوطا) [أى -^٦] ابن أخيه وصديقه لكونه آمن
 به^٨ و صدقه ، من^٩ بلادهما كوئي بلاد^{١٠} العراق ، متجهين إلى الأرض المقدسة ،
 ولعله عبر بالى الدالة على تضمين / 'تهى' للدلالة على أن هناك غاية طويلة ،
 فانهما خرجا من كوئي^{١١} من^{١٢} أرض العراق^{١٣} إلى حران ثم^{١٤} 'من حران'^{١٥}
 (١) العبارة من هنا إلى 'خليل الله' ساقطة من ظ (٢) راجع الاستيعاب في معرفة
 الأصحاب ٢/ ٦٨٦ (٣) من مد ، وفي الأصل : النبي (٤) من مد والاستيعاب ،
 وفي الأصل : فقال (٥) في ظ : بهذا (٦) زيد من ظ و مد (٧-٧) سقط ما بين
 الرقين من ظ (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : اه (٩) في ظ : في (١٠) تكرر
 في الأصل فقط (١١) بهامش ظ : قوله « فانهما خرجا من كوئي » فيه نظر ، فان
 القرطبي نقل في تفسيره عن القاضي أبي بكر ابن الفسوى ما نصه : لقد دخلت ضيفا
 على ألف قرية فإ رأيت نساء أصون عينا ولا أعف فما من نساء تاباس التي رمى
 بها الخليل عليه السلام - إلى آخره ، مطاع ذلك إن أردته - والله الموفق .
 (١٢ - ١٢) سقط ما بين الرقين من مد .

﴿ الى الارض ﴾ المقدسة ﴿ التي بركنا فيها ﴾ بأن ملائكتها من
الخيرات الدنيوية والآخرية بما فيها من المياه التي بها حياة كل شيء
من الاشجار و الزروع^٢ وغيرها ، وما ظهر منها من الانبياء عليهم السلام
الذين ملائوا الارض نورا ﴿ للعلين^٥ ﴾ كما أنجبناك أنت يا أشرف أولاده
و صديقك أبا بكر رضى الله عنه إلى طيبة التي شرفناها بك ، و بثنا من
أنوارها في أرجاء الارض و أقطارها ما [لم-^٢] نبث مثله قط ، و باركنا
فيها للعالمين . بالخلفاء الراشدين و غيرهم من العلماء و الصالحين ، الذين
انبتت خيراتهم العلية و العملية و المالية في جميع الاقطار .

ولما أولد له في حال شيخوخته و عجز امرأته مع كونها عقيما ،
١٠ و كان ذلك دالا على الاقتدار على البعث الذى السياق كله له ، قال :

﴿ ووهبنا ﴾ دالا على ذلك بنون العظمة ﴿ له استحق^٦ ﴾ أى من شبه
العدم ، و ترك شرح حاله لتقدمه ، أى فكان ذلك دالا على اقتدارنا
على ما نريد لاسيما من إعادة الخلق في يوم الحساب ؛ ولما كان قد يظن أنه
- لتولده بين شيخ فان و عجوز مع بأسها عقيم - كان على حالة من الضعف ،
١٥ لا يولد لمثله معها . نفى ذلك بقوله : ﴿ و يعقوب نافلة^٦ ﴾ أى * ولد إسحاق *

زيادة على ما دعا به إبراهيم عليهما السلام^٦ ؛ ثم نفى سبحانه أولاد يعقوب
- وهو إسرائيل - و ذرياتهم إلى أن ساموا النجوم عدة ، و باروا الجبال شدة
﴿ وكلا ﴾ من هؤلاء الأربعة ؛ و عظم رتبته بقوله^٦ : ﴿ جعلنا صلحين^٥ ﴾

(١) العبارة من هنا إلى « نورا » ساقطة من ظ (٢) في مد : الزرع (٣) زيد
من ظ و مد (٤) في مد : دليلا (٥ - ٥) من مد ، و في الأصل و ظ : ولدا
لاستحق (٦ - ٦) سقط ما بين الرقنين من ظ .

أى مهينين - لطاعتهم لله - لكل ما يريدونه أو يرادون له أو يراد منهم ،
وهذا إشارة إلى أن العاصى مالك ، لا يصلح لشيء وإن طال عمره ،
واشتد أمره ، لأن العبرة بالعاقبة .

ولما ذكر أنه أعطاهم رتبة الإصلاح في أنفسهم ، ذكر أنه أعطاهم
رتبة الإصلاح لغيرهم ، فقال 'معظما لإمامتهم' : (وجعلتهم أئمة) ه
أى أعلاما ومقاصد يقتدى بهم ' فى الذين بما أعطاهم من النبوة ' . ولما
كان الإمام قد يدعو إلى الردى ، ويصد عن الهدى ، إذا كانت إمامته
ظاهرة لا يصحبها صلاح باطن ، احترز عن ذلك بقوله : (يهدون) أى
يدعون إلينا من وفقناه للهداية (بامرنا) وهو الروح الذى هو العمل
المؤسس على العلم بأخبار الملائكة به [عنا - ٢] ، ولإفهام ذلك عطف عليه ١٠
قوله 'معظما لوحيه' [إليهم - ٤] : (وأوحينا إليهم) [أى - ٢]
أيضا (فعل) أى أن يفعلوا (الخيرات) كلها وهى شرائع الدين ،
ولعله عبر بالفعل دلالة على أنهم امثلوا [كل - ٢] ما أوحى إليهم .
ولما كانت الصلاة أم الخيرات ، خصها بالذكر فقال :
(وأقام الصلوة) قال الزجاج : الإضافة عوض عن تاء التأنيث ١٠
[يعنى فيكون من الغالب لا من القليل - ٤] ، وكان سر الحذف تعظيم
(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : اذ .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) زيد من مد (هـ - هـ) تقدم فى الأصل على « معظما »
و الترتيب من مد (٦) العبارة من هنا إلى « أوحى إليهم » ساقطة من ظ (٧) من
مد ، وفى الأصل : النبوة (٨) العبارة من هنا إلى « الظن بصلاتنا » وقعت
وفى الأصل بعد " إيتاء الزكوة " و الترتيب من مد ، وسقطت من ظ .

الصلاة لأنها مع نقصها عن صلاتنا - [لما أشار إليه الحذف - '] - بهذه المنزلة من العظمة فما الظن بصلاتنا .

٢ ولما كانت الصلاة بين العبد والحق، وكان روحها الإعراض عن كل فان، عطف عليها قوله^٢ : ﴿ وابتأ الزكوة ﴾ [أى التى هى مع كونها إحسانا إلى الخلق بما دعت الصلاة إلى الانسلاخ عنه من الدنيا، فعملوا ما أوحيناه إليهم - ٢] ﴿ وكانوا لنا ﴾ دائما / ' جبلة و طبعاً ' (عبدن^٣) أى فاعلين لكل ما يأمرهم به غيرهم، فعل العبد مع مولاه من كل ما يجب له من الخدمة، ويحق له من التعظيم والحرمة .

/ ٥١٤

ولما كان سبحانه قد سخر لصديقه لوط عليه السلام إهلاك من عصاه فى أول الأمر بمجاعة الكبريت التى هى من النار، وفى آخره ١٠ بالماء الذى هو أقوى من النار، تلاه به فقال : ﴿ ولوطا ﴾ ' أى و ' اتينا ' أو ' واذكر لوطا ' ثم استأنف قوله : ﴿ ' اتيناه ﴾ ' أى بعظمتنا ' ﴿ حكما ﴾ أى نبوة^٦ [و٦ عملا محكما بالعلم - ٢] ﴿ وعلما ﴾ ' مزيئا بالعمل ' ونجيه ' بانفرادنا بالعظمة .

ولما كانت مادة ' قرا ' تدل على الجمع، قال^٤ : ﴿ من القرية ﴾ المسماة سدوم، [أى من عذابهم وجميع شرورهم، وأفرد تنبيها على عمومها بالقلع والقلب وأنه كان فى غاية السهولة والسرعة - ١] ، و^٦ قال

(١) زيد من مد (٢ - ٢) وقع ما بين الرقين فى الأصل قبل « وكانوا لنا » والقرئب من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ : اى (٦) سقط من ظ (٧) زيد فى الأصل : وعملا محكما بالعمل . ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

أبو حيان^١ : وكانت سبما ، عبر عنها بالواحدة لاتفاق أهلها على الفاحشة .
 (التي كانت) قبل إنجائنا له منها (تعمل الحبث^٢) بالذكران ،
 ٣ وغير ذلك من الطغيان^٣ . فاستحقوا النار التي هي أمر المولتات ،
 بما ارتكبوا من الشهوة المحظورة لعدم لها أحلى^٤ الملهذات . والغمر
 بالماء القدر المتن الذي جعلناه - مع أنا جعلنا من الماء كل شيء حي - ٥
 لا بعيش فيه حيوان ، فضلا عن أن يتولد منه ، ولا ينتفع به ، لما خامروا
 من القدر الذي لا ثمرة له .

ولما كان في هذا إشارة إلى إهلاك القرية ، وأن التقدير : ودمرنا
 عليهم بعد انفصاله عنهم . علله بقوله : (انهم كانوا)^٦ أي بما جملوا
 عليه^٧ (قوم سوء) أي ذوى قدرة على الشر^٨ بأنهما كهم في الأعمال ١٠
 السيئة (فسقين^٩) خارجين من كل خير ، ثم زاد الإشارة وضوحا
 بقوله : (وادخلته) أي دونهم بعظمتنا^{١٠} (في رحمتنا^{١١}) أي في
 الأحوال السنية ، والأقوال العلية ، والأفعال الزكية . التي هي سبب
 للرحمة العظمى^{١٢} ومسببة عنها ؛ ثم علل ذلك بقوله : (انه من الصالحين^{١٣})
 [أي - ٥] لما جبلناه عليه من الخير .

١٥

ولما أتم سبحانه قصة لوط المناسبة لقصة الخليل عليهما السلام بحجارة
 الكبريت ، وقصة نوح عليه السلام بالماء الذي غمرت به قراه السبع ،
 أتبع ذلك قصة نوح عليه السلام الذي سخر له [من - ٥] الماء ما لم يسخره

(١) راجع انبحر المحيط ٢/٢٢٩ (٢-٢) سقط ما بين الرئين من ظ (٣) زيد في
 الأصل : به ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٤) سقط من ظ (٥) زيد
 من ظ و مد .

لغيره 'لغيره' لجميع الارض دانيها وقاصيها، واطيها وعاليها، فقال:
{ ونوحا اذ }^٢ 'أى اذكره حين' { نادى } 'أى' دعا ربه "انى مغلوب
فاتصر" "ولا تذر على الارض من الكافرين ديارا"^٣ ونحوه من الدعاء.
'ولما كان دعاؤه لم يستغرق الأزمنة الماضية، أثبت الجار فقال:

• { من قبل } 'أى من قبل لوط و من تقدمه { فاستجبنا } 'أى أردنا الإجابة
وأوجدناها بعظمتنا' { له } 'فى' ذلك النداء؛ [ثم سبب عن ذلك
قوله -^١]: { فنجينه } ['أى بعظمتنا تنجية عظيمة -^١] { واهله }
الذين أدام ثباتهم على الإسلام و صلتهم به { من الكرب العظيم }
من الأذى والفرق؛ قال أبو حيان^٥: و الكرب: أقصى الغم، والأخذ
١٠ بالنفس، وهو هنا الفرق، عبر عنه بأول أحوال ما يأخذ الفريق .
{ ونصرته } 'أى' 'مخلصين له و مانعين' [و متقين -^٦] { من القوم }
'أى المتصفين بالقوة' { الذين كذبوا } 'أى أوقعوا التكذيب له
{ بايتنا } 'أى بسبب إتيانه بها'.^٢ وهى من العظمة على أمر لا يخفى .
ولما كان التقدير: ثم أهلكناهم، علله بقوله: { انهم كانوا قوم سوء }
١٥ لا عمل لهم إلا ما يسوء { فاغرقنهم } 'أى بعظمتنا التى أتت عليهم
كلهم' { اجمعين . } / حتى من قطع' الكافرين نوح عليه السلام و بينه

/ ٥١٥

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: يغمرن بجميع (٢-٢) سقط ما بين الرقين
من ظ (٣) سقط من مد (٤-٤) تأخر ما بين الرقين فى الأصل عن ذلك
النداء والتريب من مد، وسقط من ظ (٥) سقط من ظ (٦) زيد من مد.
(٧) راجع البحر المحيط ٦ / ٣٣٠ (٨-٨) فى ظ: خلصناه (٩) من ظ و مد،
و فى الأصل: يطلع .

من أهله فصار لا يبعد من أهله ، لاختلاف الانتساب بالدين .
 ولما كانت ربما قيل : لم قدم إبراهيم ومن معه على نوح و هو
 أبوه ومن أولى العزم ، وموسى وهارون على إبراهيم و هو كذلك ،
 أشار بقصة داود وسليمان - على جميعهم الصلاة والسلام - إلى أنه ربما
 يفضل الابن الأب في أمر ، فرما قدم لأجله وإن ن لا يلزم منه ه
 تقديمه مطلقا ، مع ما فيها من أمر الحرث^٢ الذي هو أنسب شيء لما بعد
 غيض الماء في قصة نوح عليه السلام . هذا في أوله وأما في آخره
 "فما يُنبته"^٣ مثال للدنيا في بهجتها وغرورها ، وانقراضها^٤ و مرورها ، ومن
 تصريف داود عليه السلام في الجبال و هي أشد التراب الذي هو أقوى
 من الماء ، وفي الحديد و هو^٥ أقوى تراب^٦ الجبال . وسليمان عليه السلام ١٠
 في الريح و هي^٧ أقوى من التراب فقال : ﴿ و داود ﴾ [أى أول من
 ملك ابنه من أنبياء بنى إسرائيل -^٨] ﴿ و سليمان ﴾ ابنه . أى اذكرهما
 "و اذكر شأنهما"^٩ ﴿ اذ ﴾ [أى حين -^{١٠}] ﴿ يحكمن في الحرث ﴾ الذي
 أنبت الزرع ، و هو من إطلاق اسم السبب على المسبب كالسقاء على
 المطر و النبت ، "قيل : كان ذلك كرما ، وقيل : زرعاً" ﴿ اذ نفشت ﴾ ١٥

- (١) من ظ ومد ، وفي الأصل : عليهم (٢) من ظ ومد ، وفي الأصل : الحرب .
 (٣-٣) من ظ ومد ، وفي الأصل : تنبيه - كذا (٤) زيد في الأصل : وغرورها ،
 ولم تكن الزيادة في ظ ومد لحذفها (٥) من ظ ومد ، وفي الأصل : هي .
 (٦) من ظ ومد ، وفي الأصل : تراب (٧) من مد ، وفي الأصل : ظ : هو .
 (٨) زيد من مد (٩) سقط من مد (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقين من ظ .
 (١١ - ١١) ما بين الرقين يفاض في الأصل ملأناه من مد .

أى انتشرت ليلاً بغير راع ﴿ فيه غنم القوم ج ﴾ الذين لهم قوة على حفظها
فرعته ؛ قال قتادة : "نفس بالليل ، و الحمل ' بالنهار . ﴿ و كنا ﴾ " أى
بعظمتنا التى لا تنقر على خلاف الأولى فى شرع من "الشروع" ﴿ لحكمهم ﴾
أى الحكيمين و المتحاكين إليهما ﴿ شهدين قلاً ﴾ لم يغب عنا ذلك و لا شيء
هـ من أمرهم هذا و لا غيره . فلذلك غيرنا على داود عليه السلام تلك
الحكومة مع كونه وليناً و هو ماجور فى اجتهاده [لأن الأولى خلافها ،
فانه حكم بأن يملك صاحب الحرث الغنم بما أفسدت من الكرم ، فكأنه
رأى قيمة الغنم قيمة ما أفسدت - ٤] ﴿ قهمنها ﴾ " أى الحكومة " ^٢
[بما لنا من العلم شامل و القدرة الكاملة على رفع من نشاء - ٤]
١٠ ﴿ سليمان ج ﴾ " فقال : تسلم الغنم " لصاحب الكرم " ليرتفق بلبنها و نسلها
و صوفها و منافعها ، و يعمل صاحبها فى الكرم حتى يعود كما كان فيأخذ
حرثه ، و " ترد الغنم إلى صاحبها ، و هذا أرفق بهما . و هذا أدل دليل
على ما تقدمت الإشارة إليه عند " قل ربى يعلم "قول " ، و " كنا به
غلين اذ قال لايه " و فيه رد عليهم فى غيظهم من النبي صلى الله
عليه و آله و سلم و معاملة التنزيل بهامش للباب ٤/ ٢٤٦ ، و فى الأصل : للمهم .
(٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ ٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : وليا .
(٤) زيد ما بين الحاجزين من مد (٥) العبارة من هنا إلى " أرفق بهما " ساقطة
من ظ (٦ - ٦) وقع ما بين الرقين فى الأصل مكرراً أخذناها (٧) من مد ، و فى
الأصل : ثم .

عليه وسلم في تسفيه الآباء والرد عليهم كما في قصة إبراهيم عليه السلام لأنه ليس بمستنكر أن يفضل الابن أباه ولو في شيء، [والآية تدل على أن الحكم ينقض بالاجتهاد إذا ظهر ما هو أقوى منه - '] .

ولما كان ذلك ربما أوهم شيئاً في أمر داود عليه السلام، نقاه بقوله^١ «دالا على أنهما على الصواب في الاجتهاد»^٢ وإن كان المصيب في الحكم هـ إنما هو أحدهما^٣ «وكلا»^٤ أي منهما^٥ «اتينا»^٦ بما لنا من العظمة^٧ «حكما»^٨ أي [نبوة - ']^٩ وعملا مؤسسا على حكمة العلم، [وهذا معنى ما قالوه في قول النبي صلى الله عليه وسلم: إن من الشعر حكما - أي قولاً صادقاً مطابقاً للحق - ']^{١٠} «وعلما»^{١١} مؤيدا بصالح العمل،^{١٢} «و عن الحسن»^{١٣} رحمه الله: لولا هذه الآية لرأيت القضاة قد هلكوا،^{١٤} ولكنه أثنى على سليمان عليه السلام بصوابه. وعذر داود عليه السلام باجتهاده - انتهى . و أتبعه من الخوارق^{١٥} ما يشهد له^{١٦} [بالتقدم و «فضل - '] فقال: «و سخرنا»^{١٧} أي بعظمتنا التي لا يعيها شيء^{١٨} .

ولما كان هذا الخارق في التنزيه، لم يُعَدَّ الفعل باللام زيادة في

(١) زيد من مد (٢-٢) - سقط ما بين الرقمين من ظ (٣-٣) من مد، وما بين الرقمين - سقط من ظ، وفي الأصل: لافي الحكم (٤) سقطت الواو من ظ (٥) راجع مسند الإمام أحمد ٢٦٩/١ (٦) العبارة من هنا إلى «انتهى» ساقطة من ظ (٧) من مد و معالم التنزيل بهامش للباب ٢٤٦٤، وفي الأصل: يحيى . (٨-٨) ما بين الرقمين تقدم في الأصل على «من الخوارق» و الترتيب من ظ و مد .

التنزيه وإعدادا عما ربما أوهم غيره فقل 'مقدما ما هو أدل على القدرة
في ذلك لأنه أبعد عن النطق' : ﴿مع داود الجبال﴾ أى التى هى أقوى
من الحرث ، 'حال كونهن' ﴿يسبحن﴾ معه ، ولو شئنا لجعلنا الحرث
أو الغنم يكلمه بصواب الحكم . / ولم يذكر ناقة صالح لأنها مقترحة موجبة
لعذاب الاستئصال ، فلم يناسب ذكرها هنا ، لما أشار إليه قوله تعالى
"لقد أنزلنا إليك كتباً فيه ذكركم" ، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين .
وهذه الآيات التى ذكرت هنا ليس فيها شئ مقترح ﴿والطير﴾ التى
سخرنا لها الريح التى هى أقوى من الجبال [و-٢] أكثر سكنها الجبال ،
سخرناها معه تسبح ﴿وكنن فعلين﴾ أى من شأننا الفعل لامثال هذه
الافاعييل ، ولكل شئ نريده 'بما لنا من العظمة المحيطة' ، فلا تستكثروا
علينا أمرا وإن كان عندكم عجباً ، وقد اتفق نحو هذا لغير واحد من
هذه الأمة . كان مطرف بن عبد الله بن أشخيز إذا دخل بيته سبحت
معه ابنته ، هذا مع أن الطعام كان يسبح بحضرة النبی صلى الله عليه
وسلم والحصى وغيره .

١٥ ولما ذكر التسخير بالتسييح . أشار إلى تسخير الحديد الذى هو

(١-١) -قط ما بين الرقبين من ظ (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : سخرناها .
(٢) زيد من ظ ومد (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : الامثال (٥) العبارة من
هنا إلى « الحصى وغيره » ساقطة من ظ (٦) وفى الإصابة : ابنة ابنته - راجع
ترجمة مطرف فى القسم الثانى من حرف الميم .

أقوى تراب الجبال وأصله وأصفاه^١ فقال: ﴿وعلته﴾ [أى بعظمتها -]
 ﴿صنعة لبوس﴾ قال البغوى^٢: وهو فى اللغة اسم لكل ما يلبس
 ويستعمل فى الأسلحة كلها. وهو كالجلوس^٣ والركوب. ﴿لكم﴾ أى
 لتلبسوه فى حربكم، وأتأله فى عمله الحديد ليجمع له إلى العلم سهولة
 العمل فىأتى كما يريد ﴿لتحصنكم﴾ أى^٤ اللبوس أو داود أ. الله^٥ على
 قراءة الجماعة^٦ فى حصن مانع، وهو معنى قراءة النون^٧ الدال على مقام
 العظمة عند أبى بكر عن عاصم ورويس عن يعقوب، وقراءة أبى جعفر
 وابن عامر وحفص بالفوقانية للدروع نظرا إلى الجنس^٨ ﴿من باسكم﴾
 الكائن مما يحصل من بعضكم لبعض من شدائد الحرب لا من البأس كله
 ﴿فهل أنتم شاكرون﴾ لما على ذلك لتوحدونا^٩ وتؤمنوا بأبياتنا؛ قال ١٠
 البغوى^٢: قال قتادة: أول من صنع الدروع رسدها^{١١} وخلقها داود
 عليه السلام، وكانت من قبل صفائح. والدرع^{١٢} يجمع الخفة والخصانة^{١٣}.
 ولما كان قد سخر لابنه سليمان عليه السلام الرمح التى هى أقوى

- (١) من ظ و مد، وفى الأصل: اصفا (٢) زيد من مد (٣) راجع معالم التنزيل
 بهامش اللاب ٢٤٧/٤ (٤-٤) من ظ و مد والمعلم. وفى الأصل: لما (٥) من
 العالم، وفى النسخ: كالخلوب (٦) تكرر فى الأصل فقط بعد "صنعة لبوس".
 (٧) سقط من ظ (٨) العبارة من هنا إلى «مانع» ساقطة من ظ (٩) بالياء - راجع
 نثر المرجان ٤١٦/٤ (١٠-١٠) سقط ما بين الرقين من ظ (١١) فى ظ: لتوحدنا.
 (١٢) بهامش ظ: السرد: الحر فى الأديم واثقب ونسج الدرع واسم جامع
 للدروع وسائر الخلق (١٣) من ظ و مد والمعلم. وفى الأصل: الدروع.
 (١٤) فى ظ: الحصافة. وبهامشه: الحصافة: الإحكام.

من بقية العناصر قال : ﴿وَالسَّالِمِينَ﴾ معبرا باللام لأنها كانت تحت أمره
لنفعه ولا إيهام في العبارة ﴿الريح﴾ قال البغوي : وهي جسم لطيف
بمتنع^١ باطفه^٢ من القبض^٣ عليه ، و يظهر للحس بحركته ، وكان سليمان
عليه السلام يأمر بالخشب فيضرب له ، فاذا حمل عليه ما يريد من
الدواب ، الناس وآلة الحرب أمر العاصفة فدخلت تحت الخشب فاحتلمته
حتى إذا استقلت به أمر الرخاء تمر به شهرا في غدوته و شهرا في روحته -
انتهى ملخصا . فكان لريحان مسخرتين له ، ولكن لما كان السياق هنا
ليبيان الإقدار على الأفعال الغريبة الهائلة ، قال : ﴿عاصفة﴾ أي شديدة
الهبوب ، هذا باعتبار عملها ، و وصفت بالرخاء باعتبار لطفها بهم فلا
١٠ يحدون لها مشقة^٤ ﴿تجري بامرة﴾ إذا أمرها غادية و راتحة ذاهبة إلى
حيث أراد^٥ ، و عائدة على^٦ حسب ما يريد ، آية في آية .

/ ٥١٧

و لما كان قد علم بما مضى من القرآن لحامله المعنى / بتفهم^٧ معانيه ،
و معرفة أخبار من ذكر فيه ، أنه^٨ من بنى إسرائيل ، و أن قراره بالأرض
المقدسة فكان من المعلوم أنه يجريها إلى غيره^٩ . و كان الحامل إلى مكان ربما
١٥ تعذر عوده مع^{١٠} المحمول ، عبر بحرف الغاية ذاكرة محل القرار دلالة على أنها

(:) راجع لمعالم بهامش الباب ٢٤٨/٤ (٢ - ٢) من المعالم ، و في النسخ : من
لطفه بالقبض (٣) من مد ، و في الأصل : شفة ، و العبارة من « هذا باعتبار »
إلى هنا ساقطة من ظ (٤ - ٤) سقط ما بين اثنين من ظ (٥) من مد ، و في
الأصل : الى ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ إلى «أياما فقال»
ص ٤٥٩ س ١ (٦) من مد ، و في الأصل : فيفهم (٧) من مد ، و في الأصل : آية .
(٨) من مد ، و في الأصل : غيرها (٩) من مد ، و في الأصل : من .

- كما تحمله ذهابا إلى حيث أراد من قاص ودان - تحمله إلى قراره أياما فقال:
 ﴿ إلى الأرض التي بركنا ﴾ أي بركتنا ﴿ فيها ﴾ وهي الشام ﴿ وكنا ﴾ أي
 أزلا وأبدا بأحاطة العظمة ﴿ بكل شيء ﴾ من هذا وغيره من أمره
 وغيره ﴿ علينا ﴾ فكنا على كل شيء قادرين ، فلولا رضانا به لغيرناه
 عليه كما غيرنا على من قدمنا أمورهم ، وهذا من طراز " قل ربني يعلم
 القول " كما مضى . و تسخير الريح [له - ٢] كما سخرت للنبي صلى الله
 عليه وسلم ليالي الأحزاب . قال حذيفة رضى الله عنه : حتى كانت تقذفهم
 بالحجارة ، ما تجاوز عسكرهم . فبهزمهم الله بها وردوا بغيظهم لم ينالوا خيرا .
 ' وأعم من جميع ما أعطى الأنبياء عليهم السلام أنه أعطى صلى الله عليه
 وسلم التصرف في العالم العلوى الذى جعل سبحانه منه الفيض على العالم السفلى ١٠
 بالاختراق لطبقة بالإسراء تارة . وبامساك المطر لما دعا بسبع كسبع .
 يوسف ، و بارساله أخرى كما فى أحاديث كثيرة ، وأتى مع ذلك بمفاتيح
 خزائن الأرض كلها فردها صلى الله عليه وسلم .

ولما ذكر تسخير الريح له ، ذكرناه سنخرله ما أغلب عناصره النار والريح

للعمل فى الماء ، مقابلة لارتفاع الحمل فى الهواء باستفالة الغوص فى الماء فقال : ١٥
 ﴿ ومن ﴾ أى وسخرنا له من ﴿ الشياطين ﴾ الذين هم أكثر شيء تمردا وعتوا ،

(١ - ١) سقط ما بين الرقبن من ظ (٢) فى مد : غير (٣) زيد من ظ و مد .
 (٤) العبارة من هنا إلى « فردها صلى الله عليه وسلم » ساقطة من ظ (٥) من
 مد ، وفى الأصل : كسفى ، ولحديث رواه البخارى فى الدعوات والترمذى
 فى التفسير ، وقد مر التعليق عليه (٦) من ظ و مد . وفى الأصل : باشتغال .

و أظف شيء أجساما لم من كم^١ أو غير بالجمع لأنه ادل على عظم التصرف
فقال^١: ((يغوصون له كم في المياه لما يأمرهم به من استخراج الجواهر و غيرها
من المافع . و ذلك بأن أكتفنا أجسامهم مع لطافتها لتقبل الغوص في
الماء معجزة في معجزة ، [و قد خلق نبينا صلى الله عليه وسلم العفريت الذى جاء
بشهاب من نار و أسر جماعة من أصحابه رضى الله عنهم عفاريت أتوا إلى
ثمر الصدقة^٢ و أمكنهم الله منهم -]^٣ ثم يعملون عملا^٤ أى
عظيما جدا^٥ .

٥ و لما كان إقذارهم على الغوص أعلى [ما -]^٦ يكون فى أمرهم .
و كان المراد استغراق إقذارهم على ما هو أدنى من ذلك بما يريده منهم .
١٠ نزع^٧ الجار فقال : لم دون ذلك كم^٨ أى تحت هذا الأمر العظيم
أو غيره^٩ من بناء ما يريد ، و اضطناع ما يشاء .^{١٠} من الصنائع العجيبة
و الآثار الغريبة^{١١} ، و فى ذلك تسخير الماء و التراب بواسطة الشياطين .
فقد ختم . عند انتهاء الإشارة إلى تسخير العنصر - بمن^{١٢} سخر له العناصر
الأربعة كما ابتدا بذلك من كم^{١٣} أى بعظمتنا التى تغلب كل شيء^{١٤}
١٥ من كم^{١٥} هم حفظين^{١٦} من أن يفعلوا غير ما يريد . و لم يذكر هودا
عليه السلام هنا ، إن كان قد سخر له الريح . لأن عملها له كان على مقتضى

(١ - ١) سقط ما بين ارفين من ظ^{١٧} و هذه لأحاديث من اشهرة بحديث
تفنيها عن تعليق عليها^{١٨} ما بين الحادين من مد (٤-٤) تأخر ما بين
ارفين و الأصغر عن « الجار فقال » و ترتب من ظ و مد (٥) العبارة من هنا
إلى « الجار فقال » . نقطة من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل : نزع^{١٩} من ظ
و مد ، و فى الأصل : بمن .

العادة في التدمير^١ و الأذى عند عصفها^٢ زين كان خارقا بقوة . و التي^٣
لسليمان عليه السلام للنجاة و المنافع . هذا مع تكررها فأمرها أظهر^٤ .
و فعلها أزكى و أظهر

و لما تم سبحانه ذكر من سخر لهم العناصر الأربعة التي منها الحية ان
المحتوم بيعته [تحقيقا - °] لذلك ، ذكر بعدهم من وقع له أمر من
الخوارق يدل على ذلك . إما إعادة أو حفظ أو ابتداء . و بداهم بمن
أعاد^٥ له ما كان أعده من أهل و مال . و سخر له عنصر الماء في إعادة
لحمه و جلده ، لأن الإعادة هي المقصودة بالذات في هذه السورة فقال :

(و ايوب)^٦ " أي و اذكر أيوب . قالوا : / و هو ابن أموص^٧ بن روم
ابن عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام . و كان صاحب البنية^٨ .
من بلاد الشام . و كان الله قد بسط عليه الدنيا فشكره^٩ سبحانه ثم ابتلاه
[فصر - °] ثم نادى ربه) في المحسن إليه في عافيته . صره بما
آتاه^{١٠} من صبره (في معنى الضر) بتسليطك الشيطان علي في دني
و أهلي و مالي و قد طمع الآن في دني . و ذلك انه زين لامرأة أيوب

(١) من ظ و مد . و في الأصل : التدمير (م - م) . سقط م بين التومين من ظ .
(٢) من ظ و مد . و في الأصل : الذكر (ع) العسارة من هناك " على ذلك .
سقط م من مد (ه) ز من ظ (ه) من ظ و مد . و في الأصل : ادسا () الدبارة
من هنا إلى ثم ابتلاه . ساقطة من ظ (ه) من مد و معالمة التنزيل بهامش الباب
٤٩٤ . و في الأصل : موص . و زيد في المعالمة : بن تاريخ ٩٠ . راجع معجمه
البيانات . من مد . و في الأصل : لشكره (ه) من ظ و مد . و في
الأصل : التمه .

عليه السلام ان تامرہ^١ أن يذبح لصنم^٢ فانه يبرأ ثم يتوب ، فقطن
لذلك وحلف : ليضربنها إن برأ . وجزع من ذلك ، ثم الشكوى إلى الله
تعالى ليست من الجزع فلا تنافي الصبر ، وقال سفيان بن عيينة :
ولا من شكا [إلى -^٣] الناس وهو في شكواه راض بقضاء الله تعالى .
هـ (انت) أى و الحال أنك أنت (ارحم الراحمين ^٤) فافعل بى ما
يفعل الرحمان بالمضرور ، وهذا تعريض بسؤال الرحمة حيث ذكر نفسه
بما يوجب الرحمة ، وربّه بأبلغ صفاتها ولم يصرح ، فكان ذلك أطف
فى السؤال ، فهو أجدر بالنوال (فاستجبنا له)^٥ أى أوجدنا إجابته
إيجاد من تأنى طالب لها بسبب ندائه^٦ . هذا بعظمتنا فى قدرتنا على
١٠ الامور الهائلة ،^٧ وسبب عن ذلك قوله^٨ : (فكشفنا)^٩ أى بما لنا من
العظمة^{١٠} (ما به من ضر) بأن أمرناه أن يركض برجله ، فتنبع له
عين من ماء ، فيغتسل فيها . فنبت لحمه وجلده أحسن ما كان راحه
١٥ دل على تعظيم هذا الأمر بقوله^{١١} : (واتيناه الله)^{١٢} أى أولاده
وما تبعهم من حشمه^{١٣} ، أحبيدهم له بعد أن كانوا مانوا (مثلهم)
١٥ أى و أوجدنا له مثلهم^{١٤} فى الدنيا ، فان^{١٥} قوله : (معهم) يدل على

(١) زيد فى الأصل : لى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفها (٢) من ظ
و مد ، وفى الأصل : لغم (٣) العبارة من هنا إلى « بقضاء الله تعالى » ساقطة من
ظ (٤) زيد من مد و معالم التنزيل بهامش الباب ٤/ ٢٥٥ (٥) العبارة من هنا
إلى « بالنوال » ساقطة من ظ (٦) من مد ، وفى الأصل : يوجب (٧-٧) فى ظ :
نداء (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ (٩-٩) ما بين الرقين فى ظ « و » .

أنهم وجدوا عند وجدان الأهل ، حال لون ذلك الكشف و الإيتاء
 ﴿رحمة﴾ أى نعمة عظيمة تدل على شرفه بما من شأنه العطف و التحنن ،
 : هو من تسمية المسبب^١ باسم السبب^٢ ، و نغمها بقوله : ﴿من عندنا﴾
 بحيث لا يشك من ينظر ذلك أنا ما فعلناه إلا رحمة منا له و أن غيرنا لم يكن
 يقدر على ذلك ﴿و ذكرى﴾ أى عظة عظيمة ﴿للعبدین﴾ كلهم ، ه
 ليتأسوا به فيصبروا إذا ابتلوا بفتنة الضراء ، لا يظنوا أنها طوائفهم ، و يشكروا
 إذا ابتلوا بنعمة السراء لئلا تكون عین شقائهم ، و اتبعه سبحانه بمن
 أنبع له من زمزم ماء اباقياً شريفاً ، إشارة إلى شرفه و شرف ولده خاتم
 الرسل ببقاء رسالته و معجزته [فقال - ٦] : ﴿اسمعيل﴾ أى ابن
 إبراهيم عليهما السلام ، الذى سخرنا له من الماء بواسطة الروح الأمين ١٠
 ما عاش به صغيراً بعد أن كان هالكا لا محالة ، ثم جعلناه طعام طعم
 و شفاء سقم دائماً ، و صناه^٣ - و هو كبير - من الذبح فذبجه أبوه
 و اجتهد فى إلتلافه امثالاً لأمرنا فلم يذبح كما اقتضته إرادتنا
 ﴿و ادريس﴾ أى ابن شيث بن آدم عليهم السلام ، الذى أحييناه
 بعد موته و رفعناه مكاناً علياً ، و هو أول نبي بعث من بنى آدم عليهما السلام ٥١

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنه (٢) من ظ و مد . و فى الأصل : السبب .

(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : المسبب (٤-٤) سقط ما بين الرقین من ظ .

(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يكون (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ

و مد ، و فى الأصل : صيناه - كذا .

.....

(و ذا الكفل ^١) [الذى - ^١] قدرناه على النوم الذى هو الموت الأصغر ، فكان يغلبه فلا ينام أو إلا قليلا ، يقوم الليل ولا يفتر ، ويصوم النهار ولا يفطر ، ويقضى بين الناس ولا يغضب . فقدرة الله على الحياة الكاملة فى الدنيا التى هى سبب الحياة الكاملة فى الآخرة ^٢ ، [وهو خليفة المسيح عليه السلام تخلفه على أن يتكفل له بصيام النهار وقيام الليل وأن لا يغضب ، قيل : إنه ليس بهي ، وعن الحسن أنه بى ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه إلياس . وقيل : هو يوشع بن نون ، وقيل : زكريا - عليهم السلام -] ^٣ .

وما قرن^٤ بينهم لهذه المناسبة ، استأنف مدحهم فقال : (كل - ٥١٩ / ١٠) أى كل واحد منهم / (من الصابرين ^٥) على ما اتلينا به ، فآتيناهم ثواب الصابرين (و أدخلناهم ^٦) أو دل على عظمة ما لهم عنده سبحانه بقوله : (فى رحمتنا ^٧) [فعملنا بهم من الإحسان ما يفعله الراحم بمن يرحمه ^٨ على وجه عظيم من جميع جهاتهم . فكان ظرفا لهم ^٩ ، ثم علل بقوله - ^{١٠}] : (أنهم من الصالحين : لكل ما يرضاه الحكيم منهم . بمعنى أنهم جبلوا جبلة خير فعملوا على مقتضى ذلك : ثم أتبعهم من هو أغرب حالا منهم

(و زيد من ظ و مد (١) زيد فى الأصل : منهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لمدحنا لما (٢) راجع لكل ذلك معالم التكريل بهامش الباب ٤ : ٢٥٧ و ٢٥٨ . و زيد من مداه من ظ و مد و فى الأصل (٣) (- -) تأخر ما بين الرقيين - مع سقوطه فى ظ فى الأصل عن « رحمتنا » ، و الترتيب من مد (٤) سقط ما بين الرقيين من ظ

في الحفظ [فقال -^١] : ﴿ وذا النون ﴾ أى ذكره ﴿ اذهب مغاضبا ﴾
 أى على^٢ هيئة الغاضب لقومه بالهجرة عنهم ، و لربه بالخروج عنهم دون
 الانتظار لإذن خاص منه بالهجرة ، و روى [عن الحسن -^١] أن معنى
 ﴿ فظن ان لن نقدر عليه ﴾ أن لن نعاقبه^٣ بهذا الذنب ، أى ظن أنا نفعل
 معه فعل من لا يقدر . و هو تعبير عن اللازم بالمزوم مثل التعبير عن ه
 العقوبة بالغضب ، و عن الإحسان بالرحمة . و فى أمثاله كثرة . فهو أحسن
 الأقوال و أقومها - رواه "بيهقى فى كتاب الاسماء و الصفات" عن
 قتادة عنه و عن مجاهد مثله و اسند^٤ من غير طريق عن ابن عباس
 رضى الله عنهما معناه ، و [كذا -^١] قال الأصهبانى [عنه -^١] أن معناه :
 لن نقضى عليه بالعقوبة ،^٥ و أنه قال أيضا ما^٦ معناه : فظن أن لن نضيق^{١٠}
 عليه الخروج ، من القدر الذى معناه الضيق ، لا من القدرة . و منه "فقد
 عليه رزقه" و روى البيهقى أيضا^٨ عن أنفراء أن نقدر بمعنى نقدر - مشددا
 و بحكم ، و أنشد عن ابن الأنبارى عن أبى صخر الهذلى :

ولا عائدا ذاك الزمان الذى مضى تباركت ما تقدر يقع [و -^١] لك الشكر
 ﴿ فنادى ﴾ أى فاقتضت حكمتنا أن عاتبناه حتى استسلم فالتقى نفسه فى ١٥
 البحر فالتقمه الحوت و غاص به إلى قرار البحر و منعناه من أن يكون

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لن
 نعاقبه (٤) راجع أيضا المعالم بهامش الباب ٢٥٨/٤ (٥) من ظ و مد ، و فى
 الأصل : اسنده (٦) زيد من مد (٧-٧) من مد . و فى الأصل : ورواية أيضا
 قال - كذا (٨) العبارة من « و كذا قال » إلى هنا ساقطة من ظ .

له طعاما، فنادى ﴿ في الظلمات ﴾ من^١ بطن الحوت [الذي -^٢] في
أسفل البحر في الليل، فهي ظلمات ثلاث - نقله ابن كثير عن ابن
مسعود و ابن عباس وغيرهما رضى الله عنهم . ﴿ ان لا اله الا انت ﴾ .
ولما نزهه عن الشريك عم فقال: ﴿ سيخنك ^٣ ﴾ أى تزمت عن
كل نقص، فلا بقدر على الإنجاء من مثل ما أنا فيه غيرك؛ ثم أفصح
بطلب الخلاص بقوله ناسبا إلى نفسه من النقص ما نزه الله عن مثله:
﴿ انى كنت ﴾ أى كونا كبيرا^٤ ﴿ من الظلمين ^٥ ﴾ أى فى خروجى
من بين قومى قبل الإذن، فاعف عني كما هي شيمة القادرين، ولذلك
قال تعالى 'مسيا عن دعائه': ﴿ فاستجبنا له ^٦ ﴾ أى أوجدنا الإجابة إيجادا
١٠ من هو طالب لها تصديقا^٦ لظنه أن لن نعاقبه . أنا عند ظن عبدى
بى، والآية تفهم أن شرط الكون مع من يظن الخير دوام^٧ الذكر
و صدق الالتجاء^٨، وقال الرازى فى اللوامع: و شرط كل من يلتجئ
إلى الله أن يبتدئ بالتوحيد ثم بالتسبيح و الثناء . ثم بالاعتراف و الاستغفار
و الاعتذار، و هذا شرط كل دعاء - انتهى .

١٥ و لما كان التقدير: فخلصناه مما كان فيه، عطف عليه قوله، تنبيها^٩

(١) من ظ و مد . و فى الأصل: فى (٢) زيد من مد (٣) فى تفسيره ١٩٢/٣ .
(٤) من مد، و فى الأصل: كثيرا . و الكلمة مع « اى كونا » ساقطة من ظ .
(٥ - ٥) سقط ما بين الرقین من ظ (٦) من مد، و فى الأصل: تصدرها -
كذا (٧) فى الأصل يباض ملائناه من مد (٨) من مد، و فى الأصل: الالتما،
و العبارة من « اى أوجدنا » إلى هنا ساقطة من ظ .

أعلى أنها نعمتان لأن أمره مع صعوبته كان في غاية الغرابة^١ : ﴿ ونجّيته ﴾
 أى بالعظمة البالغة^٢ [تنجية عظيمة ، وأنجيائه لإنجاء عظيماً -^٣] ﴿ من الغم ﴾
 الذى كان أُلجأ إلى المغاضبة و من غيره ، قال الرازى : و أصل الغم
 الفطاء على القلب - انتهى . فآلقاه الحوت على الساحل وأظله الله
 بشجرة القرع .

٥

ولما كان هذا و ما تقدمه أموراً غريبة . / أشار إلى القدرة على
 أمثالها من جميع الممكنات ، وأن ما فعله من إكرام أنبيائه عام لاتباعهم
 بقوله : ﴿ وكذلك ﴾ أى ومثل ذلك الإنجاء العظيم الشأن [و التنجية -^٤]
 ﴿ تنجى ﴾ أى بمثل ذلك العظمة^٥ ﴿ المؤمنين ٥ ﴾ [إنجاء عظيماً و تنجيهم
 تنجية عظيمة ،^٦ ذكر التنجية أولاً يدل على مثلها ثانياً ، و ذكر الإنجاء^٧
 ثانياً يدل على مثله أولاً ، و سر ذلك الإشارة إلى شدة العناية بالمؤمنين
 لأنهم ليس لهم كصبر الأنبياء عليهم الصلاة و السلام - بما أشار إليه
 بحديث « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، . » يتبلى المرء على
 قدر دينه ، فيسلهم سبحانه من البلاء كما تسلى الشعرة من العجين ، فيكون
 ذلك مع السرعة فى لطافة و هناء - بما أشارت إليه قراءة ابن عامر^٨
 و أبى بكر عن عاصم رضى الله عنه بتشديد الجيم لإدغام النون الثانية فيه^٩ ،
 أو يكون المعنى أن من دعا منهم بهذا الدعاء أسرع نجاته -^{١٠}] ، فان المؤمن
 (١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد من مد (٣) أى فالآية من
 الاحتباك (٤) راجع للتفصيل نثر المرجان ٤ / ٤٢٢ و ٤٢٣ .

متى حصلت له هفوة^١ راجع ربه فتأدى 'معترفا بذنبه' هذا النداء^٢ ،
و لاسيما إن مسه^٣ بسوط الأدب . فبادر إليه الهرب .

و لما كان حاسل أمر يونس عليه السلام أنه خرج من بطن
لم يعهد الخروج من^٤ مثله ، عطفت عليه قصة زكريا عليه السلام في هبته
له ولدا من بطن لم يعهد [الحمل من -^٥] مثله في العقم و اليأس ناظرا
إلى أبيه إبراهيم عليه السلام أول من ذكر نصريفه في أحاد العناصر فيما
اتفق له من مثل ذلك في ابنه إسحاق عليه السلام تكريرا^٦ لأعلام القيامة
وتقريراً^٧ للقدرة التامة فقال : ﴿ و زكريا ﴾ أى اذكره ﴿ اذ نادى ربه ﴾
نداء الحبيب القريب فقال : ﴿ رب ﴾ باستمط أداة البعد ﴿ لا تذرني فردا ﴾
١٠ [أى -^٨] من غير ولد يرث ما آتيتنى من الحكمة .

و لما كان من^٩ الوراثة^{١٠} من يجب من يحجبه [من الإرث أو يشاركه
فيه ، و منهم من لا يجب ذلك و يسعى في إهلاك من يحجبه -^{١١}]
أو ينقصه . و منهم من يأخذ الإرث فيصرفه في المصارف القبيحة على
ما تدعوه إليه شهوته و حاجته ، و منهم من يأخذه بعفة و صايا الموروث
(١) من ظ و مد ، و في الأصل : عفو (٢ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٢) زيد في الأصل : بعد الاعتراف بالذنب ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد
لحذفها (٣) في الأصل نياض ملأناه من ظ و مد (٤) زيد في الأصل : بطنه ،
و لم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ،
و في الأصل : تكريرا (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : تقديرا (٨) زيد من
مد (٩) زيد في الأصل : الحكمة ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها
(١٠) العبارة من هنا إلى « ينقصه و منهم » ساقطة من ظ .

و يصل ذا قرابته^١ و أهل وده ، و يتصدق عنه ، و يبادر إلى كل ما كان
 يحبه و ينفعه . كل ذلك لغنى نفسه و كرم طبعه مع كونه مجبولا على
 الحاجة و النقص ، و كان الله هو الغنى الحميد . الحكيم المجيد . قال ملوفا
 بمقصده^٢ في أسلوب الإلهاب و التهيج : ﴿ و انت ﴾ [أى و الحال
 أنك -^٣] ﴿ خير الوارثين ﴾^٤ لأنك أغناهم عن الإرث و أحسنهم تصرفا ، و
 كثيرا ما تمنح إرث بعض عبيدك عبيدا آخرين ، فأنت الحقيق بأن
 تفعل فى إرثى من العلم و الحكمة ما أحبه^٥ ، فهنى ولداتن عليه بذلك
 ﴿ فاستجبنا له ﴾^٦ بعظمتنا و إن كان فى حد من السن لا حراك [به -^٦]
 معه و زوجه فى حال من العقم لا يرجى معه حبلها ، فكيف و قد
 جاوزت سن اليأس ، و لذلك [عبر -^٦] بما يدل على العظمة فقال : ١٠
 ﴿ و وهبنا له يحيى ﴾ و ارثا حكما نيا عظيما^٧ ﴿ و اصلحنا له ﴾ خاصة^٨ من
 [بين -^٦] أهل ذلك الزمان ﴿ زوجه^٩ ﴾ أى جعلناها صالحة لكل خير ،
 خالصة له^{١٠} و لاسيما لما مننا عليه^{١١} به من هذه الهبة^{١٢} بعد أن كانت بعقمها
 و كبرها غير صالحة له بوجه يقدر عليه غيرنا ؛ ثم استأنف البيان الخيرية
 الموروثة و الوارث و المصلحة للولادة فقال ، مؤكدا^{١٣} [ترغيا فى مثل ١٥

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : قرابته (٢) من ظ و مد وفى الأصل : بمقصده .

(٣) زيد من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ و مد : احب (٦) زيد

من مد (٧) العبارة من هنا إلى «العظمة فقال» ساقطة من ظ (٨) من ظ و مد ،

وفى الأصل : عليا (٩) العبارة من هنا إلى «الزمان» ساقطة من ظ (١٠) من ظ

و مد ، وفى الأصل : لك (١١ - ١٠) تكرر ما بين الرقبتين فى الأصل وحده

بعد « يقدر عليه » .

أحوالهم و أنها بما يلتذ بذكه و يعجب من أمره -^١ : ﴿ انهم كانوا ﴾
 مجبورين في أزل ما خلقناهم جلة خير ، مهينين لأنهم ﴿ يسرعون في الخيرات ﴾
 أى يبالعون في الإسراع بها مبالغة من يسابق آخر ،^٢ و دل على عظيم
 أفعالهم بقوله : ﴿ و يدعوننا ﴾^٣ مستحضرين لجلالنا و عظمتنا و كمالنا^٤
 ٥ / ٥٢١ ﴿ رغبا ﴾ في رحمتنا / ﴿ ورها ﴾ من سطوتنا ﴿ و كانوا ﴾^٥ أى جلة
 و طعنا^٦ لنا ﴿ خاصة ﴾ ﴿ شعنين ﴾^٧ أى خائفين خوفا عظيما يحملهم
 على الخضوع و الانكسار .

ولما استدل على الساعة بما وهب لهؤلاء القوم من أهل الطاعة
 من التصرف في العناصر و غيرها إلى أن ذكر أنه خرق العادة في
 ١٠ إبداع يحيى عليه الصلاة و السلام بين والدين لا يولد لثلثهما لأن أباه
 زكريا عليه السلام كان قد صار إلى^٨ حالة من الكبر و يبس^٩ من^{١٠}
 الأعضاء عظيمة ، و أمه كانت - مع وصولها إلى مثل^{١١} تلك الحال -
 عاقرا في حال شبابه ، تلاه بإبداع ابن خالته عيسى عليه السلام الذى
 هو علم للساعة على حال أغرب من حاله ، فأخرجه من أنثى بلا ذكر ،
 ١٥ إشارة إلى قرب الوقت لضعف الأمر ، كضعف الانثى بالنسبة إلى الذكر ،
 فقال : ﴿ و التى احصنت فرجها ﴾ أى حفظته من الحلال و الحرام
 (١) ريد من مد (٢ - ٣) سقط ما بين الرتين من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من
 ظ و مد ، وفى الأصل : من (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ : على (٦) من
 مد . وفى الأصل و ظ : ياس (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : مثلك .

حفظا يحق له أن يذكر ويتحدث به ، لأنه غاية في العفة والصيانة ،
والتخلي عن الملاذ إلى الانقطاع إلى الله تعالى بالعبادة ، مع ما جمعت
إلى ذلك من الأمانة والاجتهاد في متانة الديانة ﴿ففحننا﴾^١ أى بما لنا
من العظمة التى لا يدانى أوجها نقص^٢ ، ولا يقرب من ساحتها حاجة
ولا وهن ﴿فيها﴾ أى في فرجها - كما في التحريم^٣ ، [تقنا هو من جناب ه
عظمتنا] ودل على عظم خلوصه : صفاته بقوله -^٤ : ﴿من روحنا﴾
أى من روح يحق له أن يضاف إلينا لجلالته وطهارته ، فكان من ذلك
النفخ^٥ جبل و ولد^٦ . ولعله أضاف [هنا -^٧] النفخ إليها ، لا إلى فرجها
وحده ، ليفيد أنه - مع خلق عيسى عليه السلام به : إفاضة الحياة عليه
حسا ومعنى^٨ - أحيائها هي به معنى^٩ بأن قوى به معانيها^{١٠} القلبية حتى كانت
صديقة متأهلة لزواجها بخير البشر في الجنة ، وخصت هذه السورة بهذا
لأن^{١١} مقصودها الدلالة على تبعث الذى هو إفاضة الأرواح على الأموات ،
قال الرازي : وعلى الجنة هذه عبارة عن إبداع عيسى عليه السلام في
(١ - ١) في مد : على ما ، و العبارة من هنا بما فيها هاتان الكلمتان ساقطة في ظ
إلى «ولا وهن» (٢ - ٢) في الأصل بياض ملأناه من مد (٣) راجع آية ١٢ .
والعبارة من «أى في» إلى هنا ساقطة من ظ (٤) زيد من مد (٥) سقط من مد ،
و زيد في الأصل : ما ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٦) العبارة من
هنا إلى «على الأموات» ساقطة من ظ (٧) زيد في الأصل : أحيائها ، ولم تكن
الزيادة في مد لحذفها (٨) من مد ، و في الأصل : يعنى (٩) من مد ، و في
الأصل : معا - كذا ز - من مد ، و في الأصل : لا .

رحم مريم عليها السلام من غير نقطة .

[ولما قدمته من السرفى إفاضة النفخ إلى حملتها ، أتبع ذلك

قوله - ١ : ﴿ وجعلناها ٢ وإنها ٣ ﴾ " أى تلك العظمة العظمى ٢

﴿ آية ﴾ جعلها نفس الآية لكثرة ما كان فيها ٤ من الأعاجيب .

٥ ولما كان ما فيها ٥ من ذلك ليس مقصودا ٥ لذاته ، بل لتقرير ٦ أمر

عيسى عليه السلام ٧ . لم يقل : آيتين ، أو ثلاثا يظن أن نفس العدد مقصود

فينقص المعنى ﴿ للعلمين ٥ ﴾ أى فى ٨ أن الله ٩ قادر على كل شيء ١٠ لاسيما

البعث الذى هو آيته ١١ ، يتحدث بذلك بعدهما جيل بعد جيل ، وعالم بعد

عالم ، وأمة بعد أمة ، إلى قيام الساعة التى هو عليها ، وحفظنا انها

١٠ بعلمنا وحكمتنا وقدرتنا وعظمتنا من كاده ، ورفعناه إلى محل قدسنا ،

وختم به الانبياء المذكورين هنا لأنه خاتم المجددين لهذا الدين المحمدى ،

وهو دليل الساعة ، وكتابه أعظم كتاب بعد التوراة التى ابتدأ بصاحبها

ذكر هؤلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام . حاشى القرآن الذى عجزت

لبلاغته الإنس والجان .

(١) زيد من مد (٢-٢) تأخر ما بين الرفيقين فى الأصل عن " العظمى "

و الترتيب من مد (٣-٣) سقط ما بين الرفيقين من ظ (٤) من ظ و مد ،

وفى الأصل : فيها (٥) من ظ و مد . وفى الأصل : مقصود (٦) من ظ و مد ،

وفى الأصل : لتقدير (٧) ريدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و مد

فحذفنا (٨-٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : انه .

ذكر شيء من دلائل كونه آية من الإنجيل :

- قال متى^١ أحد المترجمين الأربعة للإنجيل وأغلب السياق له بعد
- / أن ذكر مقتل يحيى بن زكريا عليها السلام كما مضى في آل عمران : ٥٢٢ /
- فلما سمع يسوع مضى من هناك في سفينة إلى البرية مفردا ، وسمع
الجمع فبعوه ماشين من المدينة ، فلما خرج أبصر جمعا كثيرا فتحنن عليهم ٥
و أبرأ أعلاهم و مرضاهم^٢ ، و قال مرقس^٣ : فلما خرج يسوع أبصر جمعا
كثيرا فتحنن عليهم لأنهم كانوا كحراف لا راعي^٤ لها فبدأ يعلمهم ،
و بعد ساعات كثيرة جاء تلاميذه إليه ، و قال متى : ولما كان المساء أتى
تلاميذه و قالوا : إن المكان قفر^٥ ، و الساعة قد جازت ، [أطلق - ٥]
الجمع يذهبوا إلى القرى المحيطة فيبتاعوا لهم طعاما ، فقال لهم : أعطوهم ١٠
أنتم ليأكلوا ، فقالوا : ليس ههنا إلا خمس خبزات و حوتان ، فقال
[لهم - ٦] : قدموهم إلى ههنا ، و أمر باجلاس الجميع على العشب^٧ ،
و قال مرقس : الاخضر أحزابا أحزابا ، فجلسوا رفقا رفقا مائة مائة
و خمسين خمسين ، و قال يوحنا^٨ : فقال لفيلبس : من أين نبتاع لهؤلاء
خبزا ؟ قاله ليجره ، فقال فيلبس : ما يكفيهم خبز بمائتي دينار ، و قال ١٥
-
- (١) راجع الآية ١٣ فابعداها من الأصحاح الرابع عشر (٢) راجع الآية ٣٤ فما
بعدها من الأصحاح السادس (٣) من ظ و مد و مرقس ، و في الأصل : رعى .
(٤) من ظ و مد ، و في الأصل : خفر (٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد من
مد (٧) من ظ و مد و الإنجيل ، و في الأصل : الحشب (٨) راجع الآية ٥
فابعداها من الأصحاح السادس .

إندراوس أخو شمعون الصفاء : إن ههنا حدثاً معه خمسة أرغفة شعير
و سمكتان ، فقال يسوع : مروا الناس بالجلوس ، وقال متى : وأخذ
الخمس خبزات و الحوتين ، ونظر إلى السماء و بارك و قسم و أعطى الخبز
لتلاميذه . و قال مرقس : و قسم الحوتين و ناول^٢ التلاميذ الجميع فأكل
٥ جميعهم و شبعوا و رفعوا من فضلات الكسر اثني عشر سلا مملوءة^٣ ،
و من السمك ، و كان عدد^٤ الآكلين خمسة آلاف رجل ، [وقال متى - ٥ :
سوى النساء و الصبيان ، و قال يوحنا : فقالوا : حقا إن هذا هو النبي
الجاتي إلى العالم ، فلم يسوع أنهم اجتمعوا ليحتفظوا به و يصيروه ملكا .
فبحول إلى الجبل^٦ ، و قال متى : و للوقت أمر تلاميذه ان يصعدوا إلى السفينة
١٠ و يسبقوه إلى العبر ليطلق الجموع . و قال يوحنا : ليعبروا إلى كفرناحوم
و كان ظلاما ، و قال متى : فأطلق الجمع و صعد إلى الجبل^٧ منفردا يصلي ،
و قال مرقس : و للوقت تقدم إلى تلاميذه بركوبهم السفينة و [أن]
يسبقوه إلى العبر عند بيت صيدا ليطلق [هو الجماعة - ٨] ، فلما ودعهم
و ذهب إلى الجبل^٩ ليصلي . قال متى : فلما كان المساء و كان وحده^{١٠} هناك
(١) من ظ و مد : و في الأصل : قام (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : ناواه .
(٣) زيد في النسخ : و قال مرقس . لخدمة الزيادة نظرا إلى تكرارها (٤) من
ظ و مد ، و في الأصل : عدة (٥) زيد نظرا إلى السياق (٦) من يوحنا ، و في
الأصول : الجليل (٧) من ظ و مد و متى ، و في الأصل : الجليل (٨) زيد من
ظ و مد (٩) من مرقس ، و في الأصول : الجليل (١٠) من ظ و مد و متى ،
و في الأصل : وعده .

و السفينة في وسط البحر، فضربت بها الأمواج لمعانة الريح لها، قال يوحنا:
 فقصوا نحو خمسة وعشرين غلوة^١ أو ثلاثين، و قال متى: و في الهجعة الرابعة
 من الليل جاءهم ماشيا على البحر فاضطربوا و قالوا: ^٢ 'إنه خيال'، و من
 خوفهم صرخوا، فكلهم قائلا: أنا هو، لا تخافوا، أجا به بطرس و قال:
 إن كنت أنت هو فرفني أن ^٣ 'آي إليك' على الماء، فقال له: تعال ^٤ ه
 فنزل بطرس من السفينة و مشى على الماء، فرأى قوة الريح يخاف، و كاد
 أن يغرق فصاح قائلا: يارب نجي! فللوقت مد يسوع يده و أخذه
 و قال له: ^٥ 'يا قليل الأمانة! لم شككت؟ فلما صعد السفينة سكنت'
 الريح، قال يوحنا: و للوقت صارت إلى الأرض التي أرادوها، و في
 الغد نظرت الجموع الذين كانوا معه في عبر البحر أن ليس هناك سوى ^{١٠}
 سفينة واحدة، و أن يسوع لم يركبها مع تلاميذه لكن تلاميذه مضوا
 وحدهم، و كانت سفن أخرى و آتت من طبرية حتى انتهت إلى الموضع الذي
 أكلوا فيه الخبز الذي بارك عليه، فحين لم يرا الجماعة يسوع هناك ^{١١} 'لا تلاميذه'.
 ركبوا تلك السفن، و أتوا إلى كفرناحوم يطلبون يسوع، فلما قصده
 في عبر البحر قالوا له: يا معلم! متى صرت ههنا؟ أجا ب يسوع و قال: ^{١٢}
 الحق الحق أقول لكم! إنكم لم تطلبوني لنظركم الآيات بل لأكلكم
 الخبز فشبعتم، اعملوا لا للطعام الزائل بل للطعام الباقي في الحياة المؤبدة

- (١) من ظ و مد و يوحنا، و في الأصل: علوه (٢-٢) من ظ و مد و متى،
 و في الأصل: انهم حبال (٣-٣) من ظ و مد و متى، و في الأصل: اتيك.
 (٤) سقط من مد (٥) من متى، و في الأصول: سكن.

الذى يعطيكموه^١ ابن البشر، ثم قال: لست اعمل بمشيئتي، لكن بمشيئة
الذى أرسلني، ثم قال: قد كتب في الانبياء أنهم يكونون بأجمعهم معلمين،
الحق أقول لكم^٢ من يؤمن بي فله^٣ الحياة الدائمة، قالوا: ما نصنع حتى
نعمل أعمال الله؟ قال: عمل الله هو أن تؤمنوا بمن^٤ أرسله، قال متى:
هـ ولما عبروا جاءوا إلى أرض جاناشر^٥، قال مرقس: فأرسوا وخرجوا
من السفينة - انتهى^٥. فعرفه أهل ذلك المكان و أرسلوا إلى جميع تلك
الكتور فقدموا إليه [كل المسقومين و طلبوا إليه - ^٦] أن يلبسوا طرف
ثوبه فقط، وكل من لمسه^٧ خلاص.

ولما دل ما مضى من قصص هؤلاء الانبياء وغيرهم على أن الله
١٠ القدرة الباهرة، و القوة البالغة الشاملة للبعث وغيره، وكان ذلك^٨ دالا
على التوحيد الذي هو أصل الدين، وأنهم كلهم متفقون عليه بالتصريح
من البعض هنا و من الباقيين فيما سبق، كان إثباته^٩ فذلك هذه القصص
و ما تقدمها من هذه السورة، فلذلك اتصل به قوله مخاطبا لمن قال
لهم: أفأنتم له منكرون: ﴿ وان هذه ﴾ أى الانبياء الذين أرسلناهم
د قبل نبيكم صلى الله عليه وسلم رجالا نوحى إليهم كما أنه رجل نوحى إليه
١١-١ من ظ و مد، وفي الأصل: التي يعطيكموها، وفي يوحنا: الذى يعطيكم
(٢) من يوحنا، وفي الأصول: له (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: عن.
(٤) في متى: جنسيارت (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: ابنتي (٦) زيد من
ظ و مد ومتى (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: لس (٨) بين سطرى ظ:
أى القدرة الباهرة (٩) بين سطرى ظ: التوحيد.

[لا آباؤكم ولا ما وجدتموه عليه - ١] (امتكم) أى مقصودكم^٢ أيها الخلق^٣ بالافتداء فى الاهتداء ، حال كونها (أمة) قال البغوى^٤ : وأصل الأمة الجماعة التى [هى - ٥] على مقصد واحد - انتهى . و أكد سبحانه هذا المعنى فقال : (واحدة) كما فى الخبر^٦ أنهم^٧ أولاد علات . أمهاتهم شتى و دينهم واحد . لا اختلاف بينهم أصلا فى التوحيد الذى هو هـ الأصل و لا فى توجيه الرغبات إلينا ، و قصر النظر علينا . علما منهم بما لنا من صفات الكمال . و أن كل شئ قالينا مفتقر . و لدينا خاضع منكسر ، فاتبعوهم فى ذلك ، لا تحيدوا عنهم تضلوا ، وإنما فرقناهم و جعلناهم [عددا - ٨] بحسب الأمم التشعبة فى الأزمان المتطاوله ، و أنا لم يجعل لأحد منهم الخلد ، [و - ٩] لغير ذلك من الحكم ، فيثنائهم فى الإقصار ، حتى ملأوها من الأنوار .

و لما كان المقصود تعيين المراد من غير لبس ، عدل عن صيغة العظمة فقال : (وانا ربكم) أى لا غيرى ، فى كل زمان و كل مكان ، لكل أمة . لأنى لا اتغير على طول الدهر . و لا يشغلنى شأن عن شأن (فاعبدون هـ) دون غيرى فانه لا كفوء لى .

١٥

و لما كان من المعلوم أنهم لم يفعلوا ، أعرض إلى أسلوب النية

(١) زيد من مد (٢) من مد . و فى الأصل و ظ : مقصودكم (٣ - ٢) سقط ما الرقبن من ظ (٤) فى المعالم - راجع الباب ٤ / ٦٠ : ٥١ زيد من ظ و مد و المعالم . (٦) راجع مسند الإمام أحمد ٢ / ٦٠ (٧) زيد فى الأصل : كانوا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و المسند فحذفناها (٨) زيد من ظ و مد .

و أن يكون مستغرقا لظرفه^١. [٢- قال: ﴿بينهم^٢﴾ أى فكانوا فرقا كل فرقة على شعبة من ضلال، زينها لها هواها، فلم يدعوا شيئا من الأمر بغير تقطيع^٣]. وكان يعطف بالواو دون الفاء كما فى المؤمنين^٤ لأن ترك العبادة ليس سببا للتقطع، بل ربما كان عنه الاجتماع على الضلال. كما يكون فى آخر الزمن^٥ وكما قال تعالى "كان الناس امة واحدة" - الآية^٦ "وما تفرق الذين اوتوا الكتاب^٧ الا من بعد ما جاءتهم البينة".

ولما كان كأنه قيل: فماذا يفعل بهم؟ قال ما هو غاية فى الدلالة على باهر^٨ العظمة و تام القدرة^٩ ليسكون^{١٠} أشد فى الوعيد، و صاعد التهديد^{١١}: ﴿كل﴾ أى من هذه الفرق و إن بالغ فى التمرد ﴿الينا﴾ ١٠ على عظمتنا التى لا يكافئها شيء. لا إلى غيرنا^{١٢} ﴿رجعون﴾^{١٣} فنحكم بينهم فيتسبب عن ذلك أنا نجازيهم إقامة للعدل فعطى [كلا من^{١٤}] الحق التابع^{١٥} لأصفيائنا و المظهر المثل إلى الشياطين أعدائنا ما يستحقه، و ذلك هو معنى قوله تعالى، فارقا بين المحسن و المسىء تحقيقا للعدل و تشويقا بالفضل^{١٦}: ﴿فمن يعمل﴾ أى منهم الآن ﴿من الصالحات و هو﴾ أى ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (١) زيد ما بين الحائزين من ظ و مد.
(٢) سقط من ظ (٤-٤) من ظ و مد. وفى لأصل: هو الموصول؟ و راجع آية ٣٥ (٥) العبارة من هنا إلى «ساقطة من ظ (٦-٦) من مد و القرآن الكريم - سورة ٩٨ آية ٤، وفى الأصل: ما تفرقوا (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: ما هو (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: البانغ (٩) من مد، وفى الأصل: للفضل، و العبارة من «ورقا» إلى هنا ساقطة من ظ.

و الحال أنه ﴿ مؤمن ﴾ أى بان لعمله ' على الأساس الصحيح
 ﴿ فلا كفران ﴾ أى إبطال بالتغطية ' ﴿ لسيئه ﴾ بل نحن نجزيه عليه
 بما يستحقه و نزيده من فضلنا ﴿ اناله ﴾ أى لسيئه الآن ' على عظمتا'
 ﴿ كاتبون ﴾ ' ما كتبناه فهو غير ضائع ، بل باق ' ، لنظلمه عليه يوم
 ٥ الجزء بعد أن نعطيه قدرة على تذكره ، فلا يفقد منه شيئا قل أو جل ،
 و من المعلوم ان قسميه ' و من يعمل من السيئات و هو كافر فلا
 نقيم له وزنا ، و من عمل منها و هو مؤمن فهو فى مشيئتنا ، و لعله حذف
 هذين القسمين ترغيبا فى الإيمان

ولما كان هذا غير صريح فى ان هذا الرجوع بعد الموت ، بينه
 ١٠ بقوله : ﴿ و حرام ﴾ أى و ممنوع و محجور ﴿ على قرية ﴾ أى اهلها
 ﴿ اهلكونها ﴾ أى ' بالموت بعظمتنا ' ﴿ انهم لا يرجعون ﴾ أى إلينا بأن
 يذهبوا تحت التراب باطلا من غير إحساس ، بل إلينا بموتهم [رجعوا - °]
 فخبناهم فى البرزخ منعمين أو معذنين نعيما و عذابا دون التعميم و العذاب
 الأكبر ، و لقد دل على ما قدرته قوله : ﴿ رَحَىٰ إِذَا فُتِحَتْ ﴾ بفتح السين
 ١٥ الذى تقدم و صنفنا له ، [و أن فحه لا بد منه و قراءة ابن عامر
 بالتشديد تدل على كثرة التفتيح او على كثرة الخارجين من القتح و إن
 كان فرحة واحدة كما أشار إليه إطلاق قراءة الجماعة بالتخفيف - °]

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : عمه (٢) - قط من ظ (٣) - سقط من مد .
 (٤) - ' - قط ما بين الرقيين من ظ (٥) زيد من ظ و مد .

(يا جوج و ماجوج) فخرجوا على الناس ؛^١ و عبر^٢ عن كثرتهم التي لا يعلمها إلا هو سبحانه بقوله : (و هم) أى و الحال أنهم (من كل حذب) أى نشز^٣ عال من الأرض (ينسلون^٤) أى يسرعون ، من / النسلان و هو تقارب الخطأ مع السرعة كمشى الذئب^٥ ، و فى العبارة إيماء [إلى -^٦] أن الأرض كرية (و اقترب الوعد الحق) و هو حشر الأموات^٧ الذى ه يطابقه الواقع ، إذا وجد^٨ قربا عظيما ، كأن الوعد طالب له و مجتهد فيه . و لما دلت صيغة ' اقتعل ' على شدة القرب كما فى الحديث^٩ أن الساعة إذا ذاك مثل الحامل المتيم ، علم أن التقدير جوابا^{١٠} لإذا : كان ذلك الوعد^{١١} فقام الناس من قبورهم : (فاذا هى شاحصة) أى وافقة جامدة لا تطرف لما دهمهم من الشدة ، [و يحوز -^{١٢}] و هو أقرب أن تكون إذا هذه الفجائية [هى جواب إذا الشرطية . و هى تقع فى المجازات سادة مسد الفاء ، فاذا جاءت الفاء معها متفاوتة على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد . فالغنى -^{١٣}] : إذا كان الفتح و وقع ما تعقبه فاجأت الشخصوس (ابصار الذين كفروا^{١٤}) أى منهم ، لما بدا لهم ما لم يكونوا يحتسبونه من

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فعب^(٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تسر ، و بهامش ظ : قاموس : النشز ، المكان المرتفع ، و النشز - محركا ، جمع نشوز . (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : القريب ؛ و العبارة من بعده إلى « كرية » ساقطة من ظ (٤) زيد ما بين الحائزين من مد (٥) العبارة من هنا إلى « جوابا » ساقطة من ظ (٦ - ٦) من مد ، و فى الأصل : و الوعيد أى - كذا^(٧) راجع مسند الإمام أحمد ٣٧٥/١ (٨ - ٨) ما بين الرفين فى ظ : أى و كان (٩) العبارة من هنا إلى « الشخصوس » ساقطة من ظ .

الأموال، قائلين: ﴿يؤيلنا﴾ أى حضرنا الويل فهو نديمنا فلا مدعو لنا غيره ﴿قد كنا﴾ 'أى فى الدنيا' ﴿فى غفلة من هذا﴾ أى مبتدئة من اعتقاد هذا البعث فكنا نكذب به فعمتنا الغفلة .

ولما كان من الوضوح فى الدلائل والرسوخ فى الخواطر بحيث
 ٥ لا يحمله أحد ، أضربوا عن الغفلة فقالوا: ﴿بل كنا ظالمين﴾ أى بعدم اعتقاده واضعين الشيء فى غير موضعه^٢ حيث أعرضنا عن تأمل دلائله ، والنظر فى مخايله ، وتقبل كلام الرسل فيه ، فأنكرنا ما هو أضوأ من الشمس

ولما كان هذا محلا يخطر بالبال فيه ألهمهم بما يترجونه منها^٣
 ١٠ من النفع . قال مخاطبا لهم إرادة التعنيف والتحقير: ﴿انكم﴾ 'وأكدته لإنكارهم مضمون الخبر': ﴿وما تعبدون﴾^٤ أيها المشركون من الأصنام والشياطين؛ ولما كانوا يتعبدون له سبحانه طوعا وكرها مع الإشراك ، قيد بقوله دالا على أن رتبة ما عبدوه من أدنى المراتب الكائنة تحت رتبته سبحانه: ﴿من دین الله﴾ 'أى الملك الأعلى الذى لا كفوء له'؛

١٥ ولما كانوا يرمى بهم فى جهنم روى الحجارة الصغار التى تسمى الحصباء إلى المحصور إسراعا وإكراها ، فيكونون وقودها من غير إخراج ، قال :
 ﴿حصب جهنم﴾ 'أى الطبقة التى تلقى المعذب بها بالتجهم والعبوسة والتكبر'؛ ثم أكد ذلك بقوله استئنافا : ﴿اتم لها واردون﴾ أى

(١-١) سقط ما بين الرئتين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : منها (٤-٤) بياض فى الأصل ملأناه من مد ، و سقط ما بين الرئتين

داخلون^١ دخول ورد الحمى على حالة هي بين السواد بالدخان والاحمرار باللهب^٢.

ولما قرعهم من هذا الكلام بما لاجواب لهم [عنه - ٢] غير المكابرة،
أعرض عنهم الخطأ استهانة بهم واحتقاراً لهم فقال: ﴿لو كان هؤلاء﴾
أى الذين أهلهم لرتبة الإلهية وهم فى الحقايرة بحيث يقذف بهم فى النار ه
قذفاً ﴿إلهة﴾^٣ أى كما زعم العابدون لهم^٤ ﴿ما وردوها﴾^٥ أى جهنم^٦
أصلاً، فكيف على^٧ هذه الصفة؛ ثم أخبر عنهم [وعنها - ٢] بقوله:
﴿وكل﴾^٨ أى منهم ومنها ﴿فيها﴾^٩ أى جهنم^{١٠} ﴿تخلدون﴾ لا انفكاك
لهم عنها، بل يحصى بكل منهم فيها على الآخر ﴿لهم﴾ أى إن فيه
الحياة من المذكورين العابدين مطلقاً والمعبودين الراضين كفرعون ١٠
﴿فيها زفير﴾^{١١} أى تنفس عظيم على غاية من الشد والمدة. تكاد تخرج
معه النفس،^{١٢} وبقرون بآلهتهم زيادة فى عذابهم حيث جعل^{١٣} المعبود
الذى كان يطلب منه^{١٤} / السعادة زيادة فى الشقاوة فصار^{١٥} عدواً ولا يكون
أنكاً من مقارنة^{١٦} العدو .

٥٢٦ /

ولما كانت تعمية الأخبار مما يعدم القرار، ويعظم الإكدار، ١٥

- (١) من ظ و مد، وفى الأصل: داخلين (٢-٢) سقط ما بين الرقعين من ظ .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) سقط من مد (٦) العبارة من هنا
إلى «العدو» سابقة من ظ (٧) من مد، وفى الأصل: كان (٨) من مد، وفى
الأصل: من (٩) من مد، وفى الأصل: اصار (١٠) من مد وفى
الأصل: مقارنة .

قال: ﴿وهم فيها لا يسمعون﴾^١ 'حذف المتعلق' تعميماً لكل مسموع،
 قال ابن كثير^٢: قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن محمد الطنافسي ثنا ابن
 فضيل ثنا عبد الرحمن - يعني المسعودي - عن أبيه قال: قال ابن مسعود
 رضى الله عنه: إذا بقي من يخلد^٣ في النار جعلوا في توايت من نار فيها
 مسامير من نار فلا يرى أحد منهم أنه يعذب في النار غيره، ثم تلا
 عبد الله - يعني هذه الآية، قال: ورواه ابن جرير من حديث حجاج
 ابن محمد عن المسعودي عن يونس بن خباب^٤ عن ابن مسعود فذكره.
 ولما ذكر حالهم وحال معبوديهم^٥ بغاية الويل، كان موضع
 السؤال عن عبدوهم^٦ من الصالحين من نبى أو ملك وغيرهما من جميع
 ١٠ من عبده سبحانه لا يشرك به شيئاً، فقال ميثا أنهم ليسوا مرادين لشيء^٧
 من ذلك على وجه يعمهم وغيرهم من الصالحين: ﴿ان الذين سبقت لهم منا﴾
 ٩ أى ولنا العظمة التى لا يحاط بها^٨ ﴿الحسنى﴾^٩ أى الحكم^{١٠} بالموعدة
 البالغة فى الحسن^{١١} فى الأزل سواء ضل^{١٢} بأحد منهم الكفار فأطروه
 أو لا^{١٣} ﴿اولئك﴾^{١٤} أى العالو الرتبة^{١٥} ﴿عنها﴾^{١٦} [أى جهنم - ١٧].
 ١٥^{١٨} ﴿اولما كان الفوز مطلق الإبعاد عنها^{١٩} لا كونه من^{٢٠} مبعد معين. قال:

(١) العبارة من هنا إلى «مسموع» ساقطة من ظ (٢) من مد، وفى الأصل:
 المطلق (٣) راجع تفسيره ١٩٧/٣ (٤) من ظ و مد والتفسير، وفى الأصل: يخلد.
 (٥) فى التفسير: حبان - خطأ (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: معبودهم.
 (٧) زيدت الواو فى ظ (٨) سقط من ظ (٩-٩) سقط ما بين الرقيين من ظ.
 (١٠-١٠) فى ظ: بها (١١) من ظ و مد، وفى الأصل: منا (١٢) زيد من ظ
 و مد (١٣) العبارة من هنا إلى «معين قال» ساقطة من ظ (١٤) من مد، وفى
 الاصل: منها (١٥) سقط من مد.

(مبعدون ١) رحمه الله ١ لأنهم أحسنوا في العبادة و اتقوا ، و هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؛ قال ابن كثير في تفسيره ٢ : قال أبو بكر بن مردويه : [حدثنا - ٣] محمد بن علي بن سهل ٤ ثنا محمد بن حسن الأنماطي ثنا إبراهيم بن محمد بن عرعة ثنا يزيد بن [أبي - ٥] حكيم نا الحكم - يعني ابن أبان - عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء ه عبد الله بن الزبيري ٦ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : تزعم ٧ أن الله أنزل عليك هذه الآية " انكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون " قال ابن الزبيري : قد عبت الشمس و القمر و الملائكة و عزير و عيسى ابن مريم أكل هؤلاء في النار مع الهتنا ؟ فزلت " ولما ضرب ابن مريم مثلاً اذا قومك منه يصدون و قالوا ه الهتنا ١٠ خير ام هو ما ضربوه لك الاجدلا بل هم قوم خصمون " ثم نزلت " ان الذين سبقتم لهم ١١ منا الحسنى اولئك عنها مبعدون ١٢ " رواه الحافظ أبو عبد الله في كتابه ١٣ الأحاديث المختارة ١٤ - انتهى ١٥ . وفي السيرة ١٦ النبوية ١٧ أن النبي صلى الله عليه وسلم ١٨ لما بلغه اعتراض ابن الزبيري قال : ١٩ " كل من أحب ٢٠ "

(١) من ظ و مد . وفي الأصل : له (٢) راجع ١٩٨/٣ (٣) زيد من ظ و مد و التفسير (٤) في الأصل بياض ملأناه من ظ و مد و التفسير (٥) من ظ و مد و التفسير ، وفي الأصل : الزبيري (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من مد ، و موضعه في ظ : الآية (٧) في مد : كتاب (٨) من ظ و مد و التفسير ، وفي الأصل : المختار (٩) و العبارة من هنا إلى « بعبادته » ساقطة من ظ (١٠) راجع ابن هشام ١٢٥/١ (١١) سقط من مد (١٢-١٢) في الأصل بياض ملأناه من مد و السيرة .

أن يعبد من دون الله فهو [مع -^١] من عبده،^٢ إنهم إنما^٣ يعبدون
الشياطين و من^٤ أمرتهم بعبادته^٥. وقد أسلم ابن الزبير بعد ذلك
ومدح النبي صلى الله عليه و سلم .

و لما كان أقل ما ينكثي من المكروه سماعه ، قال :
هـ (لا يسمعون حسيهاج) أي حركتها البالغة و صوتها الشديد ، فكيف
بما دونه لأن الحس مطلق ، الصوت أو الحنى منه كما قال البغوي^٦ ،
فاذا زادت حروفه زاد معناه (و هم) أي الذين سبقت لهم منا^٧
الحسي (في ما) ^٨ و لما كانت الشهوة - و هي طلب النفس اللذة -
لا تكون إلا بليغة ، عبر بالافتعال دلالة على عظيم ما هم فيه من اللذة
١٠ فقال^٩ : (اشتته^{١٠} انفسهم) في الجنة (خلدون) أي^{١١}
دائما أبدا^{١٢} .

و لما كان معنى ذلك أن سرورهم ليس له زوال ، أكد به بقوله :
(لا يحزنهم) أي يدخل عليهم حزنا - على قراءة الجماعة حتى^{١٣} نافع
بالفتح ، عن حزنه ، أو جعلهم حزينين - على قراءة أبي جعفر بضم ثم كسر ،
١٥ من احزنه - رابعيا ، فهي أشد ، فالمتنى فيها كونه يكون لهم صفة -^{١٤}

(١) زيد من مد و السيرة (٢-١) من السيرة . و في الأصل : إنهم و ما . و في
مد . أ . (٣-١) من السيرة . و في الأصل و مد . امرعهم بالعبادة (٤) من ظ
و مد ، و في الأصل : يطلق على (٥) سقط من مد (٦) راجع المعالم على هامش
الكتاب ٢٦٠٤ (٧) العبارة من هذا إلى « الحسي » نقطة من ظ (٨-٨) سقط
ما بين الرقنين من ظ (٩) بهامش ظ . قال الأصمعي : و الشهوة طلب النفس
اللذة (١٠) كذا (١١) زيد ما بين الحازنين من مد .

﴿ الفزع الأكبر ﴾ أى فاء الظن بما^١ دونه ﴿ وتلقنهم ﴾^٢ أى تلقيا
بالغا فى الإكرام ﴿ الملائكة ﴾ حيثما توجهوا ، قائلين بشارة لهم :
﴿ هذا يومكم ﴾ إضافة إليهم لأنهم المتفنون به^٣ ﴿ الذى كنتم ﴾
فى الدنيا . [ولما تطابق على الوعد فيه الرسل و الكتب و الأولياء من جميع
الأتباع ، بنى الفعل للفعول إفادة للعموم فقال -^٤ : ﴿ توعدون ﴾^٥ أى هـ
بحصول ما تتمنون^٦ فيه من النصر و الفوز العظيم ، و النعيم المقيم ، فأبشروا
فيه بجميع ما يسركم .

و لما كانت هذه الأفعال على غاية من^٧ الأحوال ، تشوف بها النفس
إلى معرفة اليوم الذى تكون فيه ، قال تعالى شافيا لعى^٨ هذا سؤال ،
زيادة فى تهويل ذلك اليوم لمن له وعى : ﴿ يوم ﴾ أى تكون هذه ١٠
الاشياء يوم ﴿ نطوى ﴾^٩ أى بما لنا من العظمة الباهرة ﴿ السماء ﴾ طيا
فتكون كأنها لم تذكر ؛ ثم صور طيها بما يعرفون فقال مشبها لاصدره^{١٠}
الذى دل عليه "فعل" : ﴿ كطى "سجل" ﴾ أى الكتاب^{١١} الذى له العلو
و القدرة على مكتوبه^{١٢} ﴿ للكتب ﴾^{١٣} أى القراطيس الذى يكتبه ويرسله
(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بما (٢ - ٣) - قط ما بين الرقبن من ظ .
(٣) من مد . و فى الأصل : يوم ، و العبارة - إجماعة - إلى هنا مقاطعة من ظ .
(٤) زيد ما بين الحاجزين من مد (هـ - هـ) من ظ و مد ، و فى الأصل : حصول
ما تتمنوا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن (٧) من ظ و مد ، و فى
الأصل : فقال (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالصدر .

إلى أحد ، وإنما قلت ذلك لأن السجل يطلق على الكتاب وعلى الكاتب - قاله في القاموس ، واختير للفاعل لفظ السجل لما مضى في سورة هود من أن هذه المادة تدور على العلو ، وللطوى لفظ الكتاب الدال على الجمع ، لكونه لازما للطى ، مع أن ذلك أنسب لما جعل كل منهما مثالا له ، وقراءة المفرد لمقابلة لفظ السماء ، و الجمع للدلالة على أن المراد الجنس ، فجميع السماوات تطوى ؛ قال ابن كثير^١ : قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ثنا محمد بن أحمد بن الحجاج الرقي حدثنا محمد بن سلة عن أبي الواصل عن أبي المليح عن الأزدي عن أبي الجوزاء الأزدي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : يطوى الله السماوات السبع بما فيها من الخليفة ، و الأرضين السبع بما فيها من الخليفة ، يطوى ذلك كله يمينه حتى يكون ذلك^٢ بمنزلة خردلة .

و لما كان هذا عند من لا يعلم أعظم استبعادا من استبعادهم إعادة الموتى ، قال^٣ 'دالا عليه' مقربا له إلى العقول بتشبيهه الإعادة بالإبداء ، في تنازل القدرة لهما على السواء . فانه كما أخرج به بعلوم من خزائن قدرته كذلك يرده بعلمه في خزائن قدرته ، كما يصنع في نور السراج ونحوه ١٥ إذا أطلقى ، فكذا في غيره من جميع الأشياء - [(كما) أى مثل ما

(١) راجع تفسيره ١٩٩/٣ (٢) زيد في التفسير : كله في يده (٣) زيد في الأصل : ذلك ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من . ظ (٥) زيد ما بين الحاذرين من مد .

(بَدَانًا) 'أى بما عُلِمَ لنا من العظمة' (أول خلق) [٢-] 'أى تقدير أى تقدير كان ، 'نكره ليقيد التفصيل واحدا واحدا ، بمعنى أن كل خلق جل أو قل -واه فى هذا الحكم، وهو أنا' [(نعيده) 'أى بتلك العظمة بعينها، 'غير ناسين له ولا غافلين ولا عاجزين عنه'، فما كان متضام الأجزاء فددناه نضمه بعد امتداده ، و ما كان ميتا فأحييناه نميته بعد حياته . و ما كان حيا فأمتناه نحياه بعد موته ، و نعيد منهم من التراب من بدأناه منه ، والحاصل أن من أوجد شيئا لا يبعد عليه التصرف فيه كيفما كان ؛ روى البخارى فى التفسير* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال^٦ : إنكم محشورون إلى الله عراة غرلا " كما بدانا أول خلق نعيده " - الآية ، أول من يكسى^٧ يوم ١٠ القيامة^٨ إبراهيم عليه السلام ، ألا إنه يحاء رجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يا رب ! أصحابي ! فيقال : لا تدرى ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح " كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم - إلى قوله : شهيد " فيقال^٩ : إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم . ثم أعلم أن ذلك أمر لا بد منه بالتعبير بالمصدر ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ : (١) زيد من ظ و مد (٣-٣) ورد ما بين الرقین في ظ بعد 'أى تقدير كان' سطر ١٤٢ من ظ و مد . وفى الأصل : بدانا . (٥) راجع الصحيح ٢/٦٩٣ (٦) من الصحيح ، وفى النسخ : قال (٧-٧) تأخر فى النسخ عن «إبراهيم عليه السلام» . والترتيب من الصحيح (٨) من ظ و مد والصحيح ، وفى الأصل : فقال .

١) ناكيدا لما أنكروه وبالغوا في إنكاره فقال: ﴿وعدا﴾ وأكد ذلك بقوله:
 ﴿علينا﴾ وزاده^٢ بقوله: ﴿انا كنا﴾^٣ أى أزلا وأبدا، على حالة
 لا تحول^٤ ﴿فعلين﴾^٥ أى شأنا / أن تفعل ما نريد، لا كلفة علينا في
 شيء من ذلك بوجه .

٥٢٨/

٥ ولما ذكر صدقه في الوعد وسهولة الأفعال عليه، وكان من محط
 كثير^٦ مما مضى أن من فعل [ما لا يرضى الله غير عليه، كائنا من
 كان، ومن فعل - °] ما أمره به نصره وأيده ولو بعد حين، كما
 أشير إليه بقوله تعالى "قل ربى يعلم القول فى السماء والارض"، وما بعده
 [من أشكاله - °]، [حتى ختم بقوله "اولم يروا انا نأتى الارض ننقصها"
 ١٠ الآية - °]، قال تعالى عاطفا على "لقد انزلنا اليكم كتبافيه ذكركم"^٧
 وما عطف عليه من أشباهه مذكرا^٨ بما وعد على لسان داود عليه السلام:
 ﴿ولقد كتبنا﴾ [أى - °] على عظمتنا التى نفوذها محقق لا تخلف له
 أصلا^٩ ﴿فى الزبور﴾ أى الذى أنزلناه على داود عليه السلام .

[ولما كان المكتوب المشار إليه لم يستغرق ما بعد الذكر المراد
 ١٥ من هذا الزبور - °]، [أشار^{١٠} إلى التبويض باثبات الجار فقال - °]:

(١-١) وقع ما بين الرقين فى الأصل بعد «انا كنا» سطر^٢، و الترتيب من مد،
 وسقط من ظ (٢) فى مد: زاد (٣-٣) و وقع فى الأصل قبل «فقال وعداء»
 سطر^٤، و الترتيب من مد، وسقط من ظ (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: كثيرة.
 (٥) زيد من ظ ومد (٦) زيد من مد (٧) من ظ ومد والقرآن الكريم،
 وفى الأصل: ذكر (٨) من ظ ومد. وفى الأصل: فذكر (٩ - ٩) سقط ما
 بين الرقين من ظ (١٠) فى ظ: وأشار .

(من بعد الذكر) أى الكلام الداعى إلى الله تعالى الدال عليه من الدعاة والمواظ و التسيح و التمجيد^١ الذى ابتدأنا [به -^٢] الزبور (ان الارض) أى جنسها الشامل لبقاع أرض الدنيا كلها و لأرض المحشر و الجنة و غير ذلك مما يعلمه الله (يرثها عبادى)^٣ وحق ما أفادته؛ إضافهم إليه من الخصوص^٤ بقوله: (الصلحون^٥) أى المتخلقون بأخلاق [أهل -^٦] الذكر، المقبلين على ربهم، الموحدين [له -^٧]، المشفقين من الساعة، الرايين من سطوته، الراغبين فى رحمته، الخاشعين له - كما أشرنا إليه بقولنا "قل ربى يعلم القول"، و ما ضاهاه و بذكر ما سلف فى هذه السورة من شاهد ذلك من قصص هؤلاء الأنبياء الذين ضمناها بعض أخبارهم دلالة على أن العاقبة^٨ لمن أرضانا "لنهلكن الظالمين ١٠ و لنسكتكم الارض من بعدهم"، "ان الارض [لله -^٩] يورثها^{١٠} من يشاء من عباده"، "اولئك هم الورثون الذين يرثون الفردوس"، وفى هذا إشارة بالبشارة بأنه تعالى يورث هذه الأمة على ضعفها ما أورث داود و ابنه سليمان عليهما الصلاة و السلام على ما أعطاهما من القوة [من -^{١١}] لإلانة الحديد و الريح و الحيوانات كلها من الجن و الإنس و الوحش ١٥

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : التمجيد (٢) زيد من ظ ومد (٣) العبارة من هنا إلى «الخصوص بقوله» ساقطة من ظ (٤) من مد ، وفى الأصل : اداته - كذا (٥) من مد ، وفى الأصل : الخصوص (٦) فى مد : الآخرة (٧) زيد من ظ ومد والقرآن الكريم سورة ٧ آية ١٢٨ (٨) من ظ ومد والقرآن الكريم ، وفى الأصل : يرثها .

١' والطير' وغير ذلك ، و المراد بهذا الكلام - والله أعلم - ظاهره ،
فانه ابتداء سبحانه الزبور بالاذكار والمواظ إلى أن قال في المزمور^٢
السادس و الثلاثين^٣ - وهو قبل ربه - هذا اللفظ بعينه . يان ذلك^٤ :
المزمور الاول : طوبى للرجل الذى لا يتبع رأى المنافقين ، ولم
يقف فى طريق الخاطئين ، ولم يجلس فى مجالس المستهزين ، لكن فى
ناموس الرب مشيته^٥ ، و فى سنه يتلو ليلا و نهارا . فيكون كمثل الشجرة
المغروسة على مجارى المياه التى تعطى ثمرتها فى حينها ، و ورقها لا يندثر ،
و كل ما يعمل يتم ، [ليس -^٦] كذلك^٧ المنافقون ، بل كالحباء الذى
تذريه الرياح عن وجه الأرض ، فلهذا لا يقوم المنافقون فى القضاء
١٠. و لا الخطاة فى مجمع الصديقين . لأن الرب عالم بطريق الارار ، و طريق
المنافقين^٨ تنيد .

المزمور الثانى : لما ذا ارتجت الشعوب ؟ و هدت الأمم بالباطل ؟
قامت ملوك الأرض و رؤساؤها و اتتمروا جميعا على الرب و على مسيحه
[قائلين -^٩] . لنقطع اغلالها^{١٠} و نلقى عنا سيرهما^{١١} . الساكن فى السماء

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ض و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل :
الزبور (٣) السابع و الثلاثين فيما نديننا من نسخة التوراة (٤) زيد فى الأصل :
قال فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) فى الزبور : مسرته .
(٦) من ظ و مد . و فى الأصل : كما (٧) زيد من مد و الزبور (٨) من ظ
و مد و الزبور . و فى الأصل : ذلك (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الابرار ،
و فى الزبور ، الأشرار . زيد من الزبور (١٠) فى النسخ : اعلاهم . و فى
الزبور : قيودهما (١٢) فى النسخ : ثيرهم . و فى الزبور : ربطهما .

يضحك بهم ، و الرب يمقتهم ، حيثذ يكلمهم بغضه^١ ، و بسخطه يذهلهم ،
 أنا أقمت ملكا منهم على صهيون جبل قدسه^٢ . لأخبر ميثاق الرب ،
 الرب قال لى : أنت^٣ ، ابنى ، أنا اليوم ولدتك^٤ ، سلتى فأعطيك الشعوب ،
 ميراثك و سلطانك على أقطار الارض ، ترعاهم^٥ بقضيب من حديد ،
 / و مثل آية الفخار تسحقهم ، من الآن تفهموا أيها الملوك^٦ اتأدبوا يا جميع^٧ ٥ / ٥٢٩
 قضاة الارض ! اعبدوا الرب بخشية ، سجدوه برعدة^٨ ، الزموا الادب^٩ لثلا
 يسخط الرب عليكم ففضلوا عن سيده^{١٠} العادلة ، إذا ما توقد رجزه^{١١} عن
 قليل ، طوباهم^{١٢} المتوكلين عليه .

المزمور الخامس : استمع يارب قولى داعيا ، و كن لدعائى مجيبا ،
 و أنصت إلى صوت تضرعى ، فانك ملكى و إلهى ، إو إنى لك أصلى ١٠
 فى غدوائى ، استمع^١ يارب طلبتى لأقف أمامك بالغداة و ترانى ،
 لأنك إله لا ترضى الإثم ، و لا يحل فى مساكنك شرير ، و لا يثبت مخالفو
 وصاياك بين يديك ، أبغضت جميع عاملى الإثم ، و أبدت كل الناطقين
 بالكذب ، الرجل السافك الدماء الغاش^٢ الرب يذله^٣ ، و انا بكثرة

- (١) من ظ و مد و الزبور ، و فى الأصل : بغضب (٢) فى الزبور : قدسى .
 (٣) سقط من ظ و مد (٤ - ٤) من الزبور ، و فى الأصل : ولا اليوم ، و ما
 بين الرقين ساقط من ظ و مد (٥) فى الزبور : تحطمهم (٦) فى مد : الملاك .
 (٧ - ٧) فى الزبور : قبلوا الابن (٨) فى مد : سببه (٩) من ظ و مد و الزبور
 معنى ، و فى الأصل : رحوه (١٠) فى الزور : طوبى لجميع (١١) من ظ و مد ،
 و فى الأصل : اتسمع ، و فى الزبور : تسمع (١٢) من ظ و مد و الزبور معنى ،
 و فى الأصل : الفتن (١٣) من ظ و مد و الزبور ، و فى الأصل : يرزله .

رحمتك أدخل بيتك، وأسجد^١ في هيكلك قدسك مستشعرا بخشيتك .
اهدني يارب بعدلك . و من أجل أعدائي سهل أمامك طريقى ، فانه
ليس في أفواههم صدق . بل الإثم في قلوبهم ، حناجرهم قبور مفتحة ،
وألسنتهم غاشة ، دنهم يا الله ! و مثل كثرة نفاقهم^٢ ارفضهم لأنهم
هـ انحطوك^٣ يارب . ويفرح بك جميع المتوكلين عليك ، و إلى الأبد
يسرون ، وفيهم تحمل بركتك ، ويفتخر بك كل محب اسمك ، لأنك
يارب تبارك انصديق ، و كمثل سلاح ، المسرة كللتنا^٤ .

المزمور السادس : يارب الا تبكتنى بغضبك ، ولا تؤدبنى^٥ بزجرك ،
ارحمنى يارب فانى ضعيف . اشفنى يارب فان عظامى قلق^٦ ، ونفسى
١٠ جزعت جدا . و أنت محج نفسى و خلصنى برحمتك ، فليس فى الموتى من
يذكرك ، و لا فى الجحيم من يشكرك . تعبت فى تنهدى ، أحمم^٧ فى كل
ليلة سريرى^٨ ، ز بدموعى أبل^٩ فراشى ، ذبلت من السخط عيناى ، ابعدوا
عنى يا جميع عاملى الإثم ، فان الرب سمع صوت بكائى ، الرب سمع
صوت تضرعى . الرب قبل صلاتى ، يخزون ويهتون جميع أعدائى ،
١٥ ويتضرعون و يسقطون جدا عاجلا .

(١) من ظ ومد وازبور ، وفى الأصل : ادخل (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل :
تعالمهم ، وفى الزبور : ذنوبهم (٣) من ظ ومد و الزبور معنى ، وفى
الأصل : يستخطوك (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : كللتنا ، وفى الزبور :
تحيطه (٥) فى ظ ومد : تردنى (٦) فى ظ : خلقت ، وفى الزبور : رجفت .
(٧) فى الزبور : أعوم (٨) من ظ ومد و الزبور ، وفى الأصل : سريرتى .

وفي المزمور التاسع^١: أشكرك يارب من كل قلبي ، وأقص جميع
عجائبك ، أفرح وأسر بك ، وأرتل لاسمك العلى حين تولى أعدائى على
أدبارهم يضعفون و يبدون من بين يديك . لأنك قضيت لى وانتقمت
لى ، استويت على العرش يا ديان الحق ، زجرت الشعوب ، أبدت المناق
أسقطت^٢ اسمه إلى الأبد وإلى أبد الأبد . لأنك أبدت سلاح العدو ، ه
وأفيت مدائنه ، وأزلت ذكرها ، الرب دائم إلى الأبد ، أعد كرسيه
للقضاء ليقتضى للسكونة بالعدل ، و^٤ يدين الشعوب بالاستقامة .

المزمور الثانى عشر^٥: حتى متى يارب تنسأى إلى التهام ؟ حتى متى
يارب تصرف وجهك عنى ؟ حتى متى ترك هذه الأفكار فى نفسى
والهموم والأوجاع فى قلبى النهار كله ؟ حتى متى يعلو عدوى على ؟ انظر ١٠
إلى واستجب لى ياربى وإلهى ! أنر عيني لئلا أنام ميتا ، ولئلا يقول
عدوى : إنى عليه قد قدرت . والمضطهدون^٦ [لى - ٧] يفرحون إذا
أنا زلت . وأنا على رحمتك توكلت ، فلى بخلاصك يفرح ، أرتل الرب
الذى صنع لى حسنا ، وأسبح اسم الرب العالى .

المزمور الرابع عشر: يارب من يسكن فى / مسكنك أو من يحل ١٥ / ٥٣٠

فى طور قدسك ؟ ذاك الذى يمشى بلا عيب ويعمل البر ويتكلم^٨ فى قلبه

(١) فى مد: العاشر، وربما يكون هو الأصح (٢) سقط من مد (٣) من ظ ومد،
وفى الأصل: اسمك، وفى الزبور: اسمهم (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: أو،
وليس فى الزبور (٥) الثالث عشر فيما عندنا من نسخة الزبور، ونفس الزيادة
تطرد إلى آخر الزامير (٦) بهامش ظ: قاموس: ضمه كنه: قهره كاضطهده .
(٧) زيد من ظ ومد (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: تكلم، وفى الزبور: المتكلم .

بالحق، ولا يغش بلسانه أحدا، ولا يصنع بقرية سوءا، ولا يلتمس لجيرانه عارا، عيناه تشبأ الأئمة، يمجّد أتقياء الرب، يحلف لقريبه ولا يكذب، ولا يعطى فضته بالربا، ولا يقبل الرشوة على الأزياء، الذى يفعل هذا يدوم ولا يحول إلى الأبد.

٥ المزمور السادس عشر: استمع يا الله ببرى. وانظر إلى تواضعى، وأنصت لصلاتي 'من شفّتين' غير غاشتين، من قدامك يخرج قضائى، عيناك 'تنظران الاستقامة'، بلوت قلبى و تعاهدتنى، جربتنى فلم تجد فىّ ظلما، ولم يتكلم فى أعمال الشر، من أجل كلام شفّتيك حفظت طرق صعبة لكيما يشتد فى سبلك نهوضى ولا تزل خطاى، وإذا ما دعوتك ١٠ استجب لى، اللهم أنصت إلى سمعك، وتقبل دعائى يا مخلص المتوكلين عليك، خلصنى يمينك من المضادين [لى - ٢]. احفظنى مثل حدقة العين، وبظلال جناحك ظللتى، من وجه المنافقين الذين أجهدونى، وأعدائى الذين اكتشفوا نفسى، 'نفقدت شحومهم'، وتكلمت أفواههم بالكبرياء، عند ما أخرجونى أحاطوا بى، نصبوا عيونهم ليضربوا بى الأرض، ١٥ استقبلونى مثل الأسد المستعد للفريسة. ومثل الشبل الذى يأبى فى خفية، قم يا رب! أدركهم وعرفلهم، ونج نفسى من المنافقين، ومن سيف

(١-١) (ياض فى الأصل، ملأناه من ظ و مد و الزبور إلا أن كلمة « من » ليست فى الأوليين (٢) من الزبور. وفى النسخ: عيناي (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: لا تزل، وفى الزبور: ما زلت (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) فى الزبور: وقلوبهم السمين قد أغلقوا.

أعدائك ، اللهم عن قرب شتتهم في الأرض ، اقسهم في حياتهم .
 المزمور السابع عشر : أجلك يارب قوتي ! الرب رجائي و ملجأى
 ومخلصى إلهى عونى ، عليه توكلتى ، سأتري و خلاصى و ناصرى ، أسبح
 الرب و أدعوه ، أنجو من أعدائى ، لأن غمرات الموت اكتفتنى ، وأودية
 الأثمة أفرغتنى ، أحاطت بى أهوال الجحيم ، شباك الموت أدركتنى ، ه
 وعند شدتى دعوت الرب ، و إلى إلهى صرخت ، سمع من هيكل قدسه
 صوت دعائى ، أمامه يدخل إلى مسامعه ، تزلزلت الأرض و ارتعدت ،
 تحركت أساسات الجبال و ترعزعت^١ من أجل أن الرب غضب عليها ،
 صعد الدخان من رجزه و التهب النار أمامها ، اشتعل منه^٢ جمر نار ، طأطأ
 السماوات ، و الضباب تحت رجله ، طار على أجنحة الرياح ، جعل الظلمة ١٠
 حجاباه ، تحوط مظلمته مياه مظلمة فى سحب الهواء من الزمهرير ظلاله ، و من
 بريق نور وجهه جعل الغمام يجرى بين يديه ، بردا و جمر نار ، أرعد
 الرب من السماء . و أبدى العلى صوته ، أرسل سهامها و فرقهم ، و أكثر
 البرق و أفرعهم و ألقهم ، ظهرت عيون المياه ، و انكشفت أساسات
 المسكونة من انتهارك يارب ! و من هبوب ريح مخطك . أرسل من ١٥
 العلى و أخذتنى ، نسلتنى من المياه الغزيرة ، و خلصتنى من أعدائى الأشداء ،
 و من المبغضين لى . لأنهم تقورا أكثر منى . سبقونى فى يوم حزنى ،
 نجأتنى فى يوم جزعى . الرب صار لى سنداً ، أخرجتنى إلى السعة ، و أنقذتنى
 لأنه ترأف لى ، خلصتنى من أعدائى الأشداء المبغضين ، جازانى الرب

(١) فى ظ و مد : ترعزت (٢) سقط من ظ .

مثل برى ، و مثل طهر يدى يعطينى ، لاني حفظت سبل الرب ، و لم أبعد
من إلهي ، إذ كل أحكامه ^١ قدامى ، و عدله لم أبعده عني ، أكون معه
بلا عيب ، و لم تزدحف خطاي ، جازاني الرب مثل برى ، و مثل طهر يدى
أمامه ، مع الغفيف عفيفا [تكون - ^٢] ، و مع البار بارا تكون ،
٥ / ٥٣١ و مع الملتوى / ملتويا تكون ، و مع المختار مختارا تكون ، من أجل

أنك تنجي الشعب المتواضع و تذلل أعين المتعظمين ، و أنت يا رب
تضيء سراجي ، لاني بك أنجو من الرصد ، و باللهي أعب السور ^٣ ، و الله
لا ريب في سبله ، كلام [الرب - ^٢] محبّر ، يخلص جميع المتوكلين عليه ،
إله مثل الرب ، و لا عزيز مثل إلهنا . [الإله - ^٢] الذي عضدني بقوته ، جعل
١٠ سبلي بلا عيب ، ثبت قدمي ، و على المشارق رفعتني ، علم يدى القتال ، شدد

ذراعي مثل قوس نحاس ، أعطاني الخلاص ، يمينه نصرتي ^٤ ، و أدبه أقامني
إلى التمام ، حكمتك علمتني ، و سمعت خطاي تحتي ، و لم تضعف قدماي ، أطلب
أعدائي و أدركهم ، و لا أرجع حتى أفنيهم ، أرميهم فلا يستطيعون القيام ،
يسقطون تحت قدمي ، عضدتنى بقوة في الحرب ، جعلت كل الذين
١٥ قاموا عليّ تحتي ، أبدت أعدائي ، استأصلت الذين شأوني ، صرخوا فلم

يكن لهم مخلص ، رغبوا إلى الله فلم يستجب لهم ، أسحقهم مثل الثرى

(١) من ظ و مد و الزبور ، و في الأصل : احكامي (٢) زيد من ظ و مد
و الزبور (٣) من ظ و مد و في الأصل : السو ، و في الزبور : أسوارا (٤) زيد
في ظ و مد : نصره (٥) من ظ و مد و الزبور معني ، و في الأصل : نصرني .

١ أمام الرمح ، وكثل طين الطرق أطام ، نجنى من مقاومة الالسن ، سيرنى
 رأسا على الشعوب ، الشعب الذى لا أعرفه تعبد لى ، سمع لى سماع الاذن ،
 بنوا الغرباء [أقبلا - ٢] و أطاعونى ، ٢ ولم يؤمن بى بنو الغرباء ٣ . حتى
 هو الله ، و تبارك إله خلاصى . تعالى الرب الذى أنقذنى ، الله الذى ثبت
 لى الانتقام . أخضع الشعوب تحتى ، و نجاتى من أعدائى ، و رفنى على ٥
 الذين قاموا ٤ على ، [و - ٢] من الرجال الاثمة نجاتى ، لذلك أشكرك
 يارب بين الشعوب ، و أرتل لاسمك .

المزمور الحادى و العشرون : إلهى إلهى لما ذا تركتنى ؟ تباعدت
 عن خلاصى لقول جهلى ، إلهى دعوتك بالنهار فلم تستجب لى ، و فى
 الليل ٦ فلم يكن منى جهلا ١ ، انت كائن فى القديسين يا غفر إسرائيل ، ١٠
 بك آمن آباؤنا ، و توكلوا ٧ عليك فنجيتهم ، و صرخوا إليك فخلصتهم ،
 رجوك فلم يخزوا ٨ ، و أنا فدودة و است إنسانا ، عار فى الناس ، مردول
 فى الشعب ، كل من رآنى يمتقنى ، تكلموا بشفاههم و هزوا رؤسهم
 [و - ٩] قالوا : إن كان آمن أو توكل على الرب فلينجه ، و يخلصه إن

- (١) زيدت الواو قبله فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد و الزبور فخذفناها .
 (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) فى الزبور : بنو الغرباء يبلون و يزحفون من
 حصونهم (٤) من ظ و مد و الزبور معنى ، و فى الأصل : اقاموا (٥) من ظ
 و مد و الزبور ، و فى الأصل : النهار (٦-٦) فى الزبور : فلا هدولى (٧) فى
 ظ : تواكلوا (٨) من ظ و مد و الزبور ، و فى الأصل : فلم تخزرا - كذا .
 (٩) زيد من مد .

كان يحبه ، وأنت من البطن أخرجتنى ، و مذ كنت أرتضع من بطن
 أمي^١ ألقيت إليك ، و عليك من الرحم توكلت ، و من بطن أمي أنت
 إلهي فلا تبعد عني ، فان الشدة قرية ، و ليس [من -^٢] يخلصني ،
 أحاطت بي عجول كثيرة ، اكتفتني ثيران سمان ، فتحت أنفواها على
 ه مثل الأسد الزائر المقدس ، و مثل الماء انهرقت عظامي ، و صار قلبي
 مثل الشمع المذاب في وسط بطني ، يبست^٣ قواي مثل الفخار ، لصق
 لساني بجنكي ، و إلى تراب الموت أنزلتنى ، أحاطت بي كلاب كثيرة ،
 اكتفتني جماعة الأشرار^٤ ، ثقبوا يدي ورجلي ، و زعزعوا جميع عظامي ،
 نظروا إلى^٥ و شتموني^٦ ، و اقتسموا بينهم ثيابي ، و اقترعوا على لباسي ،
 ١٠ و أنت يارب فلا تبعد من معونتي ، انظر إلى تضرعي ، نج من السيف
 نفسي ، و من يد الكلاب التي / اجتوشتني^٧ ، و من فم الأسد خلصني ،
 و من القرن المتعالي على تواضعي ، لأبشر باسمك إخوتي ، و بين الجماعة
 أجدك ، أيها الخائفون من الرب مجدوه ! يا جميع ذرية يعقوب سبحوه !
 يخشاه كل زرع إسرائيل ، لأنه لم يهن^٨ و لم يرذل دعوة المسكين ،

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : امتي ، و ليس في الزبور (٢) زيد من
 ظ و مد (٣) من الزبور ، و في النسخ : ببس (٤) من ظ و مد و الزبور ،
 و في الأصل : الأسرار (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : شتموني ، و في الزبور :
 يتفرون في ؛ و زيد بعده في الأصل و ظ : به ، و لم تكن الزيادة في مد
 لحذفها (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : اجتوشت ، و الجملة في الزبور :
 من يد الكلب وحيدي .

ولا صرف وجهه غنى، وعند دعائى استجاب لى، يأكل المساكين
و يشبعون، و يسجد قدامه جميع قبائل الشعوب، لأن الملك الرب،
و سلطانه على الأمم، تأكل و تسجد قدام الرب جميع ملوك الأرض،
و بين يديه يخثو جميع هابطى التراب لله، يحى نفسى^١، و ذريق له تعبد،
أخبروا بالرب أيها الجيل^٢ الآتى، و حدثوا بعده، ليرى الشعب الذى
يولد صنع الرب.

المزمور الثلاثون : عليك يا رب توكلت فلا أخزى إلى الأبد،
خلصنى و أنقذنى بعدلك، أنصت لى بسمعك، و استنقذنى عاجلا، كن
لى إلها نصيرا و ملجأ و مخلصا لأنك عونى و ملجأى، و باسمك يا رب
تهدينى و تعيننى و تخرجنى من هذا الفخ الذى أخفى^٣ لى، لأنك ناصرى،
و فى يدك أسلم روحي^٤، نجى يا رب إله الحق، شأت الذين يقتبطون
بالأوثان الباطلة، و أنا على الرب توكلت، افرح و أسر برحمته لأنك
نظرت لى تواضعى، و خلصت نفسى من الشدائد، و لم تسلمنى فى أيدي
الاعداء، اقم رجلى فى السعة، ارحمنى يا رب فأنى حزين. جزعت^٥

(١) كذا، و الجملة فى الزبور : ... التراب و من لم يحى نفسه (٢) من ظ
و مد و الزبور، و فى الأصل : الحليل (٣) زيد فى الأصل : يا رب، و لم تكن
الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) فى مد : انخفى (٥) زيدت الواو فى الأصل
و لم تكن فى ظ و مد و الزبور فحذفناها (٦) من ظ و مد و الزبور، و فى
الأصل : روح (٧) فى الزبور : خسفت.

عيناى من سخطك ، و نفسى و قواى ، فنى عمرى بالأحزان ، و سنى
بالزفرات ، ضعفت بالمسكنة قوتى و قلقت عظامى ، صرت عارا فى أعدائى
و جيرتى ، و رهبة لمن عرفنى ، من عايننى^١ تباعد عنى ، و نسوتنى فى
قلوبهم مثل الميت . صرت مثل إماء مكسور^٢ ، لأنى سمعت سب جميع
٥ من حولى ، هموا بى و عند اجتماعهم^٣ على^٤ جميعا تأمروا لأخذ نفسى ،
فأنا يارب عليك توكلت . قلت : أنت إلهى ، و فى يدك^٥ قسمى ، نجنى
من يد أعدائى و الطاردين لى . أضيق^٦ وجهك على عبدك ، و خلصنى
برحمتك ، يارب لا تخزنى فانى دعوتك ، تخزى المنافقون و يهبطون إلى
الجحيم ، تبكم الشفاه الغاشة المتقولة على الصديق بالزور و البهتان ، ما
١٠ أكثر^٧ رحمتك يارب لجميع خائفيك . أعددتها لمن اعتمد بك أمام بنى
البشر ، استرهم فى كنفك^٨ من^٩ أشرار الناس و فى ظلال وجهك ،
و قهم من مقاومة الألسن ، تبارك الرب الذى^{١٠} انتخب له^{١١} الأصفياء
فى المدينة العظيمة ، أنا قلت فى تحيرى : إنى سقطت من حذاء عينيك ،
و لذلك سمعت صوت تضرعى حين دعوتك ، جوا الرب يا جميع

(١) من ظ و مد و الزبور معنى ، و فى الأصل : عاقبى (٢) من ظ و مد
و الزبور معنى ، و فى الأصل : مسكون (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل :
اخفاهم (٤) فى ظ : يدك (٥) من الزبور ، و فى الأصول : بضى (٦) من ظ
و مد و الزبور معنى ، و فى الأصل : أكثر (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل :
كنفك ، و فى الزبور : ستر وجهك (٨) من ظ و مد و الزبور ، و فى
الأصل : بين (٩ - ٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : انتجت الاولياء ، و فى
الزبور : قد جعل عجبا رحمته لى .

أصفياه، فان الرب يقضى الحق، و يكافى^١ المستكبرين بفعلهم، تشتد
قلوبكم و تقوى أيها المتوكلون على الرب .

المزمور الثالث و الثلاثون: أبارك^١ الرب في / كل حين، و كل
أوان تسيحه في فمى، بالرب تفتخر نفسى، فليسمع أهل الدعة و يفرحوا،
عظموا معى الرب و شرفوا اسمه أجمعون، أنا طلبت^٢ الرب فأجابنى، ه
و من شدائى بجانى، أقبلوا إلى الرب و استروا به، فان وجوهكم
لا تخزى، إن المسكين دعا فاستجاب له الرب، و من جميع أحزانه خلصه،
ملك الرب بحوط أتقيائه و ينجيهم، ذوقوا و تيقنوا طيب الرب، طوبى
للرجل المتوكل عليه، اتقوا الرب يا جميع قديسيه^٣ لأنه لا منقصة
لأتقيائه^٤، الأغنياء افتقروا و جاعوا، و الذين يطلبون الرب لا يعدمون^٥ .
كل الخيرات، هلموا أيها الأبناء و اسمعوا منى لأفهمكم مخافة الرب، من
هو الرجل^٦ الذى يهوى الحياة و يحب أن يرى^٧ الأيام الصالحة،
اكفف لسانك من الشر و شفئك، لا تتكلم بالغدر، ابعد عن الشر،
و اصنع الخير، اطلب السلامة و اتبعها، فان عين الرب على الأبرار .
و سمعه إلى تضرعهم . وجه الرب على صانعى شر ليمحو ذكرهم من ١٥
الأرض، الأبرار دعوا فاستجاب لهم الرب^٨ . من جميع شدائهم نجاهم،

- (١) من ظ و مد و الزبور، و فى الأصل: اياك (٢) من ظ و مد و الزبور،
و فى الأصل: طلب (٣) من ظ و مد و الزبور، و فى الأصل: قديسيه .
(٤) زيد فى مد: الاتقياء (٥) فى مد: الرب - خطأ (٦) من ظ و مد و الزبور،
و فى الأصل: يربى (٧) - نقط من مد .

الرب^١ قريب من مستقيمي القلوب ، يخلص متواضعي الآرواح ، كثيرة^٢ هي أحزان الصديقين ، و من جميعها ينجيهم الرب ، الرب^٣ يحفظ جميع عظامهم ، و واحد منها لا ينكسر ، موت الخطاة سيئ ، و مبغضو البار يهلكون ، الرب ينجي نفوس عبيده ، و لا يخيب المتوكلين عليه .

٥ المزمور الرابع و الثلاثون : حاكم يارب الذين يظلموني ، قاتل الذين يقاتلونني ، خذ سلاحا و ترسا و قم لمعوتى . استل سيفاً و رد به أعدائى الذين يرهقونى . و قل لنفسى : أنا مخلصك ، يخزى و يبهت طالبو نفسى ، يرتدون^٤ على أعقابهم و يخزى الذين يتفكرون بى الشر ، و يكونون كالغبار أمام^٥ الريح ، و ملك الرب [يخزيهم ، تكون طريقهم ١٠ زائلة ظلمة عليهم و ملك الرب -^٦] يطاردهم ، لانهم أخفوا لى نحا . بغير حق عيروا نفسى ، فليأتهم الشر بقتة ، و المصيدة التى أخفوها تأخذهم ، و فى الحفرة التى حفروها يسقطون ، نفسى تبتهج بالرب ، و تنعم بخلاصه ، عظامى كلها تقول : يارب من مثلك منجى المسكين من يد القوى ، و الفقير و البائس من يد الذين يحتطفونه ، قام على شهود الزور ، و عما لم أعلم ساءلونى ، جازونى بدل الخير شرا ، و أبادوا نفسى و أنا عند ما لجوا على لبست مسحاً . و بالصيام اذلت نفسى ، و صلاتى عادت إلى حضنى ، مثل قريب و أخ كنت لهم ، صرت كالحزين الكئيب .

(١) تكرر فى الأصل فقط (٢) من ظ و مد و الزبور ، و فى الأصل : كبيرة .
(٣) ليس فى الزبور (٤) من ظ و مد و الزبور ، و فى الأصل : يردون .
(٥) فى مد : أيام (٦) زيد من ظ و مد و الزبور معنى .

في تواضعي . اجتمعوا عليّ وفرحوا ، اجتمع عليّ الاشرار ولم أشعر ،
 أثموا^١ ولم يندموا ، أحزنوني وهزأوا بي وصروا أسنانهم عليّ ،^٢ يارب^٣
 إلى متى تنتظر انج نفسي من شر ما نصبوا ، ومن الأسد نج وحدتي ،
 لأشكرك يارب في الجموع الكثيرة و [في -^٤] الشعب الصالح أرتل لك ،
 لا يسر بي المعادون لي ظلما ، الذين يشنؤونني باطلا ويتغامزون بعيونهم ،
 / لأنهم يتكلمون^٥ بالسلام وبالدغل يفكرون ، وعلى المتواضعين في الأرض
 يقولون الكذب ، فتحوا عليّ أفواههم ،^٦ وقالوا^٧ : نعمنا ! قد قرت
 به عيوننا ، اللهم قد رأيت ، لا تغفل ، لا تبعد عني يارب ! انظر سريعا
 في قضائي إلهي وربّي ، كن^٨ في ظلامي ، واحكم لي مثل برك ياربني
 وإلهي ، لا تسرم بي ، لئلا يقولوا في قلوبهم : تفتحت^٩ نفوسنا ، ولا يقولوا :^{١٠}
 قد ابتلعناه^{١١} ، يخزون ويهنون^{١٢} جميعا الذين يفرحون بأساقي ، يلبس الخزي
 والبهت^{١٣} المتعظمون بالقول عليّ ، يسر ويفرح الذين يهونون برّي ،
 ويقولون في كل حين : عظيم هو الرب ، الذين يريدون سلامة عبدك ،
 لساني يتلو عدلك وتمجيدك النهار كله .

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : اسمعوا ، وفي الزبور : مزقوا (٢-٣) من
 ظ و مد والزبور ، وفي الأصل : ترتب - كذا (٣) زيد من ظ و مد والزبور .
 (٤) في الزبور : لا يتكلمون (٥-٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : فقالوا ،
 وفي الزبور : قالوا (٦) من مد ، وفي الأصل : ظ : احكم ، والجملة في
 الزبور : استيقظ وانتبه إلى حكى يا إلهي وسيدي إلى دعواي (٧) فمن
 ظ و مد ، وفي الأصل : تنتحب - كذا ، والجملة في الزبور : هه شهوتنا .
 (٨) من ظ و مد والزبور ، وفي الأصل : اثنافاه (٩) من ظ و مد والزبور
 معني ، وفي الأصل : يتهنون - كذا (١٠) من ظ و مد والزبور معني ،
 وفي الأصل : البيت .

المزمور السادس و الثلاثون : لا تغبط الأشرار و لا تتأس بفاعلى
الإثم ، لأنهم مثل العشب سريعا يحفون ، و مثل البقل الأخضر عاجلا
يذبلون ، توكل على الرب و اصنع الخير ، و اسكن فى الأرض ، و عش
من نعيمها ، استبشر بالرب يعطيك مطلوبات قلبك ، و اكشف سبلك
لرب و توكل عليه و هو يصنع لك ، يخرج مثل النور عدلك ، و مثل
الظهيره أحكامك ، اخضع للرب و اضرع إليه ، لا تغبط الرجل المستقيم^١
فى طريقه المقيم على إثمه ، و لارجلا يعمل بخلاف الناموس ، اكفف
من السخط ، و دع الغضب ، لاتبار الشرير ، فأن الأشرار جميعا يبدون ،
و الذين يرجون الرب يرثون الأرض عن قليل ، لا يوجد الخاطى ،
١٠ و يطلب^٢ مكانه فلا يوجد ، أهل الدعة^٣ يرثون الأرض ، و يتنعمون
بكثرة السلامة ، المناق يرصد الصديق و يضر عليه أسنانه ، و الرب
يهزأ به ، لأنه قد علم أن يومه يدركه ، استل الخطاة سيوفهم ، و أوتروا
قسيمهم ، ليصرعوا المسكين و البائس ، و يقتلوا^٤ المستقيم القلب ، تدخل سيوفهم
إلى قلوبهم ، و تنكسر قسيمهم^٥ ، اليسير للصديق خير من كثرة غنى الخطاة ،
١٥ لأن سواعد الخطاة تنكسر ، و الرب يحفظ الأبرار ، الرب يعرف
أيام صديقيه^٦ الذين لا عيب فيهم^٧ و ميراثهم إلى الأبد . و لا يخزون فى

(١) من ظ و مد . وفى الأصل : السقيم ، وفى الزبور : الذى ينجح (٢) من
ظ و مد ، وفى الأصل : بطلت ، وفى الزبور : تطلع فى (٣) من ظ و مد
و الزبور معنى ، وفى الأصل « و » (٤) من ظ و مد و الزبور معنى ، وفى
الأصل : يقتل (٥) من ظ و مد و الزبور معنى ، وفى الأصل : قسيمهم .
(٦-٧) فى الأصول : التى لا عيب فيها ، وفى الزبور : الكلمة .

زمان سوء. وفي أيام الشدائد يشبعون، لأن الأئمة يبدون، أعداء
 الرب حين يرتعون ويتمجدون يذهبون مثل الدخان و يضمحلون،
 الخاطي يقتض و لا يوفي، و البار يترأف و يعطي، لأن مباركيه يرثون^١
 الأرض، و لاعتبه يستأصلون، الرب يقوم خطأ الإنسان و يهديه في
 الطريق، إن سقط البار لم يحزع. لأن الرب ممسك يده. كنت صيا^٥
 و شخت و لم أر صديقا رفض، و لا ذريته طلبت خبزا. النهار كله يترحم
 و يقرض^٢ و نسله مبارك، ابعد عن الشر و افعل الخير، و اسكن إلى
 أبد الأبد، [لأن الرب -^٣] يحب العدل، و لا يضيع أصفياه، يحفظهم
 إلى أبد الأبد، الأئمة يهلكون و نسل الخطاة / يستأصلون، الصديقون
 يرثون^٤ الأرض و يسكنون فيها إلى أبد الأبد، فم الصديق ينطق بالحكمة^{١٠}
 و لسانه يقول العدل، سنة إلهه في قلبه، و لا تزدحف قدماء، الخاطي
 يرصد البار و يهجم بقتله، و الرب لا يسلمه في يديه، و لا يدخله في الحكم،
 ترج الرب و احفظ طرقة، و هو يرفعك لترث الأرض و تعان الخطاة
 يبدون، رأيت المناقق يتعالى. يتناول مثل أرز لبنان، مررت به فلم
 أجده و طلبت موضعه فلم أصبه. تمسك بالدعة و ستري الاستقامة. فان^{١٥}
 عاقبة الرجل المستقيم سلامة، الخطاة جميعا يبدون، و بقايا الأشرار
 يستأصلون، خلاص الأبرار من عند الرب و هو ناصرهم في زمان الشدائد.

(١) من ظ و مد و الزبور. وفي الأصل: يورثون (٢) من ظ و مد
 و الزبور، وفي الأصل: يقرض (٣) زيد من ظ و مد و الزبور (٤) من ظ
 و مد و الزبور. وفي الأصل: يسكنون.

الرب عونهم ومنجيهم و منقذهم من الخطاة . و يخلصهم لانهم
توكلوا عليه .

ولما كان ما ذكر في هذه السورة من الحكم و الدلائل و القصص
واعظا شافيا حكيما ، و مرشدا هاديا عليما ، قال واصلا بما تقدم إشارة
ه إلى أنه . نتيجته : (ان في هذا) أى الذى ذكرناه هنا من الأدلة على
قدرتنا على قيام الساعة و غيرها من الممكنات ، و على أن من ادعى علينا
أمرا فأبدناه عليه و جعلنا العاقبة له [فيه - ٢] فهو صادق محق ، و خصمه
كاذب مبطل (لبغا) لأمرا عظيما كافيا فى البلوغ إلى معرفة الحق
فيما ذكرناه من قيام الساعة و الوحدانية و جميع ما تحصل به البعث
١٠ (لقوم) أى لآناس ، أقوياء على ما يقصدونه (عبيد) أى معترفين
بالعبودية لربهم الذى خلقهم اعترافا تطابقه الافعال بغاية الجد و النشاط .
ولما كان هذا مشيرا إلى رشادهم ، فكان التقدير : فإرسلناك إلا
لإسعادهم ، و الكفاية [لهم - ٢] فى البلاغ إلى جنات النعيم . عطف عليه
ما يفهم سبب التأخير لإنجاز ما يستعجله غير العابدين من العذاب فقال :
ه (ما أرسلناك) أى بمظمتنا العامة على حالة من الأحوال (إلا)
على حال كونك (رحمة للعالمين) كلهم ، أهل السماوات و أهل الأرض

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : نتيجة (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ،
و فى الأصل : معرفة (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : ناس (ه) العبارة من هنا
إلى « النعيم » ساقطة من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يستعمله (٧-٧) سقط
ما بين الرقنين من ظ .

من الجن و الإنس و غيرهم ، طائعهم بالثواب^١ ، و عاصيهم بتأخير العقاب .
 [الذى كنا نستأصل به الأمم -^٢] ، فحن نهمهم و تفرق بهم ، إظهارا
 لشرفك و إعلاء لقدرك ، حتى نبين أنهم مع كثرتهم و قوتهم و شوكتهم
 و شدة تمالؤهم عليك لا يصلون إلى ما يريدون منك ، ثم نزد كثيرا منهم
 إلى دينك ، و نجعلهم من أكابر أنصارك و أعظم أعيالك ، بعد طول
 ارتكابهم الضلال ، و ارتباكهم في أشراك المحال ، و إرضاعهم في الجدال
 و المحال ، فيعلم قطعا أنه لا ناصر لك إلا الله الذى يعلم القول فى السماء
 و الأرض ، و من أعظم ما يظهر فيه هذا الشرف فى عموم الرحمة وقت
 الشفاعة العظمى يوم يجمع الأولون و الآخرون ، و تقوم الملائكة صفوفًا
 و الثقلان وسطهم ، و يمجج بعضهم فى بعض من شدة ما هم / فيه ، يطلبون ١٠ / ٥٣٦
 من يشفع لهم فى أن يحاسبوا ليستريحوا من ذلك الكرب إما إلى جنة
 أو نار ، فيقصدون أكابر الأنبياء نبيًا نبيًا عليهم الصلاة و السلام ، و التحية
 و الإكرام ، فيحيل بعضهم على بعض ، و كل منهم يقول : لست لها ،
 حتى يأتوه صلى الله عليه و سلم فيقول : أنا لها . [و يقوم -^٢] و معه لواء
 الحمد فيشفعه الله و هو المقام^٣ المحمود الذى يغبطه [به -^٢] الأولون ١٥
 و الآخرون و قد سبقت^٤ أكثر الحديث بذلك فى سورة غافر عند
 ”و لا شفيع يطاع“^٥ .

١) سقط من مد (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ،
 وفى الأصل : اللواء (٥) من ظ و مد . وفى الأصل : مضت (٦) آية ١٨ .

و لما كان ^١ البلاغ الذى رتب ^٢ هذا لأجله هو التوحيد الملزوم
 لتمام القدرة، أتبع الإشارة إلى تأخيرهم الإيمان ^٣ إلى تحذيرهم ^٤ فقال: (قل)
 أى لكل من يمكنك ^٥ له القول: (إنما يوحى ^٦ الى) [أى - ^٦] ممن
 لا موحى بالخير ^٧ سواء ^٨ وهو الله ^٩ الذى خصنى بهذا الكتاب المعجز
 هـ (إنما ألهمكم) .

^{١٠} و لما كان المراد إثبات الوجدانية ^{١١}، [لآله يجمع على إلهيته منه
 ومنهم، كرر ذكر الإله فقال - ^{١٢}] : (آله واحد) ^{١٣} لا شريك له، لم يوح
 إلى ^{١٤} فى أمر الإله إلا الوجدانية، وما ألهمكم إلا واحد لم يوح إلى ^{١٥}
 فيما تدعون من الشراكة غير ذلك، فالأول من قصر الصفة على
 ١٠ الموصوف، أى ^{١٦} الحكم على الشيء، أى ^{١٧} الموحى ^{١٨} [ب - ^{١٩}] إلى
 مقصور على ^{٢٠} الوجدانية لا يتعداها ^{٢١} إلى الشراكة، والثانى

(١) زيد فى الأصل: هذا، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ
 و مد، وفى الأصل: وجب (٣) فى ظ و مد: الإيماء (٤) من ظ و مد،
 وفى الأصل: تحذيره (ه - ه - ه) فى ظ: القول له (٦) زيد من مد (٧) العبارة
 من هنا إلى «سواء وهو» ساقطة من ظ (٨) من مد، وفى الأصل:
 الخير (٩) فى ظ: من الله (١٠ - ١٠) - سقط ما بين الرقعين من ظ (١١) العبارة
 من هنا إلى «إلا واحد» وردت فى الأصل فى غاية الإلتحام والتداخل بالإضافة
 إلى بعض الزيادة والحذف فرتبناها حسب ظ و مد (١٢ - ١٢) فى الأصل بياض
 ملائقاه من مد (١٣) فى ظ: الوحي (١٤) العبارة من هنا إلى «مقصود على»
 ص ١١٠ س ١ ساقطة من مد (١٥) من ظ و مد، وفى الأصل: لا يتعداها - كذا.

من قصر الموصوف على الصفة ، أى الإله مقصور على الوحدة لا يتجاوزها إلى التعدد ، و المخاطب بهما من يعتقد الشركه ، فهو قصر قلب .

و لما انضم إلى ما مضى من الأدلة العقلية فى أمر الوحداية هذا الدليل السمعى . و كان ذلك موجبا لأن يخشى إيجاز ما توعدهم به ' فيخلصوا العبادة لله ' ، أشار إلى ذلك مرهبا و مرغبا بقوله : (فهل أنتم مسلمونه) ه أى مدعون له ملقون إليه مقاليدكم متخلون^٢ عن جميع ما تدعونه^٣ من دونه لتسلوا من عذابه و تفوزوا بشوابه ، [فى الآية أن هذه الوحداية يصح أن يكون طريقها السمع -^٤] .

و لما كان توليهم بعد هذه القواطع مستبعد ، أشار إلى ذلك بإيراده بأداة الشك فقال : (فان تولوا) أى لم يقبلوا ما دعوتهم إليه ١٠ (قل) [أى لهم -^٥] : (اذتكم) أى أعلتكم ببراءتى منكم و أنى غير راجع إليكم أبدا كما أنكم تبرأتم منى و لم ترجعوا إلى ، فصار عليكم أن لاصلح بينا مع التولى كعلمى و علم من اتبعنى .^٦ لتأمبوا بجميع ما تظنون^٧ ينفعكم . [فهو كمن بينه و بين أعدائه هدنة فأحس منهم بغيره ، فنبذ إليهم العهد و شهر ذلك النبذ و أشاعه فلم يخذه عن أحد ١٥ منهم ، و هو بما اشتهر أنه بلغ النهاية فى الفصاحة و الوجازة -^٨] ، أو أبلغتكم

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : متخلفون .

(٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : تدعون (٤) زيد من مد (٥) زيد من ظ و مد إلا أن « أى » ليست فى ظ (٦-٦) من مد ، وفى الأصل و ظ : لتأهبوا جميع ما تظنون .

جميع ما أرسلت به ولم أخص به أحدا دون أحد، وهذا كله معنى
(على سواه^١) أى إيدانا مستعليا على أمر نصف وطريق عدل، ليس
فيه شيء من خفاء ولا غش ولا خداع ولا غدر، بل نستوى فيه
نحن وأنتم.

و لما كان من لازم البراءة من شخص الإيقاع [به - ٢] كان
موضع أن يقولوا هزؤا على عادتهم: نبذت إلينا على سواء فمجل^٢ لنا ما
توعدنا^٣ به، فقال: (و ان) أى وما (ادرى اقريب) جدا بحيث
يكون قربه على ما تتعارفونه (ام بعيد ما توعدون^٤) من عذاب
الله فى الدنيا بأيدي المسلمين أو بغيره، أو فى الآخرة مع العلم بأنه كائن
١٠ لا محالة، وأنه لا بد أن يلحق من أعرض عن الله الذل والصغار.

و لما كان من المقطوع به من / كون الشك إماما هو فى القرب
أو البعد أن يكون التقدير: لكنه محقق الوجود، لأن الله واحد لا شريك

/ ٥٣٧

له، وقريب عند الله، لأن كل ما حقق إيجاده قريب. علله بقوله:

(انه) أى الله تعالى (يعلم الجهر) و لما كان الجهر قد يكون

١١ فى الأفعال، بينه بقوله: (من القول) مما تجاهرونه [به - ٣] من

العظامم وغير ذلك، [و به تعالى على ذلك لأن من أحوال الجهر

أن ترتفع الأصوات جدا بحيث تحتلط ولا يميز بينها، ولا يعرف كثير

من حاضريها ما قاله أكثر القائلين. فأعلم سبحانه أنه لا يشغله صوت

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: منى (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد،

وفى الأصل: بفعل (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: شهدنا (ه - ه) سقط ما

بين الرقمن من ظ.

عن آخر ولا يفوته شيء عن ذلك ولو كثر - ١] (و يعلم ما تكتُمونه)
 بما تضررونه من المخازى كما قال تعالى أولها " قل ربى يعلم القول فى
 السماء والارض " ومن لازم ذلك المجازاة عليه بما " يحق لكم من تعجيل
 وتأجيل ، فستعلمون كيف يخب ظنونكم ويحقق ما أقول ، فتقطعون
 بأن صادق عليه ولست بساحر ، ولا حالم ولا كاذب [ولا شاعر - ٢] ، ه
 فهو من أبلغ التهديد فانه لا أعظم من التهديد بالعلم .

ولما كان الإمهال قد يكون نعمة . وقد يكون نقمة ، قال : (وان)
 أى وما (ادرى) أى أكون تأخير عذابكم نعمة لكم كما تظنون أو لا .
 ولما كان إلى كونه نقمة أقرب ، قال معبرا عما قدرته : (لعله) ٦ أى
 تأخير العذاب و ٧ إيهام الوقت (فتنة لكم) أى اختبار من الله ليظهر ما ١٠
 يعلمه منكم من الشر لغيره ، لأن حالكم حال من يتوقع منه ذلك
 (و متاع) لكم تمتعون به (الى حين *) أى بلوغ مدة آجالكم التى
 ضربها لكم فى الأزل ، ثم يأخذكم بغتة أخذة يستأصلكم بها .

ولما كان اللازم من هذه الآيات تجويز أمور تهم سامعها و تقلقه
 للعلم بأن الله تعالى له أن يفعل ما يشاء من عدل و فضل ، و كان من ١٥
 العدل جواز تعذيب الطائع و تنعيم العاصى ٨ ، كان كأنه قيل : فإ قال

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما (٣) زيد من ظ و مد .
 (٤) العبارة من هنا إلى « بالعلم » ساقطة من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل : ابلغ .
 (٦) العبارة من هنا إلى « الوقت » ساقطة من ظ (٧) يياض فى الأصل ملأناه
 من مد (٨) زيد فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

الرسول الشفوق على الامة حين^١ سمع هذا الخطاب ؟ فقيل : ^٢ قال مبتهلا
إلى الله تعالى - هذا على قراءة حفص ، و على قراءة الجمهور : لما علم^٣
سبحانه أن ذلك مقلق^٤ ، أمره صلى الله عليه وسلم بما^٥ يرجى من^٦
يقلق^٧ من أتباعه فقال : ﴿ قل رب ﴾ أى [أيها - ^٨] المحسن إلى في
نفسى و اتباعى بامثال أوامرك و اجتناب نواهيك ﴿ احكم ﴾ أى أجز
الحكم^٩ بينى و بين هؤلاء المخالفين^{١٠} ﴿ بالحق ﴾ أى بالامر الذى يحق
لكل منا من نصر و خذلان على ما أجرته من سنتك القديمة فى
أوليائك و أعدائك " ما نزل الملئكة الا بالحق " أى الامر الفصل الناجز ،
قال ابن كثير^{١١} : و عن مالك عن زيد بن أسلم : كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا شهد قتالا^{١٢} قال " رب احكم بالحق " . [و فى الآية أعظم
حث على لزوم الإنسان بالحق ليتأهل لهذه الدعوة - ^{١٣}] .

ولما كان التقدير : قربنا المنتقم الجبار له أن يفعل ما يشاء و هو
قادر على ما توعدون ، عطف عليه [قوله - ^{١٤}] : ﴿ و ربنا ﴾ أى

-
- (١) من ظ و مد ، و فى الأصل : حيث (٢) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن
الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٣) زيد فى الأصل . الله ، و لم تكن الزيادة فى
ظ و مد لحذفها (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : متعلق (٥ - ٥) بياض فى
الأصل ، ملأناه من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لعلق - كذا .
(٧) زيد من مد (٨ - ٨) سقط ما بين الرقين من ظ (٩) راجع تفسيره ٢٠٣/٢ .
(١٠) فى التفسير : غزاة .

المحسن إلينا أجمعين؛ ثم وصفه بقوله: ﴿ الرحمن ﴾ أى العام الرحمة لنا
ولكم بادرار النعم علينا، ولو لا عموم رحمته لأهلكنا أجمعين وإن
كنا نحن أطعناه، لآما لا تقدره حق قدره "ولو يؤاخذ الله الناس بما
كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة" والحاصل أنه لما سأل "الحق"
المراد به الهلاك للعدو والنجاة للولى. أفرد الإضافة إشارة إلى تخصيصه
بالفضل، وإفراهم بالعدل، ولما سأل العون عم بالإضافة والصفة فتوعا
بترجيح جانبه بالعون وإن شملتهم الرحمة، [ولأن من رحمتهم خليتهم عمام
عليه من الشر -] فقال: ﴿ المستعان ﴾ أى المطلوب منه العون وهو
خبر المبتدأ الموصوف ﴿ على ما تصفون ﴾ عما هو ناشئ عن غفلتكم الناشئة
عن إعراضكم عن هذا الذكر من الاستهزاء والقذف بالسحر وغيره، ١٠
والمناصبة بالعداوة والتوعد بكل شر، فقد انطق آخر السورة على
أولها بذكر الساعة ردا على قوله "اقرب للناس حسابهم" وذكر
غفلتهم وإعراضهم وذكر القرآن الذى هو البلاغ، وذكر الرسالة بالرحمة
لمن نسبوه إلى السحر وغيره. وتفصيل ما استعجلوا به من آيات
الاولين وغير ذلك، وقام الدليل بالسمع بعد العقل على تحقق امر ١٥
الساعة بأنه سبحانه لا شريك له يمنع من ذلك. وأنه يعلم السر وأخفى،
وهو رحمن، فمن رحمته إيجاد يوم الدين ليجازى فيه المحسن باحسانه،

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: الناصبة (٣) من ظ و مد،

وفي الأصل: التوعد (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: شيء.

والمسيء بكفرانه ، وفي ذلك أعظم ترهيب^(١) في أعلى حاث على
التقوى للنجاة في ذلك اليوم ، وهو أول^٢ التي تليها - والله الموفق .



(١) يُمنّ ظ ومسد، وفي الأصل : ترهب (هـ) من ظ ومسد، وفي
الأصل : ازل .

خاتمة الطبع

لقد تم - و الحمد لله - طبع الجزء الثانى عشر من تفسير "نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبى الحسن إبراهيم ابن عمر البقاعى الشافعى رحمه الله تعالى . يوم السبت ١٠ ربيع الأول سنة ١٣٩٨ هـ = ١٨ شباط سنة ١٩٧٨ م ، تحت إشراف مدير الدائرة وسكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد ، قاضى المحكمة العليا سابقا - بارك الله جهوده و ضاعف له أجوره .

و قد تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخی الفاضل محمد عمران الأعظمى الأنصارى العمرى (أفضل العلماء - جامعة مدراس) ، و ساعده على المقابلة وقت الطبع مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضى محمد عطاء الله النقشبندى القادرى (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله . و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه .

و يليه الجزء الثالث عشر باذن الله و مشيئته مستهلا بسورة الحج . و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه و هو المسئول لحسن الخاتمة ، و نصلى و نسلم على من علم فوائح الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المستمسك بحبل الله المتين

المفتى محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية